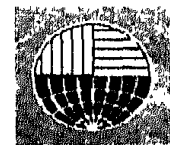


المؤمنين في الإسلام



بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : ناهمليكي - تلکس : ٢٣٣٩٠



المجلد في الأدب العربي



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
مركز توثيق الكتب

مؤلف
شاهي رشيد

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف 892.7080362
رقم التسجيل ٤٤٥٤٦

الجزء الأول

عالم الكتب

سنة النهضة العربية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للتأثر

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنشأ الخلائق بلا روية أجالها، وضمن أرزاقها، وقدر أقواتها فشملت رحمته الذر في مصائفها^(١) والهوام في مشاتها، والوحوش في مغارات الجبال وأوديتها، والبعوض في مخابثها بين سوق الأشجار وأحييتها^(٢) وبنات الأرض وهي عائمة في كثران الرمال، وذوات الأجنحة المستقرة بذرى شناخيب^(٣) الجبال، وذوات المنطق من الطيور المغردة في دياجير الأوكار، وما استوعبته الأصداق، وحضنته أمواج البحار، وغشيتة سُدفة ليل، أودر عليه شارق نهار. نفذهم علمه، وأحصاهم عدده، ووسّعهم عدله، وغمرهم فضله^(٤).
والصلاة والسلام على خيرة خلقه، وخاتم رسله الذي بعثه رحمة للعالمين كافة، وعلى أهل بيته منار الهدى، وأعلام الورى، وعلى أصحابه البررة الميامين الذين اقتدوا بسيرته، وساروا على سنّيه، وعلى التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين،

(١) الذر: صغار النمل. مصائفها: محلّ اقامتها في الصيف.

(٢) الألحية: جمع اللحاء وهو قشر الشجر.

(٣) شناخيب الجبال: رؤوس قممها.

(٤) معظم الكلمات مقتبسة من خطبة الأشباح للإمام علي (ع) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

. ٣٩٨/٦

وبعد : انْ بذرة هذا الكتاب قصيدة لابن العلاف الضرير في رثاء هُرّ، وجدتها أيام شبابي في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان مطلعها

يا هُرّ فارقتنا ولم تعدِ وكنت منا بمنزل الولد^(١)

فدعاني لنقلها وحفظها قول المؤلف رحمه الله : إنها من أحسن الشعر وأبدعه . وتأثير من حُبِّي لهذه القصيدة أخذت الأشعار المنظومة في الحيوان تستوقفني فأقرأ معظم ما يصادفني منها أثناء مطالعاتي في دواوين الشعر والكتب الأدبية ، وبدافع من هذه الرغبة المتنامية قرأت كتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب حياة الحيوان للدميري وغيرهما من الكتب التي لها علاقة في هذا الموضوع ككتاب المصائد والمطارد لكشاجم ، وكنت كعادتي أدوّن مصدر كل فقرة تروقني في دفتر أعددته لهذا الغرض .

وبعد أن تحلّلت من قيود الوظيفة سنة ١٩٦٤ وقررت الانصراف إلى التحقيق والتأليف سجلت آنذاك ما طرأ على خاطري من الأعمال التي تمنّيت لو أن الله عزّ وجل يوفّقني لانجازها، فكان الكتاب الثاني عشر هو كتابي هذا، ولم تأتني نوبته إلا في سنة ١٩٧٧ م مع اني لم أراع التسلسل في القيام بتلك الأعمال .

ولأجل اعداد مواد الكتاب قرأت وراجعت مئات الكتب، ومئات الدواوين الشعرية . فكانت حصيلة تلك القراءات والمراجعات هذا الكتاب، وكان القصد من تأليفه عدة أمور أهمها:

- الاختصاص :

وذلك بالتقاط ما تناثر في الكتب الأدبية واللغوية ودواوين الشعر عن الحيوان وجمعه في كتاب مستقل خدمة للباحثين .

(١) يراجع باب القط للوقوف على القصيدة وعلى أسباب نظمها والاختلاف في نسبتها.

٢ - الحضارة العربية :

في جمع هذا الكتاب إبراز لظاهرة مهمة من ظواهر الحضارة العربية المتأصلة فيهم منذ أقدم العصور، وكشف عن مدى اهتمامهم بتسجيل حركات الحيوان وسكناته وطبائعه بأجلى صورة وأبلغ قول. فما من شاعر عربي إلا وللحيوان أثر مهم في شعره ولكنهم متفاوتون في هذا المضممار، فمنهم من يأتي على ذكره عرضاً عندما يشبه الشجاع بالأسد، والماكر بالثعلب، والغادة الحسنة بالظبية. إلى غير ذلك من التشبيهات الشائعة عندهم، ومنهم من ولع بالصيد فذكر في طردياته : الخيل والكلاب والفهود وجوارح الطير ، وما تصيده هذه السباع من الحيوانات، ومنهم من وقف على الكثير من أصناف الحيوانات الصغيرة والجسيمة. الأليفة منها والوحشية وقوف فاحص متأمل يحصى عليها حركاتها وأنفاسها. بل ولم يغفل البعض منهم عن كل ما هبّ ودبّ، أوطار في أجواء السماء، أو عام أوركس في الماء مما هو موجود في بلادهم دارساً خصائصه وطبائعه.

وقد أخذ الخلف عن السلف ما حوته أمثالهم من حكايات على ألسنة الحيوانات كحكاية ذات الصفا وهي حية ورد ذكرها في رائية النابغة الذبياني التي مطلعها^(١) :

ألا أبلغا ذبيان عني رسالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائره
ملخصها أن ذات الصفا لدغت رجلاً فمات، ونهض أخوه لأخذ الثأر منها، فارتأت أن تصالحه على أن تدفع له في كل يوم ديناراً من مال مخزون لديها فوافق على ذلك، وأخذ يتسلم الدينار منها في كل يوم. وبعد مدة ندم الرجل على المصالحة وقرّر أخذ الثأر منها. فترصدها وضربها بفأس على رأسها ضربة غير

(١) ديوانه/ ٦٨ .

مميتة . فدخلت جحرها وقطعت الدينار عنه . فجاء إلى مخبئها وعرض عليها أن يجعلها بينهما عهداً على تناسي ما حدث ، ويبدأن صعبة جديدة تقوم على المحبة والوثام . فنظرت الحية إلى قبر أخيه ، وتحسست موضع الضربة من رأسها . فقالت يمين الله أفعل انني رأيتك مسحوراً يمينك فاجره أبى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره كما نلمس من معاشرة الانسان العربي للحيوانات عطفاً منقطع النظير حتى على المفترس منها عندما يتعرض للجوع أو العطش كقصة الفرزدق مع الذئب وهي معروضة عرضاً رائعاً في قصيدته النونية التي مطلعها وأطلس عسأل وما كان صاحباً دعوت بناري موهنأ فأتاني^(١) وأمثال هاتين القصتين كثيرة يجدها القاريء الكريم في 'ثنايا هذا الكتاب' ولورجعنا إلى أمثالهم السائرة لوجدناها جامعة لكل صفات الحيوانات وطبائعها . وإذا كان ضيق المجال لا يتسع لقائله أن يبرز خصائص الموصوف كاملة فقد نظم العرب - حسب اعتقادي - من الاشعار في الحيوان أكثر مما نظمه أي شعب آخر . فقلما تجد قصيدة مهما كان موضوعها وليس للحيوان ذكر فيها . وفي ذلك يقول الجاحظ : وقلّ معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلمين إلّا ونحن وجدناه أو قريباً منه في اشعار العرب وفي معرفة أهل لغتنا وملّتنا^(٢) .

٣ - الناحية التعبدية :

من العبادات المهمة في الإسلام التفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى والبحث - قدر الامكان - عن خصائص تلك المخلوقات ليكون الإقرار بالعبودية لله

(١) ديوانه ٣٢٩/٢ .

(٢) الحيوان ٢٦٨/٣ .

الواحد الأحد عن دراية ويقين صادق عملاً بقوله عزّت قدرته (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فكنا عذاب النار)^(١).

فعالم الحيوان عالم رحيب جداً كرحابة الأكوان العلوية، ومن يسرّح الطرق في خصائص الحيوانات وتكوينها وتصوّر مراحل حياتها وخدماتها الجلى لبني البشر، وكيف أنها تتزاوج وتتناسل، وتعتني بأولادها، وتتفاهم فيما بينها وهي عجماء، وتكسب رزقها، وتميّز الحيوان الذي يئصبها العداء من الذي لا ضرر منه، وكيف تهاجر من قطر لآخر طلباً للرزق أو المناخ الملائم ثم تعود إلى مواطنها الأصلية في الوقت المناسب بدون أن يختلف عليها الزمن أو تخفى عليها المعالم. فمن ذا الذي يتدبر هذه الأمور ولا يقف عندها مبهوراً أمام عظمة الباري المصور جلّت قدرته؟ ثم لا يهتف قائلاً:

ففي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه الواحد

قال الجاحظ^(٢): من علّم البعوضة أنّ من وراء ظاهر جلد الجاموس دماً، وأنّ ذلك الدم غذاء لها. وأنّها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ الشديد الصلب أنّ خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة، ولو أنّ رجلاً منّا طعن جلده بشوكة لانكسرت الشوكة قبل أنّ تصل إلى موضع الدم والذي سخر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس هو الذي سخر قمقم النحاس لإبرة العقرب. انتهى .

إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سُبُحات وجهك، ولم تجعل للمخلوق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك، فاهدنا يا أرحم

(١) سورة آل عمران / ١٩١ .

(٢) الحيوان ٧ / ١٨٥ .

الراحمين صراطك المستقيم واشمل برحمتك من قال :

فيك يا أعجوبة الكون ن غدا الفكر كليلا
انت حيّرت ذوي الدُّبِّ وبلبلت العقولا
كلّما قُدِّم فكري في ك شبراً فرميلا
ناكصاً يخط في عش واء لا يُهدى سبيلا

بُنيّة الكتاب :

بنيت كتابي هذا على سبعة أعمدة بها يتكامل الأدب العربي هي : اللغة .
القرآن الكريم . الحديث النبوي الشريف . المثل السائر . القصة . المقالة أو
المقامة . الشعر .

ولقد حاولت جهد الإمكان أن أختصر فأجعل الكتاب جزءاً واحداً فعجزت
عن تحقيق ذلك لوفرة المادة ، ولو أطلقت لنفسي العنان لبلغ عشرة أجزاء لأنني لم
أقيده بزمن محدود .

ومن الجدير بالذكر أن الكتب الأدبية ودواوين الشعراء تضمنت الكثير من
القصائد التي نظمت في الحيوان بصورة عامة ، وخصّ ناظموها كل جنس من
الحيوان بيت أو بيتين ، ولأنني جعلت في كتابي هذا باباً مستقلاً لكل نوع فلم أجد
لتلك القصائد محلاً فيه .

وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر مطالع بعض تلك القصائد ومصادرها .

١ - قصيدتان لبشر بن المعتمر أوردهما الجاحظ في كتابه (الحيوان) ٢٨٤/٦
و ٢٩١/٦ عدد أبيات الأولى (٦٠) ومطلعها :

الناس دأباً في طلاب الغنى وكلّهم من شأنه الخثرُ
وعدد أبيات الثانية (٧٠) بيتاً ، ومطلعها :
أما ترى العالم ذا حشوة يقصر عنها عدد القطرِ

٢ - في فوات الوفيات لابن شاکر ١٦٤/٢ ، وحياة الحيوان للدميري ٤٠٠/٢
قصيدة لکمال الدين بن الأعمى علي بن محمد بن المبارك عدد أبياتها (٤٥)
يذمّ فيها دار سكناه ويعدد ما فيها من الحشرات. مطلعها.

دار سكنت بها أقل صفاتها أن تكثر الحشرات في جنباتها
٣ - قصيدة للسيد أحمد الصافي النجفي في ديوانه: التّيار / ١٦٠ عدد أبياتها (٣٤)
عنوانها (مملكة الحيوان) مطلعها:

لو يعلم الحيوان ما عندي له من رحمة لأتّى إليّ مسلّماً
٤ - قصيدة للشاعر القروي رشيد سليم خوري مثبته في ديوانه / ٢٤٣ عدد أبياتها
(٣٦) مطلعها :

بيضٌ كأعلام السلام على السفينة تخفقُ

٥ - وفي ديوان ابن زيدون / ٥٩٥ - ٦٢٦ فصل عنوانه المطيرات وهو نوع من
المطارحات الشعرية في الأحاجي والالغاز تدور على أسماء الطيور، ولكل
طائر حرف يرمز إليه.

دارت هذه المطارحات بين الشاعر وبين المعتمد بن عباد باستثناء مطارحة
واحدة كانت بينه وبين الشاعر أبي طالب بن مكي بلغ مجموع أبيات تلك
المطارحات (٢٢١) .

وبالختام أتضرع إلى الله عز وجل أن يتقبل أعمالنا التي خلصت فيها نيّاتنا ومنه
استمد العون والسداد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.
وكان الفراغ من تأليفه وكتابته بخط يدي يوم الأحد السابع من شهر شعبان
سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ليوم (٣٠) من شهر مايس سنة ١٩٨٢ م في بغداد.
الداودي. حيّ الأمين. بداري المرقمة ٢/٣٠٣.

شاکر هادي شکر

الإبل^(١)

الإبل (بكسر الباء، وقد تسكَّن): الجمال، وهو اسمٌ واحدٌ يقع على الجميع ليس بجمع، ولا أسم جمع، وإنما هو دالٌّ على الجنس، وهي مؤنثة، وإذا صغرتها قلت: أيلة. وينضوي تحت اسمها اسم.

(البعير)

وهو من الإبل بمنزلة الانسان من الناس، يقع على الذكر والأنثى، يقال: حلبت بعيري، وصرعتني بعير لي. والجمع أبرة وأباعر. وبُعران.

و (الجمال)

وهو الذكر من الإبل، وجمعه: جمال، وأجمال، وجمالة، وجماليات.

و (الناقة)

وهي الأنثى من الإبل، ولا تسمى ناقة حتى تجذع، ومن جموعها: ناق، ونوق، ونياق، وأنوق، وأينق.

(١) المخصص ١٢/٧/٢ (الإبل) وصحح الأعشى ٣١/٢ و٣٢، ومعجم اللغة.

أَسْنَانُ الْإِبِلِ

إِذَا وَضَعْتَ النَّاقَةَ فَوَلَدَهَا سَاعَةً تَضَعُهُ، قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ أَذَكَرَ. هُوَ أَمُّ أَنْثَى:

(سَلِيل)

فَإِذَا عَلِمَ وَكَانَ ذَكَراً فَهُوَ.

(سَقَب، وَصَقَب)

وَالْجَمْعُ سِقَابٌ، وَلَا يُقَالُ لِلْأَنْثَى سَقَبَةٌ، وَأُمُّهُ مُسَقِبٌ. فَإِذَا قَوِيَ وَمَشَى فَهُوَ.

(رَاشِح)

وَالْجَمْعُ رُشْحٌ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الرَّاشِحِ فَهُوَ.

(جَادِل)

فَإِذَا مَشَى مَعَ أُمِّهِ فَهِيَ مُشْبِلٌ، وَإِذَا تَبِعَهَا فَهِيَ مُتْلِيَةٌ، وَإِذَا حَمَلَ فِي سَنَامِهِ شَحْماً فَهُوَ (مُجَذِّ) وَ (مَكْعَر) وَهُوَ فِي هَذَا كَلَهُ:

(حَوَار)

جَمَعَهُ حِيرَانٌ، وَأَحْوَرَةٌ، وَالْأَنْثَى (حَوَارَةٌ). فَإِذَا كَانَ الْحَوَارُ ابْنَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ، أَوْ ثَمَانِيَةَ فَهُوَ.

(أَفِيل)

وَالْأَنْثَى (أَفِيلَةٌ) وَالْجَمْعُ: أَفَائِلٌ، وَإِفَالٌ. فَإِذَا بَلَغَ الْحَوَارُ سَنَةَ فَفَصَلَ عَنْ أُمِّهِ فَهُوَ.

(فَصِيل)

وَالْأَنْثَى (فَصِيلَةٌ) وَالْجَمْعُ فَصِلَانٌ، وَفَصَالٌ، فَإِذَا أَتَمَّ سَنَةَ وَحُمِلَ عَلَى أُمِّهِ فَأَلْقَحَتْ فَهُوَ حِينْتَذ.

(ابن مخاض) ويسمى (خَلّ)

والأنثى (بنت مخاض) وتسمى أيضاً (خَلَّة). فإذا نتجت أمه وذلك بعد سنتين ودخول الثالثة ، وصار لها لبن فهو.

(ابن لبون)

والأنثى (بنت لبون). فإذا فصل أخوه وذلك لاستكمال ثلاث ودخول السنة الرابعة فهو.

(حِقّ)

حتى يستكمل، وقيل: الحِقّ: الذي استحقّ أن يركب، ويُحمل عليه، والأنثى (حِقَّة) والجمع لكليهما: حِقاق، وقيل جمع الحِقَّة: حِقَق، وحِقاق. فإذا أتت عليه الخامسة فهو.

(جَذَع)

والأنثى (جَذْعَة). فإذا ألقى ثَنِيَّتَه وذلك في السنة السادسة فهو.

(ثُنِيّ) و (ثُنِيّ)

والجمع ثُنَيان، وثَنان. والأنثى (ثُنِيَّة) وجمعها: ثُنَيّات. ويقال للثني

(بَكَر) و (قَعود)

وقيل: البَكَر: ابن المخاض إلى أن يشني، والجمع: أبكر، وبَكَر، والبَكَر بمنزلة الفتى، و

(القلوص)

بمنزلة الفتاة، والجمع: قِلاص، وقُلُص، وقِلايص. فإذا ألقى رَباعِيَّتَه وذلك في السابعة فهو.

(رَبَاع)

وإذا أُرْبِع سُمِّي .

(جَمَلًا)

وتكون الأنثى (ناقة) إذا أُجْدَعَت . وإذا أُلْقِيَ الجملُ السنُّ التي بعد الرباعية فهو .

(سَدَس) و (سَدِيس)

وذلك في الثامنة . وهذه الأسنان كلها قبل الناب ، فإذا خرج الناب فقد بزل ، فهو .

(بازِل)

وتسمى الناقة في أول البُزُول (ناب) وجمعها : نيب : فإذا أتى على الجمل عام بعد البزول فهو .

(مُخْلِف)

وليس له إسم في سنه بعد الاخلاف ، ولكن يقال (بازل عام) و عامين ، وكذلك ما زاد . والمؤنث في جميع هذه الأسنان بالهاء إلا السدس ، والسديس ، والبازل ، والمُخْلِف فإنها في المؤنث كما في المذكر بغير هاء .

وإذا اشتدَّ ناب البعير وغلظ قيل (عَصِل نابه) فإذا طال واصْفَرَّ قيل (عَرِد نابه) وهو من عُرود النبات وطوله ، فإذا جاوز سنَّ العرود فهو .

(عَوْد)

والأنثى (عَوْدَة) . وإذا جاوز ذلك فأسنَّ وفيه بقية قيل : جمل

(قَحْر)

والأنثى (قَحْرَة) . وإذا بلغت سنَّ القحْرِ فهي (عَوْرَم) أيضاً ، فإذا جاوزت

العوزم فهي (ضِرْزَم) فإذا ارتفعت عن ذلك وتكسّرت أسنانها قيل (ناب دِلْقَم) من الدلق، لأنها لا أسنان لها فلسانها يخرج من فيها، فإذا أكلت أسنانها؛ أو وقعت فهي (لَطْلِط) و (كَحْكِيح) و (دِرْدِج). هذا في الاناث دون الذكور.

وإذا جاوز البعير سنَّ القحر فهو.
(ثُلْب)

إلى أن ينتهي هرمه، فإذا سال لعبه فهو.
(مَاج)

والأنثى (مَاجَّة) لأنه يَمَج ريقه ولا يستطيع أن يمسكه من الكبير.
أنواع الإبل ومنسوباتها
(العِراب)

هي الإبل العربية التي ليس فيها هجنة. الواحد: عربي، وفي الصحاح:
الإبل العِراب: خلاف البخاتي.
(البُخْت)

وهي الإبل الخراسانية. واحدها بُخْتِي، تجمع أيضاً على بخاتي،
وبخات.

(الفَلَج) و (الفَالَج)

عظيم الخلق، ذو سنامين، يحمل من السند للفحلة، جمعه فوالج
(الصَّرْصَرَانِيَّة)

بين البخاتي والعراب، وفي الصحاح، ويقال: هي الفَوالج.
(المَهْرِيَّة)

منسوبة إلى قبيلة مَهْرَة، أبوها مهرة بن حَيْدَان، والجمع المَهَارِيّ)، وان

شئت خففت الياء فقلت: المهاري، أو المهاري بالقصر.

(الْقُرْطِيَّة)

تُنسب إلى قُرط، وهي قبيلة من مَهرة بن حَيْدان إحدى قبائل اليمن..

(الْمَاطِلِيَّة)

تنسب إلى فحل يقال له: ماطل.

(الْبُحْثَرِيَّة)

تنسب إلى بُحْتر وهم بطن من طيء. كذا في المخصص ولسان العرب، وفي القاموس: تنسب إلى فحل من فحولهم إسمه بُحْتر.

(الْعِيدِيَّة)

إبل كرام في نسبتها أقوال كثيرة .

(الصَّدْفِي)

ضرب من نجائب الإبل تُنسب إلى الصَّدِف : بطن من كندة .

(الدِّيَافِي)

ضرب من الإبل منسوب إلى قرية بالشام ، وقيل بالجزيرة اسمها (دِياف) .

(الْأَقِيشِيَّة)

إبل غير عتاق تنفر من كل شيء ، تنسب إلى بني أَقِيش : حيٍّ من عُكل .

(الْحُوشِيَّة)

بمعنى الْوَحْشِيَّة وقيل : منسوبة إلى الحُوش ، وهي فحول تزعم العرب أنها من إبل الجنّ ضربت ببعضها فنسبت إليها .

(القِرْمِلِيَّة)

من الإبل الصغار، الكثيرة الأوبار، وهناك (القرامل) : البختي ، أو ولده ،
(القرامل) كلها ذو سنامين .

(الشُّوَيْكِيَّة)

كذا في الصحاح والمخصّص ، وفي القاموس (الشويكة) كجهنية : ضرب
من الإبل .

ألوان الإبل

(البياض)

إذا كان البعير خالص البياض قيل (آدم) والأنثى (أدماء) على الضدّ من
بني آدم . فإن خالط البياض شقرة يسيرة قيل : (أعيس) والأنثى (عيساء) .

(الحمرة)

فإن احمرّ وغلبت عليه الشقرة قيل (أصهب) والأنثى صهباء ، فإن خلصت
حمرته قيل (أحمر) والأنثى (حمراء) ، فإن خالط حمرته قنوء قيل (كमित)
للذكر والأنثى . فإن صفت حمرته قيل (أحمر مُدَمِّي) ، فإن خالط الحمرة خضرة
قيل (أحوى) ، فإن خالطها صفرة قيل (أحمر رادني) فإن خالطها سواد قيل
(أزمك) والأنثى (زمكاء) ، فإن كانت حمرته كصدأ الحديد قيل (أجأى)
والإسم الجؤوة .

(السواد)

فإن كان السواد فيه ضعيفاً قيل (أكلف) فإن خالط السواد صفرة قيل
(أحوى) ، فإن علق بسواده بياض قيل (أورق) ، فإن زادت ورقته حتى اظلم
بياضه قيل (أدهم) ، فإن اشتد سواده قيل (جُون) ، فإن كان بين الغبرة والحمرة

قيل (خَوَّار) والأنثى (خَوَّارة) .

من أوصاف الإبل المستحسنة

دَقَّةُ الأذن وتحديد أطرافها . كبر الرأس . استطالة الوجه . عِظَم الوجنتين .
قنَو الأنف . طول العنق ، وغلظه . دَقَّة المذبح . طول الظهر . عِظَم السَّنام .
طول الذَّنْب وكثرة شعره . غلظ الأطراف . قلة لحم القوائم . وأن تكون كثيرة
اللحم لا رَهْلة ولا مسترخية . مَلْسَاء الجلد . تَامَّة الخَلْق . قوَّة صُلْبَة ، خفيفة .
سريعة السير .

جماعة الإبل

(الدَّوْد)

من الثلاث إلى العشر، وقيل: ما بين الثنتين والتسع من الإناث دون
الذكور، وجمعها: أدَّواد .

(الزِيْمَة)

ما بين البعيرين والخمسة عشر، جمعها زِيَم .

(الصِرْمَة)

من العشرة إلى الثلاثين ، وقيل: إلى الأربعين، وقيل : قطعة قليلة ما بين
العشر إلى بضع عشرة، وقيل: بل هي ما بين الثلاثين وخمس وأربعين، وإذا بلغت
الستين فهي .

(العَكْرَة)

وقيل: العكرة إلى السبعين، وقيل: بل هي ما بين الخمسين والمائة،
وجمعها العَكَر .

(العَرَج)

وقد تكسر العين ؛ مائة وخمسون ، وقيل : إذا بلغت خمسمائة إلى الألف ،
جمعها : عُروج .

(الهَيْئَة)

المائة قطّ .

(الكَوْر)

الإبل الكثيرة العظيمة .

(الخِطْر)

ويُفتح الخاء : نحو من مائتين .

(الحَوْم)

الكثير من الإبل ، أكثره إلى الألف .

(اللَّطِيْمَة)

الإبل التي تحمل الطيب .

(العَسْجَدِيَّة)

الإبل التي تحمل النقد والذهب .

(الضَّفَاطَة)

الغير التي تحمل المتاع ، وتسمّى الدجّانة أيضاً .

(النَّعَم)

الإبل ، يذكر ، ويؤنث ، والجمع أنعام .

(الزَمْزِيم)

الجماعة من الإبل إذا لم يكن فيها صغار .

(الزَمْزِمَة)

الجماعة ، أو خمسون من الإبل .

(الرَفّ)

القطعة العظيمة من الإبل .

(القار)

القطيع الضخم من الإبل .

مما ورد في معاجم اللغة في الإبل

(أ)

أ ب ي : الأيَّبة من النوق : التي ضربها الفحل ولم تلقح
من عامها

أ ث ر : أثَرُ الفحل الناقة أثراً ، ووَثَرَهَا وَثْراً : ضربها
المرّة بعد المرّة

أ ر ض : الأَرْضُ : فراسن البعير ، واحده فرسن : طرف خف البعير

أ س د : استأسد البعير : وثب على الإبل يقاتلها ويكدها

أ ص ص ن : الأصُوص : الناقة التي حمل عليها فلم تلقح .

أ ط ط : أطِيطَ الإبل : أنينها من ثقل الحمل .

(ب)

ب ر ق : أَبْرَقَتِ الناقة : شالت من غير حمل ، وهي مُبْرِق
وبَرُوق .

ب ر ك : الْبَرَكُ : ما ولي الأرض من جلد صدر البعير
إذا برك .

ب ر ك ع : الْبُرْكُ : القصير من الإبل
ب س ق : أَبَسَقَتِ الناقة : وقع اللَّبَأُ في ثديها قبل التتاج ، فهي
مُبَسِّقٌ ، وَبَسُوقٌ .

ب ش ك : الْبَشْكُ : خَفَّةٌ في نقل القوائم ، وَبَشَكَ الْإِبِلُ :
ساقها سوقاً سريعاً

ب غ ل : التَّبْغِيلُ : من مشي الإبل ، فيه سعة

ب غ م : الْبُغَامُ : صوت الإبل المتقطع

ب ك ر : الْبِكْرُ : التي تضع أول مولود

ب ل ع س : الْبَلْعَسُ : الناقة العظيمة

ب ل م : أَبْلَمَتِ الناقة : لا ترغو من شدة الغلمة ، وهي

مُبْلِمٌ ، وَمِبْلَامٌ ، وبها بلمة شديدة .

ب ه ت : بُهِتَ الْفَحْلُ : نُحِّيَ عن الناقة لِيُحْمَلَ عليها
أَكْرَمَ منه .

ب ه ز ر : الْبُهُزْرَةُ : الناقة العظيمة .

ب و ك : الْبَائِكُ : الناقة العظيمة .

(ت)

ت ر ب : التَّرْبُوتُ : الذلول ، للبعير والناقة ، ويقال :

دَرَبُوتٌ أيضاً ، أَنْظِرْ (درب) .

(ث)

ث ف ن : ثَفَنَاتُ الْبَعِيرِ : ما أصاب الأرض من أعضائه ،

أي الركبتان ، والسعدانة - وتسمى الكركرة - ، وأصول

الفخذين، والأخفاف. وأحدثها تُفنة .

ث ن ي : الثَّني : الناقة التي تلد الولد الثاني

(ج)

ج ث م : تجثم البعيرُ الناقة : برك عليها ليضربها

ج ذ ب : الجَذيب من الإبل : العظيم، والجاذب : الناقة
قلّ لبنها .

ج ر ج ب : الجَرَجِب : الناقة العظيمة .

ج ر ر : الجَرَجِر، والجَرَجُور: الناقة العظيمة، والجَرَجُرة:
تردّد هدير الفحل في حنجرتة، والجرّة : ما يخرج
البعير من كرشه فيأكله ثانية، جمعه جرر،
وهو يجترُّ

ج ر ض : الجُرَاض من النوق : اللطيفة .

ج ر ض م : الجِرْضِم : الناقة الضخمة الثقيلة .

ج ر ن : الجِران : مقدّم عنق البعير من المذبح إلى المنحر

ج ر ه م : الجَراهم : العظيم من الإبل .

ج ز ر : جزارة البعير: رأسه وفراسنه، لأن الجزار
يأخذها كراء عمله .

ج س ر : الجَسرة : الناقة العظيمة، والجريئة على السير .

ج ش م : جُشم البعير: صدره ، وبه سُمي الرجل جُشم .

ج ع د ل : الجعدل : البعير الضخم .

ج ل ع ب : الجَلْعَب، والجَلْعَبَة، والجَلْعابة من الإبل: الطويلة
مع هَوَج .

ج ل ف ع : الجلفع : البعير الشديد الغليظ، والناقة بالهاء .

ج ل ل	: تجلّل الفحل الناقة : علاها .
ج م ر	: المُجمرات (بفتح الميم الثانية أو كسرها) : الأخفاف الشداد .
ج م ز	: الجَمْزَى : العَدُو دون الحُضْر، وفوق العَنَق .
ج م ع	: الجُمُع : الناقة التي في بطنها ولد .
ج م ل	: الجِمالة : جماعة من الإبل إذا كانت ذكوراً كلّها، وأجمل القوم : كثرت جمالهم .
ج ن ح	: جَوَانح البعير: أضلاع زَوْرِهِ .
ج هـ ض	: الجَهْض، والجَهْيض: السَّقْط الذي تمّ خَلْقُهُ ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش، وقيل: الذي لم يستتب خَلْقُهُ - وفي المخصص : لا يكون الجهاز إلا في الإبل خاصة .

(ح)

ح د ب ر	: الحِذْبَار : الناقة الهزيلة العجفاء الظهر
ح ذ و	: الحِذَاء : ما يَطأ عليه البعير من خَفِّهِ .
ح ر ج	: الحُرْج : الناقة الجسيمة الطويلة على الأرض، والناقة التي لا تركب، ولا يضربها الفحل ليكون أسمن لها، والحَرَجَة : مائة من الإبل .
ح ر د	: الحِرْد : مبعر البعير والناقة، وقطعة من السنام، جمعه حرود .
ح ر ف	: الحَرْف : الناقة الضامر، والطويلة .
ح ر ق ص	: الحَرْقصة : الناقة الكريمة .
ح ش ف	: حَشَف يَحْلِف الناقة، وأَحْشَفَ : تقبّض، واستشَنَّ، أي صار كالقربة الخلق الصغيرة .

ح ش ك : الحشك : شدة الدرة في الضرع، وحشك
الناقة : ترك حلبها حتى يجتمع لبنها .
ح ض ن : الحَضُون من النوق : التي ذهب أحد طَبَّيْها
ح ف د : الحَفْد : سير دون الخَبب .
ح ن د ل س : الحَنْدِيلِس : الناقة الكثيرة اللحم المسترخية
ع ن ن : الحنين : نزاع الناقة إلى ولدها
ح و ز : الحَوْز : السير الرُّوَيْد .
ح ي ل : الحائل : الناقة التي لم تحمل، جمعها حُول
وحِيال، وحُول .

(خ)

خ ب ب : الخَبَب : سير سريع تراوح الناقة فيه بين
يديها ورجليها .
خ ب ر : الخَبِير : زبد أفواه الإبل
خ ب ز : الخَبْز : السَّوْق الشديد، والضرب
خ ج أ : الخُجَاة من الإبل : الكثير الضَّرَاب
خ ز ب : خَزَب ضرع الناقة : ييس، فهي خَزَب ،
وخَزِبَت الناقة : ورم ضرعها .
خ ط ر : خَطَر البعير بذَنِّه : ضرب به يميناً وشمالاً فهو
خطَّار، وناقة خطَّارة .
خ ف ف : الخُفَّ من الإبل كالحافر من الخيل، جمعه أخفاف،
وخِفَاف .
خ ل ج : الخَلُوج ، والإخليج : الناقة التي جُرَّ عنها
ولدها بموت، أو ذبح .

خ ل ف : الخلف: ضرع الناقة، أو حلمة الضرع .
 خ ل ل : الخلال : عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع
 خ م س : الخمس: حبس الإبل عن الماء أربعاً ثم ترد اليوم
 الخامس، ثم كذلك إلى العشر، فإذا زادت فليس
 لها تسمية ورد ، ولكن يقال: هي ترد عشراً ،
 وغباً ، ثم كذلك إلى العشرين، فيقال حينئذ :
 ظمؤها عشرين، فإذا جازت العشرين فهي جوازي .
 خ ن د ل س : الخندلس: الناقة الكثيرة اللحم المسترخية
 وقد مرت الكلمة بالحاء المهملة .
 خ و د : خود الفحل: أرسله في الإناث
 خ ي ف : الخيف: جلد الضرع، وناقة خيفاء : واسعة
 جلد الضرع، ويسمى الضرع خيفاً إذا خلا من
 اللبن، والخيفانة: الناقة السريعة، وقد شُبّهت بالجرادة .
 خ ي ل : الخال: الجمل الضخم، والجمع خيلان .

(د)

د ب ب : الأدب: الجمل الكثير وبر الوجه. قال ابن
 سيده : فأما قول النبي ﷺ يخاطب نساءه.
 « ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب
 تخرج فتنبحها كلاب الحوآب » فإنه ضعّف
 الأدب بفك الإدغام ليخرج على مثال (الحوآب)
 وأصل الفعل: الدَّبب .

د ح ل : الدحول: الناقة التي تعارض الإبل متنحية عنها.
 د ر ب : الدربوت: الذلول، للبعير والناقة، وهي

فَعُلُوت من الدربة، ويقال أيضاً : تَرَبُّوت،

أنظر (ت ر ب)

د ر س : دَرَسَ الناقة : راخها

د س ر : الدُّوسَرَة : الناقة العظيمة

د ع ب ل : دِعِيل : الجمل العظيم الجميل، وبه سُمِّي الرجل

د ع ك ن : الدِّعْكَنَة : الناقة الشديدة الصلبة

د ف و : الدَّفْواء : الناقة النجيبة الطويلة العنق

الطويلة الظهر .

د ل ع س : الدَّلْعَس : الناقة الضخمة .

د ل ع ك : الدَّلْعَك : الناقة العظيمة المسترخية

د ه ن ج : الدَّهَانِج : البعير ذو السنامين

د ي ث : دَيْث البعير : ذُلَّه ، وأصل التديث : التليين .

(ذ)

ذ ف ر : الذَّفِرُّ : العظيم من الإبل، والناقة النجيبة: ذِفْرَةٌ

ذ ل ل : الذَّلُول : ضدَّ الصَّعْب، للجمل والناقة .

ذ م ل : الدَّمِيل : من السير السريع للإبل .

ذ ي ب : الذَّيَّبان : الشعر على عنق البعير ومشفره

وهو أيضاً بقية الوبر .

ذ ي ر : الدِّيار : طين يعجن ببعر أو روث، ثم يُطلى

به ضرع الناقة لئلا يرضعها الفصيل .

(ر)

ر أ م : رثمت الناقة ولدها: عطفت عليه ولزمته فهي رؤوم

ر ب ب : رَبَّت الناقة، وأرَبت : لَزمت الفحل وأحَبَّتَه

- ر ب ع : ارْتَبَعَت الناقة وأرْبَعَت ، وهي مربعة : اغلقت
 رحمها فلم تقبل ماء الفحل . والرُّبْع : حبس
 الإبل عن الماء ثلاثاً ، ثم تَرِد اليوم الرابع
 : الرَّدَّة : أن تشرب الإبل الماء عَلَلاً فتزيد
 الألبان في ضروعها .
- ر ز ح : الرازح : البعير الذي ألقى نفسه من الاعياء ، وناقة
 رازح ، وابل رزحى .
- ر ز م : الرازم : الذي لا يتحرك هذاً
- ر س م : الرَّسِيم : سير للإبل سريع فوق الذميل
- ر ش ح : التَّرْشِيع : لحس الناقة ما على ولدها من النُدوة .
- ر ش ش : رَشَرَش البعير : برك ثم فحص ب صدره في
 الأرض لبروكه .
- ر غ غ : الرَّغْرَغَة للإبل : أن ترد يوماً بالغداة ، ويوماً
 بالعشي ، وقيل أن ترد كلَّ يوم متى شاءت .
- ر غ و : الرُّغَاء ؛ صوت الإبل مع الضجيج
- ر ف هـ : الرَّفَه : الورد في كلَّ يوم ، فالجمل رافه ،
 والناقة : رافهة .
- ر هـ ن : الراهن من الإبل : المهزول .
- ر ق ل : الإِرْقَال : سرعة السير للإبل .
- ر ك ض : رَكَضَت الناقة : تحرك ولدها في بطنها .
- ر م د : رَمَدَت الناقة : أضرعت وهي بكر .
- (ز)

- ز خ ز ب : الزُّخْزُب : القوي الشديد اللحم من أولاد الناقة .
- ز ع ل : الزُّعْلَة : الناقة التي تحمل سنة ولا تحمل أخرى .

ز ف ف : الزَفِيف: من السير السريع، وقيل: هو الذميل.
ز ل ق : أزلقت الناقة: ألقت حملها قبل أن يستبين خلقه .

(س)

س أ د : الإسَاد: أن تسير الإبل الليل مع النهار .
س ج ل : السَّجَلَاء: الناقة العظيمة الضرع، والغزيرة اللبن .
س ح ج : السَّحْجَاء من الإبل: التامة طولاً، وعظماً .
س ح ف : السَّحُوف: الناقة الطويلة الأخلاف .
س د م : السَّدِم: الفحل الذي لا يرغب من شدة الغلّة، وهو مسدّم أيضاً .

س ر ح ب : السَّرْحُوب: الطويل السريع من الإبل للذكر والأنثى
س ر د ح : السَّرْدَاخَة: العظيمة، وقيل: الطويلة من النوق،
والبعير: سِرْدَاح .

س ر م ط : السَّرْمُوط، والسَّرْمُوط: الجمل الطويل .
س ف د : سَفَدَ الفحلُ الناقة: ضربها، والإسم: السَّفَاد .
س ق ب : أَسْقَبَتِ الناقة: إذا كان أكثر ما تضع ذكوراً، وهي مِسْقَاب .
س ق ف : السَّقَائِف: أضلاع البعير. واحدها: سقيفة .
س ل م : السُّلَامَى: عظام الفرسن كلّها للواحد والجمع .

س ن ر : السَّنُور: فقارة عنق البعير .
س ن م : السَّنَام: أعلى ظهر البعير، وتسَنَّم الفحل الناقة: علاها
س ن ن : السِّنَان، والمُسَانَّة: المعارضة، يقال: سَنَّ البعير الناقة
سيناناً طويلاً حتى أناخها .

س ي ء : السَّيء، والسَّييء: ما كان من اللبن في ضرع الناقة قبل أن تدرّ،
وتسيئات الناقة: أرسلت لبنها من غير حلب .

(ش)

- ش ح ذ : المُشَاوِد من النوق: التي أخذها المخاض ولوت ذنبها،
وإنما تفعل ذلك لما يأخذها من الغم .
- ش خ خ : شُخِّشَت الناقة: رفعت صدرها وهي باركة .
- ش ر خ : الشَّرْخ: نتاج كلِّ سنة من أولاد الإبل .
- ش ر ع : شِراع البعير: عنقه .
- ش ر ف : الشُّرَافِيَّة ، والشُّرَفَاء من النوق: الضخمة الأذنين .
- ش غ ر : الشَّغَر، من شجر الفحل شَغَرًا: ضرب برأسه تحت
الناقة من قبل ضرعها فيرفعها فيضرعها .
- ش ف ر : المِشْفَر من البعير: بمنزلة الشِّفَّة من الإنسان، وقد
تستعار المشافر للإنسان. والشفير: حدُّ مشفر البعير .
- ش ق ش ق : الشِّقْشِقَة: لهأة البعير، أو شيء كالرِّثة يخرج البعير من
فيه إذا هاج .
- ش ك ر : الشَّكْرَة: الناقة الممتلئة الضرع .
- ش م ر دل : الشمر دلة: الناقة الحسنة الجميلة، والسريعة،
والبعير: شمر دل .
- ش م ع ل : الشَّمْعَل، والشَّمْعَلَة، والمُشْمَعْلَة: الناقة الطويلة،
والنشيطة السريعة .
- ش م ل : الشِّمْلَال، والشِّمْلِيل من الإبل للمذكر والمؤنث: السريع،
وكذلك الشِّمْلُ، للجمل، والشِّمْلَة للناقة .
- ش ن خ ب : الشناخيب: فِقر البعير، واحدها شنخوب .
- ش و ر : استشار الفحل الناقة: إذا كرفها فنظر ألاقح هي أم حائل .
- ش و ف : المَشُوف: الجمل الهائج، والمَطْلِيُّ بالقَطْران .

ش ي ع : أَشَاعَتِ الناقة: أَخْدَجَتْ، وَأَشَاعَتْ ببولها :
أرسلته متفرقاً .

(ص)

ص ر ر : الصَّرَار: الخيط الذي يشد به الضرع .
ص ر م : المُصَرِّمَة : الناقة مقطوعة الطَّيْن .
ص ر ي : الصَّرَى: اللبن المحفَّل في الضرع .
ص ل ق : تَصَلَّقَتِ الناقة: تَمَرَّغَتْ عند المخاض ظهراً لبطن، فهي متصلة .
ص ل ق م : الصِّلَقِم، والصِّلَقَام: الضخم من الإبل .
ص و ل : الصائل من الجمال: الذي يخبط برجله، وتسمع لجوفه دويّاً
من عزة نفسه عند الهياج، وهو الذي يواثب راعيه،
ويواثب الناس فيأكلهم .

(ض)

ض ب ع : ضَبَعَتِ الناقة ضِبْعاً، وَأُضْبِعَتْ: إذا أرادت الفحل، ونوق
ضباع، وضباعى .
ض ر س : الضُّروس من الإبل: العَضُوض .
ض ر ع : المُضْرِع: الناقة التي أشرق ضرعها، ووقع فيه اللبن .
ض م ز : الضَّمُوز: الناقة المسنَّة، وَضَمَزَ البعير: أمسك
عن جرَّته فلم يجترّ .
ض م ز ر : الضُّمَازِر: البعير القوي، والضِّمَزَر: الناقة القوية
ض م ن : المضامين: التي في أصلاب الفحول، والتي في بطون
الحوامل .
ض و ب : الضُّوبان: الجمل القوي السمين، جمعه كواحد .

(ط)

ط ب ق	: الطابقاء : الفحل العاجز عن الضراب .
ط ر ق	: طَرَقَ الفحل يطرق طرقاً : نزا على الناقة .
ط ف ل	: التطفيل : السير الرؤيد .
ط ل ح	: الطليح : الناقة التي هزلت من كثرة السير، والبعير طليح أيضاً .
ط و ط	: الطاط، والطائط، والطوط : الفحل الهائج .

(ظ)

ظ أ ر	: الظُّثْرُ : الناقة تُعْطَف على ولد غيرها حتى ترأمه .
ظ ل ل	: الأظل من البعير والناقة : ما تحت المنسم .
ظ م أ	: الظمء : ما بين السقيتين، والجمع أظماء .

(ع)

ع ب ر	: المُعْبَرُ : البعير كثير الوبر .
ع ت ر س	: الاعتراس : أن يقفز الفحل على رقبة الناقة حتى يركبها ساخطة أو راضية .
ع ث ن	: العُثْنُون : شعيرات عند مذبج البعير .
ع ج ب	: العَجَب : أصل الذنب .
ع ج س	: العَجِيس، والعَجِيساء ، والعَجَاساء : الفحل العاجز عن الضراب، والعظيمة من الإبل .
ع ج ل	: العَجُول : الناقة التي مات ولدها .
ع ج ن	: العَجِنَة ، والعَجْناء : الناقة التي ورم حياءها ولا تلقح .
ع ذ ف ر	: العُذافرة : الناقة العظيمة .

- ع ر ج : العُرْجَاءُ : وُرِدَ الإِبِلُ يوماً بالغداة، ويوماً بالعشي،
ويسمى الرغرغة أيضاً .
- ع ر م س : العِرْمَسُ : الناقة الطيعة والقويّة الشديدة .
- ع ر ه م : العَرْهَمُ : العظيم الغليظ من الإبل .
- ع ر ه ن : العَرْهَنُ : العظيم الشديد من الإبل .
- ع س ب : العَسْبُ : كِرَاءُ ضِرَابِ الفحل و: ماء الفحل، يقال: قطع
الله عَسْبَهُ وَعُسْبَهُ، أي ماءه ونسله . والعسيب: عظم
ذنب البعير .
- ع س ر : العَسِيرُ : الناقة إذا لم تحمل في سنتها، والرافعة ذنبها
في عَدْوِهَا، والتي ركبت ولم تُلَيَّنْ من قبل، وتسمى أيضاً
عيسرائيّة، والبعير عيسراني .
- ع ش ر : العُشْرَاءُ : الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، والجمع
عُشَارٌ، وَعُشْرَاوَاتٌ .
- ع ش و : العُشَوَاءُ : الناقة التي لا تبصر ما أمامها، فهي تخبط
ما مرّت به بيديها .
- ع ص ب : إِعْصُوصَتِ الإِبِلُ : اجتمعت وجدّت في سيرها .
- ع ص ف : العَصُوفُ : الناقة السريعة التي تعصف براكبها، وتذهب
به كالريح .
- ع ص م : العِصَامُ : عَسِيبُ البعير، وهو عظم الذنب .
- ع ص ي : العاصي: الفصيل الذي لم يتبع أمّه .
- ع ط ل : العَطْلُ من الجمال: الحسن الجسم، والناقة عَطْلَةٌ .
- ع ط م س : العَيْطُمُوسُ : الناقة الثّامة الخلق الحسنة . جمعها عَطَامِسُ .
- ع ط ن : العَطَنُ : مَبْرَكُ الإِبِلِ حول الماء . الجمع أعطان .
- ع ل ط : إِعْلُوطُ الفحل الناقة: ركب عنقها وتقحّمها من فوق .

ع ل ط س : العِلْطُوسُ: الخيار الفارحة من النوق .
ع ل ط م : العَلْطُمُوس، والعَلْطُمِيس: الناقة الضخمة الشديدة والضخمة
السنام .

ع ل ق : العَلُوق: الناقة التي لم تألف الفحل .
ع ل ك : العَلِكة: شِقْشِقة البعير عند الهدير، والعَلِكة: الناقة السمينة .
ع ل ك م : العُلُكُوم: الناقة العظيمة .
ع م ل : اليَعْمَلَة: الناقة القوية النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل،
والجمل يَجْمَل جمعهما: يعملات، ويعامل. وفي المخصص (لا
يوصف بها المذكر) .

ع م ي ث ل: العَمَيْثَلَة: الناقة الجسيمة، والذكر: عميثل .
ع ن ت ر : العَنْتَرِيس: الناقة الغليظة الصلبة الكثيرة اللحم .
ع ن س : العَنْس: الناقة التي تَمَّ سَنَّا واشتدت قوتها، وطال ذنبها
ع ن ق : العَنْق : سير مسبطر، أي ممتد .
ع و ذ : العائذ: الناقة عندما تضع حملها، جمعها عُوذ، وعُوذات
ع و ه ج : العَوْهَج: الناقة الفتية .
ع ي ر : العَيْرَانَة: الناقة التي تُشَبَّه بالَعِير في سرعتها ونشاطها
ع ي س : عَاسَ الفحلُ الناقة: ضربها .
ع ي ط : العائط من النوق: كالحائل .
ع ي ه ل : العَيْهَل، والعَيْهَلَة، والعَيْهُول ، والعَيْهَال: الناقة السريعة والنجيبة
الشديدة، والجمل: عَيْهَل .

ع ي ه م : العَيْهَم: الشديد من الإبل، والناقة عَيْهَمَة أيضاً .
ع ي ي : العَيَاياء، والعَيَاء: الفحل الذي لا يضرب .

(غ)

غ ب ب : الغَبّ في موارد الإبل: ليومين وليلتين .

غ ب ر : الغُبْر: بقيّة اللبن في الضرع . جمعه: أغبار .
 غ ذ ذ : الإغذاذ: سرعة السير .
 غ ر ب : الغارب: الكاهل ، والغرابان: ظهر البعير من مقدّمه ومؤخّره .
 والغرابان من البعير: حرفا الوركين اللذان فوق الذنب .
 غ ر ز : التغريز: أن تدع حلبة بين حلبتين ، وذلك إذا أدبر
 لبن الناقة .
 غ س ل : فحل غُسل، وغُسل، وغَسِيل، وغُسْلَة، ومِغْسَل، وغَسِيل:
 يكثر الضراب ولا يُلقح .
 غ م د : تَعَمَّدُ الفحلُ الناقة: علاءا .
 غ م س : الغموس: الناقة في بطنها ولد وهي لا تشول .
 غ ي ه ق : الغَيْهَق: الطويل من الإبل .

(ف)

ف ر س ن : الفِرْسِن: طرف خفّ البعير . الجمع فراسن .
 ف ر ش ط : فَرَشَطَ البعير: برك بروكاً مسترخياً ، وألصق أعضاءه بالأرض .
 ف ر ض : الفارِض من الإبل: العظيمة .
 ف ر ع : الفرَع: أول ما ينتج من الإبل ، و: طعام يصنع عند
 نتاج الإبل .
 ف ر ق : فَرَقَتِ الناقة: أخذجت ، والمفرق: الناقة التي فارقها
 ولدها بموت ، أو ذبح .
 ف س ج : فَسَجَتِ القلوص فسُوجاً: أعجلها الفحل فضربها قبل بلوغ
 وقت الضرب ، فهي فاسجة ، والفاسج: الناقة السريعة الفتية .
 ف ش ش : فَشَشْتُ الناقة أفشُّها فشاً: أسرعتُ حلبها ، وفششتُ الضرع:
 أخرجت جميع ما فيه

ف ط م : الفَطِيم : كالفَصِيل .
 ف ك هـ : المُفَكِّه : الناقة التي يُهراق لبنها عند النتاج قبل أن تضع .
 ف ن ق : الفَنِيْق من الإبل : الذي نُعَمَّ وُسْمَن للفحلة . جمعه
 فُنُق وأفناق .
 ف و ق : الفَيْقَة (بقلب الواو ياء) : إسم اللبن الذي يجتمع في
 الضرع بين الحلبتين، وأفأقت الناقة : درَّ لبنها فهي
 مفيق ومفيقة، والجمع مفاويق .

(ق)

ق ب س : القَبِيس من الإبل : السريع اللقاح .
 ق ب ع ث ر : القَبْعَثري : الجمل الضخم .
 ق ذ ع م ل : القَدْعَمِل : القصير الضخم من الإبل .
 ق ر ب : القَرَب : سير الليل لورود الغد .
 ق ر ح : القَارِح من النوق : أول ما تحمل ، و: التي لا تُشعر
 بلقاحها حتى يستبين حملها . الجمع قوارح وقرَّح .
 ق ر ر : أَقَرَّت الناقة : ثبت حملها .
 ق ر ع : القَرِيع من الجمال : المختار للضراب ، وقرع الفحلُ
 الناقة : ضربها .
 ق ر م : القَرَم : الفحل من الإبل الذي تُرك من العمل والركوب ،
 وودَّع للفحلة ، وبه شُبّه الأكابر من الناس .
 ق ر و : القرواء : الناقة العظيمة القرا وهو الظهر .
 ق ط ر : القطار : اقتران الإبل بعضها إلى بعض على نسق .
 ق ط ن : القَطْنة : مثل الرمانة تكون على كرش البعير ، واللحمة
 بين وركيه .

ق ع د : القَعُود؛ الفصيل، وهو الذي فصل عن أمه .
 ق ع و : قَعَا الفحل على الناقة: علاها للضراب .
 ق ل ص : القَلُوص: الشابة من الإبل .
 ق م ح : القامح ، والمُقامح من الإبل : الذي اشتد عطشه حتى
 فتر فتوراً شديداً .
 ق م ط ر : القِمَطَر: الجمل القوي السريع .
 ق ن د ل : القَنْدَل: الناقة العظيمة الرأس .
 ق ن ف ذ : قُنْفُذُ البعير: ذفره، والذفرى: العظم خلف الأذن .
 ق ن و ر : القَنُور من الإبل: الشرس الصعب .
 ق ي س ر : القَيَاسِرَة ، والقَيَسِرِيَّة: الناقة العظيمة .
 (ك)

ك ب س : الكُبَسَاء، والكُبَاس: العظيمة الرأس من النوق .
 ك ت م : الكُتُوم: الناقة التي لا تشول بذنبها عند اللقاح، ولا
 يُعلم بحملها. جمعها: كُتُم .
 ك ر ض : الكِرَاض: الخداج: ماء الفحل: حلق الرحم .
 ك ر ك ر : الكِرَكَرَة: سَعْدَانَة البعير التي تلصق بالأرض من صدره
 إذا برك .
 ك س ع : كَسَعَ الناقة: ترك في خَلْفِهَا بَقِيَّةً من اللبن، وقيل:
 الكسع: أن يضرب ضرعها بالماء البارد ليتراذ
 اللبن في ظهرها فيكون أقوى لها على الجذب .
 ك س ل : أَكْسَلَ الفحل، وكَسِل: ضعف عن الضراب .
 ك ش ف : الكِشَاف: أن تبقى الناقة ستين، أو ثلاثاً لا
 يحمل عليها، أو يحمل عليها (ضد) . والكَشُوف:

الناقة التي يضربها الفحل وهي حامل .
 ك ف أ : أَكْفَأَتِ الإِبِلُ : كثر نتاجها، وأَكْفَأْتُ إبلي : جعلتها
 كفأتين، يعني نصفين ينتج كل عام نصفاً .
 ك م ت : الكُمُوت : الكتوم اللقاح .
 ك م لهن : الكُمُشَّة من النياق : الصغيرة الضرع .
 ك ن ع ر : الكَنَعَرَة : الناقة العظيمة .
 ك ه هـ : الكَهَّة ، والكَهَاء ، والكيهاء : الناقة العظيمة .
 ك و م : الكَوْبَاء : العظيمة السنام ، والبعير أكوم .

(ل)

ل ج ن : اللَّجَانُ فِي الإِبِلِ : كالحران في الخيل . يقال : جمل
 وناقة لجهون .
 ل ط س : المِلْطَاس : خفُّ البعير الشديد الوطأ .
 ل غ م : اللُّغَام من الإِبِلِ : بمنزلة البصاق من الإنسان .
 ل ق ح : لَقِحتِ الناقة لقحاً ولقاحاً ، وألقحها الفحل ، فهي لاقح ولقوح .
 ل ك ل ك : اللُّكَالِك : الناقة العظيمة .
 ل م ع : أَلْمَعَتِ الناقة : شالت بذنبها ، وأعلمت بلقاحها . واللمعة :
 السواد حول حلمة الضرع .

(م)

م ت ش : مَتَشَّ أَخْلَافِ الناقة بأصابعه : احتلبها احتلاباً ضعيفاً .
 م ر ن : مارَنتِ الناقةُ مراناً : ضربت فلم تلقح ، فهي مُمارن .
 م ر ي : مَرَيْتُ الناقة : استدرَرتُها بالمسح ، وأمرتِ الناقة : درَّ لبنها .
 م ش ش : مشَّ الناقة مشاً : حلبها وترك في الضرع بعض اللبن .
 م ص ر : المَصُور : الناقة التي يتمصَّر لبنها قليلاً قليلاً ، وهي الماصر .

م غ ص : المغص (محركة، والاسكان لغة) : خيار الإبل، الواحدة مَغَصَة، وقيل: الخالصة البياض، والجمع: مغاص، وقيل هو جمع لا واحد له، يقال: ابل مغص، وناقة مغص، والأول أرجح

م غ ط : تَمَغَطَ البعير في سيره: مَدَّ يديه مَدًّا شديداً .
م ك س : المَكُوس من الإبل: التي تراها أول الإبل في المرعى والمورد، وكلُّ مسير، والمكس: التقدم .
م ل ص : مَلَصَتِ الناقة: أَلْقَت ولدها، والولد مليص، والناقة مملص .
م ل ط : المِلَاطان : كتفا البعير، وقيل: العضدان، وجانب السنام .
م ن ح : أَمْنَحَتِ الناقة: دنا نتاجها فهي ممنح .
م ن ي : المُنْيَة، والمنوة للبكر: عشر ليالٍ حتى يستبين لقاحها، وإذا كانت ثنياً، أو ثلثاً فخمس عشرة ليلة، فإذا مضت المنية استبان حمل الناقة .
م و ر : المَوَّارة: الناقة السريعة السهلة .

(ن)

ن ب ل : النَّبَلُ: السير الشديد للإبل .
ن ت ج : التَّيَّاج: اسم يجمع وضع جميع البهائم، وقيل: هو في الناقة والفرس، والأول أصح .
ن ج ب : النَّجِيب: الكريم من الإبل، والانثى نجيبة، والجمع نجائب .
ن ج د : النَّجُود: الناقة الشديدة النفس، والتي لا تبرك إلا على مرتفع من الأرض .
ن ج و : الناجي: البعير السريع، والناقة ناجية .
ن خ ن خ : تَنَخَّنَخَ البعير: برك، ومكَّنْ ثفنته في الأرض .
ن س م : المَنَسِم: طرف خفِّ البعير .

ن ش أ. : أنشأت الناقة : لقيحت .
 ن ص ص : النص : السير الشديد حتى يُستخرج أقصى ما عند الناقة .
 ن ص ع : أنصعت الناقة للفحل : قرّت له .
 ن ص ن ص : نصنص البعير : تحرك للنهوض .
 ن ع ج : النعج : ضرب من سير الإبل السريع ، والناعجة : الناقة التي يصاد عليها نعاج الوحش ، ولا يكون ذلك إلا في الإبل المهرية .
 ن ق ب : النقيبة من الإبل : المؤتزة بضرعها عظماً وحسناً .
 ن ه ب ل : النهيلة : الضخمة من النوق .
 ن ه ض : نهض البعير : ما بين الكتف والمنكب .
 ن و خ : تنوخ الجمل الناقة : أبركها ، وبرك عليها للضراب .

(هـ)

ه ج ن : الهجان : الكريم ، والأبيض من الإبل .
 ه د ب : هدب الناقة : احتلبها .
 ه د ر : الهدير : صوت البعير المستمر الذي لا يكاد ينقطع .
 ه د م : الهدمة : الناقة التي اشتدت ضبعها ، أي اشتد امتداد أضباعها في سيرها . فهي هدمة من نوق هدامى .
 ه د ي : الهادية : المتقدمة من الإبل .
 ه ر ج ب : الهرجاب : الناقة الضخمة الطويلة .
 ه ش ر : المهشار : الناقة التي تلقح في أول ضربة ، وتضع أول الإبل .
 ه ض ل : الهيفل : الجمل الضخم ، والأنثى هيفلة ، وهي الغزيرة اللبن أيضاً .

هـ ق ع : اهْتَقَعَ الفحل الناقة: أْبْرَكها، وتهقَّعت هي: بركت .
هـ لئاع : الهِكَّة: الناقة التي استرخت من الضبعة وأربت .
هـ ل ع : الهَلْوَاع، والهَلْوَاعة من الإبل: السريعة التي تخاف السوط
هـ ل ق س : الهَلْقَس: الجمل الشديد .
هـ ل ل : الهلال: الجمل المهزول من ضراب أو سير، والمهمل من
الإبل: الضامر، والناقة: مهللة .
هـ م ر ج ل : الهَمْرَجَل: البعير النجيب الكريم، والناقة: همرجلة .
هـ و ج : الهَوْجاء: الناقة التي كأنَّ بها هَوْجاً من سرعتها .
هـ و د : التَّهْوِيد: سير الإبل الرفيق .
هـ و ز ب : الهَوْزَب: الجمل الشديد الجري .
هـ ي ج : هاج الفحل يهيج هياجاً: هدر، وأراد الضراب .

(و)

و ج ب : وَجَبَت الإبل، وَوَجَّبت: لم تكد تقوم من مباركها .
و ج ف : الْوَجِيف: من السير السريع للإبل .
و ج ن : الْوَجْناء: الناقة الشديدة اللحم .
و ح ف : الْمَوْحِف: مبرك الإبل .
و خ د : الْوَحْد، وَالْوَحْدان، وَالْوَحِيد: سرعة السير للإبل مع سرعة الخطو .
و د ي : التَّوْدِيَّة: خشبة تشدُّ على خِلف الناقة إذا صُرَّت،
والجمع: التوادِي .

و س ن : تَوْسَن الفحل الناقة: علاها .
و غ ب : الْوَغْب: الجمل الضخم الشديد .
و ك ر : الْوَكْرَى: الناقة السريعة، والقصيرة .
و ل ق : الْوَلْق: سرعة سير الإبل .
و ه ق : الْمُوَاهَقَّة: المواظبة على السير، ومدُّ الاعناق .

و ه م : الوهم : الجمل الضخم الذلول، والجمع : أوهام ووهوم ووُهم .

(ي)

ي ع ر : اليعارة من النوق : التي لا تضرب مع الإبل ، ولكن يقاد إليها الفحل ،
وذلك لكرمها .

ذكر الابل في القرآن الكريم

الإبل ﴿ ومن الإبل اثنين ﴾ - الانعام/ ١٤٤

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ - الغاشية/ ١٧

البعير: ﴿ ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ﴾ - يوسف/ ٦٥ .

﴿ وقالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير ﴾ - يوسف/ ٧٢ .

الجمل ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ﴾ - الاعراف/ ٤٠

الجمالة ﴿ كأنه جمالة صفر ﴾ - المرسلات/ ٣٣ . والجمالة جمع الجمل

كالجمال ، وقال ابن السكيت : يقال للابل الذكور خاصة (جمالة) .

الناقة ﴿ هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ﴾ - الاعراف/ ٧٣ .

﴿ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ﴾ - الاعراف/ ٧٧ .

﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ﴾ - هود/ ٦٤ .

﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾ - الاسراء/ ٥٩ .

﴿ هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ - الشعراء/ ١٥٥ .

﴿ إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ﴾ - القمر/ ٢٧ .

﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ﴾ - الشمس/ ١٣ .

الأنعام : جمع النعم (بالفتح) وهي في الأصل : الإبل ، وقد يتوسّع في النعم

فتطلق على الإبل ، والبقر ، والغنم اذا أريد جماعة الأصناف الثلاثة ،

ووردت الكلمة في القرآن مراداً بها - على الأغلب - الابل والبقر والغنم :

﴿ من قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ - المائدة ٩٥ .
﴿ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام ﴾ - آل عمران / ١٤ .

﴿ ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ﴾ - النساء / ١١٩ .
﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلّى الصيد ﴾ - المائدة / ١١ .

﴿ وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحدث والأنعام نصيباً ﴾ - الأنعام / ١٣٦ .
﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ﴾ - الأنعام / ١٣٨ .

﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾ - الأنعام / ١٣٨ .
﴿ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء ﴾ - الأنعام / ١٣٨ .
﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ﴾ - الأنعام / ١٣٩ .
﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً ﴾ - الأنعام / ١٤٢ .
﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ﴾ - الأعراف / ١٧٩ .
﴿ فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ﴾ - يونس / ٢٤ .
﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ - النحل / ٥ .
﴿ وإنّ لكم في الأنعام لعبرة ﴾ - النحل / ٦٦ .
﴿ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ﴾ - النحل / ٨٠ .

﴿ ويذكرون اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ - الحج / ٢٨ .

﴿ وأحلّت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ﴾ - الحج / ٣٠ .
﴿ ولكلّ أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ - الحج / ٣٤ .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ - المؤمنون / ٢١ .
﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ - الفرقان / ٤٤ .
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أُمِدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أُمِدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ - الشعراء / ١٣٣ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ - فاطر / ٢٨ .
﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ - الزمر / ٦ .
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوهَا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ - غافر / ٧٩ .
﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ - الشورى / ١١ .
﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ - الزخرف / ١٢ .
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ﴾ - محمد / ١٢ .
﴿ وَنَسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْفَاسِيَّ كَثِيرَةً ﴾ - الفرقان / ٤٩ .
﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ - يس / ٧١ .

﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ - طه / ٥٤ .
﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ - النازعات / ٣١ - ٣٣ .

﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ - عبس / ٣٢ .
﴿ فَخَرَجَ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾ - السجدة / ٢٧ .
مِمَّا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ الْإِبِلِ (١)

- ان العرف لينفع عند الجمل الصَّوَال، والكلب العقور..
- الإبل عزّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة.

(١) ثمار القلوب / ٣٥ والنهاية ١٦ / ١ والدميري ١٤ / ١ و (حياة الحيوان) .

- تجدون الناس بعدي كإبل ليس فيها راحلة.
- لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم، ومهر الكريمة.
- لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى.
- إنما مثل القرآن مثل الإبل المعقلة، إن تعاهدّا صاحبها على عقلها أمسكها، وإن أغفلها ذهبت.

مما ورد في الأمثال عن الإبل ^(١)

(اتَّخَذَ اللَّيْلُ جَمَلًا).

معناه: ركب الليل في حاجته، ولم ينم حتى أدركها. وقال الامام أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) لأصحابه ليلة العاشر من محرم: أنتم في حلٍّ من بيعتي، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرقوا في سواده، وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري. (أتخم من فصيل)

وذلك أنه يشرب من اللبن فوق ما يحتاج إليه .
(أتعب من راكب فصيل)

الفصيل ولد الناقة الذي فصل عن أمه بعد سنة من ولادته، وإنما يتعب لأنه لا يستحق الركوب إلا في السنة الرابعة بعد الترويض.
(أتمك من سنام)

سنام تامك، أي مرتفع.

(١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.

(أُحَقِدَ مِنْ جَمَلٍ)

الجمال موصوف بالحقْد في أيام الضراب خاصة.

(أَخِيطُ مِنْ عَشَوَاءٍ)

العشواء: الناقة التي لا تبصر بالليل فتخبط كلَّ شيء تمرُّ به

(أَخَفَّ حَلَمًا مِنْ بَعِيرٍ)

مأخوذ من قول العباس بن مرداس السلمي:

لقد عظم البعير بغير لبّ فلم يستغن بالعظم البعيرُ

(أَخْلَفَ مِنْ بُولِ الْجَمَلِ)

من الخلاف، وذلك أن الجمال يبول إلى خلف.

(اسْتَنَّتَ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرْعَى)

أصله: إن الفصال الصحيحة إذا استنَّت (أي عدت) نظرت إليها القرعى (المصابة بالقرع وهو بثور تخرج في باطن أخفافها) فاستنَّت معها فسقطت من ضعفها.

(اسْتَنَقَ الْجَمَلُ)

المثل لطرفة بن العبد، ويضرب للرجل الواهن الرأي المخلّط في كلامه.

(أَشْهَرُ مِمَّنْ قَادَ الْجَمَلَ)

من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة.

(أَصُولُ مِنْ جَمَلٍ)

الصولة ها هنا: العَضُّ، يقال: صال الجمال، وعقر الكلب.

(أغدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية؟)

الغدة: طاعون الإبل، وسلول: قبيلة من أذل العرب. والمثل لعامر بن الطفيل، يضرب لاجتماع نوعين من الشر.
(أما يجزي الفتى ليس الجمّل)

المثل عجز بيت للبيد بن ربيعة، صدره (واذا جوزيت قرصاً فاجزه) ، وأخذه ابن الرومي فقال:

لست ألك على ما سمتني من قبيح الردّ أو منع النفل
قد قضى قول لبيد بيننا أما يجزي الفتى ليس الجمّل
(أرغو لها حوارها تقرّ)

يضرب مثلاً لاغاثة الملهوف بقضاء حاجته ليسكن، والناقة إذا سمعت رغاء حوارها سكنت. ويروى المثل على وجه آخر، وهو:

(حرّك لها حوارها تحنّ)

ومعناه أن تذكر الرجل بعض أشجانه فيحتاج.
(الذود إلى الذود إبل)

الذود ما بين الثلاث إلى العشر من إناث الإبل، يُراد أن القليل إذا جمع إلى القليل كثر.

(ضربه ضرب غرائب الإبل)

يضرب مثلاً لشدة الظلم، وغيره من المكاره، وأصله في الإبل ترد الحوض وليس لها رب يؤمن وردها، فيضربها أرباب الإبل الواردة ضرباً شديداً، ويذودونها ذيادةً عنيفاً.

(عشب ولا بعير)

يضرب مثلاً للرجل له مال كثير، وليس له من ينفقه عليه، أو أن يأتي الشيء في وقت لا ينتفع به، كقول المتنبي:
إذا أردت كميت اللون صافية وجدتها وحبيب القلب مفقود

وقال أبو تمام:
أرض بها عشب جَرَفَ وليس بها ماء وأخرى بها ماء ولا عشبُ

(العُنوق بعد النوق)

العُنوق جمع عَنَاق: الأنثى من أولاد المعز، ويراد بالمثل: أَبْعَدَ الحال الجليلة صغر أمركم.

(عودي إلى مباركك)

يعني ارجعي إلى أمرك الأول. قال أبو سفيان بن حرب - لما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة -: كان هذا الأمر في تيم، ثم في عدي وأنى ليتم وعدي هذا الأمر، ثم رجعت الابل إلى مباركها، فاستقرّ قراره، فتلقفوه تلقّف الكرة.

(الفحل يحمي شوله معقولا)

يضرب مثلاً للرجل الغيران الدافع عن حريمه ولو كان مقيداً. والشول الإبل التي قد سالت ألبانها أي ارتفعت، وسالت أذنا بها طلباً للفحل.

(كفى برغائها منادياً)

يضرب مثلاً للشيء تكتفي بمنظره عن تعرّف حاله. وأصله أن ضيفاً أناخ بفناء رجل فجعلت راحلته ترغو، فقال الرجل: ما هذا الرغاء؟ أضيف أناخ بنا فلم يعرفنا

مكانه؟ فقال الضيف (كفى برغائها منادياً).

(كلُّ نجارٍ إبِلٍ نجارُها)

يضرب مثلاً لأشياء مختلفة يجمعها أصل واحد . وأصل المثل أنَّ خارباً أغار على ابل من وجوه مختلفة فجاء بها إلى السوق ، فسألوه عن سِمَتها لتعرف أصولها ، فأنشأ يقول :

تسألني الباعة أين نارها إذ زعزعوها فسمت أبصارها
كلُّ نجارٍ إبِلٍ نجارها وكلُّ دارٍ لأناس دارها

وكل نار العالمين نارها

والخارب : اللص : ، وقد خصَّه الأصمعي بسارق البُعران . والنار : السِّمة

(مثقل استعان بذقنه)

يضرب مثلاً للدليل يستعين بمثله ، وأصله : البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به فيعتمد بذقنه على الأرض . ويروى (استعان بدقيّه) أي بجنبه .

(هذا أمر لا تبرك عليه الإبل)

ذلك أنَّ الإبل إذا أنكرت الشيء نفرت منه ، فذهبت في الأرض ، ولا يجمعها الراعي إلا بتعب .

(وقعا كركبتي البعير)

يقال ذلك للشيثين المستويين . والبعير إذا أراد البروك وقعت ركبتاه معاً .

(يركب الصعب من لا ذلول له)

يضرب مثلاً لمن يحمل نفسه على الشدائد عندما لا يجد ما يناله بسهولة .
والصعب من الإبل : الذي لم يُرَضَّ ، والذلول : البعير السهل المروّض للركوب .

وقريب من هذا المثل قول الشاعر:
إذا لم يكن غير الأسنة مركباً فما حيلة المضطرّ الآ ركوبها
(يا عاقد اذكرُ حلاً)

يضرب مثلاً للنظر في العواقب . وأصله أنّ الرجل يشدُّ جملة على بعيه
فيُسرف في الإستيثاق، فيضّرّ ذلك به ويبعيه عند الحلول . وأخذ المثل أبو نواس
فقال :

يا عاقد القلب مني هلاً تذكرت حلاً

مما ورد في الكلام المنثور عن الابل

قال أبو العلاء المعري في رسالته (الصاهل والشاحج) على لسان الصاهل
(الفرس) مخاطباً الشاحج (البغل) :

(والابل أكثر افتناناً في الأصوات ، لأنّ من أصواتها : الحنين والأصيط
والسجع والتحوّب والعجيج والجرجرة ، والهدر وأصنافه وهي : الفحيح والكتيت
والكشيش والقصف والقرقرة والزغد والشحشحة والقْلُخ . ومن أصواتها الرغاء
والْبُغام . . .

(أما الناقة فحسبها من قلة اللب أن ولدها يذبح ويحشى جلده من الثمام
فتدرّ عليه ، وعندها أنّه حوارها . وأما الجمل فأخوها ، وهل يكون ابن دغّة^(١) إلّا
على قدرها ، وابنة جهيزة^(٢) إلّا من جنسها؟ وحسبك من جهالة أنها تترك مالان من

(١) - دغّة، هي مارية بنت معنيج توصف بالحمق (أمثال الميداني ٢١٩/١)

(٢) - جهيزة: أم شبيب الحروري تنبز بالحمق أيضاً (الأمثال للميداني ٢١٨ / ١).

المرعى وتختار عليه شوك السعدان وغيره من الشجر والعضاه^(١)، فربما نشبت الشوكة منها في بطن البعير فكانت سبب هلاكه . . .

وقال على لسان الشاحج مخاطباً الجمل:

(وأدعورك أن يبلوك بهوى ناقة شارف همّة مشرّمة يفضحك هواها في
الابل فتكون في ذلك هزأة في البرك وضحكة بين الأكوار، وأقول في مضان
الاجابة: لا ملأت كرشك من السعدان، ولا شمت بارق الغيث والصّيب، ولا
رأيت نظرة كلاً عازب، ولا سمعت صوت التلبية، ولا زرت النّاسة^(٢) في حجة
ولا وقفت بعرفة. وان كنت يمانيّ المولد فلا قدر لك أن تنظر إلى الفحل سهيل،
وإن كان مولدك بالشام فمنعت أن تلمح شاميّ النجوم . . .

(وان خرجت إليّ من حقي فانيّ أغسل الحقد عليك من قلبي وأنتزع
مذمتك من لساني، وأحث على مودتك نفسي، ولن تستغني عن صديق من ذوات
الحافر، كما لا أستغني عن صديق من ذوات الخفّ، وأدعو الخالق بسعادتك، وأن
يرعيك أنف الكلاء، ويوردك نمير المساء من غير أن تعارك عليه خوماً، ولا تراحم
عليه في موردك عرجاً^(٣) بل تنفخ حباب الحوض أو الغدير لا هياً في شربك متهنياً
في ذلك بعبك ورشفك، لا تخاف من عصاً تقرعك ولا زجر يروعك ويدعرك، وأن
يُعفى ظهرك من الأعباء فيخلو جثمانك من الجلب^(٤) والدّبر، وتسرح في أرض
كثيرة العضاه فيها القتادان الأكبر والأصغر، والسّلم والطلح والعرفط والسّمُر
والشّبهان^(٥) - فإن أبا زيد الأنصاري ذكر الشبهان في جملة العضاه الشاكة ولولا ذلك

(١) - السعدان: نبت من أفضل مراعي الابل له شوك، وفي المثل (مرعى ولا كالسعدان، والعضاه: كل شجر له شوك).

(٢) - النّاسة، هكذا بلام التعريف في الصحاح، وفي المحكم (ناسة): من أسماء مكة المكرمة

(٣) - الحوم: القطيع من الابل. والعرج: القطيع من الابل، وقد يصل من خمسمائة إلى ألف.

(٤) - الجلب (بالضم) جمع جلبه: قشرة الجرح.

(٥) - العضاه: كل شجر له شوك، ومن أنواعه: القتاد والسلم والطلح والعرفط والسمر والشبهان.

لم أذكره لك اذ كان غير أبي زيد يزعم أن الشبهان الثمام، أو شجر يشبهه -
 ويكون في تلك الأرض ما يعجبك من أصناف الشجر الذي تطرف ورقه،
 وتجذب أغصانه، وينقل إليك الله بقدرته قطعة من سعدان توضح فيلقيه في
 أرضك لتعاقب^(١) بين أصناف الشجر والنبات، ويرزقك هجمةً عوناً وأبكاراً كأنها
 عذارى عليها شارة، ومعاصر^(٢) تتخير فيها على عينك تخير أبي قابوس^(٣) في
 قيان العراق. هذا إن كنت راغباً في الضراب، فإن لم تكن راغباً في ذلك فهو أبقي
 لأيدك وأرجى لبصيرتك وأدنى لرشدك وأجدر بطول عمرك، على أن العمر إلى الله
 إن شاء قصر، وإن شاء مد^(٤).

مما قاله الشعراء في الإبل

عبد الله بن المعتز:

وَمَهْلِكَةٌ لَا مَعَ آلِهَا	قَطَعْتُ بِحَرْفِ أُمُونِ الْخُطَا
لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ خُوصِ الْعَسِيبِ	وَأَرْبَعَةٌ تَرْتَمِي بِالْحَصَا
بَنَاهَا الرِّبْعُ بِنَاءَ الْكَثِيبِ	سَاقَتْ إِلَيْهِ الرِّيحُ النُّقَا
فَمَا زَالَ يُذِيبُهَا مَا جَدُّ	عَلَى الْأَيْنِ حَتَّى انْطَوَتْ وَانْطَوَى
بِأَرْضٍ تَأُولُ آيَاتِهَا	عَلَى الظَّنِّ يَخِيطُ فِيهَا الْهُدَى
صَدَعَتْ الْمِطْيَ بِإِرْقَالِهَا	فَمَا أَعْتَذَرْتُ بَيْنَهَا بِالْوَجَى ^(٥)

(١) - التعاقب: التداول، مرتعاً في عقب مرتع.

(٢) - الشارة: الحسن، وجمال الهيئة. اعصرت الجارية أدركت عصر شبابها فهي مُعَصِر. جمعها معاصر ومعاصير.

(٣) - أبو قابوس: النعمان بن المنذر.

(٤) - الصاهل والشاحج / ١٦٣ و ٢٠١ و ٢١٥ - ٢١٧.

(٥) الديوان ١٣/١.

وله أيضاً :

أَنَعْتُ شَذَّ قَمِيًّا	تَمَّ كَمَا يَشَاءُ ^(١)
تَنَقَّلُهُ أَخْفَافٌ	كَأَنَّهَا دِلَالٌ
نَيْطَتْ بِهَا أَشْطَانٌ	قَلِيبُهَا الْفَضَاءُ
تَحْسَبُهُ مُقِيمًا	وَسَيْرُهُ نَجَاءٌ
كَأَنَّهُ شِهَابٌ	رَمَتْ بِهِ السَّمَاءُ ^(٢)

وقال ذو الرمة :

وَمُنْخَرِقٍ خَاوِي الْمَمَرِّ قَطَعْتُهُ	بِمُنْعَقِدٍ خَلَفَ الشَّرَاسِفِ حَالِبُهُ ^(٣)
يَكَادُ مِنَ التَّصْدِيرِ يَنْسَلُ كُلَّمَا	تَرَنَّمَ أَوْ مَسَّ الْعِمَامَةَ رَاكِبُهُ ^(٤)
طَوِيلِ النِّسَاءِ وَالْأَخْدَعَيْنِ شَمْرَدَلٍ	مُضْبِرَةٍ أَوْرَاكُهُ وَمَنَاكِبُهُ ^(٥)
طَوَى بَطْنُهُ التَّرْجَافُ حَتَّى كَأَنَّهُ	هَلَالٌ بَدَا وَأَنْشَقَّ عَنْهُ سَحَابُهُ
كَأَنَّ يَمَامِيًّا طَوَى فَوْقَ ظَهْرِهِ	صَفِيحًا يُدَانِي بَيْنَهُ وَيُقَارِبُهُ
إِذَا عُجْتُ مِنْهُ أَوْ رَأَى فَوْقَ رَحْلِهِ	تَحْرُكُ شَيْءٍ ظَنَّ أَنِّي ضَارِبُهُ ^(٦)

وقال ديك الجن (عبد السلام بن رغبان) :

مَا الْمَطَايَا إِلَّا الْمَنَايَا وَمَا	فَرَّقَ شَيْءٌ تَفْرِيقَهَا الْأَحْبَابَا
ظِلٌّ حَادِيَهُمْ يَسُوقُ بِقَلْبِي	وَيَرْمِي أَنَّهُ يَسُوقُ الرِّكَابَا ^(٧)

(١) الشدقي : نسبة الى شديقم : فحل للنعمان بن المنذر . ومنه الإبل الشدقيات .

(٢) الديوان ٤٩٤/٢ .

(٣) الشراسف : أطراف الضلوع .

(٤) التصدير : الحزام على صدر البعير ، والترنم : ضرب من الغناء .

(٥) النِّسَاء : عرق يستطن الفخذين حتى ينتهي الى الساقين : الأخدعان : عرقان في القفا . الشمردل : الطويل . يصف بعيره بالطول .

(٦) الديوان ٤٤/

(٧) الديوان ١٤٩/

وقال الأخطل (غياث بن غوث):

وَمَحْبُوسَةٍ فِي الْحَيِّ ضَامِنَةِ الْقَرَى
مُعْفَرَةٍ لَا تَنْكُرُ السَّيْفَ وَسَطَهَا
مَرَاذِيحُ فِي الْمَأْوَى إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا
إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا الرِّيحُ لَمْ تَنْفِثْ لَهَا
إِذَا مَا الدَّمُ الْمُهْرَاقُ أَضْلَعَ حَمْلُهُ
إِذَا مَا بَدَّ بِالْغَيْبِ مِنْهَا عِصَابَةٌ
يَطْفَنُ بِزَيَافٍ كَأَنَّ هَدِيرَهُ
تَرَدُّ عَلَى الظَّمِيءِ الطَّوِيلِ نَطَافُهَا
كَأَنَّ لَهَا هَا فِي بِلَاعِيمِ جَنَّةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْقَتَادُ تَجَزَّعَتْ
تُحَطَّمُهُ تَحْتَ الْجَلِيدِ فُؤُوسُهَا

إِذَا اللَّيْلُ وَافَاهَا بِأَشْعَثِ سَاغِبٍ^(١)
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَسٌ لِحَالِبٍ^(٢)
تُطِيفُ أَوَابِيهَا بِأَكْلَفٍ ثَالِبٍ^(٣)
وَإِنْ أَصْبَحَتْ شُهْبُ الدَّرَى وَالْغَوَارِبِ
وَنَابَ رَهْنَاهَا بِأَغْلَى النَّوَابِ^(٤)
أَوَيْنَ لَهُ مَشْيَ النِّسَاءِ اللَّوَاغِبِ^(٥)
إِذَا جَاوَزَ الْحَيْزُومَ تَرْجِيْعُ قَاصِبِ^(٦)
إِذَا شَوَتْ الْجَوَازُءُ وَرَقَ الْجَنَادِبِ^(٧)
وَأَشْدَقَهَا السُّفْلَى مَغَارُ الثَّعَالِبِ
مَنَاجِلُهَا أَصْلَ الْقَتَادِ الْمُكَالِبِ^(٨)
إِذَا قَنَّعَ الْمَشْتَا أَكْفَ الْحَوَاطِبِ^(٩)

(١) يريد الابل المحبوسة لقرى الضيف. المتعب الجائع.

(٢) المعس: المطلب.

(٣) المرازيح: الساقطة هزالاً. وقال محقق الديوان: لعلها (مراديح) بالبدال المهملة، وهي الثقيلة. في مبركها. الأوابي: التي أبت الفحل. الأكلف من الابل: في حمرة لونه كلف. الثالب: البعير المسن.

(٤) كانوا يعدّون ابلهم للديات والرهائن في النواب العظيمة، لان الخصوم لا يقبلون في الديات إلا كرائم الإبل.

(٥) الغيب هنا: الأرض الواطئة.

(٦) القاصب: الزامر.

(٧) نطافها: القليل من الماء الباقي في أجوافها. الجنادب: صغار الجراد. الورق: التي لونها لون الرماد.

(٨) التجزيع: التقطيع، والتكسير. يريد بمناجلها: أنيابها. المكالب: صفة للقتاد.

(٩) استعار الفؤوس للاضرار. قنّع، بمعنى غشى.

كَأَنَّ عَلَيْهَا الْقَسْطَ لَانِي مُخْمَلًا إِذَا مَا اتَّقَتْ شَفَانَهُ بِالْمَنَاكِبِ (١)

ولعبد الله بن المعتز:

لَنَا وَفَرَةً مَا وَفَّرَتْهَا دِمَاؤُنَا لَا ذَعَرَتْهَا فِي الصُّبَاحِ الصَّوَائِحُ (٢)
تَقْسِمُهُنَّ الْحَمْدُ إِلَّا بَقِيَّةً تُرَدُّ عَلَيْنَا حِينَ تُخْشَى الْجَوَائِحُ
إِذَا غَدَرَتْ أَلْبَانُهَا بِضُيُوفِهَا وَفَتَّ بِالْقَرَى خَيْرَاتُهَا وَالصَّفَائِحُ
وَقَيْدَهَا بِالنُّصْلِ خِرْقٌ كَأَنَّهُ إِذَا جَدَّ لَوْلَا مَا جَنَى السَّيْفُ مَارِحُ
كَأَنَّ أَكْفَ الْقَوْمِ فِي جَفَنَاتِهِ قَطًّا لَمْ يُنْفَرُهُ عَنِ الْمَاءِ سَارِحُ (٣)

وقال طرفة بن العبد:

وَانِي لِأَمْضِي الهمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعُوجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي (٤)
أُمُونٍ كَالْوَاكِحِ الْإِرَانِ نَصَاتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرُ بُرْجِدٍ (٥)
جَمَالِيَّةٍ وَجَنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّهُا سَفْنَجَةٌ تَبْرِي لِأُزْعَرَ أَرْبَدًا (٦)
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ (٧)
تَرْبَعَتِ الْقُفَيْنِ بِالشُّوْلِ تَرْتَعِي حَدَائِقَ مَوَلِيٍّ الْأَسِيرَةِ أَعْيَدِ (٨)

(١) الديوان ٥٦/ . القسطلاني: ثوب من القُطف منسوبة الى قسطلة: مدينة بالأندلس. الشَّقَان: برد مع ريح.

(٢) يريد بالوفرة: الإبل الكثيرة.

(٣) ديوان ابن المعتز ٧٦/١.

(٤) العوجاء: الناقة التي لا تستقيم في سيرها لنشاطها.

(٥) الأران: الثابوت. نصاتها: ونسأتها: بمعنى زجرتها وحملتها على البرجد: كساء مخطط، شبه به الطريق الواضح.

(٦) تردي: تعدو. السفنجة: النعامة تبري: تعرض. الأزعر: قليل الشعر.

(٧) العتاق: كرام الابل. الناجيات: المسرعات. يريد اتبعت الناقة وظيف يديها وهو ما بين الرسغين إلى الركبتين - وظيف رجلها - وهو ما بين الرسغين إلى العرقوبين - المور: الطريق.

(٨) تربعت: رعت الربيع. القف: ما ارتفع من الأرض. الشول: التي جفت البانها. المولي: الممطور بالولي.

تَرِيحُ إِلَى صَوْتِ الْمُهِيبِ وَتَتَّقِي بِذِي خُصَلٍ رَوَعَاتٍ أَكْلَفَ مُلْبِدٍ^(١)
 كَانَ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْنَفَا حِفَافِيهِ شُكًّا فِي الْعَسِيبِ بِمَسْرَدٍ^(٢)
 فَطَوْرًا بِهِ خَلَفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً عَلَى حَشِيفٍ كَالشَّنِّ ذَاوِ مُجَدِّدٍ^(٣)
 لَهَا فِخْذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضُ فِيهِمَا كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدٍ^(٤)
 وَطِيَّ مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خُلُوفُهُ وَأَجْرِنَةً لُزْتُ بِدَائِي مُنْضَدٍ^(٥)
 كَانَ كِنَاسِي ضَالَةً يَكْنُفَانِهَا وَأَطَرَ قِيسِي تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيِّدٍ^(٦)
 لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا تَمُرُّ بِسَلَمِي دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ^(٧)
 كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا لَتُكْتَنَفَنَّ حَتَّى تَشَادَ بِقَرْمَدٍ^(٨)
 صُهَابِيَّةُ الْعُثُنُونِ مُوجَدَّةُ الْقَرَا بَعِيدَةٌ وَخَدِ الرَّجُلِ مَوَارَةَ الْيَدِ^(٩)
 أَمَرْتُ يَدَاهَا فَتَلَ شَزْرٍ وَأُجْنَحَتْ لَهَا عَضْدَاهَا فِي سَقِيفٍ مُسْنَدٍ^(١٠)
 جَنُوحٌ دُفَاقٌ عِنْدَلٌ ثُمَّ أَفْرِعَتْ لَهَا كَتِفَاهَا فِي مُعَالِيٍّ مُصْعَدٍ^(١١)

(١) تريح : ترجع . المهيب : الذي يصيح بها وهو راعيها . الأكلف فحلها . الملبد : الفحل الذي يضرب بذنبه ظهره من الهياج .

(٢) المضرحي : النسر . الحفاف : الجانب . العسيب عظم الذنب . المسرد : المخصف .
 (٣) الزميل : الرديف . الحشف : خلف الناقة الذي جف لبنه . الشن : القربة . المجدد : الذهاب اللبن .
 (٤) النحض : اللحم . المنيف : يريد القصر العالي . الممرّد : المملّس .
 (٥) المحال : فقار الظهر . الحني : القسي . الخلوف : الأضلاع . الأجرنة ، جمع الجران : باطن العنق الدأي : خرز الظهر .

(٦) الكناس : بيت يتخذة الوحش . الضال : ضرب من الشجر . الأطر : العطف .
 (٧) السلم : الدلو لها عروة واحدة . الدالج : الذي يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض .
 (٨) الاكتناف : الكون في أكناف الشيء ، وهي نواحيه . القرمد : الأجر .
 (٩) الصهابية : التي يضرب لونها إلى الحمرة العثنون : شعرات تحت لحي الناقة الأسفل الموجدة : المقواة ، والايجاد : التقوية . القرا : الظهر . المّوارة : السريعة الخطو .
 (١٠) أمرت يداها : أحكم فتلهما . والفتل نوعان : شزر ، وهو الفتل إلى خارج ، ويسر وهو الفتل إلى الصدر . السقيف : السقف . المسند : الذي اسند بعضه إلى بعض .
 (١١) الجنوح : التي تجنح في سيرها لنشاطها . الدفاق : المتدفقة في سيرها . العندل : الضخمة الرأس .

كَانَ غُلُوبَ النَّسْعِ فِي دَائِبَاتِهَا مَوَارِدُ مِنْ خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرَدٍ^(١)
تَلَاقَى وَأَحْيَاناً تَبِينُ كَأَنَّهَا بَنَائِقُ غُرٍّ فِي قَمِيصٍ مُقَدِّدٍ^(٢)
وَأَتْلَعُ نَهَاظُ إِذَا صَعَدَتْ بِهِ كُسْكَانٍ بُوصِيٍّ بِدِجَلَةٍ مُصْعِدٍ^(٣)
وَجُمُجْمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى الْمُلتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مِبْرَدٍ^(٤)
وَنَحْدُ كَقِرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٍ كَسَبَتْ الْيَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُجَرِّدٍ^(٥)
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ آسَتْكَتَا بِكَهْفِي حَجَاجِي صَخْرَةٍ قَلَّتْ مَوْرِدٍ^(٦)
طُحُورَانِ عُوَّارَ الْقَدَى فَتَرَاهُمَا كَمَكْحُولَتِي مَذْعُورَةٍ أَمْ فَرْقَدٍ^(٧)
وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوْجُسِ لِلسَّرَى لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أَوْ لِحُصُوتٍ مُنَدِّدٍ^(٨)
مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ^(٩)
وَأَرْوُعُ تَبَاضُ أَحَدُ مُلْمَلَمٍ كَمِرْدَاتِ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمِّدٍ^(١٠)
وَأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الْأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمُ بِهِ الْأَرْضُ تَزْدَدُ^(١١)

(١) العلوب: الآثار من ضرب أو شد حبل. الدأيات: ضلوع الصدر. الخلقاء: الملساء ويريد صخرة ملساء. القردد: الأرض الغليظة الصلبة.

(٢) البنائق، جمع البنيقة: دخرصة القميص وهي زيقة. المقلد: المشقق.

(٣) البوحي: ضرب من السفن.

(٤) العلاة: سندان الحداد. وعى العظم: اجتمع وتماسك واجتبر.

(٥) السبب: جلود البقر المدبوعة. التجريد: اضطراب القطع وتفاوته.

(٦) الماوية: المرأة. الحجاج (بالكسر): العظم المشرف على العين. القلت: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.

(٧) طحرت العين قذاها فهي طحورة. الفرقد: ولد البقرة الوحشية.

(٨) التوجس: التسمع: الهجس: الحركة. التنديد: رفع الصوت.

(٩) مؤللتان: محددتان كتحديد الآلة وهي الحربة. العتق: الكرم والنجابة. الشاة: هنا: الثور الوحشي. حومل: موضع بعينه.

(١٠) التَّبَاضُ: الكثير الحركة. الأخد: الخفيف السريع الململم: المجتمع الخلق، والشديد الصلب. المرادة: الصخرة التي تكسر بها الصخور. الصفيحة. الحجر العريض: المصمد: المحكم الموثق.

(١١) الأعلم: المشقوق الشفة العليا. المخروت: المثقوب. المارن: ملان من الأنف.

وإن شئت لم تُرَقِّلْ وإن شئت أرقلت
وإن شئت سامي واسط الكور رأسها
على مثلها أمضي إذا قالصاحبي
مخافة ملوي من القدُّ مُحَصِّد^(١)
وعامت بضبعيها نجاء الخفِيدَا^(٢)
ألا ليتني أفديك منها وأفتدي^(٣)

وقال المثقب العبدى (عائذ بن محصن بن ثعلبة)

هل عند غانٍ لفؤادٍ صد
يُجْزى بها الجازون عني ولو
قالت ألا لا يشتري ذاكم
إلا ببدري ذهب خالص
من مالٍ من يَجْبُو ويُجْبى له
أو مائة تجعل أولادها
إذ لم أجد حبلاً له مرة
حتى تلوفيت بلُكِّيَّة
تُعطيك مشياً حسناً مرة
من نهلة في اليوم أوفي غد^(٤)
يُمنع شربي لسقتني يدي
ألا بما شئنا ولم يوجد
كل صباح آخر المُسْنِدِ^(٥)
سبعون قنطاراً من العسجد
لغوا وعرض المائة الجلمد^(٦)
إذ أنا بين الخل والأوبد^(٧)
معجمة الحارك والمحفد^(٨)
حثك بالمرود والمُحَصِّدِ^(٩)

(١) الملوي: يريد السوط. القد (بالكسر): السير يقَد من جلد المحصد: المحكم.

(٢) الضبع: العضد. النجاء: الاسراع، الخفيدد. الظليم وهو ذكر النعام.

(٣) ديوان طرفة ٢٢، وشرح القصائد السبع الطول للأنباري / ١٤٩.

(٤) يريد بـ (غان): غانية، فحذف.

(٥) بدري ذهب: يريد بدرتي ذهب، والبدره كيس فيه بين ألف وعشرة آلاف المسند: الدهر.

(٦) يريد ألا ببدرتي ذهب، أو مائة من الإبل لا تحسب أولادها معها. عرض المائة (بضم العين): قوتها وصلابتها. في البيت اقواء.

(٧) الحبل (هنا): العهد. المدة: القوة. الخل (بالفتح) والأوبد: موضعان مخيفان.

(٨) تلوفيت: تدوركت. اللكئة: الناقة المكتنزة اللحم. المعجم: الصلب. الحارك: موصل الظهر بالعنق. المحفد: أصل السنام.

(٩) المرود: حديدة تدور في اللجام. المحصد (بضم الميم): الحبل أحكم فتله، يريد السوط.

يُنْبِي تَجَالِيدِي وَأَقْتَادَهَا نَاوِ كَرَأْسِ الْفَدَنِ الْمُؤَيَّدِ^(١)
عَرَفَاءَ وَجَنَاءَ جُمَالِيَّةِ مُكَرَبَةٍ أَرْسَاغُهَا جَلْعَدِ^(٢)
تَنْمِي بِنِّهَاضٍ إِلَى حَارِكِ ثُمَّ كَرَكِنْ الْحَجَرَ الْأَصْلَدِ^(٣)
كَأَنَّمَا أُوبُ يَدَيَّهَا إِلَى حَيَزُومِهَا فَوْقَ حَصَا الْفَدْفَدِ^(٤)
نَوُحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكِ تَنْدُبُهُ رَافِعَةَ الْمَجْلَدِ^(٥)
كَلَّفْتُهَا تَهْجِيرَ دَاوِيَّةِ مِنْ بَعْدِ شَأْوٍ لَيْلِهَا الْأَبْعَدِ^(٦)
فِي لَاجِبٍ تَعْرِفُ جَنَانَهُ مُنْفَهَقِ الْقَفَرَةِ كَالْبُرْجَدِ^(٧)
تَكَادُ أَنْ حُرَّكَ مَجْدَافُهَا تَنْسَلُّ مِنْ مَثْنَاتِهَا بِالْيَدِ^(٨)
لَا يَرْفَعُ الصَّوْتُ لَهَا رَاكِبُ إِذَا الْمَهَارَى خَوَّدَتْ فِي الْبَدِي^(٩)
تَسْمَعُ تَعْزَافاً لَهُ رَنَّةٌ فِي بَاطِنِ الْوَادِي وَفِي الْقَرْدَدِ^(١٠)
كَأَنَّهَا أَسْفَعُ ذُو جُدَّةِ يَمْسُدُهُ الْبَقْلُ وَلَيْلُ سَدِي^(١١)
مُلَمَّعُ الْخَدَّيْنِ أَرْدِفَتْ أَكْرَعُهُ بِالزَّمْعِ الْأَسْوَدِ^(١٢)

(١) تجاليد الانسان: مجموع جسمه، لا واحد لها. ناو: سمين، ويريد: سنام ناو. الفدن: القصر

المشيد. المؤيد (بكسر الياء): العظيم، وروي (بفتح الياء): المشدد.

(٢) عرفاء: طويلة العرف، وهو شعر العنق. جمالية: تشبه الجمال في خلقها. مكربة: موثقة، مشدودة، جالعد: صلبة قوية.

(٣) بنهاض: يريد العنق، وقد شبهه بركن الحجر الأملس. الحارك: أعلى الكاهل، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.

(٤) أوب يديها: سرعة تقلبهما، حيزومها: صدرها.

(٥) ابنة الجون: نائحة من كندة. المجلد (كمنبر): جلدة تمسكها النائحة بيدها.

(٦) التهجير: السير في الهاجرة: الداوية: المغازة.

(٧) المجداف: مجداف السفينة، يريد به السوط على التشبيه. يريد بالمشاة: الزمام.

(٨) التخويد: اهتزاز البعير في السير. البدّي: ابتداء السير، وخفف الياء لاستقامة الوزن.

(٩) التعزاف (هنا) صوت الحجارة التي تقذفها بيديها. القردد: ما غلظ من الأرض وارتفع.

(١٠) الأسفع: الثور الوحشي في وجهه نقط سود تضرب إلى الحمرة. الجدّة (بالضم): خطة في ظهر

الثور تخالف لونه. يمسده البقل: يجزئه عن الماء. ليل سيد: ندى. شبه ناقته بالثور الوحشي قوة

وسرعة سير وأعطاه من صفاته الأخرى التي سيذكرها في الآيات الآتية.

(١١) الملمّع: المنقّط بلون يخالف لونه. الزمّع: الشعر المدلّى خلف الضلف.

كأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي بَرْقَعٍ يُصِيخُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعُهُ
ضَمٌّ صِمَاخِيهِ لِنُكْرِيَةٍ
وَانْتَصَبَ الْقَلْبُ لِتَقْسِيمِهِ
يَتَّبَعُهُ فِي إِثَرِهِ وَاصِلٌ
تَنْحِيرُ الْغَمْرَةَ عَنْهُ كَمَا
سَاطِ إِلَى الْعَلْيَا إِلَى الْمُنتَهَى
فِي بَلَدَةٍ تَعْرِفُ جَنَانُهَا
فَذَاكُمْ شَبَّهْتُه نَاقَتِي
وقال عمر بن أبي ربيعة

وَقَمْتُ إِلَى عَنَسٍ تَخُونُ نِيَّهَا
وَحَبْسِي عَلَى الْحَاجَاتِ وَحَتَّى كَأَنَّهَا
وَمَاءٌ . بِمَوْمَاةٍ قَلِيلُ أُنَيْسُهُ
بِهِ مُبْتَنًى لِلْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ
وَرَدْتُ وَمَا أَدْرِي أَمَا بَعْدَ مَوْرِدِي
سَرَى اللَّيْلِ حَتَّى لَحَمَهَا مَتَحَسَّرُ^(٦)
بَقِيَّةُ لَوْحٍ أَوْ شِجَارٍ مُؤَسَّرٍ^(٧)
بَسَاسٍ لَمْ يَحْدُثْ بِهِ الصَّيْفَ مَحْضَرُ^(٨)
عَلَى طَرَفِ الْأَرْجَاءِ خَامٌ مُنْشَرُ^(٩)
مِنَ اللَّيْلِ أَمْ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَكْثَرُ

(١) الروق : القرن. السلب : الطويل، أو سريع الطعن. مذود: آلة الذود يدفع به.
(٢) الخلب: جبل من ليف أو من قطن. الأجرد: الخلق.
(٣) ساط: راكب رأسه في السير. وأصل ذلك في الفرس. العليا والمنتهى: لعلهما موضعان.
المستعرض: الذي يأتي الشيء من جانبه. عضد الركائب: أتاها مرة عن يمينها ومرة عن يسارها.
(٤) الخناطيل، جمع خنطولة (بالضم): القطعة من سائر الدواب. الرود: التي تروح وتجيء الواحدة: رائدة.
(٥) القصيدة من كتاب رغبة الأمل للمرصفي ٥٥/٢.

(٦) العنس: الناقة القوية تخون نيتها: تنقص شحمها. المتحسر: المتكشف.
(٧) اللوح: الصفيحة العريضة من الخشب. الشجار: مركب دون الهودج. مؤسر: مشدود.
(٨) الموماة: الصحراء. البساس: القفار، واحدها بسبس.
(٩) الخام: الجلد الذي لم يدبغ.

فُقُمْتُ إِلَى مَغْلَاةٍ أَرْضٍ كَأَنَّهَا
تُنَازِعُنِي جِرْصاً عَلَى الْمَاءِ رَأْسَهَا
مُحَاوِلَةً لِلْمَاءِ لَوْلَا زِمَامُهَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الضَّرَّ مِنْهَا وَأَنْنِي
قَصَرْتُ لَهَا مِنْ جَانِبِ الْحَوْضِ مُنْشَأً
إِذَا شَرَعْتُ فِيهِ فَلَيْسَ لِمُلْتَقِي
وَلَا دَلْوٍ إِلَّا الْقَعْبُ كَانَ رِشَاءَهُ
فَسَافَتْ وَمَا عَافَتْ وَمَا رَدَّ شُرْبَهَا

إِذَا التَفَتْتُ مَجْنُونَةً حِينَ تَنْظُرُ^(١)
وَمِنْ دُونِ مَا تَهْوَى قَلِيبٌ مُعَوَّرُ^(٢)
وَجَذْبِي لَهَا كَادَتْ مِرَاراً تَكْسِرُ
يَبْلَدَةَ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مُعَصَّرُ^(٣)
جَدِيداً كَقَابِ الشُّبْرِ أَوْ هُوَ أَصْغَرُ^(٤)
مَشَافِرُهَا مِنْهُ قَدَى الْكَفِّ مُسَارُ^(٥)
إِلَى الْمَاءِ نِسْعٌ وَالْأَدِيمُ الْمَضْفَرُ^(٦)
عَنْ الرِّيِّ مَطْرُوقٌ مِنَ الْمَاءِ أَكْدَرُ^(٧)

وقال الراعي النميري :

وَلَا تُعْجَلُ الْمَرَّةَ قَبْلَ الْبُرُو
وَهِيَ إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا
وَمُضْغِيَّةٌ خَدُّهَا بِالزُّمَا
حَتَّى إِذَا مَا أَسْتَوَى طَبَّقَتْ

لِ وَهِيَ بِرُكْبَتِهِ أَبْصَرُ
كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ
مِ فَالرَّأْسُ فِيهَا لَهُ أَصْعَرُ
كَمَا طَبَّقَ الْمِسْحَلُ الْأَغْبَرُ^(٨)

-
- (١) المغلاة، من غلت الدابة في سيرها: أسرع.
(٢) القليب المعوّر: البئر التي في حافاتها خلل، أو في مائها كدورة.
(٣) المعصّر: الملجأ، والمنجاة.
(٤) المنشأ: العلامة. كقَابِ الشُّبْرِ: كمقدار الشبر.
(٥) شرعت الدابة في الماء: دخلت فيه. قَدَى الْكَفِّ: قدره. المسار من السور: البقية.
(٦) القعب (بالفتح): القدح الضخم، وقيل: الذي يروي الرجل. النسع: جبل من جلد. الأديم: الجلد، وفي رواية (والجديل المضغّر).
(٧) سافت الماء: شمتة. الماء المطروق: الكدر، والذي تبول فيه الإبل وتبعر. الأبيات من الديوان ١٠١.
(٨) طبقت الناقة الطريق: قطعتة غير مائلة عن القصد. وطبق الفرس: قرّب في العدو. المسحل الأغبر: حمار الوحش. القطعة من الديوان ٧٢/ و ٧٣.

وقال [ابن] شرشير. (الناشيء الأكبر عبد الله بن محمد الأنباري) :

على جَسْرَةٍ لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ شَاوَهَا إذا جَدَّ مِنْ نَصِّ الوَجِيفِ دُمُورُ^(١)
مُوثَقَةٌ لَمْ يَنْحَضِرِ الْبَيْدُ لَحْمَهَا قَوَائِمُهَا فَوْقَ الصُّخُورِ صُخُورُ
تُفْتَقُ عَنْ ذَاتِ الْوِخَادِ جُرُومُهَا وَلَا يَبْلُغُ الرُّكْبَانُ حَيْثُ تُغَيَّرُ
مُضَبَّرَةٌ جَلَسَ فَأَمَّا عِظَامُهَا فَارْصَفُ وَأَمَّا لِيُطَهَا فَخَرِيرُ^(٢)
كَأَنِّي إِذَا عَالَيْتُ جَوْزَةَ مَتْنِهَا عَلَى عَلَوِيَّاتِ الرِّيَّاحِ أَسِيرُ^(٣)

وقال أبو نواس :

وَلَقَدْ تَجُوبُ بِنَا الْفَلَاةِ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتِ الْعُفْرُ^(٤)
شَدِيئَةٌ رَعَتِ الْجَمَى فَأَتَتْ مِلءَ الْجِبَالِ كَأَنَّهَُا قَصْرُ
تَثْنِي عَلَى الْحَاذِينَ ذَا خُصَلٍ تَعْمَالُهُ الشُّذْرَانُ وَالْخَطَرُ^(٥)
أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِذَةٌ فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ^(٦)
أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ عَارِضَةً فَتَقُولُ أُرْجِي فَوْقَهَا سِتْرُ
وَتَسِفُ أَحْيَانًا فَتَحْسَبُهَا مَتَرَسَّمًا يَقْتَادُهُ أَثَرُ
فَإِذَا قَصَرَتْ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا فَوْقَ الْمَقَادِمِ مِلْطَمٌ حُرُ^(٧)
فَكَأَنَّهُا مُصْغٍ لَتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ بِأُذُنِهِ وَقُرُ

(١) الجسرة : المقدامة على سلوك الأوعار. الذمور: الحث على الأمر .

(٢) المضبَّرة: المكتنزة اللحم. المجلس: الناقة الجسيمة. الليط - هنا : الجلد.

(٣) الأبيات من الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ٣٧٥، وفيه لقب الشاعر (شرشير) والتصويب من وفيات الأعيان ومصادر أخرى.

(٤) قالت: من القيلولة: النوم في القائلة أي نصف النهار. العفر: الظباء.

(٥) الحاذان تشية الحاذ: ظاهر الفخذ. ذو الخصل: الذنب. يريد بالشذران. والخطر: ضرب الناقة بذنبها يميناً وشمالاً.

(٦) الشامذة التي تشيل ذنبها نشاطاً. رَنَقَ الطائر: خفق بجناحيه ولم يطر.

(٧) المقادم: مقادم الرجل الملطم: الخد.

تَنْفِي الشَّدَا عَنْهَا بِذِي خُصَلٍ وَحَفِ السَّيْبِ يَزِينُهُ الضَّفَرُ^(١)
تَتَرَى لِأَنْفَاضٍ أَخْرَبَهَا جَذَبُ الْبُرَى فَخَدُّوْهَا صِفَرُ^(٢)
يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَبَاعَتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فِكْلًا كَمَا بَحْرُ^(٣)

وقال العباس بن مرداس، وقيل لكثير عزة، وقيل لغيرهما، وهي للأول أشهر:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثَوَابِهِ أَسْرُ مَزِيرُ^(٤)
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخَلْفُ ظَنُكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
فَمَا عَظُمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا وَلَمْ تَطُلِ الْبَزَاةُ وَلَا الصُّقُورُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِعْلَاةٌ نَزُورُ
لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ لِكُلِّ وَجْهِ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخُسْفِ الْجَرِيرُ^(٥)
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَانِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرُ^(٦)

(١) الشدا: الذباب. وحف السيب: غزير الشعر ويريد ذنب الناقة.

(٢) تترى: تتراخى. الأنفاض: الهزل. البرى، جمع البرة حلقة توضع في وتر أنف البعير يشد بها الزمام. صفر: خالية، ويريد خالية من اللحم لهزالها.

(٣) الديوان ٤٧٨/١ و ٤٧٩.

(٤) مع ان في مقدمة القطعة ابيات لا تخص موضوعنا فقد أثرت أثباتها كلها لطرافتها.

(٥) الجرير: حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة.

(٦) عن ديوان الحماسة لأبي تمام. القطعة (٤١٩) ص/ ١١٥٣، ووردت في أمالي القالي ٤٧/١ وزهر الآداب ٣٥٥/١ مع اختلاف في النسبة والرواية.

وقال الشريف البياضي^(١):

نُوقُ تَراها كالسَّفيـنِ ن إذا رأيتَ الآلَ بَحْرا
كَتَبَ الوَجا بِدِمايِها في مُهَرَّقِ البَيداءِ سَطْرا^(٢)
لا تَسْتَكِينُ مِنَ اللُّغُو ب إذاً ولا يَعرِفَنَّ زَجْرا
وكانَ أَرْجُلَهُنَّ تَط لَب عند أَيديهنَّ وترا^(٣)

وقال البحتري :

وإذا ما تَنَكَّرْتُ لِي بِبلادٍ وَخَلِيلُ فَإِنِّي بِالخِيارِ
وَخَدانُ القِلاصِ حُولا إذا قا بَلَن حُولا من أنْجَمِ الأشْجارِ
يَتَرَقِّقَنَّ كالسَّرابِ وقد خُضَّ ن عِمَارا من السَّرابِ الجاري
كالقِسيِّ المُعْطَفاتِ بَلِ الأَسَدِ هُم مَبْرِيَّةٌ بَلِ الأوتارِ^(٣)

وقال ابن عبد ربّه (أحمد بن محمد) (٤٠).

نَعَبَ الغُرابُ فَقُلْتُ أَكْذَبُ طائِرٍ إِنْ لَمْ يُصَدِّقْهُ رُغَاءُ بَعيِرٍ
رَدُّ الجِمالِ هو المَحَقُّقُ للنَّوى بَلْ شَرُّ أَحْلاسٍ لَهْنٌ وَكورٍ^(٥)

وقال السيد محمد سعيد الحبوبي^(٦):

يا راکِبا ذاتَ لُوثٍ في مَناسِمْها رُقَيَّ تَقِيها سُهَامَ الأيْنِ والضَّجَرِ^(٧)

(١) نهاية الأرب ١١٧/١٠ .

(٢) المهراق، والمهراق (بالضم): صحيفة بيضاء يكتب فيها (فارسي معرب) .

(٣) ديوان البحتري ٩٨٧/٢ .

(٤) العقد الفريد ٣٤٨/٥ .

(٥) الردّ (بكسر الراء): الظهر والحمولة للإبل .

(٦) ديوانه ٢٩١/ .

(٧) اللُوث (بضم اللام): القوة، والاسترخاء (من الأضداد) والأول هو المقصود .

حَرْفُ أَبُوهَا ظَلِيمٌ فِي مَنَاسِبِهِ
فَخَلَقَهَا بَرْزَخٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَذِي
وَأَعْجَبَ لَهَا ذَاتَ أَخْفَافٍ وَأَجْنِحَةٍ
وَقَالَ مُحَمَّدٌ سَامِي الْبَارُودِي :

وَرَوْعَاءِ الْمَسَامِيعِ مَا تَمَطَّتْ
خَرَجْتُ بِهَا عَلَى الْبَيْدَاءِ وَهَنًا
تُقَلِّبُ أَيْدِيًا مُتَسَابِقَاتٍ
مَدَدْتُ زِمَامَهَا وَالصَّبْحُ بَادٍ
فَمَا بَلَغَتْ مَغِيبَ الشَّمْسِ حَتَّى
أَحَالَ السَّيْرُ جِرَّتَهَا رَمَادًا
وَمَا كَانَتْ لِتَسَامَ غَيْرَ أَنِّي
هَتَكْتُ بِهَا سُتُورَ اللَّيْلِ حَتَّى

يَحْمِلُ بَيْنَ سَائِمَةٍ مَخَاضٍ (٢)
خُرُوجَ اللَّيْثِ مِنْ سَدَفِ الْغِيَاضِ
إِلَى الْغَايَاتِ كَالنَّبْلِ الْمَوَاضِي
فَمَا كَفَّكَفْتُهَا وَاللَّيْلُ غَاضِي (٣)
أَضَافَتْ آتِيًا مِنْهُ بِمَاضِي
فَرَاخَتْ وَهِيَ خَاوِيَةٌ الْوِفَاضِ (٤)
رَمَيْتُ بِهَا اعْتِزَامِي وَاعْتِرَاضِي
خَرَجْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى الْبَيَاضِ (٥)

وَقَالَ ابْنُ حَمْدِيسَ (عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّقْلِيُّ) :

وَمِنْ سُفْنِ الْقَفْرِ سَبَّاحَةٌ
لَهَا شَرَّةٌ لَا تُبَالِي بِهَا
إِذَا خَفَقَ الْبَرْدُ بِي خِلَّتَنِي
وَإِنْ يُعْرِضُ الْبَعْضُ عَنْ سِيرِهَا

مِنْ آلَالِ بَحْرًا إِذَا مَا اعْتَرَضُ
أَطَالَ لَهَا سَبَسَبٌ أَمْ عَرَضُ
عَلَى كُورِهَا طَائِرًا يَنْتَفِضُ
تَرِ الْعَيْسَ مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضُ

(١) الحرف: الناقة الضامرة الصلبة . الصعر (بالتحريك) ميل في الخذ والعنق . والنعام صعر خلقته ، والابل تصاعر في البرى .

(٢) الروعاء: الناقة الحديدية الفؤاد . المخاض: الحوامل من الأبل .

(٣) غاضي: من غضا الليل يغضو غضوا: اظلم ، أو ألبس ظلامه كل شيء .

(٤) الجرة (بالكسر): ما يجتره البعير . الرماد - هنا - كناية عن ذهاب الشيء وفنائه .

(٥) ديوان البارودي ١٦٠/٢ .

فَلَوْ عُوضَ الْمَرءُ مِنْهَا الصَّبَا
هِيَ الْقَوْسُ إِنِّي لَسَهْمٌ لَهَا
إِذَا انْتَبَسَطَتْ لِلسَّرَى أَيَّاسَتْ
لَمَّا رَضِيَتْ نَفْسُهُ بِالْعَوْضِ
أَصِيبٌ بِكُلِّ فَلَاةٍ غَرَضٌ
سَنَا الْبَرْقُ مِنِّي أَوْ تَنْقِضُ^(١)

وقال علي بن الجهم :

بِخِفَانَةٍ كَالْقَصْرِ وَجَنَاءِ حُرَّةٍ
مُذَكَّرَةٍ خَرَقَاءِ مُضْبِرَةِ الْقَرَا
كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ لَاحَةٍ
نَمَتْهَا مِنَ النُّوقِ الْهَجَانِ الْخَوَانِفُ^(٢)
يَفُوتُ يَدَ الْعَادِيٍّ مِنْهَا الْمَشَارِفُ
طِرَادُ جِيَادٍ وَقَعُهَا مُتَرَاصِفُ^(٣)

وقال كعب بن زهير:

أَمَسْتُ سُعَادَ بَارُضٍ لَا يُبْلَغُهَا
وَلَنْ يُبْلَغُهَا إِلَّا عُدَافِرَةٌ
مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذَّفَرِيِّ إِذَا عَرِفَتْ
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنِي مُفَرِّدٍ لَهَقٍ
ضَخْمٌ مُقْلَدُهَا فَعَمَّ مُقَيِّدُهَا
يَمْشِي الْقَرَارُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهَا
عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ فِي اللَّحْمِ عَنْ عُرْضٍ
كَأَنَّ مَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحُهَا
إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيَّاتُ الْمَرَاسِيلُ
فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ^(٤)
عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ^(٥)
إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحُزَانُ وَالْمِيلُ^(٦)
فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ^(٧)
مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولُ^(٨)
مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

(١) ديوان ابن حمديس الصقلي / ٢٩٢ و ٢٩٣.

(٢) الخوانف، جمع الخائف: الناقة التي تلوي أنفها من الزمام نشاطاً.

(٣) عن الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٧٢/١، وقد خلا ديوان الشاعر منها.

(٤) عدافرة: شديدة غليظة. التبغيل: مشى فيه اختلاط بين الهملجة والعنق.

(٥) الذفري: الرائحة الظاهرة طيبة كانت أو غيرها. العرضة: الهمة.

(٦) اللهق: الشديد البياض ويريد الثور الوحشي. الميل جمع ميلاء: العقدة من الرمل.

(٧) اللبان: الصدر الأقرب: الخواصر، الزهاليل: الملس.

(٨) عيرانة: صلبة كحمار الوحش. الزور: عظام الصدر.

تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ
قَنَوءٌ فِي حَدَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا
تَحْذِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ
سُمُرُ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيماً
يَوْماً يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُضْطَحِماً
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرِقَتْ
فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنُهُ الْأَحَالِيلُ^(١)
عِتَقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ^(٢)
ذَوَابِلُ وَقَعُهُنَّ الْأَرْضُ تَحْلِيلُ^(٣)
لَمْ يَقْهِنَّ رُؤُوسَ الْأَكْمِ تَنْعِيلُ^(٤)
كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالنَّارِ مَمْلُوءُ^(٥)
وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(٦)

وقال القطامي (عمير بن شَيْم):

إِنَّا مُحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ
ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ خَمْسَةِ آيَاتٍ :

وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقْرِيهِ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ
أَمَسَتْ عَلَيْهِ يَرْتَاحُ الْفُؤَادُ لَهَا
بِكَلِّ مُخْتَرَقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ
يُنْضَبِي الْهَجَانُ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهَا
عَيْنٌ وَلَا حَالَةٌ إِلَّا سَتَّيْلُ
مَا يَشْتَهِي وَلَأَمَّ الْمُخْطِئُ الْهَبْلُ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ
وَاللَّرَوَاسِمِ فِيمَا دُونَهَا عَمَلُ
يُمْسِي وَرَاكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجَلُّ
عُرْضِيَّةٌ وَهَبَابٌ حِينَ يَرْتَجِلُ^(٨)

(١) يريد بالغارز: ضرعها. لم تخونه: لم تنقصه، الأحاليل: مجاري اللبن.

(٢) قنواء: في أنفها حذب. حدتاها: أذناها. العتق: الكرم.

(٣) تحذي: تسير مسرعة. اليسرات: القوائم الخفاف. لاحقة: ضامرة.

(٤) العجايات: عصب باطن اليدين، واحدها عجاية. زيم: متفرقة.

(٥) الحرباء: حيوان يستقبل الشمس ويدور معها. المصطخم: القائم. المملول، من الملة، وهي بقية النار في الرماد.

(٦) ديوان كعب بن زهير / ٩ - ١٥، القور: الجبال. العساquil جمع عسقل: السراب. كذا ورد البيت في الديوان، وينبغي تقديمه على الذي قبله.

(٧) الطيل: والطول: الرسن الطويل، وطال طيلك وطولك، أي مكثك وعمرك.

(٨) الهجان: الكريم من الإبل. ناقة عرضية: فيها صعوبة. الهباب: النشاط.

حَتَّى تَرَى الْحُرَّةَ الْوَجْنَاءَ لَاغِبَةً وَالْأَرْحَبِيَّ الَّذِي فِي خَطْوِهِ خَطْلٌ^(١)
خُوصاً تُدِيرُ عُيُوناً مَاؤَهَا سَرِبٌ عَلَى الْخُدُودِ إِذَا مَا أَغْرُزَاقَ الْمُقَلِّ^(٢)
لَوَاغِبِ الطَّرْفِ مَنْقُوباً مُحَاجِرَهَا كَأَنَّهَا قُلُبٌ عَادِيَةٌ مُكَلٌّ^(٣)
يَرْمِي الْفِجَاجَ بِهَا الرِّكْبَانُ مُعْتَرِضاً أَعْنَاقَ بُزْلِهَا مُرْخِي لَهَا الْجُدْلُ^(٤)
يَمْشِينَ رَهْواً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةً

وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّلُ
فَهُنَّ مُعْتَرِضَاتُ وَالْحَصَى رَوْضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِنةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ
يَتَبَعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسِبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ^(٥)

وقال علي بن الجهم :

وَأَخُو فَلَاةٍ سَهَوٍ وَسَقَتْ لَهُ خُنْفٌ نَوَاحِلُ كَالْقِسِيِّ ذَوَابِلُ^(٦)
أَوْ كَالْإِرَانِ تَضَاءَلَتْ أَنْقَاضُهُ وَكَذَاكَ ظَاهِرُ آلِهَا مُتَضَائِلُ
أَوْ كَالْقِدَاحِ أَجَالُهَا ذُومِيْعَةٌ جَذْلَانُ مِنْ نُجْبَاءِ قَارَةِ نَابِلُ^(٧)
أَفْنَى ثَمَائِلُهَا الْوَجِيفُ وَسَائِقُ غَرْدٌ يُمَاطِلُهَا النَّدَى وَتُمَاطِلُ

(١) اللاغبة: الكليلة المعيبة. الأرحبي: منسوب الى أرحب، حي من همدان.

(٢) الخوص (محركة): ضيق العين وغثورها ، وقيل: أن تكون إحدى العينين أصغر من الأخرى.

(٣) منقوب محاجرهما: غائرة العينين. القلب (بضم تين): الآبار، واحدها قليب. المكول: البشريقل ماؤها فيستجم حتى يجتمع في أسفلها جمعها مكول.

(٤) ديوان القطامي / ٢٣: وجمهرة اشعار العرب / ٢٨٨.

(٥) أخو الفلاة: البعير. السهوق: الطويل الساقين. وسقت له: عرضت له. الخنف (بضم تين) جمع الخنوف: الناقة التي تميل رأسها إلى ركبها في عدوها.

(٦) الإران (بالكسر) : تابوت خشب.

(٧) الميعة: أول الشباب . قارة: قبيلة اشتهر أفرادها بالرمي ، وبهم ضرب المثل (وقد أنصف القارة من رامها).

يَقْصُ الْإِكَامَ بِهَا مَشِيقُ عَيْطُلٍ مَتَّخِذُ الْخَدَيْنِ أَقْلَحُ بِاسِلُ^(١)
يَتْلُو شَوَارِدَهَا عَلَى عِلَاتِهِ مَرِحاً كَمَا يَتْلُو السَّنَانُ الْعَامِلُ
فَإِذَا اسْتَرَابَ بِرَبْوَةٍ أَوْ رَهْوَةٍ فَلَهُنَّ عَنْهُ تَجَانُفٌ وَتَزَايِلُ^(٢)
وَلَهُ عَلَى أَثْبَاجِهِنَّ مِيَاسِمٌ شُخْبٌ كَأَفْوَاهِ الضُّبَابِ سَوَائِلُ^(٣)

وقال ابن المعتز:

وَلَرُبَّ مُهْلَكَةٍ يَحَارِبُهَا الْقَطَا مَسْجُورَةٌ بِالشَّمْسِ خَرْقٍ مَجْهَلِ
خَلَفْتُهَا بِشِمْلَةٍ تَطَأُ الْوَجَا مُرْتَاعَةَ الْحَرَكَاتِ جَلَسٍ عَيْطُلِ^(٤)
تَرْنُو بِنَازِرَةٍ كَأَنَّ حِجَاجَهَا وَقَبْ أَنَا بِشَاهِقٍ لَمْ يُحْلَلِ^(٥)
وَكَأَنَّ مَسْقِطَهَا إِذَا مَا عَرَّسَتْ آثَارُ مَسْقِطٍ سَاجِدٍ مُتَبَتِّلِ
وَكَأَنَّ آثَارَ النُّسُوعِ بِدَفِّهَا مَسْرَى الْأَسَاوِدِ فِي هَيَامٍ أَهْيَلِ^(٦)
وَيَشُدُّ حَاذِيهَا بِحَبْلِ كَامِلٍ كَعَسِيبِ نَخْلٍ خُوصُهُ لَمْ يَنْجَلِ
وَكَأَنَّهَا عَدَوًّا قِطَاةً صَبَّحَتْ زُرْقَ الْمِيَاهِ وَهْمُهَا فِي الْمَنْزِلِ
مَلَأَتْ دَلَاةً تَسْتَقِيلُ بِحَمْلِهَا قُدَّامَ كُلِّهَا كَصُغْرَى الْحَنْظَلِ^(٧)

(١) يقصُّ الأكام: يمشي عليها مسرعاً بين العنق والجنب، وقيل: القص: شدة الوطء في المشي كأنه يقص ما تحته، أي يكسره. المشيق: السريع في المشي، وكل سرعة: مشق، ومنه المشق في الكتابة. عيطل: طويل؛ أقْلَح: مُجَرَّب.

(٢) الرهو (هنا): المكان المنخفض يجتمع فيه الماء.

(٣) عن الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٧١/١، ولا وجود لهذه القطعة في ديوان الشاعر. الضباب، من صب لثاء الرجل: إذا انتهى الحموضة فتحلب فوه. فهو صب وهم ضباب.

(٤) الشملة: الشريعة. الرجا: الحفا. المجلس: الناقة الوثيقة الجسيمة. عيطل: طويلة العنق في حسن.

(٥) الحجاج: عظم ينبت عليه الحاجب. الوقب، كالقلت: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

(٦) النسوع جمع التسع: سير عريض تشد به الرحال. الدف: الجنب. الأساود جمع الأسود: الحية العظيمة. الهيام (بالفتح): ما لا يتماسك من الرمل فهو ينهار أبداً.

(٧) الدلاة (بالفتح): الدلو الصغير. الكلكل: الصدر.

وَعَدَتْ كَجَلْمُودِ الْقَذَافِ يَقْلُهَا
حَمَلْتُهَا ثِقْلَ الْهُمُومِ فَقَطَّعَتْ
عَنْ عَزَمِ قَلْبٍ لَمْ أَصِلْهُ بِغَيْرِهِ
حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَتْ عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ

وَإِ كَمِثْلِ الطَّلِيسَانِ الْمُحْمَلِ (١)
أَسْبَابِيهِنَّ بِنَا تَحْبُ وَتَعْتَلِي
عَضْبِ الْمَضَارِبِ صَائِبٍ لِلْمَفْصِلِ
سَقَطُوا إِلَى أَيْدِي قَلَائِصٍ نُحْلِ (٢)

وقال علقمة الفحل:

مِنْ ذِكْرِ سَلَمَى وَمَا ذِكْرِي الْأَوَانَ بِهَا
صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مِلءِ الدَّرْعِ خَرَعَبَةٌ
هَلْ تُلْحِقْنِي بِأَخْرَى الْحَيِّ إِذْ شَحَطُوا
كَأَنَّ غَسْلَةَ خَطْمِي بِمَشْفَرِهَا
بِمِثْلِهَا تُقَطِّعُ الْمَوْمَاةَ عَنْ عُرْضِ
تُلَاحِظُ السُّوْطَ شَذْرًا وَهِيَ ضَافِرَةٌ
كَأَنَّهَا خَاضِبٌ زُعْرٌ قَوَادِمُهُ

إِلَّا السَّفَاهُ وَظَنُّ الْغَيْبِ تَرْجِيمُ
كَأَنَّهَا رَشَاءٌ فِي الْبَيْتِ مَلْزُومُ
جُلْدِيَّةٌ كَأَتَانِ الضَّحْلِ عُلُكُومُ (٣)
فِي الْخَدِّ مِنْهَا وَفِي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيمُ (٤)
إِذَا تَبَغَّمَ فِي ظَلْمَائِهِ الْبُومُ
كَمَا تَوَجَّسَ طَاوِي الْكَشِيحِ مَوْشُومُ (٥)
أَجْنَى لَهُ بِاللَّوَى شَرِيٌّ وَتَنُومُ (٦)

وقال أبو تمام الطائي:

لَعَلَّكَ ذَاكِرَ الطَّلَلِ الْقَدِيمِ
وَمُوفٍ بِالْعُهُودِ عَلَى الرُّسُومِ

-
- (١) القذاف (بالضم) جمع قذفة: ما أشرف من رؤوس الجبال.
(٢) ديوان ابن المعتز ١٦٢/١ - ١٦٤، .
(٣) الجلديَّة: الناقة القوية. أتان الضحل: بعضها ظاهر وبعضها غامر. شبه الناقة بها لأنها إذا بقيت في الماء املست وصلبت. العلكوم: الناقة الغليظة.
(٤) الغسلة: ما غسل به الرأس. الخطمي: نبات يغسل به. التلغيم: من اللغام، وهو زيد أفواه الإبل.
(٥) الضامزة: التي لا ترغو من ضجر. الموشوم: الذي في قوائمه نقط سود، ويريد به الثور الوحشي.
(٦) الخاضب: الظليم - وهو ذكر النعام - قد احمرَّ جلده وساقاه. زعر الريش: قلَّ وتفرَّق. القوادم: ريشات في مقدم الجناح. أجنى النبات: آن أو أن جنه: الشري: شجر الحنظل والظليم يأكله. الثوم: شجر ورقه يشبه ورق الأس. الأبيات من قصيدة في المفضليات ٣٩٨/ و ٣٩٩.

وواصفَ ناقةٍ تذرُ المَهَارَى وقد أَمَمْتُ بَيْتَ اللَّهِ نُضُوءاً
أَتَيْتُ القَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَرْنُو فما بَلَغْتُ بنا عُسْفَانَ حَتَّى
وَبَدَّلَهَا السُّرَى بِالْجَهْلِ جُلْماً أَذَابَ سِنَامَهَا قَطْعُ الْفِيَا فِي
طَوَاهَا طَيْهَا المَوْمَاءَ وَخِداً رَمَتْ خُطُواتِهَا بِنِي خَطَايا
بِكُلِّ بَعِيدَةٍ الأَرْجَاءِ رَتِيهِ أَقُولُ لَهَا وَقَدْ أَوْحَتْ بِعَيْنِ
بُكُورِكَ أَشْعُرُ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً فَمَالِكَ تَشْتَكِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي
مَتَى أَظْمَتِكَ هَاجِرَةٌ فَثِيْمِي وَإِنْ غَشِيَتْكَ ظُلُمَاءٌ تَجَلَّى
فَمَرْتُ مِثْلَما يَمْشِي شَهِيدٌ وقال إبراهيم بن العباس الصولي:

ظَلْتُ تُشَوِّقُنِي بِرَجْعِ جَنِينِهَا وَأَزِيدُهَا شَوْقاً بِرَجْعِ حَنِينِي
نُضُوءِينَ مُغْتَرِّبَيْنِ بَيْنَ مَهَامَةٍ طَوِيَا الضُّلُوعَ عَلَى هَوًى مَكْنُونِ
لَوْ سُوِّلْتُ عَنِّي القُلُوصُ لِأَخْبَرْتُ عَنْ مُسْتَقَرِّ صَبَابَةِ المَحْزُونِ^(٤)

(١) العيرانة : الناقة الصلبة تشبها بغير الوحش . الحرف : الضامرة . السعوم : التي تسير السعوم ، وهو ضرب من سير الابل .

(٢) العصيم : العرق ، ووسخ ، وبول يبس على فخذ الابل .

(٣) الديوان ٥٣٣/٤ و ٥٣٤ .

(٤) الحماسة البصرية ١٥٢/٢ ، ووردت الأبيات في الزهرة ٢٥٤/١ و الأنوار ومحاسن الأشعار بدون عزو .

الأسد

أسماءه وصفاته (١)

أسامة: علم جنس على الأسد، لا ينصرف
أسد: والجمع آساد، وأسود، وأُسد.
بَيْهَس: مأخوذ من البهس وهو الجرأة.
حبيل براح: أي كأنه قد شدَّ بالحبال فلا يبرح، وبه سميَّ الرجل الشجاع.
حَلْبَس، وحُلَابَس، وحُلْبَس، وحُلْبِيس، وبه سميَّ الشجاع والملازم
للشيء.
حَيْدَرَة: في لسان العرب عن ابن الاعرابي (الحيدرة في الأسد مثل الملك
في الناس) وبه سمي الامام علي (ع) وقال راجزاً في وقعة خيبر (أنا الذي
سمتني أمي حيدرة).
الخَادِر: المقيم في خدره، وخدره: أجمته.

(١) - ديوان جرير / ٥٤٩ . نقائض جرير والفرزدق / ١١٩ . بعض معاجم اللغة . المخصص ٢ / ٨ / ٥٨ -
٦٤ . حياة الحيوان للدميري ٢ / ١ .

الْخَبَعْتَنَة، وَالْخَبَعْتَن: العظيم الشديد. يقال: اخْبَعْتَن الرجل: مشى مشية الأسد.

خُنَابِس، وَخُبُوس، وَخَابِس، وَخَبَّاس، وَخَوَابِس. مأخوذ من خَبَس الشيء وتَخَبَّسَه، واختَبَسَه: أخذه وغنمه. وقيل الخُنَابِس: الكريه المنظر الدُّرْبَاس: الغليظ العظيم.

الدُّرَّوَّاس: الضَّخْم الرأس.

الدِّلْهَمَس: لجرأته ومضائه

الدَّوَّاس: وبه سمِّي الماهر، والشجاع.

الدَّوْسَك: كجواهر: الأسد.

الدَّوْكس: كجواهر: أيضاً.

الرَّثْبَال: والرَّيْبَال (يهمز ولا يهمز)، وقال السَّكْرِي (الرثبال من الأسد كالقارح من الخيل). جمع الرثبال: رآبل ورآبيل، وجمع الريبال: ريابل وريابيل.

زُفْر: والزُّفْر: الجمل، وبه سمِّي الرجل الشجاع: زُفْر، والرجل الكريم: زُفْر.

سَاعِدَة: عَلم لا ينصرف، وبه سُمِّي ساعدة الأيادي، أبوقيس الذي يضرب به المثل بالفصاحة

السَّبْع: والجمع سِبَاع: وأسْبَع، والأنثى سبعة

الشَّابِك: وهو الذي اختلفت أنيابه واشتبكة.

الشَّيْظَم، والشَّيْظَمِي.

الصِّمَّة، والصِّم، الجمع صمم (بالكسر): ورجل صِمَّة: شجاع، وبه

سمِّي الصِّمَّة أبو دريد الشاعر. قال جرير:

سعرنا عليك الحرب تغلي قدورها

فهلَّا غداة الصِّمَّتَيْن تديمها

أراد بالصِّمْتَيْن: أبا دريد وعمه.
الضُّبَاث: مأخوذ من قولهم: ضبث على الشيء ضبثاً: قبض عليه.
ويقال لمخالبه: المضابث.
الضُّبَارِم: الشديد الخلق.
الضُّبَيْثَم: والضُّبَاثَم، كالضُّبَاث.
ضُرَاك: وهو الغليظ الشديد عصب الخلق.
ضِرْغَام، وضِرْغَم، وضِرْغَامَة، والجمع ضِرَاغَم وضِرَاغَمَة.
الضَّمَاضِم، والضَّمْضَم.
الضُّيْثَم: كحيدر.
الضُّيْغَم: وهو الشديد الضغَم، والضغَم: العضُّ، وقيل: الواسع الشدقين
الطُّيْثَار، ومنه رجل طيْثَارَة: لا يبالي على من أقدم.
العَثْمُثَم: وهو العظيم الشديد.
العِرْبَاض: وهو الثقيل العظيم، وفي اللسان: رجب الكلكل.
العِفْرَاس، والعَفْرَئَس: الشديد العنق الغليظة.
العَفْرَئِي: الغليظ العنق، ومنه اشتقاق العفرانة من النوق.
العَبْس: من العبوس، وعنبسة وبه سمي الرجل.
عَوْف: مأخوذ من عَوْف الأسد: التمس العريسة بالليل، وبه سمي الرجل.
والعوف، والعوافة: ما ظفرت به ليلاً.
غَضْنَفَر: الغليظ الجثة، والنون زائدة.
الْفَرَايَرَة: لأنه يفر فر فريسته، أي يكسرها.
الْفُرَايَصَة: والفُرَايَصَة: الشديد الغليظ
الْفِرْناس، والفرانس، قال سيبويه: هو ثلاثي
القُسُور، والقُسُورَة. قال السيرافي: هو مشتق من القسر وهو القهر
القَشْعَم، ويطلق على غيره من سباع الطير.

قُصَاقِص، وَقُصْقَاص: الغليظ، وقيل القصير.
القِصْمِل: الشديد، والمخدَّر وهو الذي اتخذ الأجمة خدرًا له.
القُضَاقِض، والقُضْقَاض، أي يحطّم كل شيء.
الكَهْمَس: وهو الكريه المنظر.
الليث: والجمع ليوث، والانثى ليثة.
المِهْزَع: والهزّاع، لأنّه يكثر كسر الفرائس.
الهَرَّاس: لأنّه يهرس كل شيء، والهَرَس، والأهرَس: الشديد اليراس.
الهَرْمَاس: وهو الشّدِيد.
الهَزْبَر: والهزْبَر، والجمع هزابر، والأنثى هزْبَرَة.
الهَصْمَصَم: لشدّته وصولته
الهَصُور: مأخوذ من هصر الشيء: كسره، وثناه، وجذبه، وغمزه.
الهَمَّاس، والهَمْؤَس: الخفيّ الوطىء، والشديد الغمز بالضررس.
الهَمَام: لانه إذا همّ فعل.
الهَوَّاس: وهو الطوّاف بالليل مع جراءة في الطلب.
الهَيْصَم: لانه يكسر كل شيء، والهصم: الكسر.
الوَرْدُ، أي الجريء.

هذه بعض أسماء الأسد وصفاته، ومنها ما توصف بها حيوانات أخرى كالابل والخيّل وغيرهما. وفي حياة الحيوان للدميري (قال ابن خالويه: للأسد خمسمائة اسم وصفة، وزاد عليه عليّ بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثين اسماً). وفي تاج العروس للزبيدي (قال شيخنا: ورأيت من قال: للأسد ألف اسم).

واسم أنثى الأسد: أسدة ولبوة، ويقال لولده: جرو (بالكسر ويفتح) وجمعه أجراء، وشبل وجمعه أشبال وأشبُل وشُبُول، وشِبَال، وشَيْع، وحَفَص، وفُرْهُد.

ويكنى أبا الحارث، وأبا الأشبال، وأبا الأبطال، وأبا حفص، وأبا الزعفران، وأبا العباس، وأبا فراس.

وصوته الزئير، والنهيم فوق الزئير، والهمهمة، يقال أسد همهم، أي يأزر (ويزئر) ويهمهم. والزَمْجَرَة: صوت يردده في صدره، والقبقبة وهي قعقة أنيابه.

بعض طبائع الأسد (١)

حريص واسع الشحو^(٢)، يبلع البضعة التي لورآها الإنسان لم يظن أن حلقه يتسع لمرور ذلك، ويقال إن عنقه عظم واحد، واللِّقْم لا تجول فيه، وهو في ذلك قليل الريق، فلا يسلس في حلقه ما يمر فيه، بل يبتلع لفرط نهمة، وشحولحييه ضعفي ذلك المقدار. وزعم ناس: أن الذي يدل على أن عنق الأسد عظم واحد: ضعفه عن تصريف عنقه فلا يلتفت إلا معاً، ولذلك سمي الأُصيد.

وقال أسامة بن منقذ: الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان، وقال إنه شاهد أسداً لأحد السباعين يهرب من خروف، والخروف يركض خلفه وينطحه. والناس يضحكون منه، فأمر الأمير معين الدين بذبحه، فذبحوه وسلخوا جلده وجاؤا به، وأعتق الخروف من الذبح. وأنه رأى كلباً يخلص صاحبه من الأسد. ثم قال: وأن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبله ما لم يُجرح، فإذا جرح فهو الأسد الذي يخاف منه، وإذا خرج من غاب أو أجمه وأغار على الخيل فلا بد له من الرجوع إلى الأجمة التي خرج منها ولو أن النيران في طريقه.

(١) - الحيوان للجاحظ ٢/٢١٣، وكتاب الاعتبار لأسامة ١٠٦/ - ١٠٩.

(٢) الشحو: الجوف.

ذكره في القرآن الكريم

ورد ذكر الأسد في القرآن مرة واحدة، في الآية ٥١ / من سورة المدثر ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾. وذكر مرة أخرى مع بقية السباع ﴿وَمَا أَكَلِ السَّبْعِ﴾، / سورة المائدة ٣ /

ذكره في الحديث النبوي ^(١)

ومما ورد في الحديث الشريف، قول النبي عليه الصلاة والسلام (فرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد)، وقوله في حديث أمّ زرع: (وقالت - المرأة - الخامسة: زوجي إنّ دخل فهدّ، وإنّ خرج أسيد).

مما ورد عنه في الأمثال السائرة ^(٢) .

- * كمتغي الصيد في عريسة الأسد *
- * ولا قرار على زار من الأسد *
- * النهر يشرب منه الكلب والأسد *
- * الجوع يرضي الأسود بالجيف *
- * والليث ليس يسيغ إلا ما افترس *
- * من يتبع الأسد لم يعد لحمًا *
- * ما استبقاك من عرّضك للأسد *
- * فلان يسلب القطعة من شوق الأسد *

(١) - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ١٢٢/٢، و١٣٥.

(٢) - التمثيل والمحاضرة/٣٤٩، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب /٣٨١ - ٣٨٤، وجمهرة الأمثال ١/١٦٧ و ٣٢٩ و ٤٠٨ و ٥٣٨ و ٥٦٢ و ٥٦٨ و ٢/٢٢٧.

- *ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا *
- * ومن يحاول شيئاً من فم الأسد؟ *
- * أجراً من قسورة *
- * أجراً من ليث بخفان *
- * أجراً من ذي لبدة *
- * أجراً من أسامة *
- * أحمى من أنف الأسد *
- * أشجع من ليث عريسة *
- * أشجع من ليث عفرين *
- * أشدّ أقداماً من الأسد *
- * أشره من الأسد *
- * أصيد من ليث عفرين *
- * أمنع من أنف الأسد *
- * خاصي الأسد *
- * راكب الأسد *
- * ليث عريسة *
- * ليث غاب *
- * ليث عفرين *
- * نكهة الأسد *

الأسد والصقر معروفان بالبحر، قال شاعر يهجو أحد الولاة في فارس والأهواز:

قد ولي فارس والأهـ واز داود بن بشر
وله لحيـة تيسٍ وله منقار نسر
وله نكهة ليثٍ خالطت نكهة صقر

بعض ما قيل في وصفه نثراً (١)

أنشد أبو زيد الطائي قصيدة في مجلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وصف فيها الأسد، فقال عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت. والله اني لأحسبك جباناً هِدانا. قال: كلاً يا أمير المؤمنين، ولكنني رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد ويتردّد في قلبي، ومعدور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم، فقال له عثمان، وأنى كان ذلك؟ قال:

خرجت في صُيَّابة أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة
ترتمي بنا المهاري بأكسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام
فاخروّط بنا السير في حَمارة القيظ. حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت
المياه وأذكت الجوزاء المَعزاء، وذاب الصَّيهد، وصرَّ الجُنْدَب، وضاف العصفورُ
الضَبَّ وجاوره في جحره، قال قائل: أيُّها الركب غوروا بنا في ضوج هذا الوادي،
وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدَّغل دائم الغلل، شجراؤه مُغَنَّة، وأطيّاره مُرِنَّة. فحططنا
رحالنا بأصول دوحاتٍ كنهيلات، فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد.

فأنا لَنَصِف حَرَّ يومنا ومماطلته إذ صرَّ أقصى الخيل أذنيه * وفحص الأرض
بيديه. فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً
فواحداً، فتضعضت الخيل، وتكعكعت الابل، وتقهقرت البغال، فمن نافر
بشكّالِه (٢)، وناهض بعقاله، فعلمنا أن قد أتينا وأنه السَّبْع، ففزع كلُّ رجل منا إلى
سيفه فاستلّه من جُرْبَانِه (٣)، ثم وقفنا له رزداً (أي صفاً) وأقبل أبو الحارث من
أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنوب، أو في هجارٍ معصوب. لصدّره نحيط.

(١) - الأغاني لأبي الفرج ١١٨/١٢، ونهاية الارب ٢٣٥/٩.

(٢) - الشكّال: حبل تشدّ به قوائم الدابة.

(٣) - جُدْبَان السيف: غمده.

ولبلاعمه غطيط، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض^(١)، كأنما يخبط هشيماً، أويطاً صريماً، وإذا هامة كالمجنّ، وخدّ كالمسنّ، وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان، وقصرة ريلة^(٢)، ولهزمة رهلة^(٣)، وكتد مغبط^(٤)، وزور^(٥) مفرط، وساعد مجدول وعضد مفتول، وكفّ شثنة البرائن^(٦)، إلى مخالب كالمحاجن، فضرب بيده فأرهج، وكشّر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطى فأسرع بيديه، وحفز وركيه برجليه، حتى صار ظلّه مثليه، ثم أقعى^(٧) فاقشعرّ ثم مثل فاكفهر، ثم تجهّم فازبأ^(٨). فلا وذو^(٩) بيته في السماء ما اتقىناه إلا بأول أخ لنا من فزارة كان ضخم الجزارة، فوقصه ثم نفضه نفضة فقضة ففضض متنيه فجعل يلغ في دمه.

فدمرت أصحابي^(١٠)، فبعد لأي ما استقدموا. فهجهجنا به، فكرّ مقشعراً بزبرته^(١١)، كأن به شيهماً حولياً^(١٢)، فاختلج رجلاً أعجر ذاحوايا^(١٣) فنفضه نفضة تزايلت منها مفاصله، ثم نهم ففرفر، ثم زفر فبربر^(١٤) ثم زأر فجرجر، ثم

-
- (١) - نقيض الأرساغ: صوتها.
(٢) - القصرة: أصل العنق إذا غلظت، والريلة: كل لحمه غليظة.
(٣) - اللهزمة: عظم ناتئ، أو مضغة عليّة تحت الأذن. رهلة: متنفخة.
(٤) الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر. مغبط: مرتفع.
(٥) - الزور: الصدر.
(٦) - البرائن من السباع بمنزلة الأصابع من الانسان. الشثن: الخشن.
(٧) - أقعى: جلس على استه.
(٨) - ازبأ: تنفّس حتى ظهرت أصول وبر شعره.
(٩) - ذو- هنا: بمعنى الذي في لغة طيء.
(١٠) - ذمر أصحابه: لامهم وحثهم.
(١١) - اللبرة: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد.
(١٢) الشيهم: ما عظم شوكة من ذكور القناذ. الحولي: ما أتى عليه الحول.
(١٣) - اختلج رجلاً: انتزعه. أعجر: ممتلى جداً. الحوايا: الأمعاء.
(١٤) - نهم: أخرج صوتاً كالأنين. فرفر: صاح، وبربر مثلها وزناً ومعنى.

لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه، فأرعشت الأيدي، واصطككت الأرجل، وأطت^(١) الأضلاع، وارتجت الأسماع، وشخصت العيون، وتحققت الظنون، وانخزلت المتون. فقال له عثمان رضي الله عنه: اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين. ووصفه بعض الأعراب فقال:

له عينان حمراوان مثل وهج الشرر، كأنما نقرتا بالمناكير في عرض حجر، لونه وُرد، وزثيره رعد. هامته عظيمة، وجبهته شتيمة^(٢)، نأبه شديد، وشره عتيد. إذا استقبلته قلت: أفرع، وإذا استدبرته قلت أفرع^(٣) لا يهاب إذا الليل عسّس، ولا يجبن إذا الصبح تنفّس. بعض ما ورد عنه في القصص^(٤)

١ - إباء وشمم:

عمي أسد من عوامّ الأسد فأضّر ذلك به، فقليل له: لو جئت ملك الأسد فسألته أن يصلك لكان ذلك رأياً لك. فذهّب إليه وسرد قصّته عليه، فقال لخازنه يُجرى له في كلّ يوم عضواً مؤزباً. فقال الأسد الذي التمس الجِراية: أصلح الله الملك، أني كنت اصطاد الوعل، أو البقرة الأهلية فلا أكاد أدرك بها الشبع فأين مني هذا العضويق؟ فقال الملك: من اتكل على كسب غيره وجب أن يقتنع بقليل خيره. قال الأسد: صدق الملك، ولا حاجة لي بهذا العضو.

(١) - أطت الأضلاع: صوتت.

(٢) - الشتيمة: الكريه المنظر.

(٣) - الأفرع: الكثير الشعر.

(٤) - الصاهل والشاحج / ٤٩، وجمهرة الأمثال للعسكري ٧٠/١، والشريشي ٢٥/١ (شرح مقامات الحريري)

قال الملك: فماذا تصنع؟
قال: أجتزىء بنبت السحاب، ولا أفتقر إلى الملك والأصحاب.

٢- فرّق تسد:

قيل إن ثورين أسود وأبيض كانا في بعض المروج، فكان الأسد إذا قصدهما تعاوناً عليه فردّاه، فخلا يوماً بالأبيض وقال له: إن خلّيتني فأكلت الأسود خلالك مرعاك، وأعطيك عهداً ألا أطور بك^(١)، فخلّاه والأسود فأكله، ثم عطف عليه فافترسه، فقال: انما أُكِلْتُ يوم أكل الثور الأسود^(٢).

٣- منطق القويّ

خرج أسد وذئب وثعلب يتصيّدون فاصطادوا حمار وحش، وغزلاً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: إقسم بيننا هذا الصيد، فقال: الحمار للملك، والغزال لي، والأرنب للثعلب. فرفع الأسد يده فضربه ضربة فإذا هو مجذّل بين يديه ثم قال للثعلب: اقسمها، فقال: الحمار يتغذى به الملك، والغزال يتعشى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب.

بعض ما ورد في الشعر عن الأسد

قال ابن الأثير محمد بن عبد الله القضاعي^(٣): حضرت ملعباً للأسود في تونس سنة (٦٣٦) هـ يدحرج اللاعب إليها كرة متصلة من خشب محكمة الصنعة تحجبه من بأسها وهي رابضة، ويده حدائد طوال في نهاية الإرهاف معدّة لها،

(١) - لا أطور بك: لا أحوم حولك ولا أدنو منك

(٢) - رواية المثل في كتاب الميداني ٢٥/١ تختلف عن هذه بعض الاختلاف.

(٣) الحلة السيرة ٢٦٢/٢.

فإذا أحسَّت به وثبت على الكرة فألقم أفواهها تلك الحدائد، ودحرج الكرة فتباعدت عنه تمجُّ الدم، وأحياناً يجهز بها عليها إذا لم يأمن عاديتهما، وقد حفر بمجالها الرحب لآخرين مهاوٍ تسع جثثهم ولها أبواب صغيرة يطبقونها عليهم، فإذا ربضت على بُعدٍ صيح بأحدهم، ففتح باب تلك الهوة وهجهج بها، وربما ألمع لها بما يكون في يده. فما هو إلا أن تراه فيكاد وثوبها إليه يعجله عن إطباق الباب عليه، ثم تنصرف عنه يائسة منه، وقد اشتد حنقها وعظم زئيرها، فيعاين من ذلك آتق منظر وأبدع مرأى، ولي في ذلك من كلمة قلتها :

تَحْنُ إِلَى مَلْعَبٍ لِلظُّبَاءِ	بَكُثْبَانٍ رَامَةً أَوْ غُرْبٍ ^(١)
فَهَلَّا إِلَى مَلْعَبٍ لِلْأَسْوَدِ	سَعِدَتْ بِمَنْظَرِهِ الْمُعْجَبِ
يُقَامُ الْجِهَادُ بِهِ وَالْجِلَادُ	لِكُلِّ فَتًى مِدْرٍ مَحْرَبِ
وَيُضْرَى عَلَى الْفَتَكِ بِالضَّارِيَاتِ	فَإِنْ غَالَبَ الْقِرْنَ لَمْ يُغْلَبِ
ضَوَارٍ ضَوَارِبُ أَظْفَارِهَا	تُعِيرُ الظُّبَى رِقَّةَ الْمَضْرَبِ
فَمِنْ أَسَدٍ شَرِسٍ مُحْنَقِ	وَمِنْ نَمِرٍ حَرِدٍ مُغْضَبِ
أَثِيرَتْ حَفَائِظُهَا فَانْبَرَتْ	تُسَابِقُ فِي شَأُوهَا الْأَرْحَبِ
تُصِمُ الْمَسَامِعَ مِنْ زَارِهَا	عَوَادِي كَالضُّمَرِ الشُّرْبِ
وَتَنْبُو الْعُيُونُ لِأَقْدَامِهَا	مُذَرَّبَةَ النَّابِ وَالْمِخْلَبِ
كَوَأَشِرُ عَنْ مُرْهَفَاتِ جِدَادِ	مَتَى تَصْدَعُ الْهَامَ لَا تَنْشَبِ
نُيُوبٌ نَبْتَنَ مِنَ النَّائِبَاتِ	وَأَزْرَيْنَ بِالصَّارِمِ الْمُقْضَبِ
تَنْوُءُ ثِقَالًا وَلَكِنَّهَا	أَحْفُ وَثُوبًا مِنَ الْجُنْدُبِ
وَمُقْتَحِمٍ غَمَرَاتِ الرَّدَى	إِذَا مَا ادَّعَى الْبَاسَ لَمْ يَكْذِبِ
يُلَاعِبُهَا حَيْثُ جَدَّ الْجِمَا	مُ فَتَفَزَّعُ مِنْهُ إِلَى مَهْرَبِ
يَكُرُّ عَلَيْهَا وَلَا جَنَّةُ	سِوَى كُرَّةٍ سَهْلَةٍ الْمَجْدَبِ

(١) غُرْب: جبل دون الشام في ديار كلب .

يُدْحَرْجُهَا مَاشِيًا ثِنِيهَا
عَجِبْتُ لَهَا أَحْجَمْتُ رَهْبَةً
وَقَتُّهُ الْأَوَاقِي عَلَى أَنَّهُ
وَنَاوٍ بِمَطْبَقَةٍ فَوْقَهُ
يُهَجِّجُ بِاللَّيْثِ كَيْمَا يَهِيْجُ
كَذَلِكَ حَتَّى هَوَتْ نَحْوَهَا
وَعَاجَتْ عَلَيْهَا قَوَاسِي الْقِسِيِّ
وَشَالَتْ هُنَاكَ بِأَذْنَابِهَا
فِيَا لِقَسَاوِرَ قَدْ صِيَّرَتْ

عَلَى حَذَرٍ مِشِيَةً الْأَنْكَبِ
وَأَقْدَمَ بِأَسَاءَ وَلَمْ يَرْهَبِ
تَسْنَمُهَا صَعْبَةَ الْمَرْكَبِ
مَتَى تَطْفُتْ هَامَتُهُ تَرْسُبِ
وَيَأْوِي إِلَى الْكَهْفِ كَالشَّعْلِبِ
عُقَابُ الْمَنِيَّةِ مِنْ مَرْقَبِ
فَعَبَّتْ مِنَ الْحَيْنِ فِي مَشْرَبِ
لِيَاذًا مِنَ الْعَقْرِ كَالْعَقْرَبِ
فَرَأَيْتُ لِلْأَسْهُمِ الصُّيْبِ

وقال جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي^(١) :

يَا جُمْلُ إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ كَرِيهَتِي
وَتَقَدَّمِي لَلَّيْثٍ أَرْسَفُ مُوثِقًا
جَهْمٌ كَأَنَّ جَبِيْنَهُ طَبَقُ الرَّحَى
شُنُّ بَرَانْتُهُ كَأَنَّ نُيُوبَهُ
وَكَأَنَّمَا خِيَطَتْ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ
يَسْمُو بِنَاطِرَتَيْنِ تَحْسَبُ فِيهِمَا
وَلَهُ إِذَا وَطِئَ الْمِهَادَ تَنْقُضُ
أَقْبَلْتُ أَرْسَفُ فِي الْحَدِيدِ مَكْبَلًا
وَالنَّاسُ مِنْهُمْ شَامِتٌ وَعَصَابَةٌ

فِي يَوْمٍ هَوُلٌ مُسْدِفٍ وَعَجَاجٍ
كَيْمَا أَكَابَرُهُ عَلَى الْإِحْرَاجِ
لَمَّا بَدَا مُتَعَجِّرَ الْأَثْبَاجِ
زُرْقُ الْمَعَايِلِ أَوْ شِبَاةُ زِجَاجِ
بَرْقَاءٍ أَوْ خَلَقٌ مِنَ الدِّيَاجِ
لَمَّا أَجَالَهُمَا شُعَاعُ سِرَاجِ
وَلَشْنِي طَفْطَفِهِ نَقِيقُ دَجَاجِ^(٢)
لِلْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَاكَ أَنَا جِي
عَبْرَاتُهُمْ لِي فِي الْحُلُوقِ شَوَاجِي

(١) الحماسة البصرية ٣٣٧/٢ ، وبعض أبيات القصيدة في حياة الحيوان للدميري ٣٢١/٢ ، وفيه اسم الشاعر جحدر بن مالك العكلي .

(٢) التناقض : صوت البناء المنقوض . الطفطة (بالفتح وتكسر) : الخاصرة ، وقيل أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع .

قِرْنَانِ مُخْتَضِرَانِ قَدْ مَحَضَتْهُمَا
لَمَّا نَزَلْتُ بِحِصْنِ أَزْبَرَ مُهْصِرِ
نَارَلْتُهُ إِنَّ النَّزَالَ سَجِيَّتِي
وَعَلِمْتُ أَنِّي لَوْ أَبَيْتُ نِزَالَهُ
فَفَلَقْتُ هَامَتَهُ فَخَرَّ كَأَنَّهُ
ثُمَّ أَنْثَيْتُ فِي قَمِيصِي شَاهِدُ
وَلِبَاسِكَ ابْنِ أَبِي عَقِيلٍ فَوْقَهُ
وَلَيْتَنِي قَذَفْتُ بِِي الْمَنِيَّةَ عَامِداً
عَلَّمَ النِّسَاءَ بِأَنِّي ذُو صَوْلَةٍ
وَقَالَ آخِرُ (٢) :

تَوَقَّ - وَقَاكَ رَبُّ النَّاسِ - لَيْثاً
كَأَنَّ بِمُلْتَقَى اللَّحْيَيْنِ مِنْهُ
وَتَحَسَّبُ لِمَحِ عَيْنَيْهِ هُدُوءاً
حَدِيدَ النَّابِ وَالْأَظْفَارِ وَرْدَا
مُذْرَبَةَ الْأَسِنَّةِ أَوْ أَحَدًا
وَرَجَعَ زَيْبِرُهُ بَرْقاً وَرَعْدًا

(١) الحجاج: ابن يوسف الثقفي والي العراق، وقد روى الدميري في حياة الحيوان ٢ / ٣٢٠ أن الشاعر تغلب على بلاد حجر وما يليها. وبأمر من الحجاج احتال عامل اليمامة على جحدر فقيده وأرسله إلى العراق. ولما مثل أمام والي سأل: ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: جراءة الجنان وكَلْبُ الزمان وجفوة السلطان. قال: وما الذي بلغ من أمرك فيجرأ جنانك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ قال: لوبلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان وأهم الفرسان. أما جراءة جناني فأني لم ألق فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً. فقال له الحجاج: إنا قاذفون بك في جب ليث فإن هو قتلك كفأنا مؤنتك، وإن أنت قتلته خلينا عنك وأحسننا جائزتك. قال: نعم أصلح الله الأمير، قربت المحنة، وأعظمت المنّة وأنت أهل ذلك إذا شئت. فأمر بتقييده وجبسه حتى هيا له أسداً ضارباً. وبعد أن أجمع الأسد ثلاثة أيام أدخل عليه جحدر وهو يرسف في قيوده ويده سيف قاطع، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما. فوثب الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بضربة من سيفه على هامته ففلقها حتى خالط السيف لهاته. وفي ذلك قال جحدر قصيدته هذه.

(٢) نهاية الأرب للنوري ٢٣٧/٩.

تَهَابُ الْأَسَدُ حِينَ تَرَاهُ مِنْهُ إِذَا لَاقَيْنَهُ فِي الْغَابِ فَرْدًا^(١)
تَصُدُّ عَنِ الْفَرَائِسِ حِينَ يَبْدُو وَكَانَتْ قَبْلُ تَأْنَفُ أَنْ تَصُدَّ
وقال أبو زبيد الطائي^(٢) :

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخٌ مُكَابِرٌ جَرِيءٌ عَلَى الْأَقْرَانِ لِلْقِرْنِ قَاهِرٌ^(٣)
مَنِيعٌ وَيَحْمِي كُلَّ وَادٍ يَرُومُهُ شَدِيدٌ أَصُولِ الْمَاضِغِينَ مُكَابِرٌ
بَرَائِنُهُ شُنُّ وَعَيْنَاهُ فِي الدَّجَى كَجَمْرِ الْغَضَى فِي وَجْهِهِ الشَّرُّ ظَاهِرٌ
يُدِلُّ بِأَنْيَابٍ جَدَادٍ كَأَنَّهَا إِذَا قَلَّصَ الْأَشْدَاقُ عَنْهَا خَنَاجِرٌ
وقال أيضاً^(٤) :

فَلَا يَعلِقُنْكُمْ مِهْصَرُ النَّابِ عَنَسٌ عَبُوسٌ لَهُ خَلْقٌ غَلِيظٌ غَضَنْفَرٌ^(٥)
مِنْ بَاعِلَى خَلٍّ رَمَّانٍ مُخْدِرٌ عَفَرْنِي مَذَاكِي الْأَسَدِ مِنْهُ تَحَجَّرُ^(٦)
لَهُ زُبْرٌ كَاللَّبِيدِ طَارَتْ رَعَابِلًا وَكَتَفَانِ كَالشَّرْحَيْنِ عَبْلٌ مُضَبَّرٌ^(٧)
كَأَنَّ غَضُونًا مِنْ لُهَاةٍ وَحَلْقِهِ مَغَارٌ هَيَامٌ عُدْمَلِيٌّ مَنُهَوْرٌ^(٨)
يُعَرِّدُ مِنْهُ ذُو الْحِفَاظِ مُدَجَّجًا وَيَحْبِقُ مِنْهُ الْأَحْمَرِيُّ الْمُدَوَّرُ^(٩)

(١) (تهاب) - هنا - بمعنى تفرع، ولو أراد الشاعر (الهيئة) لقال: (تهابه) ولم يقل (تهاب منه) .

(٢) الديوان/٦٥ ، والأبيات في نهاية الأرب ٢٣٦/٩ منسوبة لبعض الاعراب .

(٣) الْمُصْلَخُ الْمُتَتَبَّعُ قَائِمًا، والمراد أنه متهيء للشر .

(٤) الديوان/٥٨ .

(٥) المِهْصَرُ: الأسد، ويريد (لا يعلقنكم ناب المِهْصَر) فلم يستقم له الوزن فقلب اللفظ، والقلب شائع

في الشعر العربي . انظر (أنوار الربيع ٢٢٧/٦) .

(٦) الْمَبْنِ: المقيم في المكان . الخل: الطريق ينفذ في الرمل . رَمَّان: جبل في بلاد طيء .

(٧) الرَعَابِل: القطع الممزقة من الثوب . الشرخ: - هنا - الحرف النائي من الشيء .

(٨) الْهَيَام: ما لا يتماسك من الرمل . الْعُدْمَلِي: القديم . الْمَنُهَوْر: الواسع . وفي أساس البلاغة (أمام

داره منهرة، أي فضاء) .

(٩) يُعَرِّد: يفر . ذُو الْحِفَاظِ: الذاب عن المحارم والمناع لها عند الحرب . يحبق: يضطرب . الأحمر:

الأحمر، وياؤه زائدة للمبالغة على حدّ زيادة التاء في نحو (علامة) والأحمر - هنا - : من لا سلاح

معه، وهو نقيض المدجج . المدور: خلاف المستطيل، ولعله يريد الرجل السمين، وهو عادة لا

يقدر على الهرب . والمدور أيضاً: المصاب بدوار الرأس من الخوف أو غيره .

رَحِيبٌ مَشَقَّ الشِّدْقِ أَغْضَفُ ضَيْغَمٍ
 وَعَيْنَانِ كَالْوَقْبَيْنِ فِي قُبْلٍ صَخْرَةٍ
 مِنَ الْأَسَدِ عَادِيٌّ يَكَادُ لِصَوْتِهِ
 كَأَنَّ اهْتِزَامَ الرَّعْدِ خَالَطَ جَوْفَهُ
 يَظَلُّ مُغْبًى عِنْدَهُ مِنْ فَرَائِسٍ
 وَخُلُقَانٍ دِرْسَانٍ حَوَالِي عَرِينِهِ
 أَقْلٌ فَاقُوْى ذَاتَ يَوْمٍ وَخِيَّةٌ
 فَأَبْصَرَ رَكْبًا رَائِحِينَ عَشِيَّةً
 بَلِ السَّبْعُ فَاسْتَنْجُوا وَأَيْنَ نَجَاؤَكُمْ
 فَوَلُّوا سِرَاعًا يَنْدَهُونَ مَطِيَّهُمْ
 فَسَارَاهُمْ مَا أَنْ (لَحَسَّ) حَسِيْسُهُ
 فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ يَرِيْبُهُمْ
 لَهُ لَحَظَاتٌ مُشْرِفَاتٌ وَمَحْجَرٌ^(١)
 يَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ التَّبْصُرُ^(٢)
 رُؤُوسُ الْجِبَالِ الْعَادِيَاتِ تَقَعَّرُ^(٣)
 إِذَا حَنَّ فِيهِ الْخَيْرَانُ الْمُثَجَّرُ^(٤)
 رُفَاتٌ عِظَامٍ أَوْ غَرِيضٌ مُشْرِشَرُ^(٥)
 وَرَفُضٌ سِلَاحٍ أَوْ قُنَانٍ مُقْتَرُ^(٦)
 لِأَوَّلِ مَنْ يَلْقَى وَغَيٌّ مُسِيرُ
 فَقَالُوا: أَبْغُلْ مَاثِلُ الْجَلِّ أَشْقَرُ
 فَهَذَا وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ الْمُزْعَفَرُ^(٧)
 وَرَاحَ عَلَى آثَارِهِمْ يَتَقَمَّرُ^(٨)
 مَدَى الصَّوْتِ لَا يَذْنُو وَلَا يَتَأَخَّرُ^(٩)
 وَقَدْ أَدْلَجُوا اللَّيْلَ التَّمَامَ وَأَبْكَرُوا

(١) الأغضف : المسترخي الأذن .

(٢) الوقبان، تشنية الوقب: نقرة في الجبل أو في صخرة يجتمع فيها الماء .

(٣) العادي: الظالم المفترس. تَقَعَّرُ: تنقلع، وتنقلب .

(٤) اهتزام الرعد: صوته . الخيزران - هنا - القصب، والخيزران المثجَّر: ذو الأنابيب، ويريد به المزمار المزدوج .

(٥) المغب: الذي يأتي بعد غياب، ومنه الحديث: زر غباً تزدد حباً، واللحم الغاب: البات، والمجفف. الغريض: اللحم الطري. المشرشر: المقطع، والمشقق.

(٦) الخلقان: الأثواب البالية والممزقة. رفض السلاح: ما تحطَّم منه وتفرق. القنان (بالضم) : كم القميص، ويريد به الدرع. المقتَر: المزِين بالقتير وهي رؤوس المسامير في الدرع .

(٧) الراقصات: الإبل. يريد بالمزعفر: الأسد، تشبيهاً له بلون الزعفران .

(٨) تَقَمَّر الأسد: خرج في القمراء يطلب الصيد .

(٩) (لَحَسَّ) كذا ورد في الديوان، وشعراء النصرانية بعد الإسلام/ ٧٢ ولم أجد لها معنى، ولعلها تحريف (يحسّ) .

وقد بَرَدَ الليلُ الطَّوِيلُ عَلَيْهِمْ وتنادوا بأنْ حُلُّوا قَلِيلًا وَعَرَّسُوا
 بِعَيْنِيهِ لَمَّا عَرَّسُوا وَرِحَالَهُمْ ففاجأهم يَسْتَنُّ ثَانِي عِطْفِهِ
 فَنادَوْا جَمِيعًا بِالسَّلَاحِ مُيَسَّرًا وَنَدَّتْ مَطَايَاهُمْ فَمِنْ بَيْنِ عَاتِقِ
 وَطَارُوا بِأَسْيَافٍ لَهُمْ وَقَطَائِفِ فَأَوَّلُ مَنْ لَاقَى يَجُولُ بِسَيْفِهِ
 فَقَضَّضَ بِالنَّابِئِ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَوَأْفَى بِهِ مَنْ كَانَ يَرْجُو إِيَابَهُ
 وَمَرَّ بِهِمْ لَفْحٌ مِنَ الْقَرِّ أَعْسَرَ^(١) وَحَفُّوا الرِّكَابَ حَوْلَكُمْ وَتَيَسَّرُوا
 وَمَسْقَطِهِمْ وَالصُّبْحُ قَدْ كَادَ يُسْفِرُ لَهُ غَبَبٌ كَأَنَّمَا بَاتَ يَمْكُرُ^(٢)
 وَأَصْبَحَ فِي حَافَاتِهِمْ يَتَنَمَّرُ وَمِنْ بَيْنِ مُودٍ بِالْبَسِيطَةِ يَعْجُرُ^(٣)
 وَكُلُّهُمْ يُخْفِي الْوَعِيدَ وَيَزْجُرُ عَظِيمِ الْحَوَايَا قَدْ شَتَا وَهُوَ أَعْجَرُ^(٤)
 وَدَقَّ صَلِيفَ الْعُنُقِ وَالْعُنُقِ أَصْعَرَ^(٥) فَصَادَفَ مِنْهُ بَعْضُ مَا كَانَ يَحْذَرُ^(٦)

وقال ابن الرومي^(٧)

فَمَا أَسَدُ جَهْمٍ . الْمُحْيَا شَتِيمُهُ قُصَاقِصُهُ وَرَدُّ السَّبَالِ غَضَنَفَرُهُ^(٨)
 مُسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فَمِنْهُمْ ضَيْغَمٌ وَمِنْهُمْ ضِرْغَامٌ وَمِنْهُمْ قَسُورٌ

(١) يقول: مرَّ بهم لفح من الحرِّ أعسر من برد الشتاء .

(٢) يستنُّ: يقمص، ويعدو. الغبب: اللحم المتدلي تحت الحنك. المكر (هنا) : صوت نفخ الأسد .

(٣) نَدَّتْ الإِبِلُ: نفرت. العاتق: السابق عند الهرب. المودي: الهالك. عجر البعير بصاحبه: اتَّجَهَ به إلى غير الجهة التي يريد بها .

(٤) الحوايا: ما تحوي من الأمعاء ويريد البطن. الأعجر العظيم البطن والممتلىء جداً .

(٥) قَضَّضَ الأسد فريسته: كسرهما. الصليف: عُرض العنق، وهما صليفتان من الجانبين. الأصعر: المائل العنق .

(٦) في الديوان (ما كاد يحذر) والتصويب من شعراء النصرانية بعد الاسلام / ٧٣ .

(٧) الديوان ١٠٤٤/٣ .

(٨) شتيم الأسد: وجهه العابس، أو الكريه: أسد قصاقصة: غليظ، وقيل قصير. السبال: مجتمع الشاربين .

له جُنَّةٌ لا تُسْتَعَارُ و شِكَّةٌ
إِهَابٌ كَتَجَفَافِ الكَمِيّ حَصَانَةٌ
وَحُجْنٌ كَأَنْصَافِ الأَهْلَةِ لا يَنِي
تَظَلُّ لَهُ غُلْبُ الأَسُودِ خَوَاضِعاً
له ذَمَرَاتٌ حِينَ يُوعَدُ قِرْنَهُ
يَرَاهُ سُرَاةً اللَّيْلِ والدُّودُونَهُ
يُديرُ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ حِجَابَهُ
خُبْعَيْنَةً جَابُ البَضِيعِ كَأَنَّهُ
له كَلْكَلٌ رَحْبُ اللَّبَانِ وكَاهِلٌ

شَدِيدُ القُوى عِبْلُ الشَّوى مُؤَجَّدُ القَرا

مُلاحِقُ أَطْبَاقِ الفِقَارِ مُضَبَّرُ (٦)
إِذَا مَا عَلَا مَثَنَ الطَّرِيقِ بَيْرِكِهِ
أَخُو وَحْدَةٍ تُغْنِيهِ عَنْ كُلِّ مُنْجِدٍ
مَخَوْفُ الشَّدَا يَمْشِي الضَّرَاءَ لِصَيْدِهِ
حَمَى ظَهْرَهُ الرُّكْبَانَ فَالسَّفَرُ أَزُورُ
لَهُ نَجْدَةٌ مِنْهَا وَنَصْرٌ مُؤَزَّرُ
وَيَبْرُزُ لِلْقِرْنِ المُنَاوِي فَيُصَحِّرُ (٧)

وقال بديع الزمان الهمداني (٨).

أَفَاطِمُ لَوْ شَهِدْتَ بِبَطْنٍ خَبِتِ
وَقَدْ لَاقَى الهَزْبُ أَخَاكَ بِشِرا

(١) التجفاف: ما يلبسه الانسان، ويجلل به الفرس لوقايته في الحرب.

(٢) الحجن (بالضم): العوج ويريد بها أنياب الأسد.

(٣) ذمر الأسد: زار. السلام (بالكسر): الأحجار.

(٤) الدو: المغازة.

(٥) الخبثنة: العظيم الشديد. جاب البضيع: غليظ اللحم، جوز الشيء: وسطه.

(٦) مؤجدة القرا: موثقة الظهر.

(٧) الشدا: الشر، والأذى، والجوع، الضراء: الاستخفاء، أصحر: برز إلى الصحراء لا يواريه شيء.

(٨) أورد الشاعر هذه القصيدة في المقامة الواحدة والخمسين من مقاماته ص/ ٤٤٩. ونسبها ابن الأثير =

إِذَا لَرَأَيْتَ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا
 تَبْهَنْسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي
 أُنِْلَ قَدَمِيَّ ظَهَرَ الْأَرْضِ إِنِّي
 وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا
 يُكْفِكُفُ غِيْلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ
 يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَيَحْدُ نَابٍ
 وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الْحَدِّ أَبْقَى
 أَلَمْ يَلْغُكَ مَا فَعَلْتَ طُبَاهُ
 وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى
 وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوتًا
 فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُوَلِّي
 نَصْحَتِكَ فَالْتِمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي
 فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغِشَّ نُصْجِي
 مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا
 هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي
 وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرْتُهُ
 وَأَطْلَقْتُ الْمُهَنْدَ مِنْ يَمِينِي
 فَخَزُّ مُجَدَّلًا بِدَمٍ كَأَنِّي
 هَزَبْرًا أَغْلَبًا لَاقَى هَزَبْرًا
 مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرًا (١)
 رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
 مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مُكَفَّهْرًا
 وَيَسْطُ لِلوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
 وَبِاللَّحْظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرًا
 بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ الْمَوْتِ أَثْرًا (٢)
 بِكَاطِمَةٍ غَدَاةٍ لَقِيتُ عَمْرًا (٣)
 مُصَاوَلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ ذُعْرًا
 وَأَطْلُبُ لِابْنَةِ الْأَعْمَامِ مَهْرًا
 وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرًا
 طَعَامًا إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرًّا
 وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرًا
 مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرًا
 سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الظُّلُمَاءِ فَجْرًا
 بِأَنْ كَذَّبْتُهُ مَا مَتَّهَ غَدْرًا
 فَقَدْ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
 هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًا

= في المثل السائر ٢٨٤/٣ إلى بشر بن عوانة، وما بشر بن عوانة إلا شخص اخترعه البديع لبطولة مقامته المذكورة. والقصيدة كما قال ابن الأثير (من النمط العالي الذي لم يأت أحد بمثله: وكل الشعراء لم تسم - قرائحهم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها).

(١) تبهنس: تبخر واختال.

(٢) الأثر (بالضم): أثر الجرح بعد البرء..

(٣) كاظمة: موضع في الكويت بينه وبين البصرة مرحلتان.

وَقُلْتُ لَهُ يَعْزُّ عَلَيَّ أَنِّي
وَلَكِنْ رُمْتُ شَيْئاً لَمْ يَرْمُهُ
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَاراً
فَلَا تَجْزَعُ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرّاً
فَإِنْ تَكُ قَدْ قُتِلْتَ فَلَيْسَ عَاراً
قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلْداً وَفَخْراً
سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْتَ صَبْرًا
لَعَمْرُ أَيْبِكَ قَدْ حَاوَلْتَ نُكْرًا
يُحَازِرُ أَنْ يُعَابَ فَمِثَّ حُرّاً^(١)
فَقَدْ لَاقَيْتَ ذَا طَرَفَيْنِ حُرّاً^(٢)

وقال ابن حمديس (عبد الجبار):^(٣)

وَلَيْتَ مُقِيمٍ فِي غِيَاظٍ مَنِيَعَةٍ
يُوسِّدُ شِبْلِيهِ لُحُومَ فَوَارِسٍ
هَزَبُرُ لَهُ فِي فِيهِ نَارٌ وَشَفْرَةٌ
سِرَاجُهُ عَيْنَاهُ إِذَا أَظْلَمَ الدُّجَى
لَهُ جَبْهَةٌ مِثْلُ الْمَجَنِّ وَمَعِطَسٌ
يُصَلِّصِلُ رَعْدٌ مِنْ عَظِيمِ زَيْبِرِهِ
لَهُ ذَنْبٌ مُسْتَنْبِطٌ مِنْهُ سَوَاطِئُ
وَيَضْرِبُ جَنْبِيهِ بِهِ فَكَأَنَّمَا
وَيُضْحِكُ فِي التَّعْبِيسِ فَكِّيهِ عَنْ مُدَى
يَصُولُ بِكَفِّ عَرَضُ شِبْرَيْنِ عَرَضُهَا
يُجَرِّدُ مِنْهَا كُلَّ ظَفِيرٍ كَأَنَّهُ

وقال ابن المعتز:^(٥)

وَمَا لَيْتَ غَابٍ يَهْزِمُ الْجَيْشَ خَوْفَهُ
بِمَشِيَّةٍ وَثَابٍ عَلَى النَّهْرِ وَالزَّجْرِ

(١) الحرّ: الخالص من العبودية.

(٢) الحرّ هنا: الكريم النسب.

(٣) الديوان/٥٤٩.

(٤) هتم أسنانه: كسرهما من اصلها.

(٥) الديوان ٤٣٧/١.

يَجُرُّ إِلَى أَشْبَالِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ
 إِذَا مَا رَأَوْهُ طَارَ جَمْعُهُمْ مَعًا
 جَرِيٌّ أَبِي يَحْسِبُ الْأَلْفَ وَاحِدًا
 يُزْعِزُ أَحْشَاءَ الْبِلَادِ زَيْبُهُ
 إِذَا ضَمَّ قَرْنًا بَيْنَ كَفَيْهِ خِلْتَهُ
 فَحَرَّمَ أَرْضَ الْحَائِرَيْنِ وَمَاءَهَا
 بِأَجْرًا مِنْهُ حَدٌّ بِأَسٍ وَعَزْمَةٌ
 عَقِيرَةٌ وَحَشٍ أَوْ قَتِيلًا مِنَ السَّفَرِ
 كَمَا طَيَّرَ النَّفْخُ الرَّمَادَ عَنِ الْجَمْرِ
 بَعِيدٌ إِذَا مَا كَرَّ يَوْمًا مِنَ الْفَرِّ
 وَيُطِلُّ أَبْطَالَ الرُّجَالِ مِنَ الدُّعْرِ
 يَعَانِقُ عِرْسًا فِي غَلَائِلِهَا الْحُمْرِ
 فَهَيْهَاتَ مَنْ يَغْدُو عَلَيْهَا وَمَنْ يَسْرِي
 إِذَا مَا نَزَا قَلْبُ الْجَبَانِ إِلَى النَّحْرِ

ومن التهويلات في وصف الأسد قول الشاعر (١).

إِيَّاكَ لَا تَسْتَوْشِ لَيْثًا مُخْدِرًا
 مَرَسًا كَأَمْرَاسِ الْقَلِيبِ جُدُولُهُ
 شَنْ الْبَرَاثِنِ كَالْمَحَاجِنِ عُطِفَتْ
 لَانَ الْحَدِيدُ لَجْلِدِهِ فَإِهَابُهُ
 مُصْطَكَّةُ أَرْسَاغُهُ بِعِظَامِهِ
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى وَمِضْ جُفُونَهُ
 لِلْهَوْلِ فِي غَسَقِ الدُّجَى دَوَّاسًا (٢)
 لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ الْأَنَامُ مِرَاسًا (٣)
 أَظْفَارُهُ فَيَخَالُهَا أَقْوَاسًا (٤)
 يَكْفِيهِ مِنْ دُونِ الْحَدِيدِ لِبَاسًا
 فَكَأَنَّ بَيْنَ فُصُولِهَا أَجْرَاسًا (٥)
 أَبْصَرْتُ بَيْنَ شُفُورِهَا مِقْبَاسًا

وقال أبو زيد الطائي: (٦)

وَأَسْتَحْدُثُ الْقَوْمَ أَمْرًا غَيْرَ مَا وَهْمُوا
 وَطَارَ أَنْصَارُهُمْ شَتَّى وَمَا جَمَعُوا

(١) نهاية الارب ٢٣٦/٩.

(٢) لا تستوش الأسد: لا تحرك ساكنه. يقال: استوشى فرسه: حركه لاستخراج ما عنده من الجري.

(٣) المرس (بكسر الراء) الشديد المراس. الأمراس: الحبال الجدول: قصب اليدين والرجلين، أو هي الأعضاء، واحده جدل.

(٤) الشن: الخشن، والغليظ. البراثن، جمع البرثن، وهو بمنزلة الأصابع من الانسان.

(٥) الارساغ، جمع الرسغ: مفصل ما بين الساعد والكف، والساق والقدم. الفصول: المفاصل.

(٦) الديوان ١١٠/.

كَأَنَّمَا يَتَفَادَى أَهْلُ بَعْضِهِمْ
 ضِرْغَامَةً أَهْرَتِ الشَّدَقِينَ ذِي لَبَدٍ
 بِالثَّنِيِّ أَسْفَلَ مِنْ جَمَاءَ لَيْسَ لَهُ
 أَبْنٌ عَرِيْسَةٌ عُنَابُهَا أَشْبُ
 شَأْسُ الْهَبُوطِ زَنَاءُ الْحَامِيَيْنِ مَتَى
 أَبُو شَتِيْمَيْنِ مِنْ حَصَاءٍ قَدْ أَفْلَتْ
 أَعْطَتْهُمَا جُهْدَهَا حَتَّى إِذَا وَجِمَتْ
 ثُمَّ اسْتَفَاهَا فَلَمْ تَقْطَعْ فِطَامَهُمَا
 وَرَدَّيْنِ قَدْ أَخَذَا أَخْلَاقَ شَيْخِهِمَا
 غَذَاهُمَا بِلَحَامِ الْقَوْمِ مُذْشَدَّنَا
 عَلَى جَنَاحَيْهِ مِنْ ثَوْبِهِ هَبَبٌ
 مِنْ ذِي زَوَائِدَ فِي أَرْسَاجِهِ قَدَعُ^(١)
 كَأَنَّهُ بُرْنَسًا فِي الْغَابِ مَلْتَفِعُ^(٢)
 إِلَّا بَنِيهِ وَإِلَّا عِرْسَهُ شَيْعُ^(٣)
 وَدُونَ غَايَتِهَا مُسْتَوْرَدُ شَرْعُ^(٤)
 يَبْشَعُ بِوَارِدَةٍ يَحْدُثُ لَهَا فَرْعُ^(٥)
 كَانَ أَطْبَاءَهَا فِي رُفْعِهَا رُقْعُ^(٦)
 صَدَّتْ وَصَدَّ فَلَا غَيْلٌ وَلَا جَدَعُ^(٧)
 عَنِ التَّضْبِبِ لِاشْعَبُ وَلَا قَدَعُ^(٨)
 فَفِيهِمَا عَزْمَةُ الظُّلْمَاءِ وَالْجَشْعُ^(٩)
 فَمَا يَزَالُ بَوَصْلِي رَاكِبٌ يَضْعُ^(١٠)
 وَمِنْ دَمٍ صَائِلِكِ مُسْتَكْرَةً دَفْعُ^(١١)

- (١) ذو الزوائد: الأسد. القدع (محركة): الاعوجاج،
 (٢) الأهرت: الواسع الشدقين.
 (٣) الثني، والجماء: موضعان ذكرهما ياقوت في معجم البلدان.
 (٤) ابن: أقام. العريسة: مأوى الأسد. العناب: شجر حبه أحر حلو. أشب الشجر: التف،
 المستورد: موضع الورود. الشرع: الذي يشرع فيه.
 (٥) الشأس: الغليظ يعني بزناء الحاميين، انه ضيق جانبي الوادي، يبشع: يضيق (عن أمالي
 المرتضى ٢٨٦/٢) في الديوان (ينشع)
 (٦) الشميم: الكريه الوجه. الحصاء: القليلة الشعر. الأطباء. حلقات الضرع. الرفع: أصل الفخذ.
 (٧) الغيل: اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي حامل. الجدع: سوء الغذاء.
 (٨) الاستفاهة: شدة الأكل. التضبيب: السمن وكثرة اللحم. الشعب: التفريق. القدع: دفع المرأ
 عن أمر يريده.
 (٩) (أخلاق شيخهما) عن شعراء النصرانية بعد الاسلام ٦٨/، في الديوان (أخلاق شحمهما).
 (١٠) شدن الظبي وغيره شدونا: قوي وترعرع واستغنى عن أمه. الوصل: كل عضو على حدة لا يوصل
 به غيره، ويريد بالوصلين: الرجلين. وضع الرجل: أسرع في سيره.
 (١١) الجناجن: عظام الصدر. الهيب: المتقطع. الصائك: اللازق.

كَأَنَّمَا هُوَ فِي أَهْدَابِ أَرْمَلَةٍ مُسْرُولٍ وَإِلَى الْإِبْطِينِ مُدْرَعٌ ^(١)

وقال المتنبي: ^(٢).

وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِباً
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يَسُ
مَا قُوِيَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا طُنَّتَا
فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
يَطَأُ الْبَرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تَيْهِهِ
وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزْمَجِرُ نَفْسَهُ
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا
أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيَّهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٌ
نَيْالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا
تَنْدَى سَوَافُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ

وَرَدَ الْفُورَاتِ زَيْرُهُ وَالنَّيْلَا
فِي غِيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلَا
تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا
لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا
فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَيْلَا
حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا ^(٣)
عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا
رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَهُ مَشْكُولَا ^(٤)
وَقَرُبَتْ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلَا ^(٥)
وَتَخَالَفَا فِي بَذَلِكِ الْمَأْكُولَا
مَتْنًا أَزَلَّ وَسَاعِدَا مَفْتُولَا
يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْثِيلَا ^(٦)
تُعْطِي مَكَانَ لِحَامِهَا مَا نِيْلَا
وَتَظُنُّ عَقْدَ عِنَانِهَا مَحْلُولَا
حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرَضَ مِنْهُ الطُّولَا

(١) في رواية (الكعبين) مكان (الابطين).

(٢) الديوان شرح العكبري ٢٣٨/٣.

(٣) الغفرة: ما يغطى به الشيء، ويريد بها: الشعر اجتمع على قفاه ويافوخه.

(٤) المشكول: المقيد بالشكال، وهو الحبل الذي تشد به قوائم الدابة.

(٥) الضمير من (قربت) يعود إلى الممدوح وهو سيف الدولة الحمداني.

(٦) الفصوص: المفاصل، وظامئة الفصوص، أي ليست برهلة كثيرة اللحم. الطمرة: الفرس الوثابة.

وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
فَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّانِي
أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّيَّةِ تَارِكُ
وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ
سَبَقَ التَّقَاءُكَ بِوَثْبَةٍ هَاجِمٍ
خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ
قَبَضَتْ مَيْتَتَهُ يَدِيهِ وَعُنَقَهُ
سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ
يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلًا
لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلًا
فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا
مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلَا
لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ لَجَارَكَ مِيلَا
فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَا (١)
فَكَأَنَّمَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولَا
فَنَجَا يُهْرَوُلُ مِنْكَ أَمْسٍ مَهُولَا (٢)

وقال الوزير أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي (٣) - وقد أحضر
لمعينة قتل أسد هائل المنظر - يصفه من قصيدة:

جَهْمُ الْمُحْيَا إِنْ تَبَسَّمَ هَبَّتْهُ
وَيُقَالُ: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
وَكَأَنَّمَا هُوَ نَاطِرٌ عَنْ زَيْبِقٍ
وَكَأَنَّ لِبَدَتَهُ بَقِيَّةُ فَرَوَةٍ
لَمَّا تَمَرَّدَ فِي الْعَرِينَةِ فَتَحَتْ
وَعَلَا زَيْبُرٌ مِنْهُ حَتَّى خَلَّتْهُ
وُظْنَنْتُ أَنَّ الرَّعْدَ مِنْ حَيْثُ الْحَيَا
وَتَنَاوَلْتُ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ زُرْقَهُ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ هَيْبَةُ الْمُتَبَسِّمِ
وَأَرَى الْفَرَاءَ لَدَيْهِ بَعْضُ الْمَطْعَمِ
وَكَأَنَّمَا هُوَ كَاشِرٌ عَنْ مَخْدَمٍ
قَصُرَتْ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
أَبْوَابُهَا فَانْسَابَ مِثْلَ الْأَرْقَمِ
كَالْفَحْلِ يَهْدُرُ عِنْدَ شَوْلٍ هُيْمٍ (٤)
حَتَّى سَمِعْتُ الْيَوْمَ رَعْدًا مِنْ فَمٍ
حَتَّى بَدَا فِي شَكْلِهِ كَالشَّيْهِمِ (٥)

(١) التجديل: من قولهم جدله: إذا صرعه.

(٢) ابن عمته: أسد من جنسه. المهول: المخوف.

(٣) الحلة السيرة ٢/٢٦١.

(٤) الشول: النوق التي ترفع أذناها للقاء واحدتها شائل.

(٥) الشيهم: ذكر الغنافذ.

وقال الشريف الرضي^(١) يصف الأسد :

دَعِيَ جَنَابِ الْوَادِيَيْنِ فَذُونَهَا	أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ ضَبَارِمُ
إِذَا هَمَّ لَمْ تَقْعُدْ بِهِ عَزَمَاتُهُ	وَإِنْ ثَارَ لَا تَعْيَا عَلَيْهِ الْمَطَاعِمُ
كَأَنَّ عَلَى شِدْقَيْهِ ثَغْرًا وَرَاءَهُ	ذَوَابِلُ مِنْ أُنْيَابِهِ وَصَوَارِمُ
فَمَا جَذَبَ الْأَقْرَانُ مِنْهُ فَرِيَسَةً	وَلَا عَادَ يَوْمًا أَنْفُهُ وَهُوَ رَاغِمُ
يَرَى رَاكِبَ الظُّلُمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ	وَتَسْتَنُّ مِنْهُ فِي الْعَرِينِ الْغَمَائِمُ
نَمْرُ وَرَاءَ اللَّيْلِ نَكْتُمُهُ السَّرَى	وَقَدْ فَضَحْتَنَا بِالْبُغَامِ الرُّوَاسِمُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ غَارَةٌ فِي عَدُوِّهِ	تُشَارِكُهُ فِيهَا النُّسُورُ الْقَشَاعِمُ
كَأَنَّ الْمَنَابِيَا إِنْ تَوَسَّدَ بَاعَهُ	تَيَقَّظُ فِي أُنْيَابِهِ وَهُوَ نَائِمُ
وَمَا اللَّيْثُ إِلَّا مَنْ يُدِلُّ بِنَفْسِهِ	وَيَمْضِي إِذَا مَا بَادَهَتْهُ الْعَظَائِمُ
وَمَا كُلُّ لَيْثٍ يَغْنَمُ الْقَوْمَ زَادَهُ	إِذَا خَفَقَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ الضَّرَائِمُ

وقال المتوكل الليثي^(٢) من قصيدة :

فَهَابُوا وَقَاعِي كَالَّذِي هَابَ خَادِرًا	شَتِيمَ الْمُحْيَا خَطُوهُ مُتَدَانِي ^(٣)
تُشَبَّهُ عَيْنِيهِ إِذَا مَا فَجَّتْهُ	سِرَاجِينَ فِي دِيْجُورَةٍ تَقْدَانِي
كَأَنَّ ذِرَاعِيهِ وَبِلْدَةَ نَحْرِهِ	خُضْبَنَ بِحَنَاءٍ فَهَنْ قَوَانِي ^(٤)
عَفَرَنِي يَضُمُّ الْقِرْنَ مِنْهُ بِسَاعِدِ	إِلَى كَاهِلٍ عَارِي الْقَرَا ^(٥) وَلَبَان ^(٥)
أَزْبُ هَرِيْتُ الشُّدْقِ وَرَدُ كَأَنَّمَا	يَعْلُ أَعَالِي لَوْنُهُ بَدِهَانِ ^(٦)

(١) ديوانه ٣٦٥/٢ . دار صادر.

(٢) ديوانه/٢٠١ .

(٣) شتيم: كريه، وقبيح .

(٤) البلدة - هنا - : الصدر.

(٥) العفري والعفرنا: الأسد الشديد. القرا: الظهر. اللبان: الصدر.

(٦) الأزب: الطويل الشعر كثيره. هريت الشدق: واسع الفم. الورد لون الأسد وهو ما بين الكميت والأشقر.

مُضَاعَفٌ لَوْنِ السَّاعِدَيْنِ مُضَبَّرٌ هَمُوسٌ دُجَى الظُّلَمَاءِ غَيْرُ جَبَانٍ (١)
وقال الناشئ الأكبر عبد الله بن محمد (٢) .

وَعَفْرُنَاةٍ	ضُبَارِمَةٍ	ضَبٌّ مُضَبٌّ عَلَى إِحْنَةٍ (٣)
وَارِدِ الْأَكْبَادِ ذِي لِبَدٍ	خَادِرٍ يَسْتَنُّ فِي أَرْنَةٍ (٤)	
هَرَّتْ عُصْلُ خَوَاصِمِهِ	سَهْكِ وَالْعَرْفُ فِي أَسْنِهِ (٥)	
تُضْبِحُ الْأَسَادُ نَابِيَةً	عَنْ مَغَانِيهِ وَعَنْ فِطْنَةٍ	
أَوْثَقَتْ لِلْبَطْشِ آلَتُهُ	فَكَفَّتُهُ السَّعْيَ فِي مَهْنَةٍ	
حَرَبُ الْأَبْطَالِ عَادَتُهُ	وَاعْتِيَالُ الشُّوسِ مِنْ سُنَنِهِ	
وَإِذَا غَطَّتْ بِلَاعِمُهُ	وَاسْتَحَرَّ الزَّارُ عَنْ دِمْنِهِ (٦)	
غَالَ قَلْبُ الْمَرءِ يَبْعُدُ عَنْ	أَرْضِهِ مَا جَالَ فِي أُذُنِهِ	
مُخْطَفُ الْأَعْجَازِ جَوْشَنُهُ	صَادِقٌ أَوْفَى عَلَى قُنْنِهِ (٧)	

(١) المضبّر: الموثق الخلق. الهموس: الخفي الوطء .

(٢) المصائد والمطارذ/ ١٨٠ ، وسأشير إلى هذا الكتاب عند تقويم بعض أبيات القصيدة بكلمة (الأصل) لأنني لم أعر عليها في مصدر آخر.

(٣) الضبارمة: المجتمع الخلق موثق. الضبّ - هنا - : الغيظ. المضبّ، من ضبّ على الشيء : احتواه. الأحن : الأحقاد. ورد البيت في الأصل مصحفاً هكذا :

وعفرونّة صعيارمة صب مصب على أحنه

(٤) الوارد : الجريء والشجاع. الخادر: الأسد المقيم في خدره. يستن: يقمص ويعدو. الأرن: النشاط .

(٥) الهرت: الواسع الشدقين. العصل جمع الأعصل : الأعوج. خواضم الأسد: أنيابه. في الأصل (خواصمه) وهو تصحيف. السهك: ذو الرائحة الكريهة. العرف - هنا - الرائحة المنتنة وهي من الأضداد. الأسن، من أسن الماء أسناً: تغير طعمه وريحه. والأسن (بضمّتين) : بقية الشحم. في الأصل (سهك في عرفه أسنه) ولا تستقيم معه القافية .

(٦) غطّت بلاعمه ، من الغطيظ وهو غطيظ النائم، وغطيظ البعير عندما يهدر في شقشقته. الدمن، جمع الدمنة ، وهي - هنا - الحقد القديم .

(٧) المخطف (بالكسر) : الخطاف : وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء، وخطاطيف السباع: مخالباها. الجوشن : الصدر. في الأصل (جوشنه) و (صدق) مكان (جوشنه) و (صادق) .

تَقْصِفُ الْمَرَّانَ شِكَّتُهُ وَيَكْلُ السَّيْفُ عَنْ جُنْنِهِ^(١)
وَإِذَا أَجْفَانُهُ وَمَضَتْ كَوْمِيضِ الْبَرْقِ فِي مُزْنِهِ
لَمْ تَرْغُ عَنْ عَيْنٍ لَامِحِهَا دُونَ سَلِّ الرُّوحِ مِنْ بَدْنِهِ^(٢)
كُلُّ ذِي رُوحٍ يَدِينُ لَهُ وَيَخَافُ الْقُرْبَ مِنْ سَنِينِهِ
حِينَ تَمَّتْ مِنْهُ مُدَّتُهُ وَانْقَضَى مَا امْتَدَّ مِنْ رَمِينِهِ
غَالَهُ خِرْقٌ تَوَسَّطَهُ نَشِزًا أَوْفَى عَلَى شَرْزِهِ^(٣)
جُعِلَتْ فِيهِ فَرِيسَتُهُ كَجُثُومِ الطَّيْرِ فِي مَكِينِهِ^(٤)
فَسَرَى وَالْحَيْنُ يَقْدُمُهُ غَيْرَ مَطْوِيٍّ عَلَى ظَنِينِهِ
وَأَتَى يَبْغِي فَرِيسَتَهُ فَوَهَى وَأَنْهَدَ مِنْ رُكْنِهِ
وَعَدَا الْقَنَاصُ فَاَنْتَظَمُوا بَيْنَ مَتْنِيهِ إِلَى ذَقْنِهِ
بِسِهَامٍ أَلْحَفَتُهُ كَمَا يُدْرَجُ الْمَقْبُورُ فِي كَفْنِهِ^(٥)
فَثَوَى وَالتُّرْبُ مَسْكُنُهُ نَائِي الْأَوْطَانِ عَنْ وَطْنِهِ^(٦)

وقال ابن الهبارية أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح العباسي في حكاية أسدين^(٧):

فقال كان أسدٌ بالحاجرِ فظًّا على الأصحابِ والعشائرِ^(٨)

-
- (١) المران : الرماح . الشكّة : السلاح ، في الأصل (حننه) مكان (جننه) .
(٢) في الأصل (لم ترع) - مكان (لم ترغ) .
(٣) الخرق ، والخريق : الفتى السخي ، والحسن الكريم الخليفة . النشز : الذي يحتمل قرنه فيصرعه . الشزن : النشاط .
(٤) مكينات الطير : مقارها وأعشاشها ، في الأصل (كحتوم) مكان (كجثوم) وهو نصحيف .
(٥) في الأصل (تدرج) مكان (يدرج) .
(٦) قال محقق الكتاب الدكتور محمد أسعد طلس في فهرس التصويبات ما نصّه (في قصيدة الناشء اضطراب فليحقق) لذلك التزمت بتقويم ما فيها من خلل .
(٧) ديوانه (الصادح والباغم) / ٣٨ .
(٨) حاجر : موضع في ديار بني تميم ، وقيل : لمزينة .

يَأْكُلُ مَا يَصِيدُهُ وَيُطْعِمُهُ
وَالنَّمِرُ الْمَسْكِينُ ثَاوٍ جَائِعُ
فَإِنْ شَكُوا أَنْكَرَ ذَلِكَ قَائِلًا
وَهُمْ يَعْضُونَ الْبَنَانَ عَضًا
وَفِي زُرُودٍ شَبْلُ لَيْثٍ فِي أَحْجَمٍ
مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ طِفْلٌ يَرْضَعُ
كَانَ أَبُوهُ لَهُمْ يُرَاعِي
ثُمَّ أَقَامَتْ أُمُّهُ تُرْضِعُهُ
تَضْطَادُ مَا تَضْطَادُهُ بَعْجِزُهَا
وَكُبُرَ الشَّبْلِ وَشَبَّ وَنَهَضَ
وَعَلِمَتْهُ أُمُّهُ أَخْلَاقُهَا
فَمَلَكَ الْقُلُوبَ بِالْمَحَبَّةِ
ثُمَّ غَزَاهُ ذَلِكَ اللَّيْثُ الَّذِي
فِي جَحْفَلٍ مِنْ قَوْمِهِ جَدَّارٍ
فَرِيحَ مِنْهُ الشَّبْلُ وَاسْتُطِيرَا
وَهُمَّ أَنْ يَهْرَبَ مِنْ مَكَانِهِ
قَالُوا لَهُ عَدِيدُنَا قَلِيلُ
وَوَاحِدٌ يَصْدُقُ فِي اللَّقَاءِ
فَأَصْبِرْ لَهُ فَإِنَّا سَنَهْزِمُهُ
حَتَّى إِذَا مَا رَحَفَا وَاضْطَفَا
فَظَلَّ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ وَحْدَهُ

جماعةً من الكلاب تخدمه
وكلُّ ساداتِ السَّبَاعِ ضَائِعُ
مَا تَسْتَحَقُّونَ عَلَيَّ طَائِلًا
وَيُضْمِرُونَ حَنَقًا مُضِضًا
لَا يَدْفَعُ الْخَصْمَ إِذَا الْخَصْمُ هَجَمَ^(١)
لَكِنْ لَهُ جُنْدٌ قَلِيلٌ طَيِّعُ
وَالْحِفْظُ مِنْ مَكَارِمِ الطَّبَاعِ
وَتُطْعِمُ الْجُنْدَ الَّذِي يَتَّبِعُهُ
ثُمَّ تُجِيعُ نَفْسَهَا لِعِزِّهَا
وَاضْطَادَ مَا عَزَّ وَدَقَّ وَبَهَضَ^(٢)
سَخَاءُهَا الطَّبَعِيُّ أَوْ نَفَاقُهَا
وَالْحُبُّ لَا يَخْلُصُ إِلَّا رَغْبَةً
كَانَ بِهِ الْجُنْدُ زَمَانًا قَدْ أَذَى
يَقُودُ كُلَّ بَاطِلٍ كَرَّارٍ
لَمَّا رَأَى عَسْكَرَهُ الْكَثِيرَا
وَعَرَضَ الرَّأْيَ عَلَى أَعْوَانِهِ
لَكِنَّا غَنَاؤُنَا جَلِيلُ
خَيْرٌ مِنَ الْأَلْفِ بِلَا غَنَاءٍ^(٣)
بِصَدَقِنَا وَجُنْدُهُ سَيُسْلِمُهُ
أَحْجَمَ عَنْهُ جُنْدُهُ وَكَفَّا
كَذَاكَ حَالُ مَنْ يُضِيعُ جُنْدَهُ

(١) زرود : موضع بالحجاز في طريق مكة للقادم إليها من الكوفة .

(٢) بهضه الأمر ، وأبهضه : أثقله فعجز عن حمله .

(٣) في الديوان (غناء) مكان (غناء) وهو تصحيف .

لأنهم قَضَوْهُ مَا اسْلَفَهُمْ وَأَخْلَفُوهُ الْوَعْدَ إِذْ أَخْلَفَهُمْ
وفازَ بالملكِ الشُّبَيْلُ وَغَلَبَ وَلَمْ يُطَقْ ذَاكَ الْفِرَارُ وَالْهَرَبُ
وجاءَهُ في يَوْمِهِ جَمَاعَةُ فَأَوْثَقُوا فِي عُنُقِهِ ذِرَاعَهُ
وَحَمَلُوهُ قُرْبَةً إِلَيْهِ وَأَوْجَبُوا الْحَقَّ بِهِ عَلَيْهِ

ابن آوى

حيوان وحشيٌ مفسد . قلَّما يُرى في النهار، وإن رُئي فلا يُسمع له حسٌّ أو عواء ، ولا يعوي في الليل إلَّا إذا استوحش لابتعاده عن رفاقه .

يعيش مع جماعة من فصيلته، ويقود الجماعة أكبرهم سنًا وأكثرهم خبرة . يخشى الإنسان ويهرب منه، ولكنَّه يهاجمه عند الإضطرار للدفاع عن نفسه .

يغير على القرى وأطراف المدن ليلاً، فيفتك بالدجاج، ويتلف ثمار المزارع .

ولبعده عن الإنسان، وعدم حاجة الإنسان إليه كانت أخباره في الأدب العربي قليلة جداً، بل تكاد تكون معدومة، فلم يرد ذكره في القرآن، ولا في الحديث النبوي، ولا في الأمثال العربية، ولم يتعرض له الشعراء بمدح أو ذم إلَّا في أبيات معدودات، وهي على الأكثر غير معزّوة لأحد .

وها إننا ذاكرون ما تيسّر لنا من أخباره وأحواله ممَّا يدخل ضمن منهج هذا الكتاب :

أسمائه وكناهه (١)

أشهر أسمائه (ابن آوى) ، وجمعه : بنات آوى ، وسبب التسمية لأنه يأوى إلى عواء أبناء جنسه ، وهو معرفة لا ينصرف ، لوزن الفعل ، ولأنه علم يطلق على الذكر والأنثى ، وتركيبه إضافي . فابن غير منفصل من (آوى) وآوى غير منفصل من (ابن) ، ومن أسمائه :

- الوَعْوَعُ ، والْوَعْوَاعُ ، ويشترك في هذه التسمية : الكلب والذئب .
- لَعَوَضَ (كجدول) وفي أقرب الموارد بالصاد المهملة .
- عَلَوَضَ ، وهو من عَلَضَ الشيءَ عَلَضاً : حرَّكه لينتزعه .
- شَعَبَرَ (بالعين المهملة) وفي رواية : شَغَبَرَ (بالغين المعجمة) .
- عَلَوَّشَ ، وهو الخفيف الحريص ، ويشترك معه الذئب .
- شَوَّطَ بَرَّاحَ .
- الدُّوْلَبَانُ (يهمز ولا يهمز) .

ومن كناه : أبو أيوب ، وأبو ذؤيب ، وأبو كعب ، وأبو وائل .

ذكره في الشعر

قال أبو نواس الحسن بن هاني من قطعة يهجو بها إسماعيل بن سهل بن نوبخت (٢) .

على خُبْرِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةَ الْبُخْلِ فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ
وَمَا خُبْرُهُ إِلَّا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ وَلَمْ يُرَ آوَى فِي حُزُونٍ وَلَا سَهْلٍ

(١) المخصّص/٢/٧٣/٨ ، عجائب المخلوقات/٢٢٨ ، حياة الحيوان الكبرى ١/١٠٨ . المعجم الزوولوجي الحديث ١/٤٠ ، وبعض معاجم اللغة .

(٢) ديوان أبي نواس/٥١٥ .

وقال آخر في صعوبة صيده ورخص ثمنه^(١) :

كَابُنِ آوَى وَهُوَ صَعْبُ صَيْدِهِ فَإِذَا صِيدَ يُنْساوِي خَرْدَلَهُ
وقال آخر^(٢) .

إِنَّ ابْنَ آوَى لَشَدِيدُ الْمُقْتَنَصِ وَهُوَ إِذَا مَا صِيدَ رِيحٌ فِي قَفْصٍ

بعض ما ورد عنه في القصص^(٣)

١ - زعموا أنَّ غراباً كان له وكر في شجرة على جبل ، وكان قريباً منه حجر
ثعبان أسود ، فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها . فبلغ ذلك من
الغراب فأحزنه ، فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى وقال له : أريد مشاورتك
في أمر قد عزمت عليه . قال : وما هو ؟

قال الغراب : قد عزمت على أن أذهب إلى الأسود إذا نام فأنقر عينيه
فأفقاها لعلي أستريح منه . قال ابن آوى : بش الحيلة التي احتلت . فالتمس أمراً
تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغدّر بنفسك وتخاطر بها ، وإياك أن يكون
مثلك مَثَلُ العُلجوم^(٤) الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه^(٥) . ولكنني أدلك على
أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك ، وتكون
فيه سلامتك .

قال الغراب : وما ذاك ؟

قال ابن آوى : تنطلق فتتبصر في طيرانك لعلك تظفر بشيء من حلي النساء

(١) و (٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ ٢٦٦ .

(٣) كليلة ودمنة/ ١٤٧ و ١٥٠ ، و ٣١٢ - ٣١٦ .

(٤) العُلجوم يطلق في اللغة على عدة حيوانات تتصف بكثرة اللحم ، ولا ينطبق هنا - إلا على ذكر البط .

(٥) انظر قصة العُلجوم والسرطان في كليلة ودمنة/ ١٤٨ .

فتخطفه ولا تزال طائراً واقعاً بحيث لا تفوت العيون . فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحليّ عنده فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليّهم وأراحوك من الأسود .

فانطلق الغراب محلّقاً في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطئ نهر تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليّها ناحية ، فانقضّ واختطف من حليّها عقداً وطار به ، فتبعه الناس ، ولم يزل طائراً واقعاً بحيث يراه كلُّ أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود ، فألقى العقد عليه والناس ينظرون إليه . فلما أتوا أخذوا العقد وقتلوا الأسود .

٢ - وزعموا أنّه كان أسند في أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فضلات طعامه . فأصاب الأسد جرب وضعف شديداً وجُهد فلم يستطع الصيد ، فقال له ابن آوى :

ما بالك يا سيد السباع قد تغيّرت أحوالك ؟ قال : هذا الجرب الذي قد جهدني وليس له دواء إلاّ قلب حمار وأذناه . قال ابن آوى : ما أيسر هذا ، وقد عرفت بمكان كذا حمّاراً مع قصّار^(١) يحمل عليه الثياب وأنا آتيك به ، ثم دلف إلى الحمّار فأتاه وسلم عليه وقال له : ما لي أراك مهزولاً ؟ قال : لسوء تدبير صاحبي ، فإنّه لا يزال يجيع بطني ، ويثقل ظهري ، وما تجتمع هاتان الحالتان على جسم إلاّ أنحلّتا وأسقمّتا . فقال له : كيف ترضى المقام معه على هذا ؟ قال : ما لي حيلة للهرب منه فلست أتوجّه إلى جهة إلاّ أضرب بي إنسان فكدّني وأجاعني .

قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمرُّ به إنسان ، خصيب المرعى فيه عانة^(٢) من الحُمُر ترعى آمنة مطمئنة .

(١) القصّار: مبيّض الثياب .

(٢) العانة: القطيع من حمير الوحش .

قال الحمار: وما يحبسنا عنها فانطلق بنا إليها . فانطلق به نحو الأسد، وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار. فخرج إليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه، وتخلص الحمار منه فأفلت هلياً على وجهه . فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له: يا سيد السباع أعجزت إلى هذه الغاية؟ فقال له: إن جئتني به مرة أخرى فلن ينجمني أبداً. فمضى ابن آوى إلى الحمار فقال له: ما الذي جرى عليك؟ إن أحد الحمر رآك غريباً فخرج يتلقاك مرحباً بك، ولو ثبت لأنسك ومضى بك إلى أصحابه .

فلما سمع الحمار ذلك، ولم يكن رأى أسداً قط صدق ما قاله ابن آوى وأخذ طريقه إلى الأسد، فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه وقال له: استعد له فقد خدعته لك فلا يدركك الضعف في هذه النوبة، فإنه إن أفلت لن يعود معي أبداً، والفرص لا تصاب في كل وقت .

فجاش جأش الأسد لتحريض ابن آوى له، وخرج إلى موضع الحمار، فلما بصر به عاجله بوثة افترسه بها ثم قال: قد ذكرت الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الإغتسال والطهور، فاحتفظ به حتى أعود فأكل قلبه وأذنيه، وأترك ما سوى ذلك قوتاً لك .

فلما ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد منه فلا يأكل منه شيئاً. ثم إن الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى: أين قلب الحمار وأذناه؟ قال ابن آوى: ألم تعلم أنه لو كان له قلب يعقل به وأذنان يسمع بهما لم يرجع إليك بعدما أفلت ونجا من الهلكة؟ .

الأرنب

أَسْمَاؤُهَا وَالصِّفَاتُ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الْأَسْمَاءِ^(١)

الأرنب: اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ويميّز باسم الإشارة فيقال للذكر: هذا أرنب، وللأنثى: هذه أرنب، ونقل عن الخليل بن أحمد قوله: للأنثى، أرنبة. والجمع أرناب، وربما قالوا أراني، كثعالب، وثعالي. ومن أسمائها الأخرى:

- الْخِرْنِقُ: ولد الأرنب، للذكر والأنثى، ثم سخلة، ثم أرنب.
- الْخُرْزُ: للذكر، جمعه خِرْزَان، وأخْزَة.
- الدَّرَامَة، والدَّرِمَة، ويشترك معها القنفذ.
- الزُّمُوع: للذكر والأنثى. لتقارب خطوها كأنّها تعدو على زمعاتها وهي الشعرات في مؤخر رجلها.
- عِكْرِشَة: للأنثى.
- الْقَوَاع: للذكر، والأنثى: قُوعَة.

مما ورد عنها في اللغة^(٢)

أَرْضٌ مُؤَرَّبَةٌ، وَمُرَبَّةٌ: كثيرة الأرناب.

(١) و (٢) المخصّص ٧٦/٨/٢ و ٧٧، وبعض معاجم اللغة، وحياة الحيوان ٢٠/١.

أَرْضٌ مُخَرَّنَقَةٌ : تكثر فيها الخرائق ، وهي الأرناب .
أَرْنَبٌ مُحَشَّيَةٌ الكلاب ، أي تعدو الكلاب خلفها حتى تنبهر . أخذه من
(الحشا) وهو الربو .

أَرْنَبٌ مُقَطَّعةُ النياط ، لسرعتها .
أَرْنَبٌ حُدْمَةٌ لُدْمَةٌ ، تسبق الجمع بالأكمة ، والخدمة : السريعة المشي
والبطيئة (من الأضداد) واللدمة : ثابتة العدو ، وقيل اتباع خدمة .
التوير : مشي الأرنب التي تخف وطأها وتمشي على وبر قوائمها لثلاث
تقص .

تَنَفَّجَتِ الأرنب : اقشعرت (يمانية) .
الْجَحْمَرِشُ : الأرنب المرضع ، جمعها جحامر ، والتصغير جُحيمر
دَرَمَتِ الأرنب : قاربت الخطو .
دَمَجَتِ الأرنب في العدو : أسرع ، وهو سرعة تقارب القوائم على
الأرض .

دَمَكَتِ الأرنب ، وهو أسرع ما يكون من عدوها .
ضَغَبَتِ الأرنب تَضَغَبَ ضَغِيْبًا : صَوَّتَتْ ، وفي الأساس (سمعت ضَغِيْبِ
الأرنب وضغابها ، وهو تضرورها إذا أخذت) .

العانقاء : جحر مملوء تراباً يكون للأرنب تدخل فيه عنقها .

الْمَحَزَّةُ : موضع الخزان وهي الأرناب .

نَفَجَ الأرنب : إذا ثار ، والأنثى : نفجت ، وأنفجها الصياد .

مما ورد عنها في الأمثال^(١)

- (اطعم أخاك من كلية الأرنب) يضرب للمواساة .
- (أقطفُ من أرنب) يضرب للمبالغة والتناهي .
- (بثس الرميّة الأرنب) يريدون : بثس الشيء مما يُرمى .
- (حذفته بالعصا كما تحذف الأرنب) .
- (كراع الأرنب) يضرب مثلاً فيما قلّ وذلّ .
- (لو كانت الضبّة دجاجة . لكانت الأرنب درّاجة) يضرب لمن يعجب من شيء لا يستحق الإعجاب .
- (ما الدنيا في الآخرة إلّا كنفجة أرنب) يضرب لتقليل المدة .

مما ورد عنها في القصص^(٢)

١ - زعم العرب على ألسنة البهائم أن الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها .

- فانطلقا يختصمان إلى الضبّ .
- فقالت الأرنب : يا أبا حسل ، قال : سميعاً دعوت .
- قالت : أتيناك لنختصم إليك ، قال : عادلاً حكمتُما .
- قالت : فاخرج إلينا ، قال : في بيته يُؤتى الحكم .
- قالت : إنني وجدت ثمرة ، قال : حلوة فكليها .
- قالت : فاختلسها الثعلب ، قال : لنفسه بغى الخير .
- قالت : فلطمته ، قال : بحقك أخذت .

(١) الحيوان للجاحظ ٣٥٢/٦ و ٣٥٣ . جمهرة الأمثال ١١٥/٢ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/٤٠٧ . المخصص لابن سيده ٧٧/٨/٢ ، حياة الحيوان الكبرى ٢١/١ .
(٢) كلية ودمنة/١٥٢ و ٢٧٢ . رسالة الصاهل والشاحج/٢٧٩ و ٢٨٠ . حياة الحيوان الكبرى ٢١/١ .

قالت : فلطمني، قال : حرّ انتصر لنفسه .

قالت : فاقض بيننا، قال : قد قضيت .

فذهبت أقواله كلها أمثالاً .

٢ - استبّت الوبرة والأرنب، فقالت الوبرة: أران أران^(١) رأس وأذنان،
وسائر أكلتان .

وقالت الأرنب: يا وبرة يا وبرة، منكبانٍ وصدر، وسائر حفر، نقر .

٣ - الأرنب فيروز مع ملك الفيلة :

زعموا أن أرضاً من أراضي الفيلة تابعت عليها السنون، وأجدبت وقلّ
ماؤها، وغارت عيونها، وذوى نبتها ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد،
فشكّون ذلك إلى ملكهنّ، فأرسل الملك رسله ورؤاده في طلب الماء في كلّ
ناحية، فرجع إليه بعض الرسل فقال له : إنّي قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها :
عين القمر كثيرة الماء . فتوجّه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو
وفيلته، وكانت العين في أرض للأرنب، فوطئن الأرنب في أجحارهن فأهلكن
منهنّ كثيراً .

فاجتمعت الأرنب إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما أصابنا من الفيلة؟
فقال : ليحضّر منكنّ كلّ ذي رأي رأيته . فتقدمت أرنب من الأرنب يقال لها فيروز،
وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب، فقالت : إن رأي الملك أن يبعثني إلى
الفيلة، ويرسل معي أميناً لسمع ويرى ما أقول ويرفعه إلى الملك . فقال لها
الملك : أنت أمينة ونرضى بقولك، فانطلقني إلى الفيلة وبلّغي عني ما تريدن،
واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل، فعليك باللين

(١) استبّت الوبرة والأرنب: نسابتا، والوبرة: دويبة على هيئة السنور. أران : مأخوذ من أرنب .

والرفق والحلم والتأني فإنَّ الرسول هو الذي يُلين الصدور إذا رَفَقَ، ويخشِّن الصدور إذا خَرِقَ .

ثم أنَّ الأرنب انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت إلى الفيلة وكرهت أن تدنو منهنَّ مخافة أن يطأنها بأرجلهنَّ فيقتلنها وإن كنَّ غير متعمِّدات، فأشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له إِنَّ القمر أرسلني إليك، والرسول غير ملوم يبلغ وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة: فما الرسالة؟ قالت: يقول لك إِنَّه من عرف فضل قوّته على الضعفاء فاغترَّ في ذلك بالأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قوّته وبالألأ عليه، وأنت قد عرفت فضل قوّتك على الدوابِّ فغرَّك ذلك فعمدت إلى العين التي تسمَّى باسمي فشربت منها ورنَّقَتهَا، فأرسلني إليك فأندرك أن لا تعود إلى مثل ذلك، وأنَّه إن فعلت يُغشِّي على بصرك ويتلف نفسك، وإن كنت في شكٍّ من رسالتي فهلمَّ إلى العين من ساعتك فإنَّه موافيك بها .

فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب فانطلق إلى العين مع الرسول فيروز، فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها، فقالت له فيروز الرسول: خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر. فأدخل الفيل خرطومَه في الماء فتحرَّك فحُيِّل إلى الفيل أنَّ القمر ارتعد، فقال: ما شأن القمر ارتعد؟ أترينه غضب من إدخالي خرطومي في الماء؟ قالت فيروز: نعم، فسجد الفيل للقمر مرَّةً أخرى وتاب إليه ممَّا صنع وشرط ألاَّ يعود إلى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته .

٤ - الأرنب والأسد :

زعموا أنَّ أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير، إلَّا أنَّه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له: إِنَّك لتصيبُ منَّا الدابةَ بعد الجهد والتعب، وقد رأينا لك رأياً فيه صلاح لك وأمنٌ لنا، فإن أنت أمنتنا

ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك . فرضي الأسد بذلك وصالح الوحش عليه ، ووفّق له به .

ثم إنّ أرنبا أصابته القرعة وصارت غداء الأسد . فقالت للوحش : إنّ أنتن رفقتن بي فيما لا يضركن رجوت أن أريحكن من الأسد . فقالت الوحش : وما الذي تكلفينا من الأمور ؟ قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلني ريثما أبطيء عليه بعض الإبطاء . فقلن لها : ذلك لك . فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغذى فيه الأسد ، ثم تقدّمت إليه وحدها رويداً وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها : من أين أقبلت ؟ قالت : أنا رسول الوحش إليك ، وقد بعثني ومعني أرنب لك فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني وقال : أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش . فقلت له : إنّ هذا غداء الملك أرسلت به الوحش إليه ، فلا تغضبته ، فسبك وشتمك ، فأقبلت مسرعة لأخبرك . فقال الأسد : انطلقني معي فأريني موضع هذا الأسد . فانطلقت الأرنب إلى جب فيه ماء غامر صافٍ ، فاطّلت فيه وقالت : هذا المكان . فاطّلع الأسد فرأى ظلّه وظلّ الأرنب في الماء ، فلم يشك في قولها ووثب على الأسد ليقاتله فغرق في الجب . فانقلبت الأرنب إلى الوحش فاعلمتهنّ صنيعها بالأسد .

مما ورد عنها في الشعر

- قال أحد الشعراء يهجو قوماً بأنهم لا كسب لهم إلاّ صيد الأرناب وبيع جلودها^(١) :

إذا ابتدر الناس المعالي رأيتهم قياماً بأيديهم مسوك الأرناب^(٢)

(١) الحيوان ٣٦٠/٦ .

(٢) المسوك: الجلود .

- كان بعض الأعراب إذا دخل قرية، يقف على بابها فيعشر كما يعشر الحمار^(١) ويعلق عليه كعب أرنب ليدفع عنه الجن والوباء ، وفي ذلك يقول قائلهم^(٢) :

ولا ينفع التعشير في جنب جرمة ولا دعدع يغني ولا كعب أرنب^(٣)

- وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في الخيل^(٤) :

كأن حماتيهما أرنبان غيضا خيفة الأذوب^(٥)

- وقال الأبيرد الرياحي يهجو حارثة بن بدر الغداني^(٦) :

زعمت غداة أن فيها سيّدا ضحماً يوازنه جناح الجندب^(٧)
يرويّه ما يروي الذباب فيتشّي شُكراً ويُسبّعه كراع الأرنب

- وقال امرؤ القيس^(٨) :

يا هند لا تنكحي بوهة عليه عقيقتُه أحسبا^(٩)
مرسعة بين أرساغه به عسم يبتغي أرنباً^(١٠)

(١) عشر الحمار: نهق عشرة أصوات في طلق واحد .

(٢) الحيوان ٣٥٨/٦ .

(٣) الجرمة (بالكسر) : القوم الذين يصرمون النخل، وما صرم من البسر، وقيل: القطعة من النخل. دعدع: كلمة يقولونها عند العثار .

(٤) الحيوان ٣٥٤/٦ ولا وجود للبيت بين أشعار عبد الرحمن بن حسان جمع الدكتور سامي مكّي العاني .

(٥) الحماة: عضلة الساق، وفي ساق الفرس حماتان .

(٦) الحيوان ٣٥١/٦ . وثمار القلوب في المضاف والمنسوب/٤٠٧ .

(٧) في رواية - (يواريه) مكان (يوازنه) . الجندب: الصغير من الجراد .

(٨) ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/١٢٨ .

(٩) البوهة: البومة. العقيقة: شعر الإنسان الذي ولد به. الشعر الأحسب: الأشقر .

(١٠) التقدير (بين أرساغه مرسعة) ، والمرسعة: العوذة، من خرز وغيره لدفع الشر. حسب اعتقادهم - . العسم: الاعوجاج، واليس .

ليجعل في كفه كعبها حذار المنيّة أن يعطبا

- وقال الأعشى^(١) وقيل للمدار العدوي^(٢) يصف جواداً .

وإذا تصفّحه الفوارس معرضاً فتقول سرحان الغضا المنتصب^(٣)
أما إذا استدبرته فتسوقه ساق يقمصها وظيف أحدب^(٤)
منه وجاعرة كأن حماتها كشطت مكان الجل عنها أرنب^(٥)
- وقال عمرو بن قميئة^(٦) :

ليس بالمطعم الأرنب أذ قد ص دّر اللقاح في الصنبر^(٧)
ورأيت الإماء كالجعثن البا لي عكوفاً على قرارة قدر
ورأيت الدخان كالودع الأه جين ينباع من وزاء السّتر
حاضر شرّكم وخيركم د ر خروس من الأرنب بكر
وقال الشّماخ بن ضرار^(٨) :

فما تنفك بين عويرضات تجر برأس عكرشة زموع^(٩)

(١) لم أجد الأبيات في ديوان الأعشى شرح الدكتور م. محمد حسين .

(٢) الحيوان ٣٥٤/٦ .

(٣) السرحان: الذئب. المنتصب: المنتصب أي القائم .

(٤) الوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. يقمصها، من القمص وهو أن يرفع الفرس يديه معاً ويطحرحهما معاً .

(٥) الجاعدة: حرف الورك المشرف على الفخذ. الحماة: مرّ تفسيرها .

(٦) الحيوان ٣٥٦/٦ ، رسائل الجاحظ ٣٥٧/٢ ، وديوان عمرو بن قميئة (الذيل) ٧٨/ .

(٧) في رواية البيت اختلاف بين المصادر المذكورة، والمثبت عن كتاب الحيوان. الصنبر: شدة البرد .

(٨) الحيوان للجاحظ ٢٨٢/٥ .

(٩) عويرضات: اسم موضع. العكرشة: أنثى الأرنب . الزموع: التي تمشي على زمعاتها، والزمعة مؤنخر رجلها .

تُطَارِدُ سَيِّدَ صَارَاتٍ وَيَوْمًا عَلَى خِزَّانٍ قَارَاتِ الْجُمُوعِ^(١)

(١) صارات : اسم جبل . الخِزَّان : ذكور الأرنب . القارات ، جمع قارة : الجبل الصغير . الجموع : الجماعات .

الأَوْزُ

الأَوْزُ (بالفتح ويكسر) طير مائيٌّ واحدته إَوْزَةٌ ، وقد جمعه بالواو والنون فقالوا : إَوْزُون .

ويسمَّى أيضاً ، البط (أعجمي معرَّب ، بَتُّ) ، والبطَّة إسم للأنثى والذكر جميعاً ، وليست الهاء للتأنيث وإنما هي لواحد الجنس ، تقول : بطَّة أنثى ، وبطَّة ذكر . قال ابن جنِّي : إِنَّهَا سُمِّيَتْ بذلك حكاية لأصواتها .

مما ورد عنه في الأمثال^(١)

(أَوْ لِلْبَطِّ تَهْدِيدِينَ بِالشُّطِّ) .

ورد هذا المثل في رسالة لأبي الحسن سنان بن سليمان بن محمد صاحب قلاع الإسماعيلية أرسلها إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي يرُدُّ بها على تهديدات السلطان .

(١) حياة الحيوان الكبرى ١٢٤/١ .

مما ورد عنه في القصص^(١)

- زعموا أنَّ غديراً كان عنده عشب، وكان فيه بطنان، وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة. فاتفق أن غيض ذلك الماء، فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا: السلام عليك فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه. فقالت: إنما يبين نقصان الماء على مثلي التي كأني السفينة لا أقدر على العيش إلا بالماء، فأما أنتما فتقدرا على العيش حيث كنتما، فاذهبا بي معكما. قالتا: نعم. قالت: كيف السبيل إلى حملي؟

قالتا: نأخذ بطرفي عود وتقبضين بفيك على وسطه ونطير بك في الجو. وإياك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي.

ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو. فقال الناس: عجب، سلحفاة بين بطتين قد حملتاها. فلما سمعت ذلك قالت: فقأ الله أعينكم أيها الناس. فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الأرض فماتت.

- ويحدثنا ابن شهيد الأندلسي في التوابع والزوابع أنَّه بينما كان واقفاً في وادي الجن مع بغلة من بغالها إذ رأى إوزة جنية في بركة ماء قريبة منه ومن صاحبه زهير بن نمير من أشجع الجن.

(إوزة بيضاء شهلاء في مثل جثمان النعامة، كأنما ذر عليها الكافور، أو لبست غلالة من دمعس الحرير... في ظهرها صفاء، تشني سالفتها وتكسر حدقتها، وتلولب قَمَحْدُوتَهَا^(٢)) فترى الحسن مستعاراً منها والشكل مأخوذ عنها).

(١) كليلة ودمنة/١٨١، والنثر الفني للدكتور زكي مبارك ٢٦٤/١، ورسالة التوابع والزوابع/٢٠٦ - تحقيق بطرس البستاني - دار صادر ١٩٥١.

(٢) القمحدوة: الهنة الناشزة فوق القفا، وأعلى القذال، ومؤخر القذال جمعها قماحد.

وقد صاحبت تلك الإوزة بالبغلة (لقد حكمتكم بالهوى ورضيتكم من صاحبكم بغير الرضى)^(١) .

فيسأل ابن شهيد صاحبه : ما شأن هذه الإوزة ؟ فيجيبه :

(هي تابعة شيخ من مشيختكم تسمى العاقلة ، وتسمى أم عفيف ، وهي ذات خط من الأدب فاستعدّ لها) .

فيقول ابن شهيد : (أيتها الإوزة الجميلة ، العريضة الطويلة : لجمال صفتك باعتدال منكبيك ، واستقامة جناحيك ، وطول جيدك ، وصفر رأسك . تقابلين الضيف بمثل هذا الكلام ، وتلقين الطائر الغريب بشبه هذا المقال ، وأنا الذي هممت بالأوز صباغة ، واحتملت في الكتاب بها غصن كل مقالة ، وأنا الذي استرجعتها للوطن المألوف ، وحببتها إلى كل غطريف ، فاتخذتها السادة بأرضنا ، واستهلك عليها الظرفاء منا ، ورضيتها بدلاً من العصافير ، ومتكلمات الزراير ، ونسييت لذة الحمام ، ونقار الديوك ، ونطاح الكباش) .

عند ذلك داخلها العجب من كلام ابن شهيد ثم تدفعت وقد اعترتها خفة شديدة في مائها ، فمرة سابحة ، ومرة طائرة ، تغطس هنا وتخرج هناك ، ثم سكنت وأقامت عنقها وعرضت صدرها وقالت لابن شهيد :

(أيها الغار المغرور ، كيف تحكم في الفروع وأنت لا تحكم الأصول ؟ ما الذي تحسن ؟) .

ثم يلاحقها وتلاحيه حول الشعر والخطابة والنحو والغريب إلى أن يسألها : يا أم عفيف ، بالذي جعل رداءك ماء ، وحشا رأسك هواء ، أيهما أفضل ؟ الأدب أم العقل ؟ فتجيب : بل العقل . فيقول ابن شهيد : وهل تعرفين في الخلائق أحق من إوزة ؟ فتجيب : لا .

(١) تشير إلى مناظرة شعرية جرت بين بغل وحمار .

فيقول: تطلبي عقل التجربة إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة . . .

مما ورد عنه في الشعر

قال الدكتور أكرم فاضل تحت عنوان (البطة العرجاء)^(١).

جاؤوا بها من جنوب القطر عرجاء
فعالجتها يد من مראה كلفت
كانت تذر عليها كل آونة
كانت تضممها كانت تمرضها
تشكو إلى الله ظلم الناس خرساء
بالخير تسديه معروفا لمن شاء
من المساجيق ما تشفي به الداء
تحنو على جرحها صبحاً وإمساء

* * *

وكانت البطة العرجاء ترفسها
ولا تني نقر كفها مدافعة
أدمت يديها على صنع الجميل لها
علماً بأن يد الإنسان قد ظلمت
فالبطة اليوم في دعر وفي قلق
والرفس والنقر تعبير لمنتقم
وها هي الآن في البستان سائحة
فهل تراها تناست ظلم ظالمها
بأظفر تشبه الأشواك إيذاء
عن نفسها من طيب رام إشفاء
فزادت المرأة المؤذاة سراء
والظلم لا بد أن يرتد بغضاء
تحشى البرية أشراً وأعداء
من ابن آدم ممن طاب أو ساء
سباحة حيث ألفت دونها ماء
وأسدلت فوقه عفواً وإغضاء

وقال أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني يصف فحل إوز^(٢):

نظرت إلى فحل الإوز فخلته
ينقل رجله على حين فترة
من الثقل في وحل وما هو بالوحل
كمنتعل لا يحسن المشي في النعل

(١) ديوان (في المقاهي والملاهي/ ١٣) .

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٣٦/١٠ ، وديوان ابن رشيق القيرواني جمع الدكتور عبد الرحمن باغي/ ١٦٢ .

لَهُ عُنُقٌ كَالصَّوْلَجَانِ وَمَخْطُمٌ
يُدَاخِلُهُ زَهْوٌ فَيُلْحِظُ مِنْ عَلٍ
يَضُمُّ جَنَاحِيهِ إِلَيْهِ كَمَا أَرْتَدَى
حَكَى طَرَفَ الْعُرْجُونِ مِنْ يَانِعِ النَّخْلِ
جَوَانِيهِ الْحَاطِ مُتَّهِمِ الْعَقْلِ
رِدَاءٌ جَدِيداً مِنْ بَنِي الْبَدْوِ ذُو جَهْلِ

إِبْنُ عِرْسٍ

ابن عِرس (بالكسر) وجمعه بنات عرس للذكر والأنثى - المعرفة النكرة -
وحكى الأخفش : بنات عرس ، وبنو عرس .

تقول هذا ابن عرس مقبلاً ، وهذا ابن عرس آخر مقبلاً . ويجوز في
المعرفة الرفع ، كما يجوز في النكرة النصب ، وهو في ذلك كآبن آوى وآبن
مخاض وآبن لبون .

هو حيوان نشط أكبر من الجرذ ، في جسمه وذيله طول . ومن أسمائه
السَّرْعُوب لطول جسمه . كنيته أبو الحكم ، وأبو الوثَّاب .

مِمَّا ورد عنه في القصص^(١)

- زعموا أَنَّ عُلْجوماً^(٢) جاور حَيَّةً فكان كلَّما أفرخ جاءت إلى عَشِّه ،
وأكلت فراخه ، ففزع في ذلك إلى السَّرَطان ، فقال له السرطان : إِنَّ بِقربك
جحراً يسكنه ابن عرس وهو يأكل الحَيَّات ، فأجمع سمكاً كثيراً وفَرَّقَه من جحر

(١) كليله ودمنة/ ١٩١ و ٣٢١ .

(٢) يطلق اسم العلجوم على عدد من الحيوانات ، وهو هنا : نوع كبير من الضفادع .

آبن عرس إلى جحر الحَيَّة، فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ فِي أَكْلِ السَّمَكِ انْتَهَى إِلَى جحر الحَيَّة فأكلها .

ففعل وكان كذلك .

ثم تدرَّج آبن عرس إلى جحر الحَيَّة في طلب غيرها حتى بلغ إلى جحر العُلجُوم فأكله أيضاً وفراخه جميعاً .

- وزعموا أَنَّ ناسكاً رُزق غلاماً بعد يأس، ولما حان لزواجه أن تغتسل قالت له: أقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود .

ثم إِنَّهَا انطلقت إلى الحمام وخَلَّفت زوجها والغلام، فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه، ولم يجد من يُخَلِّفه عند آبنه غير آبن عرسٍ داجنٍ عنده كان قد ربَّاه صغيراً، فهو عنده عدِيل ولده. فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول. فخرج من بعض أبحار البيت حَيَّة سوداء فدنّت من الغلام، فضربها آبن عرس فوثبت عليه فقتلها ثم قَطَّعها وامتلأ فمه من دمها. ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمشير له بما صنع من قتل الحَيَّة. فلَمَّا رآه ملوئاً بالدم وهو مذعور، طار عقله وظنَّ أَنَّهُ قد خنق ولده ولم يثبَّت في أمره ولم يترَوَّ فيه حتَّى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظنَّ من ذلك، ولكن عَجَّل على آبن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على أم رأسه فمات .

ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حيّاً وعنده أسود مقطَّع، فلما عرف القصَّة وتبيَّن له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال: ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر. ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحالة فقالت له: ما شأنك؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له، فقالت: هذه ثمرة العجلة لأنَّ الأمر إِذَا فَرَطَ مثل الكلام إِذَا خرج والسَّهم إِذَا مَرَقَ، لا مردَّ له .

مما ورد عنه في الشعر

قال الناشي الأكبر (عبد الله بن محمد) (١) في صيده الثعلب :

لو أن حيّاً واثقاً بعُمره
بِمَقْضَلٍ يَحْصِنُهُ مِنْ غَدْرِهِ
أَبُو الْحُصَيْنِ كَامِناً فِي جُحْرِهِ
أَنَّ الْوَجَارَ ضَامِنٌ لِنَصْرِهِ
عَنْ حِيلَةٍ يُعْمِلُهَا بِفِكْرِهِ
وَلَيْسَ يَجْرِي فِي بَنَاتِ صَدْرِهِ
وَهَاجِمٌ عَلَيْهِ فِي مَقَرِّهِ
وَحَيْطُهُ مُعَلَّقٌ فِي نَحْرِهِ
جَرُّهُ فَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ قَعْرِهِ
وَقَدَّهِ أَوْ قَطَّه مِنْ خَضْرِهِ
لَكِنَّهُ بِعَصْرِهِ وَقَسْرِهِ

أَوْ عَائِداً مِنْ نَكَبَاتِ دَهْرِهِ
أَفْلَتَ مِنْ خُتْلٍ الرَّدَى وَخُتْرِهِ
مُقَدِّراً فِي ظَنِّهِ وَفِكْرِهِ
وَحِفْظِهِ مِنْ قَانِصٍ وَسْتَرِهِ
إِذَا غَدَا بِكَلْبِهِ وَصَقْرِهِ
أَنَّ ابْنَ عِرْسٍ قَاصِمٌ لِظَهْرِهِ
أَعْجَبَ بِهِ مُقْتَحِماً فِي وَكْرِهِ
حَتَّى إِذَا أَمَرْتَهُمْ بِجَرِّهِ
لِلَّهِ مَا أَعْظَمَهُ بِهَضْرِهِ
وَذَبْحِهِ بِنَابِهِ وَظُفْرِهِ
أَحْسَنَ فِي اسْتِحْيَائِهِ وَأُسْرِهِ (٢)

وقال أبو الشمقمق (٣) :

إِبْنُ عِرْسٍ رَأْسَ بَيْتِي
سَيْفُهُ سَيْفٌ حَدِيدٌ
جَاءَنَا يَطْرُقُ بِاللَّيْلِ
صَاعِداً فِي رَأْسِ نَبْقَةٍ
شَقَّه مِنْ ظُلْعٍ سِلْقَةٍ (٤)
فَدَقَّ أَلْبَابَ دَقَّةٍ

(١) المصائد والمصادر/ ٢٢٧ .

(٢) استحياء: تركه حياً .

(٣) الحيوان للمجاهد ٢٦٨/٥ .

(٤) حديد: حاد. السِّلْقَة (بالكسر) أنثى السلق وهو الذئب، وقيل: السِّلْقَة: الذئبة خاصة، ولا يقال للذكر سلق.

بَحَلَّ الْبَيْتَ جِهَاراً	لَمْ يَدْعُ فِي الْبَيْتِ فَلَقَهُ ^(١)
وَأَتَى يَصْفِقُ مِنِّي	عَيْنَ بَابِ الدَّارِ صَفْقَهُ ^(٢)
صَفْقَةً أَبْصَرْتُ مِنْهَا	فِي سَوَادِ الْعَيْنِ زُرْقَهُ
زُرْقَهُ مِثْلَ ابْنِ عَرَسٍ	أَغْبَشُ تَعْلُوهُ بُلْقَهُ ^(٣)

(١) يريد بالفلقة: الكسرة من الخبز .

(٢) الصفقة: الضربة يسمع لها صوت. البيت المثبت في متن المصدر المذكور :
وتترس برغيف وصفق نازويه صفاقه
أما البيت الذي أثبتته بمكانه فهو عن رواية أخرى أوردها المحقق في الحاشية .

(٣) الغبش: الظلمة. البلقة: سواد يخالطه بياض .

الأيِّل

الأيِّل (كسَّيد) والجمع إيِّل، وإيِّل، وإيائل، والأنثى أيِّلة وإنَّما سَمِّي بذلك لأنَّه يؤول إلى الجبال ويعتصم بها .

وهو حيوان لبون من ذوات الأظلاف متشعب القرون أنواعه متعدِّدة ولكنَّها لا تختلف عن بعضها كثيراً، وكلُّ نوع ينسب إلى لونه أو المنطقة التي يعيش فيها، ومنها اليعمور، والوعل والأروى .

مما ورد عنه في الشعر

- قال الزجاجي^(١) أخبرني بعض أصحابنا، قال: حضرت مجلس أبي بكر ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر:

هَجَرْتُكَ لَا قَلِيَّ مِنِّي وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَقَاءَ وَدَّكَ فِي الصُّدُودِ
كَهَجَرِ الْحَائِمَاتِ الْوَرْدَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الْمِيَّةَ فِي السُّرُودِ
تَفِيضُ نَفْسُهَا ظَمًا وَتَخْشَى حِمَامًا فَهِيَ تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدِ
تَصُدُّ بِوَجْهِ ذِي الْبَغْضَاءِ عَنْهُ وَتَرْمُقُهُ بِالْحَاطِ الْوُدُودِ

(١) أمالي الزجاجي/٢٤٧ وحياة الحيوان/١٠٧ .

قال : إِنَّ الأيَّامَ تَأْكُلُ الأَفَاعِي فِي الصَّيْفِ فَتَحْمَى وَتَلْهَبُ لِحَرَارَتِهَا،
فَتَطْلُبُ المَاءَ، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ امْتَنَعَتْ مِنْ شَرْبِهِ وَحَامَتْ حَوْلَهُ تَنْتَشِمُهُ، لِأَنَّهَا إِنْ
شَرِبَتْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَصَادَفَ المَاءَ السَّمَّ الَّذِي فِي أَجْوَافِهَا تَلَفَتْ، فَلَا تَزَالُ
تُدَافِعُ شَرْبَ المَاءِ حَتَّى يَطُولَ الزَّمَانُ فَيَسْكُنُ فُورَانَ السَّمِّ، ثُمَّ تَشْرِبُهُ فَلَا
يُضُرُّهَا .

فيقول هذا الشاعر: أنا في تركي وصالك مع شدة حاجتي إليه إبقاءً على
وذك، بمنزلة هذه الحائثات التي تدع شرب الماء مع شدة حاجتها إليه إبقاءً على
حياتها .

- وقال المتنبي^(١) من أرجوزة يذكر فيها خروج عضد الدولة للصيد :

طَوَّعَ وَهُوقَ الْخَيْلَ وَالرِّجَالَ ^(٢)	فَقِيدَتِ الْإِيْلُ فِي الْجِبَالِ
مُعْتَمَةً يَبَسَ الْأَجْذَالَ ^(٣)	تَسِيرُ سَيْرَ النَّعَمِ الْأَرْسَالَ
قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفَالِي ^(٤)	وُلِدْنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الْأَحْمَالِ
إِذَا تَلَفَّتْنَ إِلَى الْأَظْلَالِ	لَا تَشْرِكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهُزَالِ
كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ ^(٥)	أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الْأَمْثَالِ
وَالْعُضُو لَيْسَ نَافِعاً فِي حَالِ ^(٦)	زِيَادَةٍ فِي سُبَّةِ الْجُهَّالِ

(١) ديوان المتنبي شرح اليازجي/٦١٤ .

(٢) الوهوق جمع وهق: الحبل تؤخذ به الدابة وغيرها . يريد بالخيل: الفرسان .

(٣) الارسال: القطعان . الأجذال: أصول الشجر . يقول كان قرونها أعواد يابسة من أصول الشجر .

(٤) يريد بقوله، ولدن : خلقن كذلك، ويقول أثقل الأحمال: القرون لغلظها وتشعبها وثقلها، وأنها

تمنعن أن يفلين رؤوسهن لاعوجاجها .

(٥) أشنع الأمثال: أقيح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها، ويشير بقوله: خلقن للإذلال، إلى قول

العامة في الشتم: يا قرنان، وهو الذي لا غيره له .

(٦) السبّة: العار. أراد بالعضو: القرن، وقد أطلقه عليه مجازاً .

لِسَائِرِ الْجِسْمِ مِنَ الْخَبَالِ وَأَوْفَتِ الْفُؤَادُ مِنَ الْأَوْعَالِ^(١)
 مُرْتَدِيَاتٍ بِقَسِيٍّ الضَّالِّ نَوَاحِسَ الْأَطْرَافِ لِلْأَكْفَالِ^(٢)
 يَكْدُنْ يَنْفُذْنَ مِنَ الْأَطَالِ لَهَا لِحَى سُوْدٌ بِلا سِبَالِ^(٣)
 يَصْلُحْنَ لِلْإِضْحَاكِ لَا الْإِجْلَالِ

وقال شاعر ينعت كلب صيد^(٤) :

ذَا هِمَّةٍ فِي الصَّيْدِ فِي أَعْلَى الْعُلَا يَسْتَصْغِرُ الظِّي فَيَبْغِي الْأَيَّلَا
 لَا يَجِدُ الْأَيْلُ مِنْهُ مَوْتِلَا تَخَالُهُ مِنْ خَوْفِهِ مُعَقَّلَا

(١) الخبال : شلل الأعضاء. الفدر (بضم فسكون) ، جمع الفادر، وهو الوعل المسن، وقيل: الشاب التام منه .

(٢) الضال: شجر السدر البري. نواחס، حال من القسي.

(٣) الأطال جمع إطل وهو الخاصرة. السبال: الشوارب.

(٤) المصائد والمطارد/١٤٢ .

البغاء

طير مشهور، دمث الخلق ثاقب الفهم، له قابلية على محاكاة الأصوات وقبول التلقين.

قال ابن معصوم المدني^(١): (رأينا في بندر جيتابور بالهند من الباغى الخضر ما لا يحصى. واحدها بَبْغَا - بثلاث بآت موحدات أولاهن وثالثتهن مفتوحتان، والثانية ساكنة، وبالغين المعجمة - وهي هذا الطائر المعروف بالدُرَّة - بدال مهملة مضمومة - كذا ضبطها [الصاغانى] في العباب، وضبطها السمعاني في الأنساب بباءين - بفتح الأولى وإسكان الثانية).

واللفظة هندية الأصل أغفلها عدد من أصحاب معاجم اللغة منهم الجوهري في الصحاح، وابن منظور في لسان العرب، والفيروز أبادي في القاموس.

وقال الزبيدي في تاج العروس: (البغاء بفتح فسكون وقد تشدد الباء الثانية).

(١) في رحلته المسماة سلوة الغريب وأسوة الأريب: انظر مجلة المورد العدد الثالث من المجلد الثامن ص/ ٣٤١ و ٣٤٢.

وقال الشيخ محمد رضا في معجم متن اللغة: (البغاء: دخيلة هندية، جمعه ببغاوات ويعرف بالدُّرة).

وقال الشرتوتي في أقرب الموارد: (البغاء، وتفتح الباء وتشدد مفتوحة: طائر من أشهر أوصافه أنه يسمع كلام الناس فيعيده، ويشبه به من حفظ كلاماً لا يدري معناه. يقع على الذكر والأنثى فيقال: ببغاء ذكر، وببغاء أنثى والجمع ببغاوات).

وقال النويري^(١): (البغاء: طائر هندي، وحشي... في لونه: الأخضر والأغبر والأسود والأحمر والأصفر والأبيض، وهذه الألوان كلها قليلة نادرة الوجود إلا الأخضر والأغبر. وقد شاهدت أنا بالقاهرة المعزية درة بيضاء. وحكي أنه أهدى إلي معز الدولة ابن بويه ببغداد هدية من اليمن كان فيها ببغاء بيضاء، سوداء المنقار والرجلين، وعلى رأسها ذؤابة فستقية.

مما ورد عنها في الشعر

كتب أبو إسحاق الصابي إلى أبي الفرج البغاء هذه الأرجوزة في صفة البغاء^(٢):

أَنعَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً	نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
غَدَتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ	يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِئِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا	وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
سَكَّاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ	تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ ^(٣)
و [ر] بِمَا لُقِّنَتْ الْعَضِيهَةُ	فَتَغْتَدِي بِذِيئَةٍ سَفِيهَةٍ ^(٤)

(١) نهاية الأرب ٢٨٠/١٠.

(٢) يتيمة الدهر ٢٦٩/١، ومجلة المورد العدد الثالث من المجلد الثامن ص/٣٤٢.

(٣) السكَّاء: الصغيرة الأذن، والصلماء التي لا أذن لها أصلاً، والصُّماء.

(٤) العضية: الإفك والبهتان.

زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوْطَنْتَ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ^(١)
 ضَيَّفَ قِرَاهُ الْجَوُزُ وَالْأَرُزُّ وَالضَّيْفُ فِي أَبْيَاتِنَا يُعَزُّ
 تَرَاهُ فِي مَنَاقِرِهَا الْخَلُوقِ كَلُؤْلُوءٍ يُلْقَطُ بِالْعَقِيقِ
 تَنْظُرُ مِنْ عَيْنَيْنِ كَالْفُصَيْنِ فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ بَصَاصَيْنِ
 تَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا الْخَضْرَاءِ مِثْلَ الْفَتَاةِ الْغَادَةِ الْعَذْرَاءِ
 خَرِيدَةً خُذُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
 نَحْبُسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا نَحْبِسُهَا لِلْحُبِّ
 تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كَنَيْتُ عَنْهَا وَأَسْمُهَا مَعْرُوفٌ
 نُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرَ الزَّمَانِ وَالكَاتِبَ الْمَعْرُوفَ بِالْيَانِ
 ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ تَقِيهِ نَفْسِي عَادِيَاتِ الدَّهْرِ

فأجابه أبو الفرج بأرجوزة تأخذ منها وصفه للبيغاء استهلها بقوله :

مَنْ مُنْصِفِي مَنْ حَكَمَ الْكِتَابِ شَمْسِ الْعُلُومِ قَمَرِ الْأَدَابِ
 ثم يقول بعد سبعة أبيات منها^(٢) :

وَصَحَّ أَنَّ الْبِغَاءَ مَقْصِدُهُ بِكُلِّ مَا كَانَ قَدِيمًا يُورِدُهُ
 فَلَمْ يَدْعُ لِقَائِلٍ مَقَالًا فِيهَا وَلَا لِخَاطِرٍ مَجَالًا
 أَهْدَى لَهَا مِنْ كُلِّ نَعْتٍ أَحْسَنَهُ وَصَاغَ مِنْ حَلِي الْمَعَانِي أَرْيَنَهُ
 أَحَالَ بِالرَّيْشِ الْأَشْيِبِ الْأَخْضَرِ وَبِأَحْمِرَارِ طَوْقِهَا وَالْمَنْسِرِ^(٣)
 عَلَى اخْتِلَاطِ الرُّوضِ بِالشَّقِيقِ وَأَخْضَرِ الْمِينَاءِ بِالْعَقِيقِ
 تُزْهِى بِدُؤَاجٍ مِنَ الزُّمَرْدِ وَمُقَلَّةٍ كَسَبَجٍ فِي عَسْجَدِ^(٤)

(١) القعيدة: المرأة لقعودها في البيت.

(٢) يتيمة الدهر ١/ ٢٧٠.

(٣) الأشيب: المختلط.

(٤) الدؤاج: لحاف يلبس. السيج: خرز أسود (فارسي معرب).

وَحُسْنٍ مِنْقَارٍ أَشَمَّ قَانِي
صَيَّرَهَا أَنْفِرَادُهَا فِي الْحَبْسِ
تَمَيَّزَتْ فِي الطَّيْرِ بِالْبَيَانِ
تَحْكِي الَّذِي تَسْمَعُهُ بِلَا كَذِبٍ
غِذَاؤُهَا أَزْكَى طَعَامٍ رَغْدَا
ذَاتِ شَغْيٍ تَحْسَبُهُ يَاقُوتَا
كَأَنَّمَا الْحَبَّةُ فِي مِنْقَارِهَا
إِقْدَامُهَا بِبَاسِهَا الشَّدِيدِ
فَهِيَ كَخَوْذٍ فِي لِبَاسٍ أَخْضَرِ
وَوَصَفُهَا الْمُعْجِزُ مَا لَا يُدْرِكُ
لَوْلَمْ تَكُنْ لِي لَقَبًا لَمْ أَخْتَصِرْ
وَأِنَّمَا تُنَعْتُ بِأَسْتَحْقَاقِ
شَرَفِهَا وَزَادَ فِي تَشْرِيفِهَا
فَكَيْفَ أَجْزِي بِالثَّنَاءِ الْمُنْتَحَبِ

ولما غلب وصيْفٌ وبُغَا على أمر المستعين حتى كان لا يصدر إلا عن رأيهما قال في ذلك جنبذ الكاتب^(٤):

خِلَافَةٌ جَائِرَةٌ فَاسِدَةٌ مَا تُبْتَغَى
صَاحِبُهَا مُحْتَجِبٌ يَفْرَقُ مِنْ حَرِّ الْوَعَى

- (١) الشغى: اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج.
(٢) الخركاة: تطلق بالعموم على المحل الواسع وبالأخص على الخيمة الكبيرة التي يستعملها أمراء الأكراد، ثم أطلقت على سرادق الملوك والوزراء (معربة، فارسيتهَا حركاه بالكاف الفارسية).
(٣) بُرْدْمَفُوفٌ: مخطوط، أو موشى.
(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤٨٨/.

مُقْتَسَمٌ مُعْتَبَدٌ بَيْنَ وَصِيفٍ وَبُغَا
يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ كَمَا تَقُولُ الْبُغَا

وكتب أحمد بن يوسف الكاتب إلى بعض اخوانه وقد ماتت له ببغاء، وله
أخ كثير التخلُّف يسمَّى عبد الحميد: (١)

أَنْتَ تَبْقَى وَنَحْنُ طُرّاً فِدَاكَ أَحْسَنَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ عَزَاكَ
فَلَقَدْ جَلَّ خَطْبُ دَهْرٍ أَتَاكَ بِمَقَادِيرٍ أَتْلَفْتَ بَبْغَاكَ
عَجَباً لِلْمُنُونِ كَيْفَ أَتَتْهَا وَتَخَطَّتْ عَبْدَ الْحَمِيدِ أَخَاكَ
كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ أَصْلَحَ لِلْمَوْتِ مِنْ الْبُغَا وَأَوْلَى بِذَاكَ
شَمَلْتَنَا الْمُصِيبَتَانِ جَمِيعاً فَقَدْ نَا هَذِهِ وَرُؤْيَا ذَاكَ
وقال مطيع بن إياس مخاطباً جارية له كانت تُسمَّى رُوقة معدداً بعض ما
خصَّ الله به بلاد الهند: (٢).

رُوقُ يَا رُوقُ لَوْ تَرِينَ مَحَلِّي بِبِلَادٍ مَعْرُوفُهَا مَجْهُولُ
بِلَادٍ بِهَا تَبْيَضُ الطَّوَاوِيدُ سُسُ وَفِيهَا يُزَاوِجُ الزَّنْدَبِيلُ (٣)
وبها الْبَبْغَاءُ وَالصُّفْرُ وَالْعُودُ دُ لَهُ فِي ذَرَى الْأَرَاكِ مَقِيلُ (٤)
وَالْحَمُوعُ الْعَرْجَاءُ وَالْأَيْلُ الْأَفْ رَنُ وَاللَّيْثُ فِي الْغِيَاضِ النَّسُولُ (٥)
وقال تاج الدين عبد الباقي اليماني فيها ملغزاً: (٦)

يَا سَيِّدَا أَبْدَعِ فِي الْمَقَالِ وَيَا رَئِيسَا فَاقْ فِي الْمَعَالِي

(١) وفيات الأعيان ٢٠٨/٣.

(٢) الحيوان للجاحظ ١٧١/٧.

(٣) الزندبيل: تعريب (زندة) الفارسية، بمعنى ضخم. (وييل) بمعنى فيل، أي الفيل العظيم.

(٤) الصفر (بالضم): النحاس الأصفر. العود: ضرب من البخور. الأراك: شجر طيب الرائحة يتبخّر ويستاك بقضبه.

(٥) الحُمُوع العرجاء: الضبع. الليث النسول: الأسد المشبل.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٨١/١٠.

ما حَيَوَانٌ مُّشَبَّهٌ الْإِنْسَانِ
 ذُو مَبْسَمٍ صَيِّغٍ مِنَ النُّضَارِ
 وَمُخْلَبٍ يُكْسَرُ الصَّلِيبَا
 ذُو حُلَّةٍ بَنْدِيَّةِ الْبُرُودِ
 كَرَوْضَةٍ قَدْ أَيْنَعَتْ أَزْهَارَهَا
 قَدْ جُمِعَتْ فِي ذَاتِهِ أَلْوَانُ
 فَذَاتُهُ مِنْ نَاصِعِ الزَّبْرِجَدِ
 وَتَارَةً يُبْصِرُ مِنْ أَقْصَا
 وَعُزْفُهُ مِنْ خَالِصِ الْمِدَادِ
 يَأْكُلُ بِالْكَفِّ خِلَافَ الطَّيْرِ
 إِنْ لَقِيَ الْحَبَّ لَدَى تَفْرِيقِهِ
 يَحْفَظُ بَيْتَ الْمَرْءِ فِي الْمَغِيبِ
 سَمِيئُهُ فِي أَسْفَلِ الْبَحَارِ
 إِلَيْهِ يُعْزَى الشَّاعِرُ الْمَجِيدُ

وقال الشريف المرتضى في بغياء قنصها ابن عرس ليلاً^(١)

فَجَعَةً مَا أَحْتَسِبْتُهَا فِي زَمَانِي
 وَأَشَدُّ الْخُطُوبِ عُنْفًا بِنَفْسٍ
 أَيُّهَا الْآخِذِي بِشَأْنِ التَّسْلِي
 رُمْتَ عَذْلِي وَأَنْتَ تَجْهَلُ مَا بِي
 خَلَجْتَ فِي بَغْيَاءِ نَبْوَةٍ دَهْرٍ
 بَعَثَ الدَّهْرُ نَحْوَهَا يَدَ شَخْصٍ
 غَالَهَا فُرْصَةً وَمَا الْغَافِلُ الْوَسَدُ

(١) ديوان ٣/٣١٦.

لَوْ أَتَى . مُعَلِّناً يَوْمَ رَدَّاهَا
أَمَكَّتْهُ حُشَاشَةٌ طَالَمَا خَا
صَدَّهَا الْحَيْنُ عَنْ تَعَاطِي جِذَايَ
إِنْ تَكُنْ عُوجِلْتُ فَمَا مُهْلَةُ الْمُرِّ
ذَاتُ جِسْمٍ يَحْكِي الزَّبْرَجَدَ قَدْ نِيدِ
غَضَّةُ اللَّوْنِ تُبْصِرُ الْعَيْنُ مِنْهَا
وَخَوَافٍ قَدْ فَارَقَتْ لَوْنَهَا أَلَا
تُرْجِعُ الْقَوْلَ كَالصَّدَى فِي أَقَاصِي
تَمَحَضَّ الصَّدَقَ إِنْ أَجَابَتْ سُؤْلاً
لَا أَسْتَقَلُّ مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ وَرَقَا

لَأُثْنِيَ غَانِماً مِنَ الْحَرَمَانِ
بَتُّ لَدَيْهَا وَسَائِلُ الْإِمْكَانِ
مِنْهُ وَالْحَيْنُ عُقْلَةُ الْأَذْهَانِ
جَا عَلَى سُنَّةِ الرَّدَى بِأَمَانِ^(١)
طَتَّ ذُرَاهُ بِمَنْسَرٍ مَرْجُونِي
رَوْضَةً أَخْمَلَتْ بَلَا بُسْتَانِ
(م) ظَهَرَ فِيهَا بِمَنْظَرٍ أَرْجُونِي
دَرَجَاتِ الْإِفْصَاحِ وَالتَّبْيَانِ
وَهِيَ خَلَوُ مِنْ فَهْمِ تِلْكَ الْمَعَانِي
ءُ تُبْكِي الدُّجَى عَلَى الْأَغْصَانِ

(١) المرجأ: المرجأ. أي المؤخر.

الْبُرْغُوثُ

البرغوث واحد البراغيث، وضُمَّ بائِه أشهر من كسرِها أو فتحها. وقولهم: أكلوني البراغيث لغة طيء وهي لغة ثابتة خُرجوا عليها قوله تعالى ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١) على أحد المذاهب، وقوله عزَّ وجلَّ ﴿خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ﴾^(٢) وأشباهه كثيرة معروفة غير أنَّ سيبويه أنكر ذلك وقال: لغة أكلوني البراغيث ليست في القرآن، واحتج بان الضمير في (أسرُوا النجوى) فاعل، و (الذين) بدل منه.

ومن أسماء البرغوث (القُذَذ) والجمع القُذَّان. وكنيته أبو ظافر، وأبو عدي، وأبو الوثَّاب. ويقال له طامر بن طامر^(٣)

مما ورد عنه في الأمثال^(٤)

(أطفر من برغوث) يضرب مثلاً للمبالغة والتناهي.

(١) سورة الأنبياء / ٣.

(٢) سورة القمر / ٧.

(٣) طامر بن طامر، فاعل من الطمر وهو الوثوب والاختباء.

(٤) جمهرة الأمثال ١٣/٢، وحياة الحيوان ١٢٣/١.

(أطمر من برغوٲ) (١) وهذا المثل كسابقه في المعنى .

مما ورد عنه في القصص (٢)

زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهراً فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدبُّ ديباً رقيقاً . فمكثت كذلك حيناً حتى استضافها ليلة من الليالي بُرغوٲ، فقالت له : بت الليلة عندنا في دمٍ طيب وفراش لين . فأقام البرغوٲ عندها حتى إذا أوى الرجل إلى فراشه وثب عليه البرغوٲ فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه . فقام الرجل وأمر ان يفتش فراشه فنظر فلم يرَ إلا القملة فأخذت فقصعت، وفر البرغوٲ .

مما ورد في وصفه نثراً

قال ابن شهيد (٣) .

أسود زنجي ، وأهلي وحشي ، ليس بوان ولا زُميل (٤) ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل ، أو شونيزة ، أو بنتها عزيزة (٥) أو نقطة مداد ، أو سويداء فؤاد (٦) . شربه عب ، ومشيه وثب . يكمن نهاره ويسير ليله . يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم كل كافر ومسلم . مساور للأساورة (٧) ومجرد له على الجابرة (٨) . يتكفن بارفع الثياب ، ويهتك كل حجاب ، ولا يحفل ببواب . يرد مناهل العيش العذبة ،

(١) تقدم تفسير الطمر . .

(٢) كليلة ودمنة / ١٦٢ .

(٣) يتيمة الدهر ٤٦/٢ .

(٤) الزميل : الضعيف الجبان .

(٥) الشونيزة : الحبة السوداء ، والكلمة فارسية الأصل ، وهو نبات عشبي فيه رائحة عطرية .

(٦) في يتيمة الدهر (أو سويداء قلب فؤاد) وهو وهم .

(٧) مساور : موائب . الأساورة جمع الإسوار : قائد الفرس ، والرامي بالسهم ، والأساورة أيضاً : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً كالأحامرة في الكوفة .

(٨) جدد القوم : سألهم فأعطوه كارهين .

ويصل إلى الأحراج الرطبة. لا يمنع منه أمير، ولا ينفع فيه غيره غيور، وهو أحقر حقير. شره مبثوث، وعهده منكوث، وكذلك كل برغوث. كفى بهذا نقصاناً للإنسان ودلالة على قدرة الرحمن.

ووصف أعرابي البراغيث فقال: (١).

ما آذى صغارها وأطفر كبارها، وأخفى أنظمارها (٢)، وأقبح آثارها. وقال بعضهم: (٣).

دبيبها من تحتي أشد عليّ من عضها. وليس ذلك بدبيب وكيف يمكنه الدبيب وهو ملزق على النطع (٤) بجلد جنب النائم، ولكن البرغوث خبيث فمتى أراد الإنسان أن ينقلب من جنب إلى جنب انقلب البرغوث واستلقى على ظهره ورفع قوائمه فدغدغه بها.

مما ورد عنه في الشعر

قال خلف الأحمر (٥):

يا عَجَباً لِلدَّهْرِ ذِي الإِعْجَابِ لِلأُحْدَبِ البُرْغُوثِ ذِي الأَثْيَابِ
يَلْسَعُ لَسَعِ العُقْرَبِ الدَّبَابِ يَقْفِرُ بَيْنَ الجِلْدِ والثِّيَابِ

وقال ابن شهيد الأندلسي في وصفه (٦):

وَمُنْفِرٍ لِلنُّومِ مَسْكَنُهُ إِذَا نَامَ الْمُمَلَّكُ بَيْنَ أَثْنَاءِ الثِّيَابِ

(١) محاضرات الأدباء ٦٨٨/٤.

(٢) الإنطمار: الإختباء.

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٨٤/٥.

(٤) يريد بالنطع: الجلد.

(٥) نور القبس ٧٩.

(٦) ديوان ابن شهيد ٣٨.

يَسْرِي إِلَى الْأَجْسَامِ يَهْتِكُ عَدْوُهُ
وَيَعُضُّ أَرْدَافَ الْحِسَانِ وَمَالَهُ
مُتَحَكِّمٌ فِي كُلِّ جِسْمٍ نَاعِمٍ
فَإِذَا هَمَمْتَ بِزَجْرِهِ وَلَّى وَلَا
وَتَرَى مَوَاضِعَ عَضِّهِ مَخْضُوبَةً
قَرَمَ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ مُكَوَّرَ
عَظْمَتِ رَزِيئَتِهِ وَلَكِنْ قَدْزُهُ

وقال أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد بن السوادي الواسطي ملغزاً
بالبرغوث^(١) :

ما نائمٌ إذا وثبَ
وإنما رقصته
مُعاشِرٌ لَكِنَّهُ
يُؤْخَذُ فِي تَهْمَتِهِ
وَعَيْنُهُ إِذَا أَصْبَا
يُقَدِّمُ وَالشَّمْسُ لَهَا
يَرْحَلُ وَالْكِيَالُ يَهْـ
يَرْقُصُ مِنْ غَيْرِ طَرَبٍ
تُظْهِرُ لِلْغَيْرِ الْحَرَبَ
يُكْثِرُ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ الطَّلَبُ
بَ قِرْنُهُ يَنْوِي الْهَرَبَ
صُبَابَةٌ مِنَ اللَّهَبِ
يَدِي وَالْقَفِيزُ يَنْقَلِبُ^(٢)

وقال أبو الشمقمق^(٣) :

يا طُولَ يَوْمِي وَطُولَ لَيْلَتِي
قَدْ عَقَدْتُ بَنَدَهَا عَلَى جَسَدِي
فَلْيَهْنِ بُرْغُوئُهُ بِجَذَلَتِهِ
وَاجْتَهَدْتُ فِي اقْتِسَامِ جُمْلَتِهِ

(١) خريدة القصر - قسم العراق - ٣٨٥/٤ .

(٢) القفيز - بالزاي المعجمة - : مكيال ثمانية مكايك، وقيل مكيال تتواضع الناس عليه .

(٣) محاضرات الأدباء ٦٨٧/٤ .

وقال محبوب ابن أبي العشنط النهشلي (١) :

لرَوْضَةِ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ أَوْ طَرَفٍ	مِنْ الْقُرْيَةِ جَرْدٌ غَيْرُ مَحْرُوثٍ
لِلنُّورِ فِيهِ إِذَا مَجَّ النَّدى أَرْجُ	يَشْفِي الصُّدَاعَ وَيَشْفِي كُلَّ مَمْغُوثٍ (٢)
أَمَلًا وَأَحْلَى لِعَيْنِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ	مِنْ كَرْخِ بَغْدَادِ ذِي الرُّمَانِ وَالتُّوثِ (٣)
اللَّيْلِ نِصْفَانِ نِصْفٌ لِلْهَمومِ فَمَا	أَقْفِي الرُّقَادَ وَنِصْفٌ لِلْبَرَاغِيثِ
أَبِيتُ حِينَ تُسَامِينِي أَوَائِلُهَا	أَنْزَوْ وَأَخْلَطُ تَسْبِيحًا بَتَغُوثِ
سُودٌ مَدَالِيحُ فِي الظُّلُمَاءِ مُؤَذِيَةٌ	وَلَيْسَ مُلْتَمَسٌ مِنْهَا بِمَشْبُوثِ (٤)

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني (٥) :

بَاتَ الْبَرَاغِيثُ فِي الْفِرَاشِ مَعِي	تَقْسِمُنِي قِسْمَةَ الْمَوَارِيثِ
أَكَلْتَنِي بَعْدَمَا شَرِبَنْ دَمِي	فَمَنْ مُغِيثِي مِنَ الْبَرَاغِيثِ

وقال بعض الأعراب (٦) :

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ أَعْيَانِي وَأَنْصَبَنِي	لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي لَيْلِ الْبَرَاغِيثِ
كَأَنَّهُنَّ وَجِلْدِي إِذْ خَلَوْنَ بِهِ	قُضَاءُ سُوءٍ أَغَارُوا فِي مَوَارِيثِ

وقال آخر (٧) :

هَنِيئًا لِأَهْلِ الرَّيِّ طِيبُ بِلَادِهِمْ	وَأَنْ أَمِيرَ الرَّيِّ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ
--	--

(١) الحيوان للجاحظ ٣٨٦/٥ .

(٢) الممغوث: المحموم .

(٣) أملا: تسهيل أملا، يقال فلان مالىء العين إذا كان فخماً حسن المنظر. التوث؛ لغة في التوت (بتاءين) وهو شجر ذو ثمر معروف باسمه .

(٤) المداليح، جمع مدلاج، وهو الذي يكثر السفر في الليل بطوله. المشبوث، مأخوذ من شبت الشيء: علقه وأخذه بيده .

(٥) نهاية الأرب للنويري ٣٠٤/١٠ .

(٦) الحيوان للجاحظ ٣٨٥/٥، والأعرابيات ٢٦٢/ .

(٧) الحيوان للجاحظ ٣٩٠/٥ .

تَطَاوَلَ فِي بَغْدَادَ لَيْلِي وَمَنْ يَكُنْ
بِلَادُ إِذَا جُنَّ الظَّلَامُ تَقَافَزَتْ
بِرَاغِيْهَا مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَوَاحِدٍ
دِيَارِجَةً سُودُ الْجُلُودِ كَأَنَّهَا
وقال السري الرفاء (٢) :

وليلةٍ من نَقَمَاتِ الدَّهْرِ
مُكَلِّمَ الصَّدْرِ جَرِيحَ النَّحْرِ
قَطَعْتُهَا نَزَرَ الْكَرَى وَالصَّبْرِ
مَقْسَمًا بَيْنَ أَعَادٍ خُذِرٍ
كُمِتْ إِذَا عَايَتْهَا وَشَقِرَ
كَأَنَّهَا آثَارُهَا فِي الْأُزْرِ
وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني (٣) :

إِنَّ الْبَرَاغِيْثَ إِذَا سَاوَرَتْ
وَكُلَّمَا غَنَتْ بَعُوضٌ لَهَا
مِنْ كُنْهَا تَرْقُصُ أَوْ تَقْرُصُ
فَهِيَ عَلَى شُرْبِ دَمِي أَحْرَصُ
تَقْفِزُ مِنْ ثَمَّ إِلَى هَا هُنَا
كَأَنَّهَا زَنْجِيَّةٌ تَرْقُصُ
وقال أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي (٤) :

لَا أَعْدُلُ اللَّيْلَ فِي تَطَاوُلِهِ
لِي فِي الْبَرَاغِيْثِ وَالْبَعُوضِ إِذَا
لَوْ كَانَ يَذْرِي مَا نَحْنُ فِيهِ نَقْصُ
يُلْحِفُنَا حِنْدِسُ الظَّلَامِ قَصْصُ
إِذَا تَغْنَى بَعُوضُهُ طَرَبًا
سَاعَدَ بَرُغُوئُهُ الْغِنَا فَرَقْصُ
وقال آخر (٥) :

قَبِيْلَةٌ فِي طُولِهَا وَعَرْضِهَا
لَمْ يُطَبِّقُوا عَيْنًا لَهُمْ يَغْمُضُهَا

(١) ديارجة، جمع الديزج معرب (ديزه) بالفارسية ومعناه: الدغم، وقيل الأخضر، المداود: معالف الدواب.

(٢) ديوان السري الرفاء/١٤٢.

(٣) نهاية الأرب ٣٠٤/١٠.

(٤) نهاية الأرب للنويري ٣٠٤/١٠.

(٥) الحيوان للجاحظ ٣٩٢/٥.

خَوْفَ الْبَرَاغِيثِ وَخَوْفَ عَضِّهَا كَأَنَّ فِي جُلُودِهَا مِنْ مَضِّهَا
عَقَارِبًا تَرْفُضُ مِنْ مُرْفَضِهَا إِنَّ دَامَ هَذَا هَرَبْتُ مِنْ أَرْضِهَا
يَا رَبِّ فَاقْتُلْ بَعْضَهَا بِبَعْضِهَا

وقال الصنوبري^(١) :

حَمَتْنِي الْبَرَاغِيثُ طِيبَ الْكَرَى	فَلَيْسَ يَطُوفُ الْكَرَى بِالْمَاقِي
طَفِقْنَ يَرِدْنَ رِفَاقاً دَمِي	وَمِنْ أَطْوَلِ الْوَرْدِ وَرْدُ الرَّفَاقِ
تُفَوِّقُ الْهَمَالِجَ فِي مَشْيِهَا	إِلَيَّ وَتَقْفِزُ قَفْزَ الْعِتَاقِ ^(٢)
ذَوَاتُ شِفَارِ رِقَاقٍ تَفُو	قُ فِي الْقَطْعِ حَدَّ الشِّفَارِ الرَّقَاقِ
وَكَالرُّقَبَاءِ عَلَى الْعَاشِقِينَ	فَتُفْسِدُ بِالْقَرْصِ طِيبَ الْعِنَاقِ
تُبَاشِرُ جِلْدَ الْفَتَى كَالْهَبَاءِ	وَيَصْدُرْنَ عَنْ جِلْدِهِ الرُّقَاقِ

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي^(٣) :

وَلَيْلَةٍ دَائِمَةٍ الْغُسُوقِ	بَعِيدَةٍ الْمَمْسَى عَنِ الشُّرُوقِ
كَلِيلَةِ الْمُتَيِّمِ الْمَشُوقِ	أَطَالَ فِي ظَلَمَائِهَا تَشْرِيقِي ^(٤)
أَحَبُّ خَلْقٍ لِأَذَى مَخْلُوقِ	يَرَى دَمِي أَشْهَى مِنَ الرَّحِيقِ
يَعُبُّ فِيهِ غَيْرَ مُسْتَفِيقِ	لَا يَتْرُكُ الصَّبُوحَ لِلْغُبُوقِ
لَوْ بَتُّ فَوْقَ قَمَّةِ الْعُيُوقِ	مَا عَاقَهُ ذَلِكَ عَنْ طُرُوقِي
كَعَاشِقِي أُسْرَى إِلَى مَعْشُوقِ	أَعْلَمَ مِنْ بَقْرَاطٍ بِالْعُرُوقِ

(١) ديوان الصنوبري/ ٤٣٥ .

(٢) الهماليج، جمع الهملاج: البرذون (فارسي معرب) . العتاق، جمع العتيق: الفرس الكريم

الرائع وهو خلاف البرذون .

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٥١١ .

(٤) التشريق: تقديد اللحم .

من أكحل منها وباسليق يَفْصُدها بِمَبْضَعٍ دَقِيقٍ^(١)
من خَطْمِهِ الْمُذْرَبِ الدَّلِيقِ فَصَدَ الطَّبِيبِ الحَادِقِ الرَّفِيقِ^(٢)

وقال أبو الرماح الأسدي^(٣) :

تَطَاوَلَ بالفَسْطَاطِ لَيْلِي وَلَمْ يَكُنْ بِحَنَوِ الغَضَا لَيْلٍ عَلَيَّ يَطُولُ
يُورِّقُنِي حُذْبُ صِنَارٍ أَذْلَةُ وَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِنُهُ لَدَلِيلُ
إِذَا جُلْتُ بَعْضَ اللَّيْلِ مِنْهُنَّ جَوْلَةً تَعْلَقَنَّ بِي أَوْ جُلْنَ حَيْثُ أَجُولُ
إِذَا مَا قَتَلْنَاهُنَّ أَضْعَفَنَّ كَثَرَةً عَلَيْنَا وَلَا يُنْعَى لَهُنَّ قَتِيلُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً وَلَيْسَ لِبُرْغُوثٍ عَلَيَّ سَبِيلُ

وقال أبو المحاسن الكربلائي : محمد الحسن بن حمّادي آل قاطع
الجنّاجي في ليلة أضجرتة فيها البراغيث^(٤) :

بِتْ مِنْ البُرْغُوثِ طُولَ الدُّجَى مُسَهَّدُ الجَفْنِ بِلَيْلِ السَّلِيمِ
وَرَاخَتِي فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ وَنَاطِرِي سَاهٍ وَجَفْنِي كَلِيمِ
لَمَّا غَدَا فِرْعَوْنٌ فِي سَطْوَةٍ خَشِيتُهُ خَشِيَّةَ مُوسَى الْكَلِيمِ
وَهُوَ إِذَا نَادَمَنِي مِنْ دَمِي يَشْرَبُ أَرْطَالًا فَيَسَّ النَّدِيمِ
أَفَرُّ مِنْهُ خِيفَةً هَارِبًا وَهُوَ عَلَى إِثْرِي يَنْهَجُ قَوْمِ

(١) الأكحل : عرق في الذراع يفصد ويسمى عرق الحياة . الباسليق ، لم أجدها في معاجم اللغة ، ولكن ورد في المساعد الكرملّي ٢٤٣/١ ما يفيد ان كلمة الباسليق يونانية تعني الملكي . وجاء في تكملة المعاجم ٢٣٢/١ : ان الكمّون الكرمانّي يسمى : الباسليقون أي الكمّون الملوكي . وإذا أخذنا بهذا التخرّيج يكون الباسليق في قول الشاعر عرق ملكي - أي رئيسي - في البدن يفصد وله أهمية كبيرة كالأكحل .

(٢) الخطم : منقار الطائر ، وفم الدابة .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٨٩/٥ .

(٤) ديوان أبي المحاسن/ ٢٣٤ .

فلا تَلُومَنَّ تَمِيمًا إِذَا رَأَتْهُ فِي زَحْفٍ فَوَلَّتْ تَمِيمٌ^(١)

وقال مجد الدين أبو الميمون الكناني ملغزاً في البراغيث^(٢) :

وَمَعَشَرَ يَسْتَحِلُّ النَّاسُ قَتْلَهُمْ كَمَا اسْتَحَلُّوا دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
إِذَا سَفَكْتُ دَمًا مِنْهُمْ فَمَا سَفَكَتُ يَدَايَ مِنْ دَمِهِ الْمَسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي

وقال أبو هلال العسكري^(٣) :

وَمِنْ بَرَاغِيثَ تَنْفِي النَّوْمِ عَنْ بَصْرِي كَأَنَّ جَفْنِي عَنْ عَيْنِي قَصِيرَانِ
يَطْلُبُنِ مِنِّي ثَارًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ إِلَّا عَدَاوَةً سُودَانِ لِبَيْضَانِ

وقال ابن سكرة الهاشمي في مليح يعرف بابن برغوث^(٤) :

بُليْتُ ولا أَقُولُ بِمَنْ لَأَنِّي مَتَى مَا قُلْتُ مَنْ هُوَ يَعَشَّقُوهُ
حَبِيبٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُقَادِي فَإِنْ أَعْمَضْتُ أَيْقَظَنِي أَبُوهُ

وقال أبو الشمقمق^(٥) :

يَا طُولَ يَوْمِي وَطُولَ لَيْلَتِيهِ إِنَّ الْبَرَاغِيثَ قَدْ عَشِنَ بِسِهِ
فِيهِنَّ بُرْغُوَّةٌ مُجَوَّعَةٌ قَدْ عَقَدَتْ بَنَدَهَا بِفَقْحَتِيهِ

(١) يشير الى البيت المشهور :

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة يكرُّ على صَفِّي تَمِيمٍ لَوَلَّتْ

(٢) حياة الحيوان للدميري ١/١٢٣ .

(٣) ديوان المعاني ٢/١٥٠ .

(٤) حياة الحيوان الكبرى ١/١٢٣ .

(٥) الحيوان للجاحظ ٥/٣٩٠ .

البعوض

الْبَعُوضُ ، واحدته بعوضة . قال ابن منظور (هو ضرب من الذباب) .
ومنه النَّامُوسُ ، والجَرَجَسُ ، ويسميه البعض : قِرْقَس . ومنه البَقُّ كما في
الصحاح ، وعُرِفَ بعضهم البَقُّ بأنه حيوان عدسيٌّ مفرطح أحمر الجثة أسود
الرأس ، خبيث الرائحة لذَّاع ، يتولَّد في الخشب والحُصُر ، واحدته بَقَّة ، وقد
جلب الأتراك كمِّيَّة من هذا الحيوان المؤذي ووزَّعوها على بعض سجون العراق
فتكاثر وكان أشدَّ على السجَّاء من كلِّ العقوبات .

لم يتعرَّض الأدباء والشعراء العرب لهذا الحيوان ، وأينما ورد اسم البَقِّ في
نظمهم ونثرهم فالمقصود به البعوض . لذلك اقتفيت أثرهم فاعتبرت البعوض
والبَقُّ إسمين لمسمَّى واحد .

ما ورد عنه في القرآن الكريم

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ سورة
البقرة/ ٢٦ .

مما ورد عنه في الحديث

قال النبيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح

بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء) (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام (إنَّ العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب ، ولا يزن عند الله جناح بعوضة) (٢) .

وقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم (ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) (٣) .

مما ورد عنه في الأمثال (٤)

(أضعف من بعوضة) يضرب للمبالغة والتناهي .

(كلَّفْتَنِي مَخَّ البعوضة) يضرب لمن يكلفك الأمر الشاق ، ومنه قولهم :

كلَّفْتَنِي مَخَّ البَعُوضِ فَقَدْ أَقْصَرْتَ لَا نُجِجُ وَلَا عَذْرُ

مما ورد عنه في القصص (٥) :

قالت البعوضة للنخلة : استمسكي فَإِنِّي عنكِ ناهضة ، فقالت : ما أَحْسَسْتُ وقوعك فكيف نهوضك .

مما ورد عنه في الكلام المثلث (٦) :

قال الجاحظ في التأمل في جناح بعوضة :

ولو وقفتَ على جَنَاحِ بعوضةٍ وقوفَ معتبرٍ ، وتَأَمَّلْتَهُ تأمُّلَ متفكِّرٍ بعد أن تكونَ ثاقِبَ النَّظَرِ سليمَ الآلةِ غَوَّاصاً على المعاني ، لا يعتريك من الخواطر إلاَّ

(١) حية الحيوان للدميري ١٢٩/١ .

(٢) و(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٨٩/١ .

(٤) جمهرة الأمثال ٣/٢ ، وأساس البلاغة للزمخشري مادة (ب ع ض) .

(٥) التمثيل والمحاضرة/ ٣٧٦ .

(٦) الحيوان للجاحظ ٢٠٨/١ وبيتيمة الدهر ٤٧/٢ .

على حسب صحّة عقلك، ولا من الشواغل إلّا ما زاد في نشاطك، لمألت مما
توجدك العبرة من غرائب الطوامير الطوال، والجلود الواسعة الكبار، ولرأيت أنّ
له من كثرة التصرف في الأعاجيب، ومن تقلّب في طبقات الحكمة، ولرأيت له
من الغرر والرّيع، ومن الحلب والدّر ولتبجّس عليك من كوامن المعاني
ودفائنّها، ومن خفيّات الحكم وينابيع العلم ما لا يشتدّ معه تعجّبك .

وقال ابن شهيد في صفة بعوضة :

مالكة لا حسّ لها سواها . تحقرها عين من رآها . تمشي إلى الملك
بندبها، وتضرب بحبوحة داره بطلبها . تؤذيه باقبالها، وتعرفه باراقة دمه ما لها،
فتعجز كفه وترغم أنفه، وتضرج خذه، وتفري لحمه وجلده . زجرتها تسليمها،
ورمحتها خرطومها . تذلل صعبك إن كنت ذا قوّة وعزم، وتسفك دمك وإن كنت
ذا حلقة وعسكر ضخّم . تنقض العزائم وهي منقوضة، وتعجز القوي وهي
بعوضة ليرينا الله عجائب قدرته، وضعفنا عن أضعف خليقته .

مما ورد عنه في الشعر

قال أبو هلال العسكري^(١) :

وَيَنْفِي فَرَحَ الْقَلْبِ	غِنَاءٌ يُسَخِّنُ الْعَيْنَ
وَلَا يَجْرِي مَعَ الضَّرْبِ	وَلَا يَأْتِي عَلَى الزُّمْرِ
يُنَافِي طَرَبَ الشَّرْبِ	غِنَاءُ الْبَقِّ بِاللَّيْلِ
جَرَى فِي طَلْقِ الْكَرْبِ	إِذَا مَا طَرَقَ الْمَرْءُ
وَلَكِنْ بَاتَ كَالْوَطْبِ	نَحِيفٌ رَاحَ كَالشَّنِّ
أَخْفَى مَوْضِعَ النَّقْبِ	إِذَا مَا نَقَبَ الْجِلْدَ
تُحَاكِي نُقْطَ الْكُثْبِ	سِوَى حُمُرٍ خَفِيَّاتٍ

(١) ديوان المعاني ١٤٨/٢ .

وقال أبو بكر الخوارزمي (١) :

ضَنَيْتُ فَلَوْ أُدْخِلْتُ فِي حَلْقِ بَقَّةٍ خَرِيفِيَّةٍ مِنْ دِقَّتِي لَمْ تَغْصُ بِي
وَأَصْبَحَ قَلْبِي فِي يَدِ الْهَمِّ وَاعْتَدْتُ أَمَانِي فِي أَظْفَارِ عَنَقَاءِ مُغْرِبِ

وقال القاسم بن يوسف بن صبيح (٢) :

قَدْ مُنِينَا بِهَنَاتٍ	هُنَّ مِنْ شَرِّ الْهَنَاتِ
نَافِرَاتٍ	أَمِرَاتٍ
سَافِكَاتٍ لِدِمَاءِ	النَّاسِ مِنْهَا شَارِبَاتٍ
مَعَنَا فِي الْفُرْشِ وَالْقُمَةِ	صَرَ عَلَيْنَا وَائِثَاتٍ
تَخْضُبُ الْإِضْبَعَ وَالْثَوْبَ	بَبْ دَمًا مِنْ دَامِيَاتٍ
ثُمَّ لَا يُخْرِجُهُ الْغَسَدُ	لِلْ بَمَاءِ الرَّاحِضَاتِ
وَمُنِينَا بِهَنَاتٍ	وَاقِعَاتٍ طَائِرَاتٍ
جَارِحَاتٍ دَاخِلَاتٍ	مُسْهَرَاتٍ سَاهِرَاتٍ
زَامِرَاتٍ لَكَ بِالنَّسَبِ	يَهْدِي فِي وَقْتِ السُّبَاتِ
مِنْ لُحُومٍ فِي دِمَاءِ	وَإِرْدَاتٍ شَارِعَاتٍ
بِخَرَاطِيمٍ مُدَلَّلًا	عَ طَوَالِ جَارِحَاتٍ
طَعْنَهَا أَنْفَذُ فِي الْأَبْ	سَدَانِ مِنْ طَعْنِ الْكُمَاةِ
كَمْ لَهَا فِي الْجِسْمِ مِنْ آ	ثَارِ سُوءِ فَاجِحَاتٍ
وَكُلُومٍ مُؤَلِمَاتٍ	وُنُدُوبٍ قَرِحَاتٍ
وَلِدِيغٍ لَا طِمٍ وَجْ	هَاءَ طُلُوبٍ لِلتَّرَاتِ
فَنَنْصِيبُ الْفَقْدَ مِنْهَا	بَعْدَ أَلْفِ فَائِتَاتٍ
نَازِلَاتٍ صَاعِدَاتٍ	بَادِيَاتٍ عَارِيَاتٍ

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب / ٥٠٥ .

(٢) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق / ١٧١ .

وقال آخر^(١) :

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخَاصَمَةٍ فِي الشَّرَارَةِ ضَعْفٌ وَهِيَ مُؤْلَمَةٌ
إِنَّ الْبُعُوضَةَ تُذْمِي جَبْهَةَ الْأَسَدِ وَرُبَّمَا أَضْرَمَتْ نَارًا عَلَى بَلَدٍ

وقال ابن أحمَر البَاهِلِي^(٢) :

مَا كُنْتُ عَنْ قَوْمِي بِمُهْتَضِمٍ كَلَّفْتَنِي مُخَّ الْبُعُوضِ فَقَدْ
لَوْ أَنَّ مَعْصِيًا لَهُ أَمْرٌ أَقْصَرْتُ لَا نُجَحُّ وَلَا عُذْرُ

وقال رجل من بني رَحْمَانَ^(٣)

أَنْصُرُ أَهْلَ الشَّامِ مِمَّنْ يَكِيدُهُمْ بَرَاغِيثُ تُؤْذِينِي إِذَا النَّاسُ نَوْمُوا
وَأَهْلِي بَنَجْدٍ سَاءَ ذَلِكَ مِنْ نَصْرِ فَإِنْ يَكُ فَرَضٌ بَعْدَهَا لَا أَعْدُ لَهُ
وَبَقُّ أَقَاسِيهِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَإِنْ بَدَلُوا حُمَرَ الدَّنَائِيرِ كَالْجَمْرِ

وقال الْأَسْعَدُ بْنُ مِمَاتِي^(٤) :

تَكَادُ بِقَرَصِ الْبَقِّ تَتَلَفُّ مُهَجَّتِي وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ فِي الْبَقِّ أَنَّهَا
إِذَا لَمْ أُجِدْ مِنْ ثَوْبٍ جَلْدِي التَّخْلُصَا عَلَى الْجِسْمِ سُمَاقٌ وَتُنَبْتُ جِمَّصَا

وقال ابن عَرُوس^(٥) :

وَلَوْ أُيْقِنْتُ أَنَّ سَيِّمَوْتُ قَلْبِي صَغِيرَ السِّنِّ كَالرَّشَاءِ الْغَضِيضِ

(١) المعجم الزوولوجي ١١٠/٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٣١٨/٣ .

(٣) الحيوان للجاحظ ٤٠٨/٥ .

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١٠٢/١ .

(٥) ثمار القلوب / ٥٠٥ .

ابْحَثْكَ • كُلُّ مَا يَخْوِيهِ كَفِّي وَلَوْ كَلَّفْتَنِي مُتَخَّ البَعُوضِ

وقال ابن حمديس الصقلي^(١):

يا لَيْلُ هَلْ لِصَبَاحِي فِيكَ إِشْرَاقُ فَقَدْ نَفَى النَّوْمَ عَن عَيْنِي إِيرَاقُ
عَسَاكِرُ الْبَقِّ نَحْوِي فِيكَ زَاجِفَةٌ كَأَنَّمَا بُتُّ وَسْطَ الْبَيْتِ سُمَاقُ
مِنْ كُلِّ طَائِعِنَةِ الْخُرْطُومِ سَارِيَةٌ كَأَنَّ لَسَعَتَهَا بِالنَّارِ إِحْرَاقُ

وقال شاعر في رجل اسمه ليث^(٢):

أَيَا مَنْ إِسْمُهُ لَيْثٌ وَهُوَ أَضْعَفُ مِنْ بَقَّةٍ
لَقَدْ بَاعَدَ رَبُّ النَّاسِ سِرَ بَيْنَ الْإِسْمِ وَالْخِلْقَةِ

وقال أبو اسحاق الصابي^(٣):

وَلَيْلَةٌ لَمْ أَذُقْ مِنْ حَدِّهَا وَسَنًا كَأَنَّ مِنْ جَوِّهَا النَّيْرَانَ تَشْتَعِلُ
أَحَاطَ بِي عَسْكَرُ اللَّبَقِّ ذُو لَجَبٍ مَا فِيهِ إِلَّا شَجَاعٌ فَاتِكَ بَطْلُ
مِنْ كُلِّ سَائِلَةِ الْخُرْطُومِ طَائِعِنَةٌ لَا تَحْجُبُ الشُّجْفُ مَسْرَاهَا وَلَا الْكِلُ
طَافُوا عَلَيْنَا وَحَرُّ الصَّيْفِ يَطْبَحُنَا حَتَّى إِذَا طُبِخَتْ أَجْسَامُنَا أَكَلُوا

وقال أبو الفتح البستي^(٤):

لَا يَسْتَخْفِنُ الْفَتَى بَعْدُوهُ أَبَدًا وَإِنْ كَانَ الْعَدُوُّ ضَيْلًا
إِنَّ الْقَذَى يُؤْذِي الْعُيُونَ قَلِيلُهُ وَلَرُبَّمَا جَرَحَ الْبَعُوضُ الْفَيْلًا

(١) ديوانه / ٣٣٥.

(٢) ثمار القلوب / ٥٠٤.

(٣) يتيمة الدهر ٢ / ٢٦٨.

(٤) يتيمة الدهر ٤ / ٣٣٣.

وقال الزمخشري (١) :

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلِيلِ
وَيَرَى مَنَاطَ عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا وَالْمَخَّ فِي تِلْكَ العِظَامِ النُّحْلِ
أَمُنَّ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمُحِرُ بِهَا مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الأولِ

وقال أبو بكر الخوارزمي (٢) :

لا تَعَجَّبُوا مِنْ صَيْدٍ صَعُورٍ بَازِيًّا إِنَّ الأَسْوَدَ تُصَادُ بِالْخِرْفَانِ (٣)
قَدْ غَرَّقَتْ أَمْلَاكَ حِمِيرٍ فَارَةً وَبِعُوضَةٍ قَتَلَتْ بَنِي كَنْعَانِ

وقال فرج بن خلف الأندلسي الملقب بالسَّمْسِير (٤) :

بَعُوضٌ شَرَبَنَ دَمِي فَهَوَّةٌ وَغَنَيْنِي بِضُرُوبِ الأَغَانِ
كَأَنَّ عُرُوقِي أَوْتَارُهُنَّ وَجِسْمِي الرِّبَابُ وَهَنَّ الْقِيَانُ

وقال راجز (٥) :

إِذَا البَعُوضُ رَجَلَتْ أَصْوَاتُهَا وَأَخَذَ اللَّحْنَ مُغْنِيَاتُهَا
لَمْ تُطْرِبِ السَّامِعَ خَافِضَاتُهَا وَأَرَقَّ العَيْنَيْنِ رَافِعَاتُهَا
كُلُّ زُجُولٍ تَتَّقِي شِدَاتُهَا صَغِيرَةٌ عَظِيمَةٌ أَذَاتُهَا (٦)
تَنْقُصُ عَنْ بُغْيَتِهَا بُغَاثُهَا وَلَا تُصِيبُ أَبَدًا رُمَاتُهَا
رَامِحَةٌ خُرْطُومُهَا فَنَاتُهَا

(١) حياة الحيوان ١٢٩/١ ووفيات الأعيان ٢٥٩/٤.

(٢) يتيمة الدهر ٢٣٦/٤.

(٣) الصعو: عصفور صغير.

(٤) نفح الطيب ٣٢٩/٣، ونهاية الأرب ٣٠٢/١٠.

(٥) الحيوان للجاحظ ٤٠٧/٥.

(٦) الشدة: الأذى والشر.

وقال آخر في وصف حاله وحال البعوض (١) :

لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا مُدَقِّطٌ أَطْوَلَ مِنْ لَيْلِي بِنَهْرٍ بَطًّا (٢)
كَأَنَّمَا نُجُومُهُ فِي رُبُطٍ أَيْتُ بَيْنَ خِطَّتِي مُشْتَطٌّ
مِنَ الْبُعُوضِ وَمِنَ التَّغَطِّي إِذَا تَغَنَّيْنَ غِنَاءَ الزُّطِّ
وَهُنَّ مِنِّي بِمَكَانِ الْقُرْطِ فَنُقْ بَوَقْعٍ مِثْلَ وَقْعِ الشَّرْطِ

وقال السيد أحمد الصافي النجفي (٣) .

وَبُعُوضُهُ حَطَّتْ عَلَى قَدَمِي وَغَدَتْ تَمَصُّ دِمَائِي مَصٌّ ضَمٍ
أَمَهَلْتُهَا حَتَّى ارْتَوَتْ فَهَوَتْ كَفِّي عَلَيْهَا فِعْلٌ مُنْتَقِمٍ
كُلُّ شَفَى مِنْ جَسَمٍ صَاحِبِهِ غِلًا وَأُطْفَاءً لَوَعَةَ الضَّرَمِ
أُغْنِيْ إِنَّكَ كَالْبُعُوضِ دَمِي يَجْرِي بِجَسْمِكَ فَاَنْتَظِرْ نَقْمِي
وَاعْذُرْ إِذَا عَذَرَ الْبُعُوضُ فَلَمْ أَسْفِكَ دَمًا لَكَ بَلْ سَفَكْتُ دَمِي

وقال عبد الله بن المعتز (٤) :

بَتْ بِجَهْدٍ سَاهَرَ الْأَجْفَانِ تَلْدَعُ جِلْدِي شَرُّ النِّيرَانِ
مِنْ طَائِرٍ يَزْمُرُ فِي الْأَذَانِ مِنْ الدَّمَاءِ مُتَرَعٍ مَلَانِ
كَأَنَّهُ فَرِيدَةُ الْمَرْجَانِ

وقال السيد جعفر الحلِّي معرضاً ببعض الأدباء على طريقة الهزل (٥) :

أَلَا مَنْ يَقْتُلُ الْبَقَّ فَإِنَّ الْبَقَّ آذَانِي

(١) الحيوان للجاحظ ٤٠٦/٥

(٢) نهريبط: نهر بالأهواز.

(٣) ديوانه (هواجس) ٤٩.

(٤) ديوانه ٦٤٩/٢.

(٥) ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل) ٤٣١.

لقد طَنَطَنَ في القَلْبِ فَصُمَّتْ مِنْهُ آذَانِي

وقال آخر (١) :

وَلَيْلَةٍ لَمْ أَذِرْ مَا كَرَاهَا أَمَارِسُ الْبَعُوضَ فِي دُجَاهَا
كُلُّ زُجُولٍ خَفِيقٍ حَشَاهَا سِتٌّ لَدَى إِيفَائِهَا شَوَاهَا^(٢)

(١) الحيوان للجاحظ ٤٠٥/٥ .

(٢) الشوى: اليدان والرجلان، ويريد بكلمة (إيفائها): إيفاء عدها.

البغال (١)

الذكر بغل، والأنثى بغلة، والجمع بغال، ومبغولاء اسم للجمع،
والبغال: صاحب البغال.

وقيل: البغلة اسم جنس، والهاء فيها للإفراد، وهاء الإفراد تقع على
الذكر والأنثى.

وكنية البغل: أبو الأشحج، وأبو الحرون، وأبو الصقر، وأبو قضاة، وأبو
قسوص، وأبو كعب، وأبو مختار، وأبو ملعون. ويقال له: ابن ناهق.

ما ورد عنها في القرآن الكريم

﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ سورة النحل ٨/

مما ورد عنها في الأمثال (٢)

(أعقم من بغلة). يضرب للمبالغة والتنهاهي.

(١) حياة الحيوان للدميري ١٣٨/١.

(٢) جمهرة الأمثال ٣٤/٢ و ١٠٠ والتمثيل والمحاضرة/٣٤٢، والمختصص ٢٠٥/٦/٢.

(قيل للبغل : من أبوك؟ قال : خالي الفرس) . يضرب مثلاً للرجل يفخر بشي لغيره خير منه

(البغل نغل وهو لذلك أهل) يضرب لمن لا يرجى خيره لخسة أصله .

(البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل) ^(١) : يضرب لمن كابد عظام الأمور فلا تزعزعه الصغائر .

(فلان بغلة أبي دلامة) يضرب للكثير العيوب . وقد هجا أبو دلامة بغلته فلم يترك عيباً إلا والصقه بها وسنورد قصيدته في فصل الشعر .
(نكح فيهم فبغلهم) أي هجن أولاده .

مما ورد عنها في القصص ^(٢)

قال ابن شهيد : ومشيت يوماً أنا وزهير ^(٣) بأرض الجن نتقري ^(٤) الفوائد ،
ونعتمد أندية أهل الآداب منهم إذ أشرفنا على قرارة غناء ^(٥) تفتت عن بركة ماء
وفيها عانة ^(٦) من حمر الجن وبغالهم ، قد أصابها أولق ^(٧) فهي تصطك
بالحوافز ، وتنفخ من المناخر ، وقد اشتد ضراطها ، وعلا شحيجها ^(٨) ونهاقها .
فلما بصرت بنا أجفلت إلينا وهي تقول : جاءكم على رجليه .

(١) الجلجل : جرس صغير جمعه جلاجل .

(٢) التوايع والزوايع لابن شهيد / ١٤٧ .

(٣) هو زهير بن نمير من الجن ورفيق ابن شهيد في قري الجن .

(٤) تقري الفوائد : تتبعا .

(٥) القرارة : المطمئن من الأرض . غناء : كثيرة العشب .

(٦) العانة : القطيع من حمر الوحش .

(٧) الأولق : الجنون أو شبهه .

(٨) الشحيج : صوت البغل .

فارتعتُ لذلك، فتبسّم زهير وقد عرف القصد وقال لي: تهياً للحُكم.
فلما لحقت بنا بدأتني بالتفدية، وحيّني بالتنكية، فقلت: ما الخطب حُميَ
جِماك، أيتها العانة، وأخصب مرعاك؟ قالت: شُعران لحمار وبغل من عشاقنا
اختلفنا فيهما، وقد رضيعناك حكماً. قلت: حتى أسمع. فتقدمت إليّ بغلة
شهباء، عليها جلّها وبرقعها، لم تدخل فيما دخلت فيه العانة من سوء العجلة
وسُخف الحركة فقالت: أحد الشعرين لبغل من بغالنا وهو:

على كلِّ صَبٍّ من هواه دَلِيلُ	سَقَامٌ عَلَى حَرِّ الْجَوَى وَنُحُولُ
وما زالَ هذا الحُبُّ داءً مَبْرَحاً	إِذَا مَا اغْتَرَى بَغْلاً فَلَيْسَ يَزُولُ
بِنَفْسِي الَّتِي أُمَّا مَلَا حِظُّ طَرْفِهَا	فَسِحْرٌ وَأُمَّا خَدُّهَا فَأَسِيلُ
تَعِبْتُ بِمَا حُمِلْتُ مِنْ ثَقَلِ حُبِّهَا	وَإِنِّي لَبَغْلٌ لِلثَّقَالِ حَمُولُ
وما نِلْتُ مِنْهَا نَائِلاً غَيْرَ أَنِّي	إِذَا هِيَ بَالَتْ بَلْتُ حَيْثُ تَبُولُ

والشعر الآخر لِدُكَيْنِ الحمار وهو:
دُهِيتُ بهذا الحُبِّ مِنْذُ هَوَيْتُ
كَلِفْتُ بِالْفِي مِنْذُ عِشْرِينَ حِجَّةً
ومالي مِنْ بَرْجِ الصَّبَابَةِ مَخْلَصُ
وغيرَ منها قَلْبُهَا لِي نَمِيمَةٌ
وما نِلْتُ مِنْهَا نَائِلاً غَيْرَ أَنِّي
وراثتُ إِرَادَاتِي فَلَسْتُ أَرِيثُ^(١)
يَجُولُ هَوَاهَا فِي الْحِشَا وَيَعِثُ
ولا لِي مِنْ فَيْضِ السَّقَامِ مُغِيثُ
نَمَاهَا أَحْمُ الْخُصِيَّتَيْنِ خَبِيثُ
إِذَا هِيَ رَاثَتْ رُثْتَ حَيْثُ تَرُوثُ

فضحك زهير، وتماسكتُ وقلت للمنشدة: ماهويث؟ قالت: هو
(هويث) بلغة الحمير. فقلت: والله إنَّ للروث رائحةً كريهة، وقد كان أنف
الناقة^(٢) أجدر أن يحكم في الشعر. فقالت: فهمت عنك وأشارت إلى العانة -

(١) راثت: أبطأت.

(٢) من شعراء الجنّ في الرسالة.

أَنَّ دُكَيْنًا مغلوب ثم انصرفت^(١) قانعة راضية .

وقالت لي البغلة: أما تعرفني أبا عامر؟ قلت: لو كانت ثم علامة، فأماطت لثامها، فإذا هي بغلة أبي عيسى، والخال على خدّها، فتباكيننا طويلا، وأخذنا في ذكر أيامنا، فقالت: ما أبقت الأيام منك؟ قلت: ما ترين، قالت: شبّ عمرو عن الطوق، فما فعل الأحبة بعدي، أهم على العهد؟ قلت: شبّ الغلمان، وشاخ الفتيان، وتنكرت الخلّان، ومن إخوانك من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة. فتنفّست الصّعداء وقالت: سقاهاهم الله سبيل العهد^(٢) وإنّ حالوا عن العهد ونسوا أيام الودّ. بحرمة الأدب ألاّ ما أقرأتهم مني السلام، قلت: كما تأمرين وأكثر.

مما ورد عنها في الكلام المنشور (٣)

صنّف الجاحظ كتاباً عن البغال مستقلاً عن كتابه (الحيوان) ضمنه الكثير من الأخبار. وطرائف المنظوم والمنثور، وقال في مقدّمته:

نبدأ إن شاء الله بما وصف الأشراف من شأن البغلة في حسن سيرتها وتمام خلقها، والأمور الدالة على السرّ الذي في جوهرها، وعلى وجوه الاتفاق بها وعلى تصرّفها... الخ.

وقال مسلمة بن عبد الملك: ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان قصيرة العذار، سفواء^(٤) العرف، حصّاء الذنب.

وكتب روح بن عبد الملك بن مروان إلى وكيل له: أبغني بغلة حصّاء

(١) الضمير يعود إلى العانة.

(٢) السبل (بفتحيتين): المطر. العهد: أول مطر الوسمي.

(٣) رسائل الجاحظ ٢/٢١٦، ونهاية الأرب للنويري ٨٦/١٠ و٨٧.

(٤) سفواء العرف: خفيفة شعر الناصية.

الدَّنب، عظيمة المحزم، طويلة العنق، سوطها عنانها، وهوها أمامها.

وقيل لعبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب:
مالك ولمركب البغلة الذي لا يدرك عليه الثأر، ولا ينجيك يوم الفرار؟ فقال:
إنها نزلت عن خيلاء الخيل، وأرتفعت عن ذلّة العير وخير الأمور أوساطها.

وقال ابن كتامة: سمعت رجلاً يقول: إذا أشرتيت بغلة فاشتريها طويلة
العنق، تجده في نجائها، مشرفة الهادي، تجده في طباعها، ضخمة الجوف،
تجده في صبرها.

وحكي أن عبد الحميد الكاتب ساير مروان بن محمد المعروف بالجعدي
ربالحمار، على بغلة، فقال له: لقد طالت صحبة هذه الدابة لك، فقال: يا أمير
المؤمنين، من بركة الدابة طول صحبتها، فقال: صفها، فقال: همها إمامها،
وسوطها زمامها، وما ضربت قط إلا ظلماً

وقال بعض الكتاب من رسالة: قد اخترت لسيدي بغلة وثيقة الخلق لطيفة
الخَرَط^(١) رشيقة القد، موصوفة السير، ميمونة الطير، مشرفة العنق، كريمة
النجار، حميدة الآثار.

إِنْ أَذْبَرْتُ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتُ قُلْتَ مَا لَهَا كَفْلُ^(٢)

قد جمعت إلى حسن القميص سلامة الفصوص^(٣) فسميت قيد الأوابد
وقرة عين الساهد، تزري في انطلاقها بالبروق في اثتلاقها.

(١) الخرط: الجماع، والدابة الخروط: التي تجذب رسنها من يد ممسكها لتستأنف السير.

(٢) التليل: العنق.

(٣) الفصوص من الدابة: مفاصل ركبتها وأرساغها.

مما ورد عنها في الشعر

قال ابن رشيق في هجائها^(١) :

فأوصيكم بالبغل شراً فإنه من العير في سوء الطباع قريب
وكيف يجيء البغل يوماً بحاجة تسر وفيه للجمار نصيب

وقال أبو خنيس يهجو بغلته^(٢) :

أبعدت من بغلة مُواكِلة ترمحنى تارة وتقمص بي
تكاد عند المسير تقطعني راكبها راكب على قتب
إن قمت عند الإسراج أثفرها تطرف مني العينين بالذنب^(٣)
وعند شد الحزام تنهشني مانعة للجام واللب^(٤)
ليس لها سيرة سوى الوثبي كرقص زنج ينزون للطرب
وهي إذا ما علقتها جهدت لا تأتلي في الجهاد عن حرب
قد أكلت كل ما اشتريت لها من رزق شعبان أمس في رجب
تمر فيما نمتي لعلفتها إن لم تعلل بالشوك والقصب^(٥)

وقال آخر، وقد جعل ركوب البغلة من وسائل الترف الداعية إلى الاحترام

والتبجيل^(٦) :

(١) ديوانه/٣٨.

(٢) رسائل الجاحظ ٣٣٩/٢.

(٣) أنفر الدابة: جعل لها ثفراً، وهو سير مربوط في مؤخر السرج من الجانبين ويجعل تحت ذنب الدابة ليمسك السرج عن التحرك الى الأمام. طَرف عينه: أصابها بشيء فدمعت واحمرت فهي مطروفة.

(٤) اللب: ما يشد على صدر الدابة يمنع السرج من الاسترخاء.

(٥) نما ينمو: زاد.

(٦) رسائل الجاحظ ٢٥٠/٢.

يا فَتَحْ لَوْ كُنْتُ ذَا خَزٍّ أَجْرُهُ تَحْتِي سَلِيمُ الشُّطَّا مِنْ نَسْلِ حَلَّابٍ^(١)
أَوْ كُنْتُ ذَا بَغْلَةٍ سَفَوَاءَ نَاجِيَةٍ وشَاكِيرَيْنِ لَمْ أَحْبِسْ عَنِ الْبَابِ^(٢)
أُزْرَى بِنَا أَنْنَا قَلْتُ دَرَاهِمُنَا وَالْفَقْرُ يُزْرِي بَادَابٍ وَأَحْسَابٍ

وقال البحثري من قصيدة استهدى فيها من محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي فرساً أو بَغْلًا^(٣) :

وَأَقْبَ نَهْدٍ لِلصَّوَاهِلِ شَطْرُهُ يَوْمَ الْفَخَارِ وَشَطْرُهُ لِلشُّحِّجِ^(٤)
حِرْقُ يَتِيٍّ عَلَى أَبِيهِ وَيَدْعِي عَصْبِيَّةَ لَبْنِي الضَّيْبِ وَأَعْوَجِ^(٥)
مِثْلَ الْمَذْرُوعِ جَاءَ بَيْنَ عُمُومَةٍ فِي غَافِقٍ وَخَوْلَةٍ فِي الْخَزْرَجِ^(٦)
لَا دِيزَجُ يَضِفُ الرَّمَادَ وَلَمْ أَجِدْ حَالًا تَحْسُنُ مِنْ رَوَاءِ الدِّيزَجِ^(٧)
وَعَرِيضُ أَعْلَى الْمَتْنِ لَوْ عَلِيَّتُهُ بِالزُّبُقِ الْمُنْهَالِ لَمْ يَتَرَجَّرِ
خَاضَتْ قَوَائِمُهُ الْوَثِيقُ بِنَاوَهَا أَمْوَاجَ تَحْنِيْبٍ بِهِنَ مَدْرَجِ^(٨)

وقال أبو الفرج الوأواء^(٩) من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة :

قَدْ جَاءَتْ الْبَغْلَةُ السَّفَوَاءُ يَجْنِبُهَا لِلْبَرْقِ غَيْثٌ بَدَا يَنْهَلُ مَاطِرُهُ^(١٠)

(١) حَلَّابٌ: فرس لبني تغلب من نتاج أعوج وهو فرس لبني هلال .

(٢) الشَاكِيرِيّ: معرّب (جاكر) بالفارسية ومعناه المستخدم الأجير .

(٣) ديوانه ٤٠٤/١ .

(٤) الشُّحِّج: البغال .

(٥) الضَّيْب: فرس حَسَّان بن حنظلة الطائي .

(٦) الْمَذْرُوع: الذي أمه أشرف من أبيه . غَافِق: قبيلة من الأزد، وهي دون الخزرج شرفاً .

(٧) الدِّيزَج: لون بين لونين، معرّب (ديزه) بالفارسية .

(٨) التَّحْنِيْب: احديداب في وضيبي يدي الفرس، ويقال: انه بُعِد ما بين الرجلين من غير فجج .

(٩) نهاية الأرب للنويري ٨٨/١٠ ،

(١٠) بغلة سفواء: سريعة المرّ كالريح .

عَرِيقَةٌ نَاسَبَتْ أَخْوَالَهَا فَلَهَا
 مَلَأُ الْحِزَامَ وَمَلَأُ الْعَيْنَ مُسْفِرَةً
 أَهْدَى لَهَا الرُّوضُ أَوْصَافِهِ شَيْئَةً
 لَيْسَتْ بِأَوَّلِ حُمَلَانٍ شَرَّيْتُ بِهِ
 كَمْ قَدْ تَقَدَّمَهَا مِنْ سَابِحٍ بِيَدِي
 وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ الْقَيَّرَوَانِي (٢) فِي ذِمِّ الْبَغْلِ:

أَوْصِيكَ بِالْبَغْلِ شَرًّا
 لَا يَضْلُحُ الْبَغْلُ إِلَّا
 فَإِنَّهُ ابْنُ الْحِمَارِ
 لِكَدِّ وَالْأَسْفَارِ

وَقَالَ أَيْضاً (٣) فِي مَدْحِ بَغْلَةٍ:

كَأَنِّي بَعْضُ نُجُومِ السَّمَاءِ
 عَلَى رِسْلَةٍ مِنْ هِبَاتِ الْمَلُوءِ
 تَعَاوَنَ فِي جَدَلِ أَعْضَائِهَا
 تَصَعَّدَ فِي الْجَوِّ ثُمَّ انْحَدَرَ
 كِ سَفَوَاءَ مَلُومَةٍ كَالْحَجَرِ
 بَنُو أَخْدَرٍ وَبَنَاتُ الْأَغَرِ (٤)

وَقَالَ سَبْطُ ابْنِ التَّعَاوِيذِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ (٥):

مُجَاهِدَ الدِّينِ عَشْتَ دُخْرًا
 لِكُلِّ ذِي حَاجَةٍ وَكَنْزًا
 بَعَثْتُ لِي بَغْلَةً وَلَكِنْ
 قَدْ مُسِخَتْ فِي الطَّرِيقِ عَنَّا
 وَقَالَ الْبَهَاءُ زَهِيرٌ يَهْجُو بَغْلَةً وَصَاحِبَهَا (٦):

لَكَ يَا صَدِيقِي بَغْلَةٌ لَيْسَتْ تُسَاوِي خِرْدَلَهُ

(١) الحُمَلَانُ: مَا يَحْمَلُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِّ فِي الْهَبَةِ خَاصَّةً.

(٢) دِيَوَانُهُ ٨١.

(٣) دِيَوَانُهُ أَيْضاً/ ٨٦.

(٤) الْخَدْرِي: الْحِمَارُ الْأَسْوَدُ، وَالْأَخْدَرِيُّ: الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ. الْأَغَرُ مِنَ الْخَيْلِ: مَا كَانَ بِجَبْهَتِهِ غُرَّةً.

(٥) دِيَوَانُهُ ٢٣٦.

(٦) دِيَوَانُهُ ٢٩٤.

تَمْشِي فَتَحْسَبُهَا الْعَيُّو نَ عَلَى الطَّرِيقِ مُشْكَلَةٌ
وَتُخَالُ مُذْبِرَةً إِذَا مَا أَقْبَلَتْ مُسْتَفْجِنَةً
مِقْدَارُ خَطَوَاتِهَا الطُّوَيْدُ لَةً حِينَ تُسْرِعُ أَنْمَلَةً
تَهْتَزُّ وَهِيَ مَكَانَهَا فَكَأَنَّمَا هِيَ زَلْزَلَةٌ
أَشْبَهَتْهَا بَلْ أَشْبَهَتْ كَ كَأَنَّ بَيْنَكُمَا صِلَةً
تَحْكِي صِفَاتِكَ فِي الثَّقَا لَةً وَالْمَهَانَةَ وَالْبَلَّةَ

وقال أبو المكارم بن عبد السلام يمدح بغلة له (١):

كَأَنَّهَا النَّارُ فِي الْحَلْفَاءِ إِنْ رَكَضَتْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ إِنْ وَافَتْكَ مِنْ جَبَلٍ
كَأَنَّهَا الْأَرْضُ إِنْ قَامَتْ لِمُعْتَلِفٍ كَأَنَّهَا الرِّيحُ إِنْ مَرَّتْ عَلَى الْقَلَلِ
مَا يَعْرِفُ الْفِكْرُ مِنْهَا مُنْتَهَى حُضُرٍ مَا صَوَّرَ الْوَهْمُ فِيهَا وَصْمَةَ الْكَسَلِ
إِذَا اقْتَعَدَتْ مَطَاها وَهِيَ مَاشِيَةٌ تَهْلَانُ تُبْصِرُهُ فِي زِيٍّ مُنْتَقِلٍ

وقال أبو دلالة يصف بغلته (٢):

أَبْعَدَ الْخَيْلَ أَرْكُبَهَا وَرَادًا وَشَقْرًا فِي الرَّعِيلِ إِلَى الْقِتَالِ (٣)
رُزِقْتُ بُغْيِلَةً فِيهَا وَكَالٌ وَخَيْرُ خِصَالِهَا فَرَطُ الْوِكَالِ (٤)
رَأَيْتُ عُيُوبَهَا كَثُرَتْ وَعَالَتْ وَلَوْ أَفْنَيْتُ مُجْتَهِدًا مَقَالِي (٥)
تَقُومُ فَمَا تَرِيمُ إِذَا اسْتُحْتُتْ وَتَرْمَحُ بِالْيَمِينِ وَبِالشُّمَالِ (٦)

(١) نهاية الأرب للنويري ٨٨/١٠ .

(٢) رسائل الجاحظ ٣٣٢/٢ .

(٣) الورد (بالكسر) جمع الورد (بالفتح) وهو من الخيل بين الكميت والأشقر، أو الأحمر الضارب إلى الصفرة .

(٤) الوكال (بكسر الواو وتفتح) : الفتور .

(٥) عالَتْ: من العول، وهو زيادة الفريضة في المواريث .

(٦) ما تريم: ما تبرح .

رياضة جاهلٍ وعُلَيجُ سوءٍ
شَتِيمِ الْوَجْهِ هَلْبَاجٍ هِدَانٍ
فأَدَبَهَا بِأَخْلَاقِ سِمَاجٍ
فَلَمَّا هَدَّنِي وَنَفَى رُقَادِي
أَتَيْتُ بِهَا الْكُنَاسَةَ مُسْتَبِيعاً
لِعَهْدَةِ سِلْعَةٍ رُدَّتْ قَدِيماً
فَبَيْنَا فَكَّرْتَنِي فِي الْقَوْمِ تَسْرِي
أَتَانِي خَائِبٌ حَمِقٌ شَقِيٌّ
وَرَاوَعَنِي لِيَخْلُو بِي خِدَاعاً
فَقُلْتُ بِأَرْبَعِينَ فَقَالَ أَحْسِنُ
فَلَمَّا ابْتِاعَهَا مِنِّي وَبُئْتُ
أَخَذْتُ بِثَوْبِهِ وَبَرْتُ مِمَّا
بَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَشْشٍ قَدِيمٍ
وَمِنْ فَرَطِ الْجِرَانِ وَمِنْ جِمَاحٍ
وَمِنْ عَقْدِ اللِّسَانِ وَمِنْ بَيَاضٍ
وَعُقَّالٍ يُلَازِمُهَا شَدِيدٍ

من الأكرادِ أَحْبَنَ ذِي سُعالٍ^(١)
نُعُوسٍ يَوْمَ حَلٍّ وَارْتِحَالٍ^(٢)
جَزَاهُ اللَّهُ شَرّاً عَنْ عِيَالِي
وَطَالَ لَذَاكَ هَمِّي وَاشْتِغَالِي
أَفَكَّرُ دَائِباً كَيْفَ احْتِيَالِي^(٣)
أَطُمُّ بِهَا عَلَى الدَّاءِ الْعُضَالِ^(٤)
إِذَا مَا سِمْتُ أَرْخِصُ أَمْ أَغَالِي^(٥)
قَدِيمٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
وَلَا يَدْرِي الشَّقِيُّ بَمَنْ يُخَالِي^(٦)
فَإِنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخِصٌ وَغَالِي
لَهُ فِي الْبَيْعِ غَيْرُ الْمُسْتَقَالِ
أَعْدُ عَلَيْكَ مِنْ شَنِعِ الْخِصَالِ
وَمِنْ جَرَذٍ وَتَخْرِيقِ الْجِلَالِ^(٧)
وَمِنْ ضَعْفِ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي
بِنَظَرِهَا وَمِنْ حَلِّ الْجِبَالِ^(٨)
وَمِنْ هَذَمِ الْمَعَالِفِ وَالرُّكَّالِ^(٩)

(١) عُليج، تصغير عالج، وهو القوي الفخم من كَفَّار الأعاجم، ومن العرب من يطلق العالج على الكافر مطلقاً. الأجن: مَنْ عظم بطنه، خلقة أو من داء.

(٢) الشَتِيم: الكريه الوجه. الهلباج: الأحمق. الهدان: الجافي الوحش الثقيل.

(٣) الكناسة: محلة بالكوفة.

(٤) العهدة: العيب. السلعة: الغدّة، أو شبيه بها.

(٥) قَوْمُ الشَّيْءِ: جعل له قيمة معلومة.

(٦) خالاه مخالاة: صارعه، وخادعه.

(٧) المشش: ورم في مقدم عظم الوظيف. الجرذ: كل ورم في عرقوب الدابة.

(٨) العقد (بالتحريك): الإعوجاج والإلتواء.

(٩) العقّال (كرّمّان): انقباض في بعض العضلات.

ومن شدَّ العضاضِ ومن شباب
تُقَطَّعُ جِلْدُهَا جَرَباً وَحَكاً
وَأَقْطَفُ مِنْ دَيْبِ الذَّرِّ مَشِياً
وتكسرُ سَرَجُهَا أَبَداً شِماساً
ويُهْزَلُهَا الْجَمَامُ إِذَا خَصِبْنَا
تَظَلُّ لِرَكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيداً
وتَضْرِبُ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا
فَتُخْرِسُ مَنْطِقِي وَتُحَوِّلُ بَيْنِي
وقد أَعَيْتُ سِيَّاسَتَهَا الْمُكَارِي
حَرُونُ حِينَ تَرْكَبُهَا لِحُضِرِ
وَذُبُّ حِينَ تُدْنِيهَا لَسَرَجِ
وَفَسْلٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا بُكُوراً
وَأَلْفُ عَصَا وَسُوطٍ أَصْبَحِي
وتُصْعَقُ مِنْ صُقَاعِ الدَّيْكِ شَهْراً
إِذَا اسْتَعَجَلَتْهَا عَثَرَتْ وَبَالَتْ
وَمِثْفَارٌ تُقَدِّمُ كُلَّ سَرَجِ

إِذَا مَا هَمَّ صَحْبُكَ بِالزِّيَالِ (١)
إِذَا هُزِلَتْ وَفِي غَيْرِ الْهَزَالِ
وَتَنْحِطُ مِنْ مُتَابَعَةِ السُّعَالِ (٢)
وَتَسْقِطُ فِي الْوُحُولِ وَفِي الرَّمَالِ
وَيُذْبِرُ ظَهْرَهَا مَسُّ الْجَلَالِ
يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ الطَّحَالِ (٣)
عَلَى أَهْلِ الْمَجَالِسِ لِلسُّؤَالِ
وَبَيْنَ كَلَامِهِمْ مِمَّا تُوَالِي
وَيَئْطَاراً يُعْقَلُ بِالشُّكَالِ (٤)
جَمُوحٌ حِينَ تَعْزِمُ لِلنِّزَالِ
وَلَيْثٌ عِنْدَ خَشْخَشَةِ الْمَخَالِي (٥)
خَذُولٌ عِنْدَ حَاجَاتِ الرُّحَالِ (٦)
أَلَدُّ لَهَا مِنَ الشُّرْبِ الزُّلَالِ (٧)
وَتُذْعَرُ لِلصَّفِيرِ وَلِلخِيَالِ (٨)
وَقَامَتْ سَاعَةً عِنْدَ الْمَبَالِ
تُصَيِّرُ دَفْتِيهِ عَلَى الْقَذَالِ (٩)

-
- (١) الشَّباب (بالكسر): من شَبَّ الفرس شباباً: رفع يديه ونشط. الزِّيَال: المفارقة .
(٢) أَقْطَفُ، من القَطْف، وهو تقارب الخطو الذَّرُّ: صغار النمل. النَحِيط: الزفير من الجهد.
(٣) الْوَقِيدُ: المريض المشرف على الموت .
(٤) الشُّكَال (بالكسر): حبل تشدُّ به قوائم الدابة .
(٥) الْمَخَالِي، جمع المَخْلَاة (بالكسر) وهي ما يوضع فيها الْخَلَى: الحشيش الذي يحتشُّ.
(٦) الْفَسْل (بالفتح): كُلُّ مسترذل رديء .
(٧) السُّوط الْأَصْبَحِي: منسوب إلى ذي أصبح من أذواء حمير .
(٨) صَقَعَ الدَّيْكَ: صاح ورفع صوته .
(٩) الْمِثْفَار: التي ترمي بسرجها إلى مؤخرها .

وتَحْفَى في الوُقُوفِ إِذَا أَقْمَنَا
ولو جَمَعْتَ من هَنَا وهَنَا
فإِنَّكَ لَسْتَ عَالِفَهَا ثَلَاثًا
وكانت قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى
وقد قَرِحَتْ وَلُقْمَانُ فَطِيمٌ
وقد أَبْلَى بها قَرْنٌ وَقَرْنٌ
فأَبْدِلْنِي بها يَا رَبِّ بَغْلًا
كَرِيمًا حِينَ يُنْسَبُ وَإِلْدَاهُ

وقال آخر يمدح البغال، ويفضّلها على كُلِّ مركوب سواها (٣) :

عَزَمْتُ عَلَى ذِمِّ البَعِيرِ مُوَفَّقًا
وَأَنْ أَقْتِنَاءَ الإِبْلِ مُوقٌ وَحُرْفَةٌ
وَتَيْنَ المَنَايا وَالْبَرَاذِينَ نِسْبَةٌ
وَقُلْتُ وشَاهَدْتُ البَغَالَ وَغَيْرَهَا
وَلَيْسَ لَهَا بَذْخُ الخُيُولِ وَكِبَرُهَا
وَمُؤَنَّتُهُ فِي الصَّيْفِ وَالشَّتَوِ وَاجِدٌ
وَلَا تُرَكَّبُ الأَرْمَاكُ وَالْحَجَرُ دُونَهَا
وقد فَرَّقَ الرَّحْمَنُ بَيْنَ شُكُولِهَا
وَفِي البَغْلِ فِي كُلِّ الأُمُورِ مَرَافِقٌ
فَيَرْكَبُهَا وَالْخَيْلُ مُحَدِّقَةٌ بِهِ

وَأَنْ لَيْسَ فِي المَرْكُوبِ أَجْمَعُ من بَغْلٍ
يَبِيْتُ عَلَى يُسْرِ وَيَغْدُو عَلَى ثُكُلٍ (٤)
وَكُلُّ نِتَاجِ النَّاسِ خَيْرٌ من الإِبْلِ
فأَحْمَدْتُهَا فِي العُمَرِ وَالْهَرَمِ المُبْلَى
وَلَا ذِلَّةٌ العَيْرِ الضَّعِيفِ عَنِ الرَّحْلِ
وَلَا خَيْرٌ فِي المُونَاتِ مِنْ حَامِلِ الكُلِّ (٥)
لَدَى المِصْرِ والبَغْلَاتُ تُرَكَّبُ كالبَغْلِ
كَمَا بَيْنَ عَيْرِ الوَحْشِ وَالْأَخِيرِ الأَهْلِي
وَمَرْكَبُ قَاضٍ أَوْ شُيُوخِ ذَوِي فَضْلٍ
وَيُؤَثِّرُهَا يَوْمَ المُبَاهَاةِ وَالْحَفْلِ

(١) القارح: الذي شق نابه وبلغ الخامسة .

(٢) ذو الأكتاف: سابور ملك الفرس .

(٣) رسائل الجاحظ ٣٠٥/٢ .

(٤) الموق: الحمق. الحرفة (بالضم) : الحرمان. الكل (بالفتح): الثقل .

وقد جُلُوزَتْ في السَّوْمِ كُلُّ مُثْمِنٍ من الرائعِ المَنسُوبِ والجامِلِ البُزْلِ (١)
يُفُوتُ هَمَالِيجَ الْبَرَادِينِ سَيْرُهَا عَلَى قَحَّةِ الْأَعْيَارِ مِنْ شَبِّهِ النَّجْلِ (٢)

وقال العُكْلِيُّ غالب بن الحارث يذمُّ البَغْلَةَ (٣):

قَدْ يُلْقِحُ الْبَغْلَةَ غَيْرُ الْبَغْلِ لَكِنَّهَا تَعَجَّلُ قَبْلَ الْمَهْلِ
..... مَشْغُولَةٌ بِالْحَمْلِ عَنْ مَرْفَقِ الطَّحْنِ وَحَمْلِ الرَّجْلِ (٤)
وَتَقْلِبُ السَّفَرَ وَمَيِّرُ الْأَهْلِ وَلَا تُسَاوِي حَفَنَةً مِنْ زَبْلِ
مَا كَانَ فِيهَا مِنْ كِرَامِ الْفَحْلِ دُودَةً خَلَّ خُلِقَتْ مِنْ خَلِّ
وَكُلُّ أَنْثَى غَيْرِهَا فِي الْحَمْلِ تَزْدَادُ فِي الْقِيَمَةِ عِنْدَ السَّحْلِ (٥)
مَلْعُونَةٌ بِنْتُ لَعِينٍ نَذَلِ قَتَّالَةٌ لِلْفَارِسِ الْإِبِلِ (٦)
لَمْ يَغْتَدِلْ مَنْصِبُهَا فِي الْأَضَلِ مِنْ غَيْرِ شَكْلٍ خُلِقَتْ وَشَكْلِ
فِي أَدَبِ الْخَنْزِيرِ يَوْمَ الْحَفْلِ وَمَوْقُهَا مُوقُ رَضِيعِ طِفْلِ (٧)
أَوْ عَقْلُ أَفْعَى وَهَجَفَ هِقْلِ أَوْ حُوتُ بَحْرِ قَذِفَتْ فِي سَهْلِ (٨)
أَوْ جِيَالٍ يَكْتِفُهَا بِحَبْلِ كُلُّ حُمِيمٍ وَكُلُّ فَسْلِ (٩)
وَكُلُّ غَرٍّ جَاهِلٍ وَغُفْلِ لَيْسَ لَهَا فِي الْكَيْسِ رَفْقُ النَّمْلِ (١٠)

(١) الجامل: القطيع من الابل. البزل جمع البازل: البعير في السنة الثامنة.

(٢) القحّة: صلابة الحافر، النجل: النسل.

(٣) رسائل الجاحظ ٣٤٨/٢.

(٤) (.....) كذا ورد في المصدر المذكور.

(٥) السحل: النقد من الدراهم، يقال: سحله مائة درهم سحلاً.

(٦) الإبل: الذي لا يستحي والشديد الخصومة.

(٧) الموق: الحمق والغباوة.

(٨) الهجف من النعام: الجافي الثقيل. والهقل: الظليم وهو ذكر النعام. الحوت: السمكة، وهو مذكر، وقد أنث ضميره لمعناه.

(٩) جيال: إسم للضيع. الفسل: الضعيف الرذل.

(١٠) الرفق: لطافة الفعل.

أَوْ ذُئِبَ قَفَرٍ مُّجْمَعٍ لِلخَيْلِ
أَوْ خُزِرٍ وَثْبَ خَوْفِ الْقَتْلِ
وَالشُّؤْمُ مِنْهَا فِي ذَوَاتِ الْحَجَلِ
فَهِىَ خِلَافُ الْفَرَسِ الْهَيْلِ
قَدْ حَذَرَ النَّاسُ أَذَاهَا قَبْلِي
وَعَدُّوا كُلَّ قَتِيلٍ بَغْلٍ
أَوْ تَتَفَلَّ رَاوَعٌ كَلْبُ الْمُشْلِيِّ (١)
أَمَّا تَرَاهَا غَايَةً فِي الْجَهْلِ (٢)
وَعُرَّةٌ تَصْدَعُ جَمْعَ الشُّمْلِ
وَكُلُّ طَرْفٍ ذَائِلٌ رِفْلٌ (٣)
وَعَدُّوا كُلَّ قَتِيلٍ بَغْلٍ

فقال أخوه ناقضاً عليه، ومقدماً البغلة على البغل (٤) :

عَلَيْكَ بِالْبَغْلَةِ دُونَ الْبَغْلِ
مَرْكَبُ قَاضٍ وَإِمَامٌ عَدْلٍ
وَهَاشِمِيٌّ ذِي بَهَاءٍ وَفَضْلٍ
وَالسَّقِي وَالطَّحْنِ وَحَمْلِ الرَّجْلِ
أَوْطَا وَأَنْجَى مِنْ مَطَايَا الْإِبْلِ
وَطُولُ عُمُرٍ غَيْرَ قَيْلِ الْبُطْلِ
وَالخَيْلَ وَالْإِبْلَ وَكُلَّ فَحْلٍ
وَلَوْ دَرَى كَانَ قَلِيلَ الشُّغْلِ
فَدَعُ مَدِيحِي وَهَجَاءُ بَغْلِي
وَجَدْتَ فِيهِ بَعْضَ مَا قَدْ يَقْلِي (٥)
فَإِنَّهَا جَامِعَةٌ لِلشُّمْلِ
وَتَاجِرٍ وَسَيِّدٍ وَكَهْلٍ
تَصْلُحُ فِي الْوَحْلِ وَغَيْرِ الْوَحْلِ
وَهِيَ فِي الْمَشْيِ وَتَحْتَ الرَّجْلِ
وَكُلُّ جَمَّازٍ وَذَاتِ رَحْلِ (٦)
تَقْدُمُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ الْأَهْلِ
قَدْ قَتَلَ الْعُصْفُورَ فَرَطُ الْجَهْلِ
بِلَذَّةٍ تُسْلِمُهُ لِلْقَتْلِ (٧)
فَلَوْ دَمَمْتَ الْقَمَرُ الْمُجَلِّي
وَجَدْتَ فِيهِ بَعْضَ مَا قَدْ يَقْلِي (٧)

(١) السفل: بضم التاء الأولى والفاء، وفتحهما وكسرهما، وفتح التاء مع ضم الفاء، وبكسرهما مع فتح الفاء: الثعلب.

(٢) الخزر: الذكر من الأرناب.

(٣) الطرف (بالكسر): الفرس الكريم الأبوين. الذائل الرفل: الطويل الذليل.

(٤) رسائل الجاحظ ٣٥٠/٢.

(٥) جمز البعير: عدا وأسرع فهو جمّاز.

(٦) يعني كثرة سفاده لأنثاه، وذلك سبب لقصر عمره.

(٧) أي بعض ما قد يقلبه القمر.

وقال محمد بن حازم بن عمرو الباهلي^(١) يضرب المثل في ذم أخلاق
البغال :

ما لي رأيتك لا تدو م على المودّة للرجال
متبرماً أبداً بمن أخيت وذك في سفال
خلق جديّد كل يو م مثل أخلاق البغال

وكان الفيّاض عكرمة بن ربيعي التميمي يعجب ببغلة عنده ويمدحها، وكان
لا يأتي الحجاج - وهو صاحب شرطته - إلّا عليها، فكتب إليه بعض بني عمّه
يخوفه بالحجاج إن ارتفع إليه في الخبر، أن صاحب أشراطه يأتي بابه في فرسان
أهل العراق والشام ووجوهم على بغل، وقال في كلمة له^(٢) :

متى كان ذو الأشراط يركب بغلة عذيري من الحجاج إن ذاكر نعي
ويترك طرفاً ذا تمام وذا نبل
عليك ركوب البغل في ساعة الحفل
إلى باب حجاج على المركب الرذل
شقيّ ليثم الكسب ذي خلق نذل
وأنت امرؤ تندي بنائك باللهي
إذا ساء ظن الناس في الزمن المحل^(٣)

وقال الشاعر المعاصر خاشع الراوي على طريقة الرمز ينعي على البغل
تنكره لنسبه^(٤) :

قيل للبغل من أبوك فأبدي خيلاء وقال: خالي الحصان
وأبى أن يقول إن أباه حنتمي وذا لعمري هوان
منكراً أصله وليس عجيباً حين ينسى ما أصله الحيوان

(١) رسائل الجاحظ ٢/٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق ٢/٣٠٠ .

(٣) اللّهي (بالضم) جمع لهوة وهي أفضل العطايا وأجزلها .

(٤) ديوانه ٤١ .

زَيَّنَتْ رَأْسَهُ - وقد راح يَزْهُو - رَشْمَةٌ من قَطِيفَةٍ وعنان^(١)

فَعَلَى الظَّهْرِ مِنْهُ سَرْجٌ أَيْقُ وَحَبَّوهُ بِمَعْلَفٍ وَسَطَ رَوْضٍ
وَأَقَامُوا لَهُ عَلَى الشُّطِّ دَاراً وَازْدَهَاهُ الْغُرُورُ فَاخْتَالَ تَيْهاً
فَقَرَاهُ طَوَّراً مَعَ الرِّيحِ يَجْرِي نَاشِراً ذَيْلَهُ وَطَوَّراً تَرَاهُ
وَهُوَ فِي مَعْرِضِ الْجَمَالِ رَشِيقٌ لَا تَلُمُهُ إِذَا تَنَاسَى أَبَاهُ
إِنَّ هَذَا مِنَ الْبَيْنِ عُقُوقٌ أَيْنَ مِنْهُ الدِّمَقْسُ وَالْأَرْجَوَانُ^(٢)
تَتَشَنَّى بِهِ الْقُدُودُ الْجِسَانَ عَنْ مَدَاهَا بِالْوَصْفِ يَغِيَا الْبَيَانَ
فِي غُرُورٍ كَأَنَّهُ السُّلْطَانُ بِحُبُورٍ وَخَلْفَهُ الرُّكْبَانُ
نَاهِقاً مِنْهُ تَرْقُصُ الْأَذَانُ^(٣) لَيْسَ يَزْهُو إِلَّا بِهِ (الْمَيْدَانُ)
إِنَّ دَابَّ الْبَهَائِمِ النَّسِيَانُ وَهُوَ مِمَّا جَنَاهُ هَذَا الزَّمَانُ

وقال محمد بن يسير الرياشي طالباً من مؤيس بن عمران بغلة لرحلته^(٤) :

أَضْمُمُ عَلَيَّ مَارِباً قَدْ أَصْبَحَتْ شَتَّى بَدَادٍ شَتِيَّتَةِ الْأَوْطَانِ^(٥)
بِزَفُوفٍ سَاعَاتِ الْكَلَالِ ذَلِيقَةٍ سَفَوَاءٍ أَبَدَعْ خَلَقَهَا أَبْوَانِ^(٦)
لَمْ يَعْتَدِلْ فِي الْمَنْصِبَيْنِ كِلَاهُمَا عِنْدَ التَّنَاسُبِ مِنْهُمَا الْجِسَانِ
إِلَّا تَكُنْ لِأَبٍ أَغْرَ فَإِنَّهَا تَنْمِي إِلَى خَالٍ أَغْرَ هِجَانِ

(١) الرشمة، قال صاحب تاج العروس: ما يوضع على فم الفرس، عامي، ولم يذكر مأخذها، والرشمة على ما هو معروف في العراق: زنجير من حديد مربوط الطرفين يوضع فوق أنف الدابة، أما الشاعر فقد وصف الرشمة بأنها من قطيفة، فهو إذن يريد العذار.

(٢) الدمقس: الإبرسيم، وقيل الحرير الأبيض. الأرجوان (فارسي معرب): ثياب حمرة.

(٣) ناهقاً، كذا ورد في الديوان، والصواب، شاحجاً لأن الناهق الحمار، أما البغل فشاحج.

(٤) رسائل الجاحظ ٢/٢٩٦.

(٥) المأرب: الحاجات. بداد (بالبناء على الكسر) أي متبددة، متفرقة.

(٦) الزفوف (بالفتح): السريعة السير، الدليقة: الشديدة الدفعة. السفواء: السريعة.

نَزَعَتْ عَنِ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ نَجَاءَهَا مِنْهَا وَعِتَقَ سَوَالِفَ وَلَبَّانٍ^(١)
وَلَهَا مِنَ الْأَعْيَارِ عِنْدَ مَسِيرِهَا جِدٌّ وَطُولُ صَبَارَةٍ وَمِرَانُ

وأهدى أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل الى بعض إخوانه بغلة
معها هذه الأبيات على طريق المجون لأنه يعرف بابن أبي البغل: ^(٢)

تَخَيَّرْتُهَا لَكَ مِنْ نَسْلِنَا وَكُنْتُ لَهَا وَالِيًا كَافِيَا
فَهْنَيْتَهَا رَاكِبًا فِي الْمَلَا وَمُتَّعْتُ خَلْوَتَهَا خَالِيَا
لَعَلَّكَ تُرْزَقُ مِنْهَا فَتَيَّ يَكُونُ لَنَا سَيِّدًا كَالِيَا
فَيُكْسِبُ أَعْمَامَهُ مَفْخَرًا وَأُخْوَالَهُ شَرْفًا عَالِيَا

(١) النجاء: السرعة. السوالف، جمع سالفة، وهي ما تقدم من العنق، اللَّبَّان (بالفتح): الصدر من
ذي الحافر.

(٢) التحف والهدايا / ٣٩.

البَقَرُ الْأَهْلِيّ وَالْوَحْشِيّ (١)

البقرة: إسم جنس يقع على الذكر والأنثى ، وأنما دخلته الهاء على أنّه واحد من جنس ، وإذا أردت التمييز قلت : هذا بقرة للذكر، وهذه بقرة للأنثى . والجمع بَقَرَات وبَقَر، وجمع البقر أَبْقَر. أمّا بواقر، وبَقِير، وبيقور، وباقور فأسماء للجمع . وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة . وكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الصدقة لأهل اليمن (في ثلاثين باقورة بقرة) .

والباقر: جماعة البقر مع رعاتها، وفاعل من بقر الشيء : شقّه، والتبقر: التوسّع في العلم، ومنه قيل للإمام محمد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط عليهم السلام : الباقر ، لأنّه بقر العلم، أي شقّه ودخل إليه مدخلاً بليغاً، فعرف أصله، واستنبط فرعه ، وقال صاحب تاج العروس : ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري : أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال له (يوشك أن تبقى حتّى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له محمّد يبقر العلم بقرّاً، فإذا لقيتَه فاقِرْهُ مِنِّي السلام) خرّجه أئمة النسب .

ويسمى ذكر البقر ثوراً، والجمع أثوار وثيران، وثُورَة وثيرة.

(١) المخصص ٣٢/٨/٢ - ٤٢ ، وحياة الحيوان الكبرى ١/١٤٧ ، والعديد من معاجم اللغة .

ومن أسماء البقر :

الأرْخ، والإرْخ: الذكر، والأرْخِي: الفتى منه ، والأنثى : أرْخَة، وإرْخَة، والجمع إراخ وآراخ.

الأطوم: البقر، وكذلك الحَوْر، والحَيْرَم، الواحدة حيرمة.

الخَزْوَمة: البقرة، وجمعها خَزْم ، وخُزْم.

الخنساء: البقرة الوحشية، والثور أخنس .

الغَيْطَلَة: البقرة، وجمعها غياطل.

المهاة: البقرة الوحشية، وجمعها مها ، وقالوا : مَهَيَات.

نعاج الرمل: بقر الوحش خاصة، واحداً نعجة، ولا يقال للبقرة الأهلية نعجة.

من صفات البقر وألوانها:

الأَبْرَد: ثور فيه لُمعٌ سواد وبياض.

الأَبْلَق : الأبيض .

الأَسْفَع: الثور الأسود، والثور الوحشي الذي في وجهه خطوط سود .

الأَغْصَن : الثور الذي في ذنبه بياض.

الْجَلْحَاء ، والجَمَاء : بقرة لم يكن لها قرنان .

حَضَارٍ (معرفة مبنية على الكس): الثور الأبيض.

الرامِح : ثور ذو قرنين طويلين.

الرُّمْل : خطوط في يدي البقرة ورجليها.

الضَّاعِف : البقرة الحامل.

العَوَان: النصف من البقر وغيرها. وقيل: هي التي نتجت بعد بطنها

البكر، والجمع عُون.

العَيْن : اسم جامع لإناث بقر الوحش خاصة ، كالعيس للإبل، الواحدة'

سيناء ، والثور أعين .
العَوْهَق : ثورٌ لونه إلى السواد .
العَيْس : بياض مشرب في ظلمة خفية .
الغَضْب : الثور الأبيض .
الفَارِض : البقرة العظيمة الصحيحة ، والمسنة .
الْقَرْهَب : الثور المسن الضخم .
الْقَهَب : الأبيض من أولاد البقر ويوصف به المعز ، وألوان الناس .
اللَّهَق ، واللَّهَق ، واللَّهَق : الثور الأبيض .
المذْرَع : الثور الملمع الذراع بلُمع سود .
المَوْلَعَة : البقرة التي فيها لُمع ألوان من غير بَلَق ، وتوصف به أيضاً :
الخيَل والشاء والطباء .
النَّوار : البقرة التي تنفر من الفحل ، وتوصف به المرأة النفورة من الريبة .

أسنان أولاد البقر :

الطَّلَا : ولد البقرة حين تلقيه ، والجمع أطلاء ، ويطلق أيضاً على ولد الغنم والطباء .

التبيع والتبع : ولد البقرة في السنة الأولى ، والجمع أَتْبَعَة وأتباع وجمع الجمع أتابع ، والأنثى تبعة ، والبقرة متبع ، ثم : الجدَع ، وهو ما قبل الثاني . وجمعه جذاع ، وجذعان (بضم الجيم وكسرهما) والأنثى جَدَّعة وجمعها جَدَّعات . ثم :

الثَّني ، وهو الذي يلقي ثنَّيته في السنة الثالثة ، ثم :
الرَّباع : في السنة الخامسة للذكر ، والأنثى رباعية ، ثم :
السَّدَس (محرَّكة) : السنُّ قبل الصالغ للبقر ، وقبل البازل للابل ثم بعده :
الصالغ ، وهو أقصى أسنانه ، وليس بعد الصالغ في ذي الظلف سنٌّ ،

ولكن يقال: صالغ سنة، وصالغ سنتين وكذلك ما زاد. وقال ابن السكيت:
ويقال له إذا تَمَّتْ أسنانه: شَبَّ، ومَشَبَّ، وشَبَّوب.

الْكُحْكُحُ، والكِخْكِخُ: المَسْنُ، والذي تَكَسَّرتْ أسنانه وتَحَاتَّتْ.
العِجْلُ: ولد البقرة، والأنثى عجلة، والجمع عجول وعِجَلَةٌ، ويقال: بقرة
مُعِجِلٌ: ذات عجل.

الحَسِيلُ: ولد البقرة، والأنثى حسيلة، والجمع حَسِيلٌ أيضاً. .
أصوات البقر:

نَاجَتْ البقرة تَنَاجٍ، وتَنُوجُ تُوَاجًا: صاحت. .
جَارت البقرة تجار جُواراً: صاحت، ومنه جار فلان إلى الله بالدعاء، أي
تَضَرَّعَ وَاسْتَعَاثَ.

خارت البقرة خواراً: صاحت.
صَعِقَ الثور يصعق صُعاقاً: خار خواراً شديداً.
طَغَتِ البقرة تطغي: صاحت.
الغمجمة: أصوات الثيران عند الذعر.

أسماء أقاطيع البقر:

الأَجَلُ: جماعة البقر، والجمع آجال، ويطلق على جماعة الظباء أيضاً.
الْحَنْظَلَةُ: قطعة من البقر، وتطلق أيضاً على الخيل والغنم والإبل.
الرَبْرَبُ: جماعة بقر الوحش.
السَّرْبُ: القطيع من البقر، والظباء، والطير، والنساء والجمع أسراب.
الصُّوَارُ، والصُّوَارُ: جماعة البقر، والجمع صِيران وصِيَار.
القَطِيعُ: الطائفة من البقر، والغنم والإبل، جمعه أقطاع وقِطَعان
وأقاطيع.
الكَّوْرُ: القطيع من البقر.

أَسْمَاءُ مَا فِي أَجْسَامِ الْبَقَرِ مِنَ الطَّوَائِفِ^(١) :
الثُّعْلُ ، وَالثُّعْلُ : الشَّيْءُ الزَّائِدُ فِي ضَرْعِ الْبَقْرَةِ .
الْجِمْلَاجُ : قَرْنُ الثَّوْرِ .
الْأُزْلَامُ : أَظْلَافُ الْبَقْرَةِ وَاحِدُهَا زَلَمٌ .
غَبَّعَ الْبَقْرَةَ ، وَغَبَّيُّهَا : مَا تَشْتَّى مِنْ لَحْمِ ذَقْنِهَا مِنْ أَسْفَلٍ ، وَالْجَمْعُ أَغْبَابٌ .
النُّغْنُغُ : الْغَبْغَبُ .

مَوَاضِعُ الْبَقَرِ وَمَرَابِضُهَا :

الْبُهِوُ : كِنَاسٌ وَاسِعٌ يَتَّخِذُهُ الثَّوْرُ ، وَالْجَمْعُ أَبْهَاءٌ وَبُيْئٌ وَبُهِوٌ .
إِجْتَاَفَ الثَّوْرُ الْكِنَاسَ : دَخَلَ فِي جَوْفِهِ .
الرُّبْضُ : مَرَابِضُ الْبَقَرِ ، وَاحِدُهَا : مَرَبِضٌ .
الْمَكْنِسُ ، وَالْكِنَاسُ : مَوْلِجُ الْبَقْرَةِ ، وَالظُّبَاءُ وَالْجَمْعُ أَكْنَسَةٌ وَكُنُسٌ .
هَكَعَتِ الْبَقْرَةَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ تَهَكَّعَ فَهِيَ هَكُوعٌ : اسْتَظَلَّتْ تَحْتَهُ مِنْ شِدَّةِ
الْحَرِّ .

إِرَادَةُ الْبَقْرَةِ وَحَمْلُهَا :

اسْتَحْرَمَتِ الْبَقْرَةَ ، وَكُلُّ ذَاتِ ظِلْفٍ : أَرَادَتْ الْفَحْلَ .
بَقْرَةٌ ضَاعِفٌ : حَامِلٌ .
أَغَزَّتِ الْبَقْرَةَ وَهِيَ مُغِزٌّ : عَسَرَ حَمْلُهَا .
اسْتَقْرَعَتِ الْبَقْرَةَ : إِذَا أَرَادَتْ الْفَحْلَ . وَقَدْ مَرَّ أَنَّ الْاسْتِحْرَامَ لَهَا وَلِكُلِّ
ذَاتِ ظِلْفٍ إِذَا أَرَادَتْ الْفَحْلَ ، وَقَدْ يَكُونُ الْاسْتِحْرَامُ لِلْمَخْلَبِ .
الْقَفْخَةُ : الْبَقْرَةُ الْمُسْتَقْرِعَةُ أَيِ الَّتِي تَطْلُبُ الْفَحْلَ ، وَيُقَالُ : أَقْفَخَتْ
الْبَقْرَةَ .

(١) الطَّوَائِفُ جَمْعُ الطَّائِفَةِ ، وَهِيَ هُنَا : الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ .

ما ورد في القرآن الكريم

﴿ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة / ٥١ و ٩٣).
﴿يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ (سورة البقرة / ٥٤).
﴿واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ (سورة البقرة / ٦٧).

﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ (سورة البقرة / ٦٨).

﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ (سورة البقرة / ٦٩).

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا﴾ (سورة البقرة / ٧٠).

﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض، ولا تسقى الحرث﴾ (سورة البقرة / ٧١).

﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ (سورة البقرة / ٩٣).
﴿ثم اتخذتم العجل من بعد ما جئتهم بالبينات﴾ (سورة النساء / ١٥٣).
ومن البقرة اثنين (سورة الأنعام / ١٤٤).

﴿ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما﴾ (سورة الأنعام / ١٤٦).

﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار﴾ (سورة الأعراف / ١٤٨).

﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم نصب من ربهم﴾ (سورة الأعراف / ١٥٢).



﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيد﴾ (سورة هود / ٦٩).
﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان﴾ (سورة يوسف / ٤٣).
﴿يوسف أيها الصديق أفئنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾
(سورة يوسف / ٤٦).

﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ (سورة طه / ٨٨).
﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ (سورة الذاريات / ٢٦).

مما ورد في الحديث الشريف: (١)

عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إن طالت بك حياة يوشك أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذنان البقر يضربون بها الناس».

وفي حديث أنه عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة كوجوه البقر يشبه بعضها بعضاً.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة». قال الترمذي: هو الذي يتشدد في الكلام ويفخم به لسانه، ويلفه كما تلف البقرة الكلاء بلسانها لفاً.

عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ١٤٧/١ و ١٤٨، والنهاية في غريب الحديث ٧٣/٢.

مِمَّا وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ^(١)

(أبلد من الثور).

(باءت عَرَارٍ بكحل) يضرب لكلّ مستويين يقع أحدهما بازاء الآخر.
وعرار وكحل بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً، وقال كثير بن شهاب الحارثي:
باءت عرارٍ بكحلَ فيما بيننا والحقُّ يعرفهُ أولو الألباب
(بقرة بني إسرائيل) يضرب بها المثل في الشيء يأمر به السيد فيجئ فيه
المسود، ويسدُّ الأمر فيه على نفسه.

(كعب البقر). كان داود بن عيسى بن موسى يلقَّب بترجّة، وعبد السميع
ابن محمد يلقَّب بشحم الحزين، ومحمد بن أحمد بن عيسى الهاشمي يلقَّب
بكعب البقر، وكانوا كلّهم مع المستعين العباسي. فلما صاروا إلى المعتزّ قال
المعتز:

أَتَانِي أترُجَّةٌ فِي الْأَمَانِ وَشَحْمُ الْحَزِينِ وَكَعْبُ الْبَقَرِ
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بَمَنْ جَاءَنَا وَيَالَيْتَ مَنْ لَمْ يَجِيءَ فِي سَقَرِ

(الكلاب على البقر) يضرب عند قلة المبالاة بالشيء. ونصب الكلاب
على تقدير: أرسل الكلاب:

(السان الثور) يشبّه به اللسان الطويل العريض،

(ليس لاثارة الأرض كالثيران).

(من طلى نفسه بالنخالة أكلته البقر).

(نادى عليه كما ينادي على لحم البقر).

(١) التمثيل والمحاضرة / ٣٤٦، وثمار القلوب / ٣٧٤، والأمثال للميداني ٩١/١، وجمهرة الامثال
٢٢٦/١ و ٢٥٠، والمعجم الزوولوجي ١٣٢/٢.

(وجدت البقرة ظلّفها) يضرب لمن وجد ما يوافقه.

(وما عليّ إذا لم تفهم البقر).

مما ورد في الكلام المنشور:

تعزية في ثور: (١)

كتب أبو إسحاق الصابي (عن ابن بقية في أيام وزارته) إلى أبي بكر ابن قريعة يعزيه عن ثور أبيض جلس للعزاء عليه تراقعاً وتحامقاً: التعزية على المفقود أطال الله بقاء القاضي إنّما يكون بحسب محلّه من فاقده، من غير أن تراعى قيمته ولا قدره، ولا ذاته ولا عينه، إذ كان الغرض فيها تبريد الغلّة، وإخماد اللّوعة، وتسكين الزّفرة وتنفيس الكربة، فربّ ولدٍ عاق، وشقيق مشاق، وذو رحم أصبح لها قاطعاً، ولأهله فاجعاً، وقريب قوم قد قلّدهم عاراً، وناط بهم شناراً، فلا لوم على ترك التعزية عنه، وأحرّ بها أن تستحيل تهنئة بالراحة منه، وربّ مال صامت غير ناطق قد كان صاحبه به مُستظهِراً، وله مستثمرأ، فالفجعة به إذا فُقد موضوعة موضعها، والتعزية عنه واقعة منه موقعها.

وقد بلغني أنّ القاضي أصيب بثور كان له ، فجلس للعزاء عنه شاكياً ، وأجهش عليه باكياً، والتّم عليه ولهاً، وحُكِت عنه حكايات في التّأبين له ، وإقامة النّدة عليه، وتعدد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرّقت في غيره، اجتمعت فيه وحّدته، فصار كما قال أبو نواس في مثله من الناس.

ليس على الله بمُستنكِرٍ أن يجمَعَ العالم في واحدٍ

لأنّه يكرُب الأرض مغمورة (٢) ويشيرها مزروعة، ويرقص في الدواليب

(١) زهر الآداب / ٩٦٢ - ٩٦٤.

(٢) الكرب: اثاره الأرض للزّرع، الأرض المغمورة: الخراب .

ساقياً^(١) وفي الأرحاء طابخاً، ويحمل الغلات مستقلاً، والأثقال مستخفّاً، فلا يؤوده عظيم، ولا يعجزه جسيم، ولا يجري في الحائط^(٢) مع شقيقه، ولا في الطريق مع رفيقه إلا كان جلدأ لا يسبق، ومُبرزاً لا يلحق، وفائتاً لا ينال شأوه وغايته، ولا يبلغ مداه ونهايته، ويشهد الله أن ما ساءه سائي، وما آلمه آلمي، ولم يَجُزْ عندي في حقّ ودّه استصغار خطب جلّ عنده فأرقه وأمضه وأقلقّه، ولا تهوين صعب بلغ منه وأرْمضه وشفّه وأمْرَضه، فكتب هذه الرقعة قاضياً بها من الحقّ في مصابه هذا بقدر ما أظهر من إكباره إياه، وأبان من إعظامه له، وأسأل الله تعالى أن يخصّه من المعوضة بأفضل ما خصّ به البشر عن البقر، وأن يفرد هذه البهيمة العجماء بأثرة من الثواب، يضيفها الى المكلفين من أهل الألباب، فأنها وإن لم تكن منهم فقد استحقت ألا تُفرد عنهم، بأن مسّ القاضي سببها، وصار إليه مُنتسبها، حتّى إذا أنجز الله ما وعدّ به عباده المؤمنين من تمحيص سيئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التي رَضِيها لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قراراً، وأورد القاضي - أيده الله تعالى - موارد أهل النعيم مع أهل الصراط المستقيم، جاء وثوره هذا مجنوبٌ معه، مسموحٌ له به، وكما أن الجنة لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنه عرق يجري من أعراضهم، كذلك يجعل الله ثور القاضي مركباً من العنبر الشَّحْرِيّ^(٣)، وماء الورد الجوريّ، فيصير ثوراً له جونة عطر ونوراً، وليس ذلك بِمُسْتَبْعِدٍ ولا مستنكر، ولا مستصعب ولا متعذّر، إذ كانت قدرة الله بذلك محيطّة، ومواعيده لأمثاله ضامنة بما أعدّه الله في الجنة لعباده الصادقين وأوليائه الصالحين من شهوات أنفسهم وملاذّ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه، بمانعه ذلك مع مصالح مساعيه ومحمود شيمه، وقلبي متعلّق بمعرفة خبره أدام الله عزّه فيما

(١) يرقص: يخبّ في مشيه، والرقص لا يكون إلا للابل، ولعل أصل الكلمة (يدور) مكان (يرقص).

(٢) الحائط - هنا - البستان.

(٣) الشحر صقع على ساحل اليمن وإليه ينسب العنبر. جور: مدينة ينسب إليها نوع من الورد.

أَدْرَعَهُ مِنْ شَعَارِ الصَّبْرِ، وَاحْتَفَظَ بِهِ مِنْ إِثَارِ الْأَجْرِ، وَرَفَعَ إِلَيْهِ مِنَ السَّكُونِ لِأَمْرِ
اللَّهِ تَعَالَى فِي الَّذِي طَرَقَهُ، وَالشُّكْرَ لَهُ فِيمَا أَزْعَجَهُ وَأَقْلَقَهُ، فَلْيَعْرِفْنِي الْقَاضِي مِنْ
ذَلِكَ مَا أَكُونُ ضَارِباً مَعَهُ بِسَهْمِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهِ، وَآخِذاً بِقِسْطِ الْمَشَارَكَةِ فِيهِ.

(رَدُّ التَّعْزِيَةِ)

وهذا فصل من جواب أبي بكر بن قريعة يردُّ فيه على التعزية في الثور:
وصل توقيع سيدنا الوزير أطال الله بقاءه، وأدام تأييده ونعمائه، وأكمل رفعتَه
وعلاه، وحرس مهجته ووقاه، بالتعزية عن الثور الأبيض الذي كان للحِثِّ
مثيراً، وللدواليب مديراً، وبالسَّبق إلى سائر المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان
مساعداً وظهيراً.

لعمرك لقد كان بعمله ناهضاً، ولحماقات البقر رافضاً، وأنى لنا بمثله
وَشَرَوَاهُ وَلَا شَرَوَى^(١) له، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْبَقَرِ، وَأَنْفَعُ أَجْنَاسِهِ لِلْبَشَرِ، مِضَافٌ
ذَلِكَ إِلَى خَلَّاتٍ لَوْلَا خَوْفِي مِنْ تَجَدُّدِ الْحُزْنِ عَلَيْهِ وَتَهْيِيجِ الْجُزَعِ وَانْصِرَافِهِ إِلَيْهِ
لَعَدَدْتُهَا، لِيَعْلَمَ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّهٗ - أَنَّ الْحَزِينَ عَلَيْهِ غَيْرُ مَلُومٍ. وَكَيْفَ يَلَامُ أَمْرٌ فَقَدَ
مِنْ مَالِهِ قِطْعَةً يَجِبُ فِي مِثْلِهَا الزَّكَاةُ وَمِنْ خَدَمِ مَعِيشَتِهِ بِهَيْمَةٍ تُعَيِّنُ عَلَى الصَّوْمِ
وَالصَّلَاةِ، وَقَدْ آحْتَذَيْتُ مَا مِثْلُهُ الْوَزِيرُ مِنْ جَمِيلِ الْإِحْتِسَابِ وَالصَّبْرِ عَلَى
الْمَصَابِ، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَوْلَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ أَمْلَكَ لِنَفْسِهِ وَمَالِهِ
وَأَهْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئاً دُونَهُ، وَإِذْ كَانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، هُوَ
الْمَلِكُ الْوَهَّابُ، الْمُرْتَجِعُ مَا ارْتَجَعَ مِمَّا يَعُوضُ عَلَيْهِ نَفِيسُ الثَّوَابِ، وَقَدْ
وَجَدْتُ - أَيْدَ اللَّهِ الْوَزِيرَ - لِلْبَقَرِ خَاصَّةً فَضِيلَةً عَلَى سَائِرِ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ تَشْهَدُ بِهَا
الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ . . . (وذكر جملة من فضائل البقر)^(١).

(١) كذا في زهر الآداب، وياليت المؤلف قد استرسل فذكر باقي الرسالة. الشروى: المثل.

مما ورد في الشعر

قال أحمد بن علويه الأصبهاني يصف بقرة (١):

يا حبذا مَحْضُهَا ورائبها وحبذا في الرجال صاحبها
عَجُولَةٌ سَمَحَةٌ مُبَارَكَةٌ مَيِّمُونَةٌ طَفَّحٌ مَحَالِبُهَا (٢)
تَقْبَلُ لِلْحَلْبِ كُلِّمَا دُعِيَتْ ورامها للحلاب حالبها
فَتِيَّةٌ سِنُّهَا مُهَذَّبَةٌ مُعْنَفٌ فِي النَّدِيِّ عَائِبُهَا
كَأَنَّهَا لُعْبَةٌ مُزَيَّنَةٌ يَطِيرُ عَجْباً بِهَا مُلَاعِبُهَا
كَأَنَّ أَلْبَانَهَا جَنَى عَسَلٍ يَلْدُهَا فِي الْإِنَاءِ شَارِبُهَا
عَرُوسٌ بَاقُورَةٌ إِذَا بَرَزَتْ مِنْ بَيْنِ أَحْبَالِهَا تَرَائِبُهَا (٣)
كَأَنَّهَا هَضْبَةٌ إِذَا انْتَسَبَتْ أَوْ بَكْرَةٌ قَدْ أَنْفَ غَارِبُهَا
تُزْهِى بِرَوْقَيْنِ كَاللُّجَيْنِ إِذَا مَسَّهَا بِالْبَنَانِ طَالِبُهَا (٤)
لَوْ أَنَّهَا مُهْرَةٌ لَمَا عَدِمَتْ مَنْ أَنْ يَضُمَّ الشُّرُورَ رَاكِبُهَا

وقال الشاعر القروي (رشيد سليم خوري) (٥):

حَامِلُ النَّيْرِ مِنْذُ بَدْءِ الْوُجُودِ خَاضِعاً صَابِراً وَدِيعاً كَرِيماً (٦)
تَقْبَلُ الْوَحْدَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَا
غَيْرُ شَاكٍ ظُلْماً وَغَيْرُ حَقُودِ
ثَارَتْ الْأَرْضُ تَحْتَ رَجْلِكَ ثَوْرًا وَقَلَبْتَ الْحُقُولَ بَطْنًا لِظَهْرِ

(١) نهاية الأرب للنويري ١٢٢/١٠.

(٢) عَجُولَةٌ: انثى العجول: ولد البقرة كالعجل.

(٣) الباقورة والباقور: اسم جمع للبقر، وقد مرَّ أيضاً أن أهل اليمن يسمون البقرة باقورة. الترائب: عظام الصدر.

(٤) الروقان، تشنيه الروق: القرن.

(٥) ديوانه ٢٠٨/.

(٦) النير: الخشبة المعترضة عنقي الثورين بأداتها

فَعَلَى كَفِّ عَزْمِكَ الرِّزْقُ يَجْرِي
 وَأَنَا بِالْخُشُوعِ أَدْعُوكَ ثَوْرًا
 عَبَدْتُكَ الْوَرَى عَصُورًا طَوَالًا وَأَقَامُوا لَكَ التَّمَاثِيلَ تَتَرَى
 يَنْحَرُونَ الدِّمَى بِبَابِكَ نَحْرًا
 وَيُصَلُّونَ رَهْبَةً وَجَلَالًا
 أَيُّهَا الثَّوْرُ كَيْفَ حَالُكَ أَصْبَحَ بَعْدَ ذَاكَ التَّمَجِيدِ وَالْإِكْرَامِ

سَرَقَ الْمَجْدَ مِنْكَ بَعْضُ الْأَنَامِ
 فَهُوَ ثَوْرٌ لَكِنْ لَهُ النَّاسُ تَفْلِيحٌ

وقال أبو ذؤيب الهذلي من قصيدة في رثاء أولاده (١).
 والدهرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ شَبَبٌ أَفْزَتْهُ الْكِلَابُ مُرُوعٌ (٢)
 شَغَبَ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ فَوَادَهُ إِذَا يَرَى الصُّبْحَ الْمَصْدَقُ يَفْزَعُ (٣)
 وَيَعُودُ بِالْأَرْضَى إِذَا مَا شَفَّهُ قَطْرٌ وَرَاحَتُهُ بَلِيلٌ زَعَزَعُ (٤)
 يَرْمِي بَعَيْنَيْهِ الْغُيُوبَ وَطَرْفَهُ مُغْضٍ يُصَدِّقُ طَرْفَهُ مَا يَسْمَعُ (٥)
 فَعَدَا يُشْرِقُ مَتْنَهُ فَبَدَا لَهُ أَوَّلَى سَوَابِقِهَا قَرِيبًا تُوزَعُ (٦)
 فَاهْتَاَجَ مِنْ فَرْعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غُبْرُ ضَوَارٍ وَافِيَانٍ وَأَجْدَعُ (٧)

(١) ديوان الهذليين ١٠/١، ورسالة الصاهل والشاحج ١٣٢/

(٢) الشبب: الثور الوحشي. أفزته: أفزعته وطرده.

(٣) الشغب تهيج الشر، وقيل كثرة الجلبة واللغط المؤدي إلى الشر. الصبح المصدق: المضىء.

(٤) الأرضى: شجر ينبت بالرمل به راحته: أصابته ريح. بليل: شمال باردة تنضح الماء. زعزع: شديدة تحرك كل شيء.

(٥) قيل في تعليل أن نظر الثور يصدق سمعه: أن سمع الحيوانات الوحشية أقوى من بصرها.

(٦) شرق الثور متنه: أبداه للشمس المشرقة ليحفظ ما عليه من الندى. الوزع: الطرد.

(٧) الفروج: ما بين القوائم. الغبر: كلاب الصيد تضرب إلى الغبرة. وافيان: لم تقطع آذانهما. أجدع: قطعت أذنه، وهي علامة تعلم بها الكلاب.

يَنْهَشْنَهُ وَيَذُبُّهِنَّ وَيَحْتَمِي عَبْلُ الشَّوَى بِالطَّرْتَيْنِ مَوْلَعٌ (١)
فَنَحَالَهَا بِمَذْ لَقَيْنِ كَأَنَّمَا يَهُمَا مِنَ النَّضْحِ الْمُجْدَحِ أَيْدَعُ (٢)
فَكَأَنَّ سَفُودَيْنِ لَمَّا يُقْتَرَا عَجَلًا لَهُ بِشَوَاءٍ شَرِبَ يُنَزَعُ (٣)
فَصَرَعْنَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ وَجَنَّبُهُ مَتَّعَتْ وَلَكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
حَتَّى إِذَا آرْتَدَّتْ وَأَقْصَدَ عُصْبَةُ مِنْهَا وَقَامَ شَرِيدُهَا يَتَضَرَّعُ
فَبَدَا لَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَفِّهِ بَيْضُ رِهَافٍ رِيْشُهُنَّ مُقَزَّعُ (٤)
فَرَمَى لِيُنْفِذَ فَرَهَا فَهَوَى لَهُ سَهْمٌ فَأَنْفَذَ طُرْتِيَهُ الْمِنْزَعُ (٥)
فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقُ تَارِزُ بِالْخَبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ (٦)

وقال الكميت بن زيد الأسدي يصف بقرة وحشية (٧) :

تَعَاطَى فِرَاحَ الْمَكْرِ طَوْرًا وَتَارَةً تُثِيرُ رُخَامَاهَا وَتَعْلُقُ ضَالَهَا (٨)
كَعَذْرَاءٍ فِي مَجْنَى السَّيَالِ تَخَيَّرَتْ أَنْابَيْبَ رَخَصَاتِ الْفُرُوعِ سَيَالَهَا (٩)

(١) عبْل الشوى: غليظ القوائم. الطرتان. خططان يفصلان بين الجنب والبطن. مَوْلَعٌ: فيه ألوان مختلفة.

(٢) نحا الثور للكلاب: تحرّف ليطعنها. يريد بمذلقين: بقرنين محددين. النضح المجدح: الدم الذي حرّكه الثور بقرنه في أجواف الكلاب كما يجذح السويق. الأيدع: دم الأخوين، وقيل: الزعفران.

(٣) السفود: حديدة معقّفة يشوى بها اللحم. يُقْتَرَا، من القتار وهو ريح الشواء.

(٤) يريد بالبيض الرهاف: السهام. المقزّع: المحذّف وهو الذي قد حذف ما فيه من الفضول.

(٥) فرّها: فرارها، أي ما فرّ من الكلاب، المنزع: السهم.

(٦) الفنيق: فحل الإبل. تارز: يابس، أي ميّت. هو أبرع: يريد أن الفنيق أعظم من الثور.

(٧) ديوانه ٨٢/٢.

(٨) المكر: شجر نبتته غبراء لها ورق وليس لها زهر كأن فيها حمضاً حين تمضغ. فراخ المكر: ثمره. الرخامي: نبت تجذبه السائمة، وهي حلوة شبيهة بشجر الضال.

(٩) السّيال: نبات له شوك، وقيل هو ما طال من السّمُر. الفروع الرخصة: الناعمة اللينة.

عَلَى رِسْلَةٍ مِنْ هَذِهِ وَتَكْمُشُ بِهَاتِيكَ أَنْ هَاجَ الرُّوَاغُ امْتِلَالَهَا^(١)
وَأَنَّ اخْتِلَافًا مِنْهُمَا وَتَفَرُّقًا لَمَّا خَالَفَتْ مِنْهَا الْحِمَاشُ خِدَالَهَا^(٢)

وقال الأخطل يصف ثوراً^(٣) :

فَمَا بِهِ غَيْرُ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ إِذَا أَحَسَّ بِشَخْصٍ نَابِيٍّ مَثَلًا^(٤)
كَأَنَّ عَطَّارَةً بَاتَتْ تُطِيفُ بِهِ حَتَّى تَسْرُبَلَ مَاءَ الْوَرَسِ وَأَنْتَعَلًا^(٥)
كَأَنَّهُ سَاجِدٌ مِنْ نَضْحِ دِيمَتِهِ مُسَبِّحٌ قَامَ يَصْفَ اللَّيْلِ فَاِبْتَهَلًا^(٦)
يَنْفِي الرُّابَّ بِرَوْقِيهِ وَكَلْكَلِهِ كَمَا اسْتَمَارَ رَيْسُ الْمُقْنَبِ النَّفْلًا^(٧)

وقال شمس الدين بن دانيال^(٨) يصف عَجَلَةً :

لِلَّهِ عَجَلَةٌ خَيْسٍ صَفْرَاءُ ذَاتُ دَلَالٍ^(٩)
تُريكَ عَيْنِي مَهَاةٍ مِنْ تَحْتِ قَرْنِي غَزَالٍ
قَدْ سُرِبَلْتُ بِأَصِيلٍ وَتَوَجَّتُ بِهَلَالٍ

وقال الأعشى ميمون بن قيس يصف ثوراً وحشيًّا^(١٠) :

كَأَنَّهَا طَاوٍ تَضِيْفُهُ ضَرْبُ قِطَارٍ تَحْتَهُ شَمَالٌ^(١١)

(١) الرُّسْلَةُ: الترسل، أي الترفق والتَّمُهْل. من هذه: يريد الجارية العذراء في البيت السابق.

والتكْمُش: يريد الإنكماش من البقرة. الرواغ: الفرع.

(٢) الحِمَاش: دَقَّةُ القوائم ويريد قوائم البقرة، والخدال: الغلاظ، ويريد قوائم الجارية العذراء، وذلك موضع اختلافهما.

(٣) ديوانه ١٣٨/.

(٤) نابي: فاعل من نَبَأَ على القوم: طلع عليهم.

(٥) يصف ريح بعز هذا الثور لأنه رعى الشَّيْحَ والقيصوم. قوله: تَسْرُبَلَ ماء الورس، لأنه قد اصفرَّ مما رعى من هذا الزهر، وقد اختضبت به قوائمه فكأنَّه منتعل.

(٦) الديمة: المطر الدائم السَّح.

(٧) استماز: تميز عن غيره. النفل: الغنيمة. المقنب من الخيل: دون المائة..

(٨) نهاية الارب ١٠/١٢٣.

(٩) الخيس: موضع تنسب إليه البقر الخيسية.

(١٠) ديوانه ٢٧٩/.

(١١) كأنَّها: يريد ناقته التي شبهها في نشاطها وصلابتها بثور وحشي قاسي ألوان المتاعب والمشاق. =

بَاتَ يَقُولُ بِالكَثِيبِ مِنْ الدَّ
 مُنْكَرِساً تَحْتَ الْغُصُونِ كَمَا
 حَتَّى إِذَا انْجَلَى الصُّبْحُ وَمَا
 أَطْلَسَ طَلَّاعَ النَّجَادِ عَلَى الدَّ
 فِي إِثْرِهِ غُضْفٌ مُقْلَدَةٌ
 كَالسَّيْدِ لَا يَنْمِي طَرِيدَتُهُ
 هِجْجَنَ بِهِ فَاَنْصَاعَ مُنْصَلِتاً
 حَتَّى إِذَا نَالَتْ نَحَاسَلِيّاً
 لَا طَائِشٌ عِنْدَ الْهِيَاجِ وَلَا
 يَطْعَنُهَا شَزْراً عَلَى حَنْقٍ

غَبِيَّةٌ: أَصْبَحَ لَيْلٌ لَوْ يَفْعَلُ (١)
 أَحْنَى عَلَى شِمَالِهِ الصَّيْقَلُ (٢)
 إِنَّ كَادَ عَنْهُ لَيْلُهُ يَنْجَلُ
 وَحَشَرَ غَبّاً مِثْلَ الْقَنَازِ أَزَلُ (٣)
 يَسْعَى بِهَا مُغَاوِرٌ أَطْحَلُ (٤)
 لَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَانُ جَوْلُ (٥)
 كَالنَّجْمِ يَخْتَارُ الْكَثِيبَ أَبْلُ (٦)
 وَقَدْ عَلَّتُهُ رَوْعَةٌ وَوَهْلُ (٧)
 رَتْ السَّلَاحِ مُغَادِرُ أَعَزْلُ (٨)
 ذُو جُرْأَةٍ فِي الْوَجْهِ مِنْهُ بَسْلُ (٩)

تضيُّفه: نزل به ضيف. القطار: المطر.

(١) الغيبة (بالفتح): الدفعة الشديدة من المطر.

(٢) منكراً: مندساً. أحنى: انحنى. يلي هذا البيت في الديوان بيت سقط عجزه، ويظهر من باقيه ان الشاعر يقول: ما كاد الليل ينجلي الا وصبح الثور صياداً.

(٣) أطلس: في لونه غبرة إلى السواد، ويعني به الصياد الذي فجأ الثور في الصباح الباكر. غباً: مهمل غبي (كعلم) أي خفي عن الوحوش وجاء يدب إليها خفية. الأزل: الخفيف لحم الوركين، وقيل: هو الأرسح، أي الذي قل لحم عجزه.

(٤) كلاب غضف: مسترخية الأذان. مقلدة: في أعناقها أطواق. الأطحل: الأغبر في مثل لون الرماد.

(٥) السيد (بالكسر): الذئب. أنمى الصيد: رماه فأصابه، ولكنه ذهب وفيه بقية من روح فمات بعيداً. أحانه: أهلكه.

(٦) هججن، أي الكلاب. به، الضمير يعود إلى الثور. انصاع: مرّ مسرعاً. انصلت في عدوه: مضى جاداً. كالنجم، أي كالشهاب المنقض. الأبل: المصمم، والممتنع، والجديل الألد.

(٧) ثور سلب: خفيف الطعن بقرنه. الروعة: الخوف. الوهل: الفزع.

(٨) الطائش: الذي لا يصيب إذا رمى. مغادر: يفر من المعركة.

(٩). طعنه شزراً، أي عن اليمين والشمال طعناً متلاحقاً. البسل (بالتحريك): العُبُوس.

البُّبْلُ (١)

البُّبْل من فصيلة العصافير، ويقال له: الكُميت، والجُميل - مصغران - وهو من الطيور المغردة الحسنة الصوت، ومن شأنه إذا كان غير حاذق أن يطارحه إنسان قادر على تقليد صوت البلب فيتدرب ويحسن صوته. ومن أسمائه الشائعة: العندليب، ويسمى على طريقة القلب: العندليل، والعندبيل وكل صواب. جمعها عنادل، والعرب تقول: البلب يعندل إذا صوّت.

الهزار: تهريب هزارستان بالفارسية، أي يتكلم بألف حكاية من باب المبالغة، واقتصروا في التعريب على لفظه هزار، وأدخلوا عليها الألف واللام فقالوا (الهزار).

الشحرور: جمعه شحارير، قيل: إن له أنواعاً عديدة تختلف ألوانها وأحجامها من تأثير المناطق التي تعيش فيها.

الكناري: نسبة إلى جزر الكناري، ويسمى نُغر الكناري وأهل الحجاز

(١) الحيوان للجاحظ ٢٨٩/٥ و ٧٨/٧. نهاية الارب ٢٥٢/١٠. حياة الحيوان ١٥٥/١. لسان العرب، ومعجم متن اللغة.

يطلقون على البلبل اسم (نُغر).

البلبل في الأمثال (١)

(تَظَلُّ الطَّيْرُ تَصْفَرُ آمَنَاتٌ وَلِلتَّغْرِيدِ مَا حُسِّنَ الْهَزَارُ)

(يصيد ما بين الكركي إلى العنديل) يضرب لمن يقول بالصغار والكبار.

مما ورد عنه في القصص (٢)

(قصة النسر والبلبل)

للمهذب الدمشقي محمد بن حسان بن أحمد:

طار طائرٌ عن بعض الشجر، وقد هبَّ نسيم السَّحر، وانفلق عمود الفلق،
وانخرق قميص الغسق، مشهور بالقسر، موسوم بالنسر والليل قد شابت ذؤابته
وابيضت قمته، وانهزم زنج الظلماء من صولة روم الضياء.
والفجر مثل عذار من صارت له ستون عاماً بعد حُسن سواده
أو نُغر محبوبٍ تبسم في الدجى إذ زار من يهواه بعد إعادته

وعلا حتى صار روحاً لأجساد السُّحب، ونديم لدراري الشَّهب وعديلاً
للأفلاك، ونزيراً للأملاك.

فكأنه للشمس جسمٌ والشَّهَى عَيْنٌ للمريخ قلبٌ يخفق
ولكل نجم في السماء شِراةٌ تُردي شياطين الرُّجوم وتحرق
غابوا لمطلعِهِ اليهم واختفوا ورأوه يجمع نفسه ويفرق

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٧٣/ ٢٧٤.

(٢) خريدة القصر قسم الشام ٣٤٠/١.

منفرداً في طريق طلبه آنفراد البدر مُتوحداً في مضيق أَرَبه توحد ليلة
القدر، كأنه سهم رُشق عن قوس القضاء، أو نجمٌ أشرق في أفق السماء.
والأرض تحته دُخانيَّة اللون، مائيَّة الكون، مُستبحرة الأكناف، متموجة
الأطراف، كأنه صرح مُمرَّد من قوارير، أو سطحُ الفلك الكُريّ في التدوير.

أو لجة البحر إثر عاصفة صافحت المتن منه فاصطفقا
فطار عقل النوتي من فرقٍ وخرَّ موسى جنانه صعباً

يقبض أجنحته ويبسط، ويصعد إلى السماء تارةً ويهبط، يجرح بأسنة
قواده أعطاف القبول وأطراف الصبا، ويقدُّ الشمال بخوالف كأنها غروبُ
الظبي، ويفتق بخوافيه جيوب الجنوب، ويخرق بصدرة صدر الرياح في
الهبوب.

فكأن لمع البرق خطف هويّه وكأنَّ رشق السهم نفص سُمُوّه
وكأنما جعل الرياح خوافياً لجناحه في خفضه وعُلُوّه

حتّى أشرف من شُرف مدائن الهواء، وأطلع من رواشن أبراج السماء على
روضٍ أريض، وظلٍ عريض، وأنهارٍ مُتدفقة، وأشجارٍ مُونقة وطلٍ منشور،
وورد منشور، ومكن بهج، وزهرٍ أريج، وحديقة نديّة النبات، وبقعة مسكّية
النّفحات، عنبريّة الأرجاء. كافوريّة الهواء، قد صقلت بمصاقل القطر مَرايا
أزهارها، وعقدت لرؤوس أغصانها تيجان نُوارها، وأكاليلُ جُلنارها، ونشرت
النسائم مطويات حُلليها من أسفاطها، ورقصت حورُ نباتها على سعة بساطها.

كليالي الوصال بعد صدودٍ من حبيب كالبدْر بل هو أبهى
إن رأيت الغنى ونيل المني جمّ عاً وقابلته بها فهي أشهى
ذات نباتٍ خضيرٍ وماءٍ خضيرٍ، ضاحكة القرار، مُشرقه الأنوار، وكأنَّ

شَجَرَاتِهَا عَرَائِسُ أُبْرِزَتْ لِلْجَلَاءِ، أَوْ قِبَابُ زَبَرْجَدٍ نُصِبَتْ فِي الرُّوْضَةِ الْخَضِرَاءِ.
وَكَأَنَّ الْفَلَكَ دَنَا إِلَيْهَا فَتَنَاثَرَتْ نَجُومُهُ عَلَيْهَا.

رَوْضٌ أَرِيضٌ وَصَوْبٌ صَائِبٌ وَحَيًّا مُحْيٍ وَغَيْثٌ مُغِيثٌ دَائِمٌ الدَّيْمِ.
تَبَارَكَ اللَّهُ ذُو الْأَلَاءِ كَمْ سَفَرْتُ وَجُوهُ أَحْكَامِهِ لِلخَلْقِ عَنْ حِكْمِ

فَمِنْ وَرْدٍ فَضِيٍّ الْأُورَاقِ، ذَهَبِيٍّ الْأَحْدَاقِ، كَافُورِيٍّ الصَّبْغَةِ، مِسْكِ
الصَّيْغَةِ، مَائِيٍّ الْجِسْمِ، هَوَائِيٍّ الرَّسْمِ، حَاكَتِ الصَّبَا أَهَابَهُ، وَخَاطَتِ الشَّمَالَ
أَثْوَابَهُ، وَفَتَحَتْ الْجَنُوبَ أَكْمَامَهُ، وَحَسَرَتْ الدَّبُورُ عَنْ وَجْهِ جَمَالِهِ لثَامَهُ، فَظَهَرَتْ
فِي أَفْقِ الشَّجَرِ، كَأَنَّهُ شُهْبُ السَّحَرِ، أَوْ خُدُودُ الْحُورِ فِي الْقُصُورِ، ظَهَرَتْ فِي
غَلَائِلِ مِنَ الْكَافُورِ، أَوْ أَعْشَارِ الْمَصَاحِفِ ذُهِبَتْ أَوْسَاطُهَا، أَوْ غَرَرِ الْوَصَائِفِ
عَظُمَ اغْتِنَاطُهَا.

أَوْ وَجَنَةِ الْحَبِّ قَرَّتْ فِي مَلَاخَتِهَا عَيْنُ الْمَحَبِّ فَأَبْدَتْ حُمْرَةَ الْحَجَلِ
رَقَّتْ فَأَيْسَرُ وَهْمِ الْفِكْرِ يَجْرَحُهَا فَكَيْفَ إِنْ لَمَسَتْهَا رَاحَةُ الْقَبْلِ

وَمِنْ آسٍ اِزْمُرُدِيٍّ الْإِهَابِ، زَبَرْجَدِيٍّ الْجِلْبَابِ ذِي وَرَقٍ كَأَسِنَّةِ الصُّعَادِ،
أَوْ كَالصَّفَاحِ جَرَدَتْ لِلْجِلَادِ مِنَ الْأَغْمَادِ، قَدْ أَخَذَ خَضِرَةُ الْفَلَكَ لَوْنًا، وَحَلَةَ جَبَلِ
قَاقٍ كَوْنًا، أَشْبَهَ فِي أَخْضِرَارِهِ مَرَائِرَ قُلُوبِ الْعَشَّاقِ عُقْيَبَ الْإِنْشِقَاقِ، لِرُوعَةِ يَوْمِ
الْفِرَاقِ.

كَأَنَّهُ وَدٌّ مِنْ تَمَّتْ مَوَدَّتُهُ بَاقٍ مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى مَدَى الْأَمَدِ
يُهْدَى إِلَى مَنْ لَهُ حُسْنُ يَضُنُّ بِهِ أَيْ قَدْ غَسَلْتُ بِمَاءِ الْيَأْسِ مِنْكَ يَدِي
وَمِنْ نَرَجِسٍ كَأَجْفَانِ الْمِلَاحِ، أَوْ كَأَشْرَاقِ تَبْلُجِ الصَّبَاحِ، مِنْكَسِّ الْأَعْرَاقِ،
مَطْرَقِ الْأَحْدَاقِ، قَائِمٍ عَلَى سَاقِ خَضِرَةٍ، أَلْفِيَّةٍ نَضِرَةٍ كَأَنَّهُ مَدَافَاتُ فَضَّةٍ قَدْ
رُصِّعَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفِطَارِ، بِمَسَامِيرٍ مِنْ نُضَارِ.

مَتَشَوِّفٌ كَالصَّبِّ خَوْفَ رَقِيْبِهِ إِذْ حَانَ وَقْتُ زِيَارَةِ لِحْيَتِهِ
فَلَهُ إِلَى جَانِبِهِ نَظْرَةٌ خَائِفٍ مِنْهُ وَشَكْوَى مُدْنِفٍ لَطِيْبِهِ

ومن بنفسج استعير لونه من زرق اليواقيت، وأخذ من أوائل النار في أطراف الكبريت، أو ثاكلات الأولاد، أظهرن الحزن في ثياب الجداد، أو بقايا قرص في خد وردى، أو أثر عرض في عضد فضي، ذي أوراق خمريّة، وأعراق عطريّة، صاغت الأنداء من الزمرد قوامه، ونسجت الأهواء من الطل أكامه، وأخذت من نسמת المسك نسمة، ومن أنفاس العنبر رائحته. وكم في الرّوض من بدع وصنع وآيات تدلّ على القديم وأسرار يحارّ العقل فيها فليس تكون إلا من حكيم ومن غصون تجتمع وتفترق، وتترنح وتعتنق، والنسائم تحلّ عقد أزار الزهر، والأهوية تفتح أقفال أبواب الحصر، والشمس تسفر وتنتقب، وحاجب الغزالة يبدو ويحتجب، واليهاد يتعاهد بالقطار أكنافها، والسحب تطرّز بالبروق عذبها وأطرافها، وهي آية من آيات الربيع أظهرها للعيان، ومُعجزة من مُعجزات التقدير أقامها على الزمان .

تُجلى عرائسها بكلّ مُصبغ وتميس تحت غلائل الأزهار فكأنما فتق الربيع لأرضها بيد النسيم نوافج العطار فوقف (١) في الهواء حين رآها، وقال: هذه غاية النفس ومناها، هاهنا ويلقي المسافر عصاه، وتستقرّ بالغريب نواه، وفي قرار هذا الوادي يثبت سيلي، ولمثله شمّرت عن ساق الجدّ ذيلي، أين المذهب، وقد حصل المطلب، وأين الرواح وقد أسفر الصباح. ومن بلغ غاية مُراد، لم يلتفت إلى حُسايد، ومن نال الأماني، لم يُبالِ بالمباني، ماء مُضطخب الأوتار، وظلّ ممدود الإزار، وروض يمرح فيه الطّرف، ولا يقطعه الطّرف، وأزهار كقراضة الذهب، تناثرت من حرارة اللهب، أو كالفضّة أخلصها سبك الكير، ونُثرت في زوايا المقاصير، أو مُصبغات أصناف الحُلل، نشرت للناظرين بعد اتقان العمل. وخلوة من واشٍ

(١) الواقف: النسر.

ورقيب، وبعيد يُخشى أو قريب.

عَلَى مِثْلِهَا ظَلْتُ فَرْدًا أَهِيَا مُمْ وَجَدًا وَأُمَعْنُ وَحْدِي الْمَطَارَا
فَأَسْتَخِيرُ الشُّهْبَ النَّيِّرَا تِ عَنْهَا وَأَقْطَعُ دَارًا فَدَارَا

فبينما هو صافٍ الأجنحة عليها، ينظر من الأفق بعين التعجب إليها، إذ
سمع صوتاً من بلبلٍ سحريٍّ، على وكبرٍ شجريٍّ، يناغي النسائم بنغمة مزمارة،
ورنة أوتاره، ودساتين^(١) حناجر كالخناجر، وألحانٍ أعذب من نقرات المزاهر،
يتثر درّاً من عقود ألحانه، ولؤلؤاً من أصداف افتنانه بين أفنانه، ويرجع قراءة
مكتوب غرامه، ويتلو آيات حزنه من مصحف آلامه .

ويَهْتَفُ طَوْرًا بِذِكْرِ الْفِرَاقِ وَطَوْرًا بِذِكْرِ بَعَادِ الْحَبِيبِ
وَيَغْتَنِمُ الْوَقْتَ وَقْتَ الْوَصَا لِحِينَ خَلَا مِنْ حُضُورِ الرَّقِيبِ

فقال هذه غريبة أخرى من غرائب القدر، وعجبية ثانية لم ترها العين ولا
هجست في الفكر، وكاسات خمرٍ تدار في الخمر^(٢). وعقود سحرٍ تحلُّ في
السحر، ونغمة لم أسمعها من ذي منقار، وألحان ما رُئيَ مثلها لساٍ ولا قار،
كأنها ما قيل عن مزامير آل داوود، وتساييحهم في الركوع والسجود، أو معبدٌ
والغريض يتباريان في الطويل والعريض، أو إسحاق الفريد، يعدل عوده عند
الرشيد أو هزج شدة العجم، أو رجّة حداة العرب في الظلم، أو أصوات رهبان
الصوامع، أو تلاوة مَنْ تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

نَغْمَةٌ تَجْلُبُّ السُّرُورَ وَتُحْيِي مَيِّتَ الْقَلْبِ مِنْ ثَرَى الْأَحْزَانِ
وَتَرُدُّ الشَّبَابَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ سِنٍ وَتُزْرِي بِرَنَّةِ الْعِيدَانِ

(١) دساتين، جمع دستان، وهي من اصطلاحات أصحاب الموسيقى، ومعناها بالفارسية : النغمة
(الألفاظ الفارسية المعربة/٦٤) .

(٢) الخمر (محرّكة) : ما وارك من شجر وغيره .

ما أُدِيرَتْ إِلَّا وَقِيلَ اسْمَعُوا دَا وَودَ يَتْلُو زُبُورَه فِي الْجِنَانِ
ثم هوى إلى القرار لينظرَ مَنْ النافخ في المزمار، فرأس البلبل يتلو سُورَ
بلباله في محراب وبآله، ويرجع سجع ألحانه في ربع أحزانه .

فكأنه تَكَلَّى عَلَى وَلَدٍ فَقَدَتْهُ بَعْدَ الضَّعْفِ وَالْكَبَرِ
فَلَهَا انْتِحَابٌ حِينَ تَذْكُرُهُ يُنْسِيكَ لَذَّةَ نَعْمَةِ الْوَتْرِ

فقال : السلام عليك من طائر صغير حقير، يظهر في صورة كبير خطير،
وشاذٍ ظريف طريف، بغير أليف ولا حليف، ذي جسم كأنه سواد خالٍ في
بياض خدِّ الحبيب، أو ظلمة حال المحبِّ شاهد وجه الرقيب، أنت صاحب هذا
اللحن المطرب، والصوت المعجب ؟ ما أراك إِلَّا صغير الحبة، بادي المحبة،
ضئيل الجسم، نحيل الرسم، ليلي الإهاب، ظلمائي الجلباب، تقتحمك العين
لبقارتك، وتنبو عنك لصغرك ودمامتك، وقد آصفر منقارك لأحزانك، ولبست
حداد أشجانك، وصوتك والمسرة فرسا رهان، ونغمتك والطرب رضيعا ليان .

يُثِيرُ صَوْتُكَ فِي الْقَلْبِ بِ إِنْ تَرْنَمْتَ حُزْنَا
وَتُخْجِلُ النَّايَ حُسْنًا وَتَعْجِزُ الْعُودَ لَحْنًا

وأنا مع عظم صورتي التي حازت خلال الكمال، وأحرزت خصال
الجمال، صُبْحِيَّ الريش، لا أتغذى بالحشيش، ذوالعمر الذي أفنى لُبْدَ،
واستنفد الأبد، وقد تعجَّب منه لقمان، واحتاج إليه فرعون وهامان، ليس للطيور
مطاري، عند طاريء أو طاري . أنا ملك الطيور، وسلطان ذوات الأجنحة على
مرَّ الدهور، وما لي حلاوة هذه النغمات، ولا لذاذة هذه الأصوات .

وَلَعَمْرِي كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَا يَرُ فَعُ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالْخَفْضِ أَوْلَى
يَنْظُرُ الْعَاقِلُ اللَّيْبُ بَعَيْنٍ هِيَ لَا شَكَّ حِينَ تَنْظُرُ حَوْلَى
وَيُحْكُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الْمُلْحُ الْمِسْكِيَّةُ النَّشْرُ، وَالْمِنْحُ الْعَنْبَرِيَّةُ الْعَطْرُ ؟

جَلَّلتك عنصر هذه الفضائل، أم استملت طُرف أخبارها مِنْ قائل ؟ فقال له
البلبل :

يا من سَبَحَ في بحر التَّخليط وعام، وظَنَّ أَنَّ القدر يعطي ويمنع
بالأجسام، فيعرض عن الصُّغار ويقبل على العِظام، أَمَّا صِغري فلا أقدر على
تغييره ، والأمر للصانع الحكيم في تدبيره، أما علمت أن الأرواح لطائف، وهي
أشرف من الأجسام، والأجسام كثائف والمعتبر فيها جودة الأفهام، وإنسان العين
صغير ويدرك الأكوان والألوان، والإنسان عظيم والمعتبر منه الأصغران : القلب
واللسان، ما يكون الدر بقدر الصدف، وشتان ما بينهما في القيمة والشرف، ولا
الادمي كالفيل، وبينهما بَوْنٌ في التفضيل، واللؤلؤ قطريق في أعماق البحور،
ويعلّق بعد ذلك على الترائب والنحور، وليس الاختصاص بظواهر المباني،
وإنّما هو بلطائف المعاني، وكم من صغير وهو في عين ذي النهى كبير، وفي
فكر اللبيب أخي الفضل خطير .

وما نَطَقَ الفِيلُ الكبيرُ بِعُظْمِهِ وَقَدْ نَطَقَتْ قِدَمًا مُقَدِّمَةُ النَّمْلِ
كَذَلِكَ مَا أَوْحَى إِلَى النَّسْرِ رَبُّنَا وَإِنْ كَانَ ذَا عُظْمٍ وَأَوْحَى إِلَى النَّحْلِ

وأما النعمة التي قرع طرف سمعك سوط لذتها، ورشق هدف قلبك نبأ
طيبتها، فإنني رَصَّعت شَدرها في عِقد ألحاني، على نغم بعض الأغاني . وذلك
أن هذه الروضة فَجَرَت أنهارها، وغُرست أشجارها، وَفُتِّتَت نوافج عِطرها،
وأشرقت مباهج زهرها، وأقيمت عَمَدُ قبابها، وعُلِّقَت أستار أبوابها، وهُيِّئَت على
امرٍ مُقَدَّر لبعض ملوك البشر، فهو يأتياها كُلَّ ليلة إذا وَلَّى النهار، وأظلمت
الأقطار، وصبغ الليلُ ثوب الكون بظلمته، فأشبه لباس العباسي في خلافته، مع
من يختار من ندمائه، ويؤثر من أصفياه، وقد أُشعلت له فيها الشموع، واتَّقَدَت
بأشعتها الربوع، ونُصِبَت ستائر القيان، واصطفَّت صنوف الحور والولدان،
وأفرغت شمس الخندريس في أفلاك الكؤوس، بأيدي بدور الرهبان ونجوم

القُسُوس، وعُقدت الزنانير على الخصور، وأُسبِلت طرر الشعور على غرر
البدور، ورُجِّع، أناجيل الألحان، وقُبِلت صُلْبَان الصور بأفواه الأشجان،
ونُقِرَّت أوتار المثلث والمثاني، وقامت العقول ترقص في قصور الصور
والمباني .

وينقضي ليلهم في لهو وطرب، وجدّ ولعب، وهزج ورمل، واعتناقٍ
وقُبَل، وأحاديث كقطع الرياض، ومحادثات كبلوغ الأغراض، حتى يخرج الليل
من إهابه، ويعرِّج على ذهابه، ويسفر الصباح، وقد هزَّ عِطْفِي ذلك الإرتياح،
وأنا خبير بشدّ دساتين عيدان الألحان، بصير بحلّ عُرَى النغمات الحسان،
فمنهم تعلّمت طُرفَها، وشددت وسطها وطُرفَها، وصرت فيها إلى ما ترى، وعند
الصُّباح يَحْمَدُ القومُ السرى .

فقال النُّسر: إِنَّكَ سَقَيْتَنِي بِحَدِيثِكَ أَسْكَرَ شَرَاب، وفتحت لي بأخبارك
أغرب باب، كيف السبيل إلى المبيت لِتَعْلُمَ هذه النُّغم الشهية، والفوز بحفظ
هذه الأصوات الأَرغُنِيَّة^(١) .

فقال البلبل: بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَاد تُدْرِكُ غَايَةَ الْمَرَاد، وبالعزمات الصباح
يشرق صباح الصلاح، وما حصلت الأمانى بالتواني؛ ولا ظفر بالأمل من استوطن
فراش الكسل، وأُمُّ العجز أبداً عقيم، والخمول لا يرضى به إلاّ مُلِيم،
وبالحركات تكون البركات، وثمار السعود لا تطلع في أغصان القعود، وبالهزُّ
تسقط الثمار، وبالقُدْح توجد النار، والحياء توأم الحرمان، والهيبة والخيبة
أَخَوَان .

وَمَنْ هَابَ أَمْرًا ثُمَّ لَمْ يَكُ مُقَدِّمًا عَلَيْهِ بِصَدَقِ الْعَزْمِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ

(١) الأَرغن من آلات الطرب (أعجمية) . في خريدة القصر (الأرغلية) وهو من تحريف النساخ،
وقد تنبّه له المحقق ونوّه عنه .

يَفُوتَ وَلَا يُعْطِيهِ مِنْهُ مُرَادَهُ الْـ زَمَانُ وَبَعْدَ الْمَقْرُ يُجْنَى جَنَى النَّحْلِ^(١)

إِذَا تَقَرَّسَتْ قَامَةُ النَّهَارِ، وَجُعِلَتْ رِجْلُ الشَّمْسِ فِي قَيْدِ الْإِصْفَرَارِ، وَوَلَّتْ
مَوَاكِبُ النُّورِ لِقَدُومِ سُلْطَانِ الدَّيْجُورِ، وَأَنَارَتْ رَوْضَةَ السَّمَاءِ بِزَهْرِ الْكَوَاكِبِ
وَطَلَعَتْ الشُّهُبُ فِيهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ وَجَانِبٍ، فَأَتَتْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ عَسَى أَنْ تَسْعِدَكَ
بِمَطْلُوبِكَ عَنَايَةُ الزَّمَانِ؛ وَأَخْتَفِ عَنْ رَامِقِ يِرَاكٍ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ عَلَى مَبْتَغَاكَ، وَإِيَّاكَ
أَنْ تَقُولَ: إِنَّ قُدْرَ شَيْءٍ وَصَلَ، وَإِنْ كَانَ فِي الْغَيْبِ مَقْضِيٌّ حَصَلَ، فَكَمْ قَدْ غَرَّ
سَرَابُ هَذَا الْمَقَالِ مِنَ الْعُقَالِ، وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْآمَالِ .

وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ مُنْتَظِرُ بَكْثَرَةِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْبِجَا
فَانْهَضَ إِذَا ضِيقَتْ ذُرْعًا بِالْأُمُورِ وَلَا تَقْعُدُ وَقُمْ مُسْتَشِيرًا وَانْتَظِرُ فَرَجًا
فَلَمَّا سَمِعَ النَّسْرُ مَقَالَهُ وَدَّعَهُ وَطَارَ، وَقَالَ: لَعَلَّ فِي الْإِنْتَظَارِ بُلُوغَ الْأَوْطَارِ،
وَأَثَبَتْ فِي نَفْسِهِ الرَّجُوعَ، وَقَالَ: أَمْنَعُ عَيْنِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَذَّةِ الْهَجُوعِ، وَقَالَ: أَصْبِرْ
عَلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَمَنْ طَلَبَ عَظِيمًا خَاطَرَ بِعَظِيمٍ، وَبِالصَّبْرِ يَحْلُو صَابِ
الْمَصَابِ، وَبِالْجَلَدِ تَصَابُ أَغْرَاضِ الصَّوَابِ، وَمَنْ لَمْ يَتَحَمَّلْ أَعْيَاءَ الْأَثْقَالِ، وَلَمْ
يَصْبِرْ لَصَعَابِ الْأَهْوَالِ، تَكَدَّرَ صَفَاءُ مَسَرَّتِهِ، وَقَعَدَ قَائِمُ سَعَادَتِهِ، وَخَذَلَهُ الزَّمَانُ،
وَقَتْلَهُ الْحَرَمَانُ .

ثُمَّ سَقَطَ عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ مَتَوَخِّيًا بِزَعْمِهِ مَضِيَّ النَّهَارِ، وَأَدْرَكَهُ اللَّيْلُ
فَنَامَ، وَغَرِقَ فِي بَحْرِ الْكَرَى وَعَامَ، وَكَلَّمَا حَرَّكَتْ سَوَاكِنَهُ دَاعِيَاتُ الطَّلَبِ،
وَأَقَامَتْ قَاعِدَهُ مَزَعِجَاتُ الْأَرْبِ. قَالَ: اللَّيْلُ بَعْدُ فِي إِبَّانِ شَبَابِهِ وَلَعَلَّهُ مَا جَاءَ
الْمَلِكُ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَسَاعَةَ تَكْفِي الْعَاقِلِ، وَلَمَحَّةَ تَشْفِي الْفَاضِلِ، وَكَثْرَةَ
الْحَرَصِ تَسَبُّبِ الْحَرَمَانِ، وَرَبِّمَا أَفْضَتْ فَوَارِطُ الطَّلَبِ إِلَى الْهَوَانِ، وَاغْتَنَامِ رَاحَةِ
سَاعَةِ مِنَ الْعُمَرِ، فَرِصَةِ جَادَ بِهَا بِخَيْلِ الدَّهْرِ، وَكَمْ نَائِمٌ حَصَلَ مُرَادُهُ، وَسَاهِرٌ

(١) الْمَقْرُ، وَالْمَقِيرُ: الْحَامِضُ، أَوْ الْمَرَّ .

أخطأه إيسعاده .

ولم يزل في رؤيا أحلام الأباطيل، وإقامة المعاريض الفاسدة التأويل،
حتى وَضَحَ فَلَقَ الصُّبْحِ من مُشْرِقه، وتمزَّقت عنه جلايب غسقه، وبدا حاجب أم
النجوم، وامتدَّتْ أشعتها على التُّخوم، فتنبه من رقدة غفلته، وطار من وَكْرِ
جَهْلَالته، وألَمَ رَوْضَةَ البلبَل طائراً، ونزل عليها دَهْشاً حائراً، وقد تفرَّق جمع
المَلِك في السَّكك تفرَّق الشُّهب في الفلك، وغُلِّقت أبوابها، وتفرَّقت
أصحابها .

فقال له البلبَل: يا هذا، ما الذي شغلك حتى أشغلك، وما الذي منك
حتى عدمت منك؟ أما علمت أن من استلذَّ المنام، واستطاب الأحلام، عَدِمَ
المرام، ووجَّه عليه الملام، وأنَّ من شدَّ وسط اجتهاده، وصل إلى بلوغ مراده،
وبصدق الطلب، تدرك قاصية الأرب، ومن ركن إلى إطالة البطالة، استحالت
منه صورة الحالة. والليل مطايا الأحرار إلى بلوغ الأوطار، ونجائب ذوي الألباب
إلى بلوغ المحاب .

فلما أكثر البلبَل على النسر العتاب، وانغلقت عنه أبواب الصواب، ودَّعه
وطار، وقد عدم الأوطار، وكذلك حال ذوي الأحوال، ومن له دعوى الصِّدق في
المقال، والعُقَال يؤاخذون بخطراتهم، ويطالبون بعثراتهم... (١) .

مما جاء في الكلام المنشور (٢)

من رسالة لبعض فضلاء أصفهان. ذكر فيها وصف الرياض ومفاخرة
الرياحين، وفضل فيها الورد، وانتهى بعد ذلك إلى وصف البلبَل فقال :
فلما ارتفع صدرُ النهار، وانقطع جدال الأزهار، سُمِعَ من خلل الحديقة

(١) أقول كما قال العماد في خريدته: وأتمَّ الرسالة بفصل وعظي ليس من شرط الكتاب .

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٥٢/١٠ .

زقزقة عندليب، قد اتخذ وكراً على حاشية قليب، كان ينتربه عن الجمع،
ويجعله ذريعة لاشتراق السمع، وحين أتقن ما وعده، وأودعه سمعه وأرعاه،
انتحى غصناً رطيباً، فأوفى عليه خطيباً، ثم قال :

يا فتنة الخليفة، لقد جئت بالشنعاء الفليقة^(١)، وربّ بسم استحال
أحتداماً، ولن تعد الحسنة ذاماً، إلام ترفل في دلال زهوك وتغفل عن رذائل
مهوك، وحتام تتيه على الأكفاء والأقران كأنك أنت صاحب القرآن، ألسنت من
عجبك بنفسك، واسترابتك بأبناء جنسك، لا تزال مشتملاً شوك الغصون،
معتصماً منها بأشباه المعازل والحصون، لكنك متى انقضى مهب الشمال،
وعدل عن اليمين إلى الشمال خيف عليك نفح الإحراق، وتعرّيت من حُلل
الأوراق، وأصبحت للأرض فراشا وتلعب بك الهواء فعدت فراشا. ثم ما قدر
جورتك حتى تجور، وهل ينتج حضورك إلا الفجور؟ هذا إذا كنتم على الأصل
الثابت، وعُرفت في أكرم المغارس والمنابت، فكيف وأنتم بين رَمليّ وجبليّ،
ونُهْجوريّ أو تيهوريّ^(٢)، وهب أنك ورهطك تفرّدتم بممايلة القدود، وتوحّدتم
بمشابهة الخدود، وصيرتم درر البحور، وعُلّقتم على الجباه والنحور، وتحولتم
جُماناً ومَرَجاناً وحُلّيتم مناطق وتيجاناً، أقدرتم على، مباراة الشحارير، ومجاراة
القماري النحارير؟ أم ملكتم تهيج البلابل^(٣) قبل أصوات البلابل، أم وجدتم
سبيلاً إلى ولوج القلوب والأسماع، واتخاذ الطرب والسماع؟ هيهات هيهات،
بعد عنكم ما فات، بل نحن ذوات الأطواق، وبنات الغصون والأوراق، إنما
يكمل صيتكم بنغمات أصواتنا، وتزهو غناؤكم بصحّة غنائنا، ويحسن تمايل

(١) الفليقة: الأمر العجب، والداهية.

(٢) النهبور: ما أشرف من الأرض والرمل، وقيل: الحفرة بين الأكام، والجمع نهابير. التيهور من
الرمل: ما له جرف، وقيل: ما اطمأن من الأرض.

(٣) البلابل: الأشجان.

دوحكم بترنمنا ونوحنا، ويروق غدِيرُكم بهديرنا، ويشوق تهْدُلُكم بهديلنا، لم
تزالوا حَمَلَةً أَثْقَلْنَا، ومهود أطفالنا، وجياد شُجْعَاننا، ومنابر خطبائنا، فروعُكم
محطُّ أَرْحَلْنَا، ورؤوسكم مساقط أَرْجَلْنَا. إِذَا أَوْفَى مُطْرَبُنَا عَلَى عُودِهِ، وَعَبَثَ
بِمَلَوَى عُودِهِ، وَشَدَّ المِثَالثَ والمِثَانِي، شَدَّ الثَّقِيلِينَ الأوَّلَ والثَّانِي، فَقَدْ أَحْيَا
بِاللَّحْنِ الأَيْكِيِّ، وَبَدَأَ يَحْيَى المَكِّي^(١) وَأَعَادَ إِبْرَاهِيمَ^(٢)، كَحَاطِبِ اللَّيْلِ البَهِيمِ،
وخرق له الأَثْوَابَ مَخَارِقُ^(٣) طَرِباً وَحَسَدًا، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ سُلَيْمٌ^(٤) غِيظاً وَكَمَدًا،
وَأَخَذَ قَلْبَ ابْنِ جَامِعٍ^(٥) بِمَجَامِعِهِ، وَطَوَّقَهُ مِنَ الإِقْرَارِ غَلًّا بِمَجَامِعِهِ، حَتَّى كَانَهُ
بَصْحَةً ضَرْبِهِ وَإِتْقَانِ أَوْتَارِهِ، يَطْلُبُ عَنْدهُمْ قَدِيمَ أَحْقَادِهِ وَأَوْتَارِهِ .

مِمَّا قِيلَ فِيهِ شِعْرًا

قال شاعر يصف الشحرور^(٦) :

وَرَوْضَةٍ ظَهَرَتْ أَغْصَانُهَا وَشَدَّتْ أَطْيَارُهَا وَتَوَلَّتْ سَقِيهَا السُّحْبُ
وَوَلَّى شَحْرُورُهَا الْغَرِيْدُ تَحْسَبُهُ أَسْيُودًا زَامِرًا مِزْمَارُهُ ذَهَبُ
وقال ابن النقيب عبد الرحمن بن محمد الحسيني^(٧) :

لَهْفِي لَشَحْرُورٍ أَلْفَتْ بِسُحْرَةٍ تَرْنَامُهُ هَزَجًا بِصَوْتٍ جَارِحٍ
حَوْ قَوَائِمُهُ دَجُوجِي الْكِسَا حُمِرٍ مَلَاثِمُهُ طُرُوبٍ فَادِحٍ^(٨)

(١) هو يحيى بن مرزوق المغني . انظر ترجمته في الأغاني ١٦٣/٦ .

(٢) هو إبراهيم الموصلي المغني العالم . ترجمته في الأغاني ١٤٢/٥ .

(٣) هو مخارق بن يحيى المغني المشهور وكانت له عند هارون الرشيد منزلة عظيمة . ترجمته في
الاعلام للزركلي ٦٨/٨ .

(٤) هو سليم بن سلام الكوفي تلميذ إبراهيم الموصلي في الغناء . ترجمته في الأغاني ١٥٤/٦ .

(٥) هو إسماعيل بن جامع القرشي، ترجمته في الأغاني ٢٧٣/٦ .

(٦) حياة الحيوان للدميري ٥١/٢ .

(٧) ديوانه ٦٩ .

(٨) الحوة: سواد إلى الخضرة . دجوجي الكسا: أسود الريش .

يُشْجِي الْقُلُوبَ بَرَّةٌ تُذَكِّي الْجَوَى
يَرْتَادُ كُلَّ حَدِيقَةٍ غَنَاءٌ قَدْ
فِيحَلُّ فِي فَنٍّ وَيَعْلُو آخِراً
مُتَنَقِّلاً فِي الدُّوْحِ فَوْقَ غُصُونِهِ
يَنْدَى بِمُتَحَلِّ الرِّذَاذِ جَنَاحُهُ
عَاهَدْتَهُ أَنْ لَا يَزَالَ مُسَاجِلِي
يَشْكُو فَأَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَأَنْثِي

وقال أحمد الصافي النجفي (٢) :

أَلَا يَا بُلْبَلًا فِي الصُّبْحِ يَشْدُو
تُصَلِّي فِي غَنَائِكَ كُلِّ صُبْحٍ
أَتَيْتَ لُطْفِ الدُّنْيَا بَلَحْنَ
رَأَيْتَكَ شَاعِرَ الدُّنْيَا جَمِيعاً
نَظَرْتَ الْكَوْنَ فِي هَمٍّ وَغَمٍّ
خَرِيٌّ بِالطُّيُورِ غَدَاةً تَشْدُو
أَلَسْتُ خَطِيئَهَا الْفَذُّ الْمُجَلِّي
فَلَيْتَ النَّاسَ مِثْلَ الطَّيْرِ صُبْحاً

وله أيضاً (٣) :

لَحْنَكَ يَا صَدَّاحُ يَا غَرِيدُ
رَدَّدَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَ التَّرْدِيدُ
وَيَشْتَفِيكَ أَهْلُهُ الْهُجُودُ
فَأَنْتَ أَنْتَ الْعَاقِلُ الْوَحِيدُ
عَسَى يُفِيقُ النَّائِمُ الْوُجُودُ
نَاسٌ عَلَى شَوْكِ الْأَسَى رُقُودُ

(١) العقابيل: الشدائد، وبقايا العلة، والعشق.

(٢) ديوانه الموسوم بـ (شرر) / ١٦ .

(٣) ديوانه (شرر) / ١١٧ .

هُمْ بُلْدَاءُ عَيْشُهُمْ بَلِيدُ
 غَرْدُ فَرُوحِي مِنْكَ تَسْتَزِيدُ
 فِي الصُّبْحِ تَأْتِي وَالْوَرَى هُمُودُ
 لَوْ نَالَ مِنْهُمْ دَرْسُكَ الْمُفِيدُ
 يَا طِيبَ مَا تُبْدِي وَمَا تُعِيدُ
 قَدِيمُهُ فِي سَمْعِنَا جَدِيدُ
 مُعَلِّمُ وَدَرْسُهُ مَحِيدُ
 تَقُولُ فِيْمَ الْهَمِّ وَالتَّنْكِيدُ
 عَنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ لَكُمْ ظَمْحِيدُ
 وَأَنْتُمْ وَالْهَمُّ وَالْقِيُودُ

وقال ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (أحمد بن علي) في البلبل (١) :

وَوَرْدِيَّةِ الْجَلْبَابِ أَعْجَبَهَا الْوَرْدُ
 تُرِيكَ اضْطِرَابَ الرَّاقِصَاتِ إِذَا انْثَنَتْ
 أَتَتْ وَبَطَاحُ الْأَرْضِ تُجَلَّى عَرَائِشاً
 وَقَدْ أَبَدَتْ الدُّنْيَا مَحَاسِنَ وَجْهَهَا
 وَسَاعَدَهَا طِيبُ الْهَوَاءِ وَفَضْلُهُ
 فَغَنَّتْ غِنَاءَ الشَّرْبِ أَنْشَتَهُمُ الْطَّلَا
 أَكْلاً يَثِيرُ الْوَجْدُ كَامِنَ حُزْنِهِ

وقال بعض فضلاء أصبهان (٢)

أَعْجَمِي اللِّسَانَ مُسْتَعْرِبُ اللَّحْ
 مِنْ يُعِيدُ الْخَلِيَّ مَسْبَاً عَمِيدَا

(١) ديوان ابن خاتمة الأنصاري/ ٩٨ .

(٢) نهاية الأرب ٢٥٥/١٠ .

كُلُّ وَقْتٍ تَرَاهُ مِنْ فَرَطٍ شَجْوٍ مُظْهِراً فِي الْغِنَاءِ لَحْناً جَدِيداً
تَارَةً يَجْعَلُ النَّشِيدَ بَسِيطاً وَيُعِيدُ الْبَسِيطَ طَوَراً نَشِيداً
مَعْبُودٌ لَوْ رَأَاهُ أَصْبَحَ عَبْدًا وَلَيْدٌ أَمْسَى لَدَيْهِ بَلِيداً^(١)
ظَلٌّ عَنِ الْفِيهِ وَأَقْلَقَهُ الْوَجْدُ دُ فَاُْمْسَى بُكَاءُهُ تَغْرِيداً

وقال جميل صدقي الزهاوي^(٢) :

لَقَدْ سَمِعْتُ هَزَاراً فِي الرُّوضِ يَدْعُو هَزَاراً
تَجَاوَبَا فَوْقَ غُصْنِي مِنْ سَاعَةٍ ثُمَّ طَارَا

وقال السيد أحمد الصافي النجفي^(٣) :

مَاذَا تُثْرِثُرُ فِي الصُّبَاحِ الْبَاكِ يَا خَيْرَ فَنَانٍ وَأَبْلَغَ شَاعِرِ
غَرَّدَ فَدَيْتُكَ بِالْغِنَاءِ السَّاجِرِ فَلَأَنْتَ قُدْوَةٌ نَاطِمٌ أَوْ نَائِرِ
لِلطَّيْرِ أَسْمَعُ جَوْقَةً لَكِنْ بِهَا أَنْتَ الْمُعَلِّمُ رَغَمَ كُلِّ مُكَابِرِ^(٤)
أَبْدًا تُخَاطِبُهَا بِلَحْنٍ ثَائِرِ فَتُجِيبُ فَايَرَةً بِلَحْنٍ فَاتِرِ
مَاذَا تَعَلَّمَ غَيْرُ جَنْسِكَ جَاهِداً عَلَّمَ صِغَارَكَ لَا صِغَارَ أَكْبَارِ
هَيْهَاتَ يُجَدِّي الطَّيْرَ تَعْلِيمُ الْغِنَا إِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ خَلْقَ حَنَاجِرِ
كَرَّرَ غِنَاكَ فَلَيْسَ غَيْرِي سَامِعاً فَالْعَبْقَرِيُّ مُخَاطَبٌ لِعَبَاقِرِ
أَسَفًا يَضِيعُ غِنَاكَ دُونَ مُسَجِّلِ يَا لَيْتَ لِحَنَكَ مُثَبَّتٌ فِي الْخَاطِرِ

(١) هو معبد بن وهب نابغة الغناء في العصر العباسي . ترجمته في الأغاني ٤٧/١ ، لبید، هولید بن ربیعة من فحول الشعراء المخضرمين، ومن أصحاب المعلقات السبع . ترجمته ومصادرها في أنوار الربيع ٧٦/٢ .

(٢) ديوانه ١٨٤/١ .

(٣) ديوانه (شرر) / ٣١ .

(٤) الجوقة: الجماعة من الناس، قيل هي دخيلة أو معربة، ثم استعملت في الجماعة الواحدة لمسارح الغناء والتمثيل المسرحي ونحو ذلك .

بَكَ أَثْمَرْتُ هَذِي الْغُصُونُ فَجَعَلْتُنَا
هَلْ فِي زُهْرٍ الْأَرْضِ مِثْلُ بَلَابِلِ
بِثْمَارِ أَسْمَاعٍ لَنَا وَمَشَاعِرِ
هَلْ فِي الْوُجُودِ سِوَى وَجُودِ الشَّاعِرِ
وَقَالَ أَيْضاً مَفَاضِلاً بَيْنَ الْبَلْبَلِ وَالْعَصْفُورِ^(١) :

أَيَا بُلْبَلًا هَزَّ الْمَحَافِلَ شَدْوُهُ
لَعَصْفُورِي الدُّورِي فَوْقَكَ لِي هَوَى
وَعَصْفُورِي الدُّورِي لِلشَّعْبِ يَتَمِي
وَأَنْتَ مَعْرُورٌ بِلَحْنِكَ صَاحِبُ
وَلَمْ يَتَغَنَّ عَصْفُورِي سَمَاعاً لِلْحَنِهِ
وَذَاكَ يُغْنِي بَعْضَ حِينٍ وَيُنْتَهِي
وَذَاكَ بَارِضِ الدَّارِ يَقْفُزُ سَاكِتاً
يُزْفِزِقُ عَصْفُورِي وَيَذْهَبُ سَاعِياً
وَأَنْتَ عَلَى أَغْصَانِ رَوْحِكَ هَاتِفُ
أَرَى فِيكَ أَخْلَاقَ الْمُغْنِي وَطَبَعَهُ
وَأَنْتَ مُغْنِي الْمُتَرَفِّينَ بِدُورِهِمْ
وَتَحْيَى بِدُورِ الْأَغْنِيَاءِ كَشَاعِرِ
وَأَنْتَ كَأَصْحَابِ الْحُظُوظِ مُنْعَمٌ
وَأَنْتَ كَالْجِنْسِ اللَّطِيفِ مُدَلِّلٌ
فَإِنْ لَمْ يَثُرْ يَوْماً عَلَيْكَ لِحَقُّهُ
وَأَصْبَحَ يَلْهُو لَحْنُهُ بِالشَّاعِرِ
لَأَنَّكَ مُخْتَصَّ بِدُورِ الْأَكَابِرِ
وَأَنْتَ بِمَغْنَى لِلْعُرُوشِ مُجَاوِرِ
لِفَنِّكَ تَدْعُونَا بِصَوْتِ مُفَاخِرِ
وَتَقْلِقُنَا مِنْ لَحْنِكَ الْمُتَوَاتِرِ
وَأَنْتَ كَثْرَتَارِ النَّسَاءِ الْهَوَاذِرِ
وَتُسَكِّنُنَا مِنْ سَجْعِكَ الْمُتَكَاثِرِ
لِرِزْقٍ وَيَمْضِي مِنْ مَكَانٍ لِآخِرِ
كَأَنَّكَ مَخْلُوقُ خَطِيبٍ مَنَابِرِ
وَأُبْصِرُ فِي الْعَصْفُورِ أَخْلَاقَ طَائِرِ
وَذَاكَ مُغْنِي كَادِحٍ أَوْ مُسَافِرِ
وَذَلِكَ مِثْلِي لَمْ يَعِشْ عِشَ شَاعِرِ
وَذَاكَ كَأَصْحَابِ الْجُدُودِ الْعَوَاتِرِ
وَذَاكَ لِصَيْدٍ أَوْ لِسَكِّينٍ جَاوِرِ
فَإِنَّ دِفَاعِي عَنْهُ ثَوْرَةٌ ثَائِرِ

وَقَالَ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاجِي (مِنْ الدُّوْبَيْتِ) ^(٢) :

بِالْبُلْبَلِ وَالْهَزَارِ وَالشَّحْرُورِ
يُكْسَى طَرَباً قَلْبُ الشَّجِي الْمَعْرُورِ

(١) ديوانه (الشلال) / ٦٢ .

(٢) حياة الحيوان ٥١/٢ .

نَهَضَ عَجَلًا وَانْهَبَ مِنَ اللَّذَّةِ مَا جَادَتْ كَرَمًا بِهِ يَدُ الْمَقْدُورِ

وقال إيليا أبو ماضي تحت عنوان الكنار الصامت^(١) :

نَسِيَ الْكَنَارُ نَشِيدَهُ	فَتَعَالَ كَيَّ نَسَى الْكَنَارُ
وَلَيَقْذِفَنَّ بِهِ الْمَلَالُ	مِنَ الْقُصُورِ إِلَى الْقِفَارِ
وَلَتَرْمِيَنَّ بِرِيشِهِ	لِلْأَرْضِ عَاصِفَةُ النَّفَارِ
وَلَنَسْتَعْضِرَ عَنْهُ بِطَيْرٍ	مِنْ لُجَيْنٍ أَوْ نُضَارٍ
لَا لَا فَإِنْ سَكَتَ الْكِنَا	رُ فَلَمْ يَزَلْ ذَاكَ الْكَنَارُ
أَوْ كَانَ فَارَقَهُ الصُّدَا	حُ فَلَمْ يُفَارِقْهُ الْوَقَارُ
صَمْتُ الْكَنَارِ وَإِنْ قَسَا	خَيْرٌ مِنَ النِّعَمِ الْمُعَارِ
صَبْرًا فَسَوْفَ يَعُودُ لِد	تَغْرِيدٍ إِنْ عَادَ النَّهَارُ

وقال آخر يصف البلبل^(٢) :

كَيْفَ الْحَيِّ وَقَدْ خَلَعْتُ عَلَى اللَّهِ	و عِذَارِي وَقَدْ هَتَكْتُ قِنَاعِي
وَتَعَشَّقْتُ بُلْبُلًا أَنَا مِنْهُ	فِي أَنْزَعَاكِ إِلَى الصَّبَا وَالتِّيَاعِ
أَنَا مِنْ رِيشِهِ الْمُذْبِجِ فِي زَهْدٍ	سِرٍّ وَمِنْ شَجْوِ صَوْتِهِ فِي سَمَاعِ

وقال السيد أحمد الصافي النجفي مخاطباً البلبل^(٣) :

يَا بُلْبُلًا أَطْرَبْنِي سَجْعُهُ	مَا أَرْوَعَ السَّجْعَ وَمَا أَرْوَعَكَ
هَبْ لِي مِنْ رُوحِكَ بَعْضَ الْهَنَاءِ	لَأُنْعِشَ الرُّوحَ وَأَشْدُو مَعَكَ
هَبْ لِي مِنْ عَيْشِكَ جُزْءًا عَسَى	أَقْنَعُ بِالْعَيْشِ الَّذِي أَقْنَعَكَ
تَرْجِعْ لِي فِي كُلِّ صُبْحٍ لَكَيَّ	تُعْطِينِي الدَّرْسَ فَمَنْ أَرْجَعَكَ

(١) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر/ ٤٧٥ .

(٢) نهاية الأرب ٢٥٢/١٠ .

(٣) ديوانه (الشلال) / ٣٠ .

تُوقِظُنِي مِنْ نَوْمَتِي مُبَكِّراً
تَرُومُ رَفِيعِي لِلسَّمَاءِ شَادِياً
طَرُنَا وَلَكِنْ بِغَلَا ظَانِياً
تَعَجَّبُ مِنْ طَيْرٍ غَرِيبٍ أَتَى
هَيْهَاتَ أَنْ تَأْلَفَهُ طَائِراً
طَيْرٌ بَلَا رُوحٍ وَلَا رَاحَةٍ
وقال أيضاً^(١):

غَرَّدَ وَنَاجَ الْغُصْنُ وَالْوَرَقَا
تَقْضِي حَيَاتَكَ كُلَّهَا مَرَحاً
وَنَطَقْتَ بِالْأَلْحَانِ صَادِقَةً
لَسْتَ الْمُلْجِنَ فِي تَجَارِيهِهِ
إِنَّ الْمَعْلَمَ فِي وَسْوَيسِهِ
لَيْسَ الْمَعْلَمُ غَيْرَ خَالِقِنَا
لِلَّهِ دِينُكَ مَا أَلْيَطَفُهُ
وله أيضاً^(٢):

نَفَدَ الْقَوْلُ لِي فَجَدَّدُ غِنَاكَ
أَنَا أَذْكَى أَمْ أَنْتَ مَبْنِي أَذْكَى
وَأَنَا حَائِرٌ كَجِيزَةٍ عَقْلِي
إِنْ سَجَنَّاكَ دُونَ ذَنْبٍ فَعُذْرًا
سُخِفْنَا قَدْ جَنَى غَلِينَا وَلَمَّا

(١) ديوانه (شرر) ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص/ ٥٧ .

وله أيضاً^(١) :

يا بُلْبُلَ الصُّبْحِ اقْتَرِبْ
لَوْ كُنْتُ تَعْرِفُ صَبَوَتِي
إِنِّي أَخُوكَ وَإِنْ حُرِمْتُ
رُوحِي كَرُوحِكَ طَاهِرٌ
وَأَطِيرُ مِثْلَكَ فِي الْفَضَا

وله أيضاً^(٢) :

تَلَأَقَى بِرَوْضِ بُلْبُلَانٍ فَوَاحِدٌ
لَهُ حَوْلُهُ مَا يَشْتَهِي مِنْ فَوَاكِهٍ
وِثَانٍ طَلِيقٌ بَاحِثٌ عَنْ غَذَائِهِ
فَنَادَاهُ ذُو الْعَيْشِ الرَّغِيدُ أَلَا ابْتَدِرْ
إِلَامَ طَوَافٍ مُزْمَنٌ وَتَشَرُّدٌ
وَأَرْقُدُ مِلءَ الْعَيْنِ لَمْ أَخَشْ صَائِدًا
أَقْضِي نَهَارِي بَيْنَ رَقْصٍ إِلَى غِنَا
هَلُمْ لِعَيْشِي الْحُلُوِّ قَالَ رَفِيقُهُ

وقال أبو الفضل علي بن المظفر الأمدى قاضي واسط^(٣) :

وَأَهَالُهُ ذِكْرُ الْجَمَى فَتَأَوَّاهَا
هَاجَتْ بَلَابِلُهُ الْبَلَابِلُ فَاثْنَتَتْ
فَشَكَا جَوَى وَبَكَى أَسَى وَتَنَّبَهُ أَلْ
وَدَعَا بِهِ الصَّبَا فَتَوَلَّاهَا
أَشْجَانُهُ تَثْنِي عَنْ الْجِلْمِ النَّهَى
وَوَجَدُ الْقَدِيمِ وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَبِّهَا

(١) ديوانه (شرر) ١١٨ .

(٢) نفس المصدر/ ١١٩ .

(٣) حياة الحيوان للدميري ١٥٥/١ .

لا تُكْرِهُهُ 'عَلَى السُّلُو فَطَالَمَا حَمَلَ الْغَرَامَ فَكَيْفَ يَسْلُو مُكْرَهَا

وقال السيد أحمد الصافي النجفي وقد سمع في رياض (مضايا) من المصائف السورية بلبلاً يغرّد فذكره بالبلبل الذي كان يوقظه عند الصباح في صيدا - بلبنان - والذي نظم فيه معظم أشعاره في البلبل^(١) :

تُغَرِّدُ كَالْبُلْبُلِ الْأَوَّلِ	أَنْتَ أَخُو ذَلِكَ الْبُلْبُلِ
لَقَدْ شَطَّتِ الدَّارُ مَا بَيْنَنَا	فَجِئْتَ تُجَدِّدُ ذِكْرَهُ لِي
لَقَدْ كَانَ ذَاكَ أَخِي بُرْهَةً	فَأَنْتَ أَخِي فِي اللَّقَا الْأَوَّلِ
فَغَرِّدْ فَأَنْتَ بِهِذَا الْغِنَا	تُصِيبُ هُمُومِي فِي الْمَقْتَلِ
أَتَعْرِفُنِي مُصْغِيًا مِثْلَمَا	عَرَفْتُكَ يَا شَادِي الْجَدُولِ
سَمِعْتُكَ تَشْدُو فَقُلْ أَيْنَ أَنْتَ	فَرْتَلْ لِكِي أَهْتَدِي رَتْلَ
تَخَذْتُ غِنَاكَ دَلِيلِي إِلَيْكَ	وَسِرْتُ عَلَى وَحْيِكَ الْمُنْزِلِ
فَلَا تَقْطَعْ اللَّحْنَ لِي أَنْقَطِعْ	عَنِ الْقَوْلِ يَا هَادِيًا مِقْوَلِي
أُرَدِّدُ مَا قُلْتَ لِي لِأَنَامِ	خُطْبَيَّيْنِ فِي الرُّوضِ وَالْمَحْفَلِ
فَمِنْكَ اسْتَقَيْتُ نَمِيرَ الْبَيَانِ	وَتُسْقَى مِنَ الْخَالِقِ الْمُفْضِلِ
وَهَا قَدْ سَكَتُ لَدُنْ أَنْ سَكَتَ	وَسَافَرْتَ عَنْ رَوْضِكَ الْمُخْضَلِ
فَطِرْ هَانِئًا وَغَدًا نَلْتَقِي	وَمَوْعِدُنَا ضِفَّةُ الْجَدُولِ

وقام أيضاً^(٢) :

يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ الْأَرِيضِ تَرَنَّمْ	وَارَوْ الْحَقِيقَةَ فِي بَيَانِكَ وَاسْلَمْ
فَلَأَنْتَ حِينَ تَقُولُ مَا لَمْ نَفْهَمْ	طِفْلٌ يَكْلُمُنَا بَلْفِظٍ مُبْهَمْ
أَرْوَاحُنَا فَهَمَّتْ كَلَامَكَ لَا الْحِجَى	لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ فَصِيحٍ أَعْجَمِي

(١) ديوانه (شرر) ٤٨ .

(٢) ديوانه (شرر) ٣٠ .

لُغَةَ النُّفُوسِ مَلَكَتْهَا فَنَطَقَتْهَا وَالنَّفْسُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ لِمُتَرْجِمٍ
كَرَّرْتَ قَوْلَكَ شَارِحاً فَفَهِمْتُهُ مَهْلاً لِأَشْرَحَهُ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْ
هَيْهَاتَ لَا أَسْتَطِيعُ تَفْهِيمَ الْوَرَى فَاصْدَحْ كِلَانَا نَاطِقٌ كَالْأَبْكَمِ
مُتَفَاهِمَانِ مَعاً وَإِنْ لَمْ يَفْهَمُوا مَا قَالَهُ فَمَكَ الْمُحَبَّبُ أَوْ فَمِي
فَالنَّاسُ كَالْبَيْغَاءِ لَيْسَ لِنُطْقِهَا غَرَضٌ تُؤَدِّيهِ وَإِنْ تَتَكَلَّمِ
فِي الطَّيْرِ بَيْغَاءٌ تُمَثِّلُ مَعْشَرِي وَأَنَا بِهِمْ كَالطَّائِرِ الْمُتَرَنِّمِ

وقال أبو هلال العسكري في وصف بلابل^(١) :

مَرَّرْتُ بِدُكْنِ الْقُمْصِ سُودَ الْعَمَائِمِ تُغْنِي عَلَى (أَعْرَافٍ) غَيْدٍ نَوَاعِمِ^(٢)
زُهَيْنَ بِأَصْدَاغٍ تَرُوقُ كَأَنَّهَا نُجُومٌ عَلَى أَعْضَادٍ أَسُودَ فَاجِمِ
تَرَى ذَهَباً أَلْفَتْهُ تَحْتَ مَاخِرٍ لَهَا وَلُجِيناً بَطْنُهُ بِالْمَقَادِمِ
فَيَا حُسْنَ خَلْقٍ مِنْ نُضَارٍ وَفَضَّةٍ وَخَزٍّ وَدِيْبَاجٍ أَحْمَ وَقَاتِمِ

وقال إبراهيم منيب الباجه جي يرثي بلبلأ^(٣) :

بُلْبُلٌ هَاجَهُ الْغَرَامُ فَغْنَى فَوْقَ أَغْصَانٍ بَانَةٍ تَتَشَّى
قَابِلُ الصُّبْحِ هَائِماً وَهُوَ يَشْدُو بِنَشِيدٍ يُشْجِي فَوَادَ الْمُعْنَى
قُرْبَ جُورِيَّةٍ أَمَاطَتْ لِثَاماً عَنْ مَحِيّاً زَهَا جَمَالاً وَحُسْنَا
هَامٌ وَجِداً بِحَبِّهَا وَحَرِيٌّ بِهَوَاهَا إِنْ هَامَ وَجِداً وَجُنَا
مَنْحَتَهَا قُوَى الطَّبِيعَةِ حُسْنًا وَجَمَالاً لَغَيْرِهَا مَا تَسْنَى
لَوْعَةُ الْحُبِّ لَمْ تَدْعَ فِيهِ صَبْرًا كُلُّ آيٍ تَرَاهُ يُبْدِلُ غُصْنَا

(١) ديوان المعاني ١٤٢/٢ .

(٢) (أعراف) ، كذا ورد ، وهو جمع العُرف (بالضم) ، وللعرف معان كثيرة أقربها منالاً : شجر الأترج ، وإخال الكلمة محرفة ، صوابها (أطراف غيد نواعم) . يريد بالغيد النواعم : الأغصان الغضة الناعمة .

(٣) شعراء بغداد ١٠/١ .

كَلَّمَا هَمَّ أَنْ يَطِيرَ إِلَيْهَا ثَبَّطَ الْوَهْمَ عَزَمَهُ فَتَأَنَّى
يَتَغَنَّى أَنَا وَيَسْكُتُ أَنَا مُشْرِئاً لغيرِ طَيْرٍ تَغْنَى
نَغْمَاتٍ تُثِيرُهَا نَغْمَاتُ مِنْ طُيُورٍ تُجِيدُ ثَمَّةً لَحْنَا
هَاجَهَا الْوَجْدُ وَالْغَرَامُ فَغَنَّتْ بِقَوَافٍ رَقَّتْ أَدَاءً وَمَعْنَى

* * *

بَيْنَمَا كُنْتُ فِي مَرَاتِعِ أَنْسِي ثُمَّ أَرَعَى أَثْمَارَ عَيْشِي الْمُهْنَا
فَاجَأَتْنِي بَارُودَةٌ بِدَوِيٍّ أَسْكَنْتُ كُلَّ طَائِرٍ قَدْ تَغْنَى
أَطْلَقْتُهَا يَدُ الْقَضَاءِ لِتَقْضِي عُمَرَ ذَا الْبُلْبُلِ الشَّجِيِّ الْمُعْنَى
لَا تَسَلْ كَيْفَ فَارَقَ الرُّوحَ قَسْراً بَعْدَمَا حَرَّكَ الْجَنَاحَ وَأَنَا
وَأَنَا نَاطِرٌ إِلَيْهِ بَعَيْنٍ ذَرَفَتْ دَمْعَهَا فُرَادَى وَمَشْنَى
وَلِمِثْلِي يَشْجُو لِكُلِّ شَجِيٍّ وَلِمِثْلِي يَبْكِي عَلَى كُلِّ مُضْنَى

وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن الظهير
الأربلي الحنفي أبو عبد الله^(١) مُلغزاً في بلبل :

وَمَا إِسْمٌ ثُنَائِيٍّ رُبَاعِيٍّ بِلَامَيْنِ
كَلَّا شَطْرِيهِ إِنْ ضُوعِدَ فَعَفْلَانِ بِلَامَيْنِ
وَإِنْ خَاطَبْتَ مَأْمُوراً بِهِ عَادَ كَلَامَيْنِ
وَإِنْ حَرَفْتَ حَرْفَيْنِ غَدَا فِعْلاً وَحَرْفَيْنِ

وقال رياض المعلوف تحت عنوان (الهزار المنتحر)^(٢) :

كُنْتُ طَلَّقَ الْجَنَاحَ غَيْرَ مُقَيَّدٍ يَا هَزَارِي تَخْتَالُ بَيْنَ الْعُصُونِ

(١) الوافي بالوفيات ١٢٧/٢ .

(٢) الشعر العربي في المهجر/٣٢٢ .

أَسْرَتَكَ الْأَقْفَاصُ كَمْ تَتَنَهَّدُ فِي جَوَارِي بَحْرِقَةٍ وَشُجُونِ
أَيْنَ تِلْكَ الْأَغْصَانِ مِنْ قُضْبَانِكَ وَالْجَدَاوِلُ وَقَهَقَهَاتِ الْأَزَاهِرِ
أَيْنَ تِلْكَ الْآيَاتِ مِنَ الْإِلْهَانِكَ فِي الْخَمَائِلِ وَحُسْنِ صَوْتِكَ سَاجِرِ

* * *

كُنْتُ فِي الدُّوْحِ آمِنًا بِصُدَاكِ مُتَضَاعِكُ مِنَ الْوَرَى مُتَشَائِمُ
غَيْرَ اللَّحْنِ بَعْدَ قَصِّ جَنَاحِكَ بِنَوَاحِكَ فَصِرْتُ بِالْهَمِّ وَاجِمُ
بِجَنَاحٍ جَرَّبْتُ فَكَ سَرَاكِ فَتَكَسَّرُ بِكَرَّةٍ وَبِفِرَّةٍ
خَضِبَ الرِّيشُ مِنْ دِمَائِ جِرَاحِكَ وَتَحْيِرُ فَيْتٍ لِلنَّاسِ عِبْرَةٍ

* * *

مِتَّ أَسْرًا فَكَفَّنْتُكَ وَرُودُكَ وَالزَّنَابِقُ بِمَوَكِبٍ يَتَهَادَى
وَرَثْتُكَ الْأَطْيَارُ وَهِيَ جُنُودُكَ وَالشَّقَائِقُ مُقَطَّطَاتُ حِدَادَا
إِنَّمَا الذَّنْبُ لِلْجَمَالِ بِصَوْتِكَ فِي إِسَارِكَ يَا فِتْنَةَ لِلنَّوَاطِرِ
سَبَبَ الْحُسْنِ شَتَمَهُ عِنْدَ مَوْتِكَ وَأَتَّحَارَكَ فَمِتَ مَيِّتَةً شَاعِرِ

وقال معروف الرصافي تحت عنوان (البلبل والورد) (١) :

إِنَّ بَلِيلًا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ لَمَّا جَرَى فِي الْمَرْبَعِ الْمُخْمَلِ
أَخْبَرَ رِيَاءَهُ أَصْحَ الْخَبَرِ عَمَّا جَرَى فِي الرُّوضِ لِلْبَلْبَلِ

* * *

إِذْ هُوَ مُذْ أَلْقَى بِهِ نَاطِرَهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَغَرَّ الصَّبَاحُ ابْتَسَمَ
صَادَفَ فِيهِ وَرْدَةٌ زَاهِرَةٌ وَالطَّلُّ كَاللُّؤْلُؤِ فِيهَا انْتَضَمَ
مَضْمُومَةٌ أَوْرَاقُهَا النَّاضِرَةُ مِثْلُ فَمٍ يَطْلُبُ تَقْبِيلَ فَمٍ

(١) ديوانه ٢٠٨/٤ .

فُظِّلَ يَرْزُو مُسْتَدِيمَ النَّظَرِ رُزُو ظُمَّانٍ إِلَى مَنْهَلٍ
وَهِيَ غَدَتْ مِمَّا بِهَا مِنْ خَفَرٍ مُحَمَّرَةً مِنْ نَظَرٍ مُخْجَلٍ

* * *

ثُمَّ تَمَادَى غَرْدًا صَادِحًا يُعَلِّنُ لِلْوَرْدَةِ أَشْوَاقَهُ
يَنْطِقُ بِالْحُبِّ لَهَا بَائِحًا وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ انْطَاقَهُ
وَتَنْشُرُ الطَّيِّبَ لَهُ نَافِحًا كَأَنَّهَا تَقْصُدُ انْشَاقَهُ
حَتَّى غَدَا الْبُلْبُلُ مِنْذُ الصَّغَرِ فِي حُبِّهَا مُنْطَلِقَ الْمَقُولِ
يُنْشِدُ فِيهَا شِعْرَهُ الْمُبْتَكَّرَ وَلَا يَنِي فِيهِ وَلَا يَأْتَلِي^(١)

* * *

أَمَا تَرَى الْأَزْهَارَ كَيْفَ آغْتَدَتْ فَرَاشَةَ الرُّوضِ عَلَيْهَا تَطِيرُ
لَهَا جَنَاحٌ هِيَ مِنْهُ اكْتَسَتْ مُلَاءَةً مَوْشِيَّةً مِنْ حَرِيرٍ
فَهِيَ إِلَى الرُّوضَةِ مُذْ وَرَدَتْ أَرْسَلَهَا الْبُلْبُلُ نَحْوَ الْأَمِيرِ
تَحْمِلُ لِلْوَرْدِ أَمِيرَ الزَّهَرِ رَسَائِلَ الشُّوقِ مِنَ الْبُلْبُلِ
فَشَاعَ فِي الْأَزْهَارِ هَذَا الْخَبَرُ وَاسْتَوْجَبَ الْعُطْفَ عَلَى الْمُرْسِلِ

* * *

حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ مَضَى وَأَنْقَضَى وَعَادَتِ الرُّوضَةُ كَالْبَلَقَعَةِ
مَسَّتْ حَشَا الْبُلْبُلِ نَارَ الْغَضَا مِنْ حُرْقَةِ الْبَيْنِ الَّذِي أَوْجَعَهُ
لَا تَسْأَلِ الْبُلْبُلَ عَمَّا مَضَى فِي زَمَنِ الْوَرْدِ لَهُ مِنْ دَعَا
وَلَكِنْ اسْأَلْ فِي السَّمَاءِ الْقَمَرُ عَنْ خَبَرِ الْوَرْدِ مَعَ الْبُلْبُلِ
إِذْ كَانَ يُصْغِي مِنْهُمَا لِلسَّمَرِ وَهُوَ مُطْلٌ نَاطِرٌ مِنْ عَلِ

* * *

(١) إئتلى، وأتلى: قصّر وأبطأ.

فَرَاشَةُ الرَّوْضَةِ ظَلَّتْ إِذَا تَحُومُ وَالْأَزْهَارُ مِنْ تَحْتِهَا
تُقَبِّلُ الزُّهْرَةَ ذَاتِ الشُّدَا طَائِرَةٌ مِنْهَا إِلَى أُخْتِهَا
وَتَسْأَلُ الْأَزْهَارَ عَمَّا إِذَا مَرَّ فَقِيدُ الْوَرْدِ مِنْ سَمَتِهَا^(١)
لِتُخْبِرَ الْبُلْبُلَ بَعْضَ الْخَبَرِ لَعَلَّهُ غُمَّتَهُ تَنْجَلِي
فَإِنَّهُ بَاتَ حَلِيفُ السَّهَرِ مُذْ نَزَحَ الْوَرْدُ عَنِ الْمَنْزِلِ

وقال إيليا أبو ماضي من موشحة عنوانها البلبل السجين^(٢) :

يَا سَيِّدَ الْمُتَشِدِّينَ طُرّاً وَصَاحِبَ الْمَنْطِقِ الْمُتَمِينِ
لَوْ كُنْتَ بُومًا أَوْ كُنْتَ نَسْرًا مَا بَتَّ فِي أَسْرِكَ الْمَهِينِ
خُلِقْتَ لَمَّا خُلِقْتَ حُرّاً فَزَجَّكَ الْحُسْنُ فِي السُّجُونِ
وَأَطْلَقَ الْبُومَ فِي الْفَضَاءِ زَعَمُ الْوَرَى أَنَّهُ دَمِيمٌ
وَأَنَّهُ غَيْرُ ذِي رُوءٍ وَلَا لَهُ صَوْتُكَ الرَّخِيمُ

* * *

تَيَّمَكَ الرَّوْضُ فِيهِ حَتَّى تَخِذْتَ بِأَحَاتِهِ مَقَامًا
رَأَيْتَ فِيهِ النَّعِيمَ بَحْتًا وَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ الْأَنَامَا
مَدُّوا الْأَحَابِيلَ فِيهِ شَتَّى أَقْلُهَا يَجْلِبُ الْجِمَامَا
لَوْ كُنْتَ كَالْبُومِ فِي الْجَفَاءِ مَا صَادَكَ الْمَنْظَرُ الْوَسِيمُ
أَصْبَحْتَ تَبْكِي مِنَ الشُّقَاءِ لِيَضْحَكَ الْأَسِيرُ الْمُضِيمُ

* * *

وَالْمَرْءُ وَحْشٌ فَإِنْ تَرَقَّى أَصْبَحَ شَرًّا مِنْ الْوُحُوشِ
فَخَفَهُ حُرّاً وَخَفَهُ رِقَا وَخَفَهُ مُلْكًا عَلَى الْعُرُوشِ

(١) فقيد الورد، أي الورد المفقود .

(٢) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر/٦٥٣ .

فالشَّرُّ فِي النَّاسِ خَلَقَا وَأَيُّ طَيْرٍ بَغِيرٍ رِيشٍ ؟
 مَا قَامَ فِيهِمْ أَخُو وَفَاءٍ يَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا رَجِيمُ
 فَكُلُّ مُسْتَضْعَفٍ مَرَائِي وَكُلُّ ذِي قُوَّةٍ غَشُومُ

* * *

إِنْ كَانَ لِلْوَحْشِ مِنْ نُيُوبٍ فَالنَّاسُ أَنْيَابُهُمْ حَدِيدُ
 مَا كَانَ وَاللَّهِ لِلْحُرُوبِ لَوْلَا بَنُوا آدَمَ وَجُودُ
 لَوْ امْتَحَى عَالَمُ الْخُطُوبِ لِقَامَ مِنْهُمْ لَهَا مُعِيدُ
 قَدْ نَسَبُوا الظُّلْمَ لِلسَّمَاءِ وَكُلُّهُمْ جَائِرٌ ظَلُومُ
 لَمْ يَخْلُ مِنْهُ أَخُو الثَّرَاءِ وَلَا الْفَتَى الْبَائِسُ الْعَدِيمُ

وقال الشاعر القروي (رشيد سليم خوري) (١) - :

تَائِهًا فِي الْمَسَاءِ يَطْلُبُ مَلْجَا وَالْغُيُومُ السَّودَاءُ تَهْطُلُ ثَلْجَا
 هَجَرَ الْحَقْلَ وَالرُّبَى وَالْمَرْجَا إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الشَّدَائِدِ يُرْجَى
 حِينَ يُمَسِّي رَوْضَ الطَّبِيعَةِ قَفْرَا

بُلْبُلُ الرُّوضِ وَالْجَنَاحُ مُبَلَّلُ خَافَتْ الصَّوْتِ سَاكَتْ فَتَأَمَّلُ
 نَبَذَتْهُ رِيَاضُهُ فَتَعَلَّلُ بِحِمَانَا عَنِ الرِّيَاضِ وَأَمَّلُ
 أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أَهْوَنَ شَرًّا

وَلَجَّ الْبَيْتَ خَائِفًا مُتَرَدِّدُ يَنْشُدُ الْقُوَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُنْشِدُ
 جَاءَ مُسْتَنْجِدًا فَكَنتُ الْمُنْجِدُ وَمَسَكْتُ الْعُصْفُورَ لَا لِأَقْيِدُ

بَلْ حَنَانًا عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَدْرَى

بُلْبُلَ الرُّوضِ هَاكَ دِفْئًا وَقُوتَا بُلْبُلَ الرُّوضِ لَا تَخَفْ أَنْ تَمُوتَا

(١) ديوانه/ ٦٦ .

بُلْبُلُ الرُّوضِ مَا خُلِقْتَ صَمُوتًا بُلْبُلُ الرُّوضِ قَدْ أَطْلَتِ السُّكُوتَا
عُدَّ فَعَرَّدَ لَا تَخْشَ يَا طَيْرُ ضُرًّا

أَمِنَ الْبُلْبُلُ الْفَصِيحُ فَعَنَى بَعْدَ أَنْ كَانَ سَاكِتًا وَأَطْمَأَنَّا
وَلَكُمُ سَاكِتٍ فَصِيحٌ تَمَنَّى لَوْ يُتِيحُ الزَّمَانُ كَيْ يَتَعَنَّى
وَيُنَاغِي الْأَطْيَارَ نَثْرًا وَشِعْرًا

هَبَّتِ الرِّيحُ فِي الظَّلَامِ فَوَلَّى عَسْكَرُ الْغَيْمِ وَالصَّبَاحُ تَجَلَّى
فَلْتَمَّتْ الْعُصْفُورُ بَعْضًا وَكُلًّا ثُمَّ كَلَّمَتْهُ كَلَامًا جَلًّا
عَنْ مَثِيلٍ غَنَى لَهُ الطَّيْرُ شُكْرًا

يَا كَرِيمًا عَامَلْتَهُ بِالْكَرَامَةِ صُنْ عُهُودَ الرَّشِيدِ وَارْعَ ذِمَامَهُ
هَذَا الطَّبْعُ رَافَقَتْكَ السَّلَامَةُ حَبِّدَا لَوْ رَغِبْتَ مَعَنَا الْإِقَامَةَ
إِنَّمَا الْحُرُّ لَا يُقَيَّدُ حُرًّا .

وقال الشيخ علي الشرقي في رباعياته (مع البلبل السجين) (١) :

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْنِ سَلَامٌ هَاكَ الْحَدِيثَ وَهَاتِ
فِي طَوَايَا نُفُوسِنَا مُبْهِمَاتٍ لَمْ تَعْبُرْ عَنْهَا سِوَى النَّغْمَاتِ
مِنْ وَرَاءِ الْمِرَاةِ صَوْتُ يُنَاغِي بَبْغَاءَ نُوحِي عَنْ الْمِرَاةِ
لَا تَسْلُنِي كَشْفًا عَنِ اللَّحْنِ فِي الْقَوْلِ فَإِنِّي حَجَبْتُهُ عَنْ ذَاتِي

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْنِ سَلَامٌ وَهَكَذَا لِي رُوحُ
إِنْ تَكُنْ ذِكْرِيَاكَ الْوَرْدَ وَالْأَطْ يَارَ تَشْدُو فَذِكْرِيَاتِي جُرُوحُ
كُلَّ يَوْمٍ يَلُوحُ فَجَرٌ لِعَيْنِي كَ فَهَلَّا يَوْمًا لِعَيْنِي يَلُوحُ

(١) ديوانه (عواطف وعواصف/ ٨ - ٤١) .

أَصْرِيحْ وَكُلْ دُنْيَاكَ رَمَزْ وَمَتَى صَادَفَ النَّجَاحَ الصَّرِيحُ ؟

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ كَمْ يُوسُفُ فِي السُّجُونِ (١)
بُلْبُلِي هَلْ رَغَبْتَ فِي الرُّبُطَةِ السَّوِّ دَاءٍ أَمْ تِلْكَ شَارَةُ الْمَحْزُونِ ؟
إِنِّي قَدْ غَدَوْتُ أَنْعَمُ فِي الشَّكِّ لِأَنِّي مُنْغَصِّرٌ بِالْيَقِينِ
لَمْ أَجِدْ فِي الْعِرَاقِ لَيْلَى وَلَكِنْ كُلَّ آتٍ أَمْرٌ فِي مَجْنُونِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ مُحَبَّبُ التَّرْجِيْعِ
الْحَبِيسَانِ أَنْتَ وَالْقَلْبُ يَا بُدْ بُلُّ بَغْضَتُمَا إِلَيَّ ضُلُوعِي
لَا تُقَطِّعْ بِصَوْتِكَ الْعَذْبَ لَحْنًا كَيْدِي تَشْتَكِي مِنَ التَّقْطِيعِ
أَنَا أَشْكُو وَأَنْتَ تَشْكُو وَكُلُّ الْ نَاسِ تَشْكُو وَالْبَعْضُ شَكْوَى الْجَمِيعِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ لَعَلَّ حَالَكَ حَالِي
فَجَنَاحَاكَ مِثْلُ قَلْبِي يَا بُدْ بُلُّ قَدْ رَفَرَفَا لِضَيْقِ الْمَجَالِ
لَعِبَ التَّنَافُهِ الرَّخِيسُ مِنَ النَّأْ سِ مَعَ الدَّهْرِ بِالنَّفِيسِ الْغَالِي
وَإِذَا الْوَرْدُ فِي الْحَوَانِيتِ وَالطَّيِّ رُ وَرَاءَ الْأَبْوَابِ وَالْأَقْفَالِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ هَذَا جَزَاءُ الْمَوَاهِبِ
زِينَةً فِي قُصُورِهِمْ حَجَزُونَا أَنْتَ فِي جَانِبٍ وَإِنِّي بِجَانِبِ
إِسْأَلِي الْوَرْدَ يَا بَلَابِلُ وَالْعُشَّ هَلِ النَّاسُ غَيْرُ جَانٍ وَغَاصِبِ

(١) يشير إلى نبي الله يوسف بن يعقوب (ع) .

لا يُنِيلُ الْخَلَاصَ مِنْ بَطْرِ الْإِنِّ سَانٍ إِلَّا بُعْدُ كَبْعِدِ الْكَوَاكِبِ

* * *

أَيْهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ وَلَيْسَ حَالِي أَفْضَلُ
إِعْتِزَالًا هَذَا التَّمَكُّتُ فِي السَّجْدِ مِنْ وَقَدْ كُنْتُ دَائِمًا تَتَنَقَّلُ
وَيَكَادُ الْأَسَى يُعْطِلُ قَلْبِي عِنْدَمَا أَبْصِرُ الْجَنَاحَ الْمُعْطَلُ
بُلْبُلِي قَدْ تَفْتَحَ الْوَرْدُ وَالْأَطْ يَارُ قَدْ حَوَّصَلْتُ وَبَابُكَ مُقْفَلُ

* * *

أَيْهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ عَلَى الزَّمَانِ الْمُوَاتِي
عَبَثًا تُكْثِرُ التَّلَفُّتَ فِي السَّجْدِ مِنْ سَوَاءٍ لِمَا مَضَى أَوْ لَاتِي
أَيُّ نَفْعٍ - وَنَحْنُ فِي قَبْضَةِ الصَّيِّ إِدْ - تَرْجُو مِنْ سُرْعَةِ الْإِلْتِفَاتِ
نَعْمَاتُ جَاءَتْ بِسَجْنِكَ هَذَا وَتُرِيدُ الْخَلَاصَ، بِالنَّعْمَاتِ

* * *

أَيْهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ حَيًّا الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ
بَلَدْتَنَا صِنَاعَةَ اللَّحْنِ فِي الْقَوِّ لَ فَعَرَّدَ لَنَا بِلَحْنِ السَّلِيلَةِ
قَدْ رَأَى الْكَنَارُ فِي قَفْصِ السَّجْدِ مِنْ فَعْنَى بُسْتَانِهِ وَشَقِيقَهُ
جَرْنَا قَوْلُنَا الْحَقِيقَةَ لِلْسَّجْدِ مِنْ فَهَلَّا نَخَافُ قَوْلَ الْحَقِيقَةِ

* * *

أَيْهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ وَلَيْسَ حَالِي أَسْعَدُ
كُنْتُ تَعْلُو عَلَى الْغُصُونِ فَتَهْوِي وَتَرَى اللَّطْفَ فِي الْفَضَاءِ فَتَصْعَدُ
كُنْتُ لَا تَرْتَضِي الْبَقَاءَ عَلَى حَا لَ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَتَرَدَّدُ
فَلِمَاذَا خَلَدْتَ فِي قَفْصِ السَّجْدِ مِنْ وَقَدْ كُنْتُ فِي النَّعِيمِ الْمُخَلَّدُ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ وَكُلِّ حَالٍ تَحُولُ
رُبَّمَا ضَرَبْتَ النَّبَاهَةَ لَكِنْ أَيُّ نَفْعٍ يَجِيءُ فِيهِ الْخُمُولُ
ذَهَبْتَ قَبْلَنَا الْبَلَابِلُ أَسْرَا بَأْ وَوَلَّى بَعْدَ الْخَمِيلِ خَمِيلُ
وَسَتَائِي بَلَابِلُ وَرِيَاضُ وَتَوَافِي مَعَ الْفُصُولِ فُصُولُ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ لَقَدْ ذَهَبْنَا ضِيَاعَا
لَسْتُ أَذْرِي فَهَلْ نَعَاتِبُ قَوْمًا بَطَرُوا أَمْ نُعَاتِبُ الْأَوْضَاعَا
لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ قَاسٍ أَثِيمٍ إِشْتَرَى الْبُلْبُلَ الْأَسِيرَ وَبَاعَا
إِنِّي بُلْبُلٌ بَغِيرِ جَنَاحٍ قَالَ لِلْبُلْبُلِ الْأَسِيرِ وَدَاعَا

وقال أيضاً ، وهي من رباعياته (مع البلبل الطليق)^(١) :

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ تَصَدَّرَ مَجْلِسَ الْوَرْدِ
بِمَا عِنْدَكَ طَارِحَنِي أَطَارِحَكَ بِمَا عِنْدِي
خَضَضْنَا رَغْوَةَ الْعُمْرِ لِكَيْ تُفْصِحَ عَنْ زُبْدِ
فَلَمْ نَلْقَ سِوَى الْخَضِّ (م) مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ تَسَنَّمُ تَلْعَةَ الْوَادِي ...
نُحْيِي صُبْحَ سَامِرًا وَنُطْرِي لَيْلَ بَغْدَادِ
وَحُلَّ الْأُبْلَةَ الرَّائِحَ يُغْرِي الْأَحْمَقَ الْغَادِي
فَمَاذَا يَلْقُطُ الطَّائِرُ مِنْ دُكَّانِ حَدَّادِ

* * *

(١) ديوانه (عواطف وعواصف) / ٤٣ - ٥١ .

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ مِنَ الْعُنُقُودِ لِلْعَذَقِ
تَذَوَّقْ طَعْمَهَا إِنِّي أَرَى الدُّنْيَا بِلا ذَوْقِ
أَعِزَّنِي مَنْطِقَ الطَّيْرِ فَقَدْ حُلْتُ عَنْ نُطْقِي^(١)
حَوَالِي مَخَالِقُ وَلَكِنْ تَدَّعِي خَلْقِي

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ إِلَى النَّرْجَسِ وَالْأَسْرِ
لِضَمِّ الْوَرْدِ لِلْوَرْدِ وَقَرَعِ الْكَاسِ بِالْكَاسِ
وَبِالْفَحْمِ نَبِيعُ النَّاسِ أَكْدَاساً بِأَكْدَاسِ
وَجَدْنَا الْمَاسَ فِي الْفَحْمِ فَمَا يُوجَدُ فِي النَّاسِ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ إِلَى الْعُزْلَةِ فِي الْغَابَةِ
سَيِّمْنَا النَّصَبَ الْمُضْنِي وَكُلُّ النَّاسِ نَصَابَةٌ
أَيَا قَيْثَارَةَ الْوَادِي نَسِينَا صَوْتَ حَبَابَةٍ^(٢)
وَهَذَا قَلْبِي الْمُخْلَقُ مَنْ يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ مِنْ نَادٍ إِلَى نَادٍ
مِنَ الْغَابَةِ لِلْحَقْلِ إِلَى السَّفْحِ إِلَى الْوَادِي
سَتَلْقَى عَالَمَ الْأَحْيَا صَيَّاداً لَصَيَّادِ

(١) حَلَّاهُ، وَحَلَّاهُ: مَنْعَهُ، وَطَرَدَهُ.

(٢) حَبَّابَةٌ: جَارِيَةُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، مِنْ أَشْهُرِ الْمَغْنِيَّاتِ فِي عَصْرِهَا. تَرَاجَعَ تَرْجُمَتُهَا وَمَصَادِرُهَا فِي أَعْلَامِ النِّسَاءِ ٢٣٢/١.

وَتَلْقَى الْوَتَرَ الْحَسَّاسَ (م) مُحْتَاجاً لِعَوَادٍ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ مِ مِنْ بَغْدَادٍ لِبَلْرِيفِ
مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْعُرَى لِأَهْلِ النُّطَنِ وَالصُّوفِ
مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْحَسَنَاءَ بَيْنَ الشُّوكِ وَاللِّيفِ
مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْإِنْصَافَ مُحْتَاجاً لِتَعْرِيفِ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ مِ مِنْ دَيْرٍ إِلَى دَيْرِ
عَسَى أَنْ نَنْقُلَ الْبَذَرَ إِلَى مَزْرَعَةِ الْخَيْرِ
فَقَالَ الْبُلْبُلُ الشَّاعِرُ رَافِقُ يَا أَحِي غَيْرِي
فَهَلْ يُوجَدُ فِي الْفَخِّ سِوَى الصَّيَادِ لِلطَّيْرِ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ مِ مِنْ لَحْنٍ إِلَى لَحْنِ
مَعِيَ نَنْزِلُ لِلْأَرْضِ وَنُعَلِي قِيَمَةَ الْفَنِّ
تَرَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَنْ يَهْدِمُ أَوْ يَبْنِي
قَدِيمًا رَقَصَ النَّاسُ أَلَا يَا بُلْبُلِي غَنِّ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ مِ مِنْ حَفْلٍ إِلَى حَفْلِ
وَلَا تَبْحَثْ عَنِ الْجِنْسِ أَوْ النَّوْعِ أَوْ الْفَضْلِ
فَمِنْ سُنْبُلَةِ الْحَقْلِ نَثَرْنَا الْبَذَرَ فِي الْحَقْلِ
أَنَا مِنْ أَسْرَةِ الرُّوضِ وَمِنْ أَلْوَاكِهِ أَصْلِي

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرَّوْضِ مِمَّنْ عَالٍ إِلَى عَالٍ
فَلَا نَعْرِضَ لِلشَّوْكِ وَلَا نَمْشِي بِأَوْحَالٍ
وَدَعْنَا الْمَوَازِينَ بِقَنْطَارٍ وَمِثْقَالٍ
فَإِنَّ اللُّطْفَ فَيُضُّ لَا بِمِيزَانٍ وَمِكَيَالٍ

وقال معروف الرصافي المزدوجة الآتية بعنوان (أغرودة العندليب) نظمها
في القدس لتكون نشيداً لطلاب المدارس^(١) :

سَمِعْتُ شِعْراً لِلْعَنْدَلِيبِ تَلَاهُ فَوْقَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ
إِذْ قَالَ نَفْسِي نَفْسُ رَفِيعَةٍ لَمْ تَهَوِ إِلَّا حُسْنَ الطَّبِيعَةِ
عَشَقْتُ مِنْهَا حُسْنَ الرَّبِيعِ أَحْسِنَ بِذَلِكَ الْحُسْنَ الْبَدِيعِ

* * *

فَالْعَيْشُ عِنْدِي فَوْقَ الْغُصُونِ لَا فِي قُصُورٍ وَلَا حُصُونٍ
أَطِيرُ فِيهَا لِفَرْطِ وَجْدِي مِنْ غُصْنٍ وَرَدٍ لَغُصْنٍ وَرَدٍ
وَفِي فُرُوعِ الْأَشْجَارِ بَيْتِي فَالظِّلُ فَوْقِي وَالزَّهْرُ تَحْتِي

* * *

فَسَلِّ نَسِيمَ الْأَشْحَارِ عَنِّي كَمْ هَزَّ عِطْفَ الْأَغْصَانِ لَحْنِي
وَسَلِّ بِشَدْوِي زَهَرَ الرِّيَاضِ إِنِّي بِحُكْمِ الْأَزْهَارِ رَاضٍ
فَكَمْ زَهْوٍ لِمَا أَفْوَهُ أَصْغَتْ وَقَالَتْ: لَا فَضَّ فُوهُ

* * *

يَا قَوْمُ إِنِّي خُلِقْتُ حُرّاً لَمْ أَرْضَ إِلَّا الْفَضَا مَقَرّاً
فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُؤْنِسُونِي فَفِي الْمَبَانِي لَا تَحْبِسُونِي

(١) ديوانه ٢١٢/٤ .

وإن أردتُم أن تُنطقوني فاطلقوني فاطلقوني

وقال الشيخ قاسم بن محمد الكستي البيروتي يرثي بلبلاً من نوع الكنار
مات لأحد أصحابه^(١) :

يا صَاحِبِي عَزَّيْتَ بِالْكِنَارِ قَدْ صَدَحْتَ بِمَدْحِهِ الْأَخْبَارُ وَلَمْ تُقْصِرْ فِي أَدَاءِ مَا وَجَبَ مِنْ أُمِّهِ كُنْتَ عَلَيْهِ أَشْفَقَا مَا مَاتَ بَيْنَ جُوعٍ وَلَا مِنْ قِلَّةٍ لَا يُرْتَجَى لِذَائِهِ شِفَاءُ عَلَيْهِ لَا تَحْزَنْ وَكُنْ صَبُورَا لَوْ كَانَ يُفْدَى بِالنَّفِيسِ الْغَالِي لَكِنْ إِذَا مَا حَادِثَ الْمَوْتِ نَزَلَ عَوْضُكَ الرَّحْمَنُ عَنْهُ طَيْرَا فَمَا رَأَيْنَا قَبْلَهُ مِنْ طَائِرٍ يُغْنِي عَنْ الْمُدَامِ وَالنَّدِيمِ فِيَالَهُ مِنْ طَائِرٍ صَدُوحِ ذُو ذَنْبٍ فَاقَ وَلِلَّهِ الْعَجَبُ مُزَيَّنٍ بِالتَّاجِ كَالطَّائُوسِ لِلَّهِ حُسْنُ ذَلِكَ الْمِنْقَارِ قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الزُّهَادِ وَعَاشَ مَحْبُوساً وَلَمْ يَشْكِ الضَّجَرُ فَإِنِّي أَهْدِي إِلَيْهِ الْفَاتِحَةَ	فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَطْيَارِ وَحُمِدَتْ لِذَاتِهِ الْأَثَارُ مِنْ حَقِّهِ وَقُمْتَ بِالَّذِي طَلَبُ وَمِنْ أَبِيهِ يَا رَفِيقِي أَرْفَقَا لَكِنْ رَمَاهُ رِيشُهُ بِعِلَّةٍ وَالْمَوْتُ إِنْ حَلَّ فَمَا الدَّوَاءُ وَالْتَزِمِ الشُّكْرَ تَكُنْ مَأْجُورَا فَدَيْتَهُ مِنْ طَارِقِ اللَّيَالِي لَا يَنْفَعُ الْحَزْمُ وَلَا تُغْنِي الْحِيلُ يَكُونُ بِالتَّغْرِيدِ مِنْهُ خَيْرَا يُشْنَفُ الْأَسْمَاعُ بِالْجَوَاهِرِ إِذَا شَدَا بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ يَدْعُو إِلَى الْغَبُوقِ وَالصَّبُوحِ عَلَى اللَّجَيْنِ وَهُوَ بِالْحُسْنِ ذَهَبُ مُلَوَّنُ الرِّدَاءِ كَالْعَرُوسِ مِنْ ذَهَبٍ قَدْ صَبِغَ لَا مِنْ قَارِ مُلَازِمُ الْخَلْوَةِ بِأَنْفِرَادِ حَتَّى أَبَادَهُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ وَإِنْ يَكُنْ مِنَ الطُّيُورِ الصَّادِحَةِ
---	---

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٨١/٢ .

البومة، والبوم^(١)

البومة، والبوم: طائر من كواسر الليل، جمعه أبوام للذكر والأنثى، والهاء في بومة للواحد لا للتأنيث، وقيل: بومة للمفرد، وجمعه بوم، فإذا قلت (فيَّاد) أو (صدى) فيختص عندئذ بالذكر، ومن أنواعه:

- البُوْهَة، والبُوْه، يقال أيضاً: البوْء والبوْء .
- الشَّبَج، والجمع ثَبْجان، يصبح طول الليل، وكأنَّه يثْنُ .
- الخَبَل (بالتحريك) يصبح طول الليل، وكأنَّه يقول: ماتت خبل، ماتت خبل .

- الضُّوْع، والضُّوْع (كضُرْد، وعِنَب) جمعه أضْواع، وضِيعان .
- النُّهَام، وجمعه نُهْم .

- الهامة، وهي العظيمة الرأس، والجمع الهامات، والهَام . وكان بعض أهل الجاهلية يقولون: إِنَّهَا هَام الناس، إذا مات الإنسان خرجت من رأسه هامة تصيح عند قبره، وإذا قُتِل تظَلُّ تصيح مطالبة بثأره .

(١) المخصص ٦١/٨/٢، وحياة الحيوان ١٦٠/١، ومعجم اللغة.

مما ورد في الأمثال :

(عداوة البوم للغراب) ^(١) يضرب مثلاً للعداوة الشديدة المستحكمة وإخاله مأخوذاً من قصة البوم والغربان في كيلة ودمنة، وسوردها بعد قليل .
(من كان دليله البوم كان مأواه الخراب) ^(٢) .

مما ورد في القصص :

١ - المصاهرة بين بومة من الموصل، وبومة من البصرة ^(٣) .

أرق المأمون ذات ليلة فاستدعى سميراً يحدثه، فقال: يا أمير المؤمنين، كان بالموصل بومة، وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة اينتها لابنها، فقالت بومة البصرة: لا أنكحك ابنتي إلا أن تجعلني في صداقتها مائة ضيعة خراب، فقالت بومة الموصل: لا أقدر عليها الآن، ولكن إن دام والينا - سلمه الله - علينا سنة واحدة فعلت ذلك لك .

فاستيقظ المأمون وجلس للمظالم، ونفق أمور الولاة .

٢ - قصة البوم والغربان ^(٤) :

زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدَّوح فيها وكر ألف غراب وعليهنَّ والٍ من أنفسهنَّ، وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهنَّ والٍ منهنَّ . فخرج ملك البوم لعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغربان، وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم . فأغار ملك البوم في

(١) الحيوان للجاحظ ٩٧/٧ .

(٢) محاضرات الأدباء/ ٧٠٩ .

(٣) سراج الملوك للطرطوشي/ ٢٢٩ .

(٤) كيلة ودمنة/ ٢٦٤ - ٢٨٠ وقد حذفت منها الأقاصيص الفرعية .

أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً، وكانت الغارة ليلاً .

فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم ، وما منّا إلا من أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو ملهوب الذنب^(١) . وأشد ما أصابنا ضرراً جرأتهم علينا وعلمهم بمكاننا وهن عائدات إلينا غير منقطعات عنا لعلمهم بمكاننا . فإنما نحن لك أيها الملك فانظر لنا ولنفسك ، وكان في الغربان خمسة مُعترف لهم بحسن الرأي ، يُسند إليهم في الأمور ، وتلقى إليهم مقاليد الأحوال . وكان الملك كثيراً ما يشاورهم في الأمور ويأخذ آراءهم في الحوادث والنوازل .

فقال الملك للأول من الخمسة : ما رأيك في هذا الأمر ؟ قال : رأي قد سبقتنا إليه العلماء وذلك أنهم قالوا : ليس للعدو الحنق الذي لا طاقة لك به إلا الهرب منه .

قال الملك للثاني : ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟ قال : ما رأي هذا من الهرب . قال الملك : لا أرى لكما ذلك رأياً أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ولا ينبغي لنا ذلك فنكون به لهم عوناً علينا ، ولكن نجتمع أمرنا ونستعد لعدونا ، ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ، ونحترس من الغرة إذا أقبل إلينا فنلقاه مُستعدين ونقاتله قتالاً غير مراجعين فيه ولا حامين منه^(٢) ، وتلقى أطرافنا أطراف العدو ، ونحترز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة مرة ، وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبُغيتنا وقد ثبنا عدونا عنا .

ثم قال الملك للثالث : ما رأيك أنت ؟ قال : لا أرى ما قالوا رأياً ولكن نبث

(١) ملهوب الذنب : مشتعل حرارة من كثرة الضرب والنتف ، وفي رواية (أو مقطوف الذنب) .

(٢) حمي من الشيء : كره أن يفعله .

العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطلائع بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحنا، أم يريد الفدية؟ فإن رأينا أمره أمر طامع في مالٍ لم نكره الصلح على خراج نؤديه إليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا، ونطمئن في أوطاننا، فإن من آراء الملوك إذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوا على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الأموال جنة البلاد والملك والرعية .

قال الملك للرابع: فما رأيك في هذا الصلح؟ قال: لا أراه رأياً بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه، مع أن اليوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضى منّا إلا بالشطط. ويقال في الأمثال: قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترى عليك ويضعف جُندك وتذل نفسك. ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملتْها قليلاً زاد ظلُّها. وإذا جاوزت بها الحد في إِمالتها نقص الظل. وليس عدونا راضياً منّا بالدون في المقاربة، فالرأي لنا ولك المحاربة .

قال الملك للخامس: ما تقول أنت وماذا ترى؟ القتال، أم الصلح، أم الجلاء عن الوطن؟ قال: أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه، وقد يتال: إنه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها، مع أن العاقل لا يستصغر عدواً، فإن من استصغر عدوه أغترَّ به، ومن أغترَّ بعدوه لم يسلم منه، وأنا لليوم شديد الهيبة وإن أضربن عن قتالنا، وقد كنت أهابها قبل ذلك، فإن الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فإن كان بعيداً لم يأمن سطوته، وإن كان مُكْتِيباً^(١) لم يأمن وثبته، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره، وأحزم الأقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النفقة فيه، فإن ما دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل. والقتال النفقة فيه من الأنفس والأبدان، وربما

(١) المكشِب: المقارب، وهو من الكشِب: القرب .

اكتفي عنه بالنفقة اليسرة والكلام اللين . فلا يكون القتال لليوم من رأيك أيها الملك ، فإن من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه . فإذا كان الملك مُحَصِّنًا للأسرار متخيرًا للوزراء ، مهيباً في أعين الناس ، بعيداً من أن يُقدر عليه كان خليقاً أن لا يسلب صحيح ما أوتي من الخير . وأنت أيها الملك كذلك ، والملك يزداد برأي وزرائه بصيرة كما يزيد البحر بمجاوريه من الأنهار ، وقد استشرتني في أمر جوابك مني عنه في بعضه عَلَيَّ وقد أجبتك به ، وفي بعضه سِرِّي وللأسرار منازل ، منها ما يدخل فيها الرهط ، ومنها ما يستعان فيه بالقوم ، ومنها ما يدخل فيه الرُّجُلان ، ولست أرى لهذا السر - على قدر منزلته - أن يشارك فيه إلا أربعة آذانٍ ولسانان .

فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره ، فكان أول ما سألَه عنه الملك أنه قال : هل تعلم ابتداء العداوة ما بيننا وبين اليوم ؟ قال : نعم . قال الملك : كيف كان ذلك ؟

قال الغراب : زعموا أنَّ جماعة من الكراكي^(١) لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على أن تملك عليها ملك اليوم . فبينما هي في مجمعها إذ وقع لها غراب ، فقالت : لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا . فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه ، فقال : لو أنَّ الطير بادت من الأقاليم ، وفُقد الطاووس والبطُ والنعام والحمام من العالم لما اضْطُرَّتْنَ إلى أن تملكنَ عليكنَّ اليوم التي هي أقبح الطير منظراً ، وأسوأها خلقاً ، وأقلها عقلاً ، وأشدّها غضباً وأبعدها من كل رحمة ، مع عماها في النهار ، وتن راثحتها حتى لا يطيق طائر أن يتقرَّب منها ، وأشدُّ من ذلك وأقبح أمورها سفهها ، وسوء أخلاقها ، إلا أن ترين أن تملكنها وتكنَّ أنتن تدبرن الأمور دونها برأيكنَّ وعقولكنَّ ، فإن وزراء الملك إذا كانوا صالحين ، وكان يطيعهم في آرائهم لم يضرَّ في ملكه كونه جاهلاً واستقام

(١) الكراكي : ضرب من الطيور المائية . واحدها كركي .

أمره . . . ومع ما ذكرتُ من أمر البوم فإنَّ فيها الخَبَّ^(١) والمكر والخديعة، وشرُّ
الملوك المخادع . . . والبوم تَجْمَع - مع ما وصِفْتُ - لكنَّ من الشؤم سائر
العيوب فلا يكوننَّ تملكك البوم من رأيكنَّ .

فلما سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب أضربن عن تملكك اليوم، وكان
هناك بوم حاضر قد سمع، فقال للغراب: لقد وترتني أعظم التَّرة، ولا أعلم أنَّه
سلف مني إليك سوءٌ أوجب هذا .

وبعدُ فاعلم أن الفأس يُقطع بها الشجر فيعود ينبت، والسيفُ يقطع اللحم
ثم يرجع فيندمل. واللسان لا يندمل جرحه، ولا تؤسى مقاطعه، والنصل من
السهم يغيب في اللحم ثم يُنزع فيخرج. وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت
إلى القلب لم تنزع ولم تُستخرج. ولكلَّ حريق مُطْفِئ، وللنار الماء، وللسمِّ
الدواء، وللعشق الفرقة، ونار الحقد لا تخبو أبداً. وقد غرستم معاشر الغربان
بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء .

فلما قضى البوم مقالته ولى مُغضباً فأخبر ملك البوم بما جرى وبكلِّ ما
كان من قول الغراب. ثمَّ إنَّ الغراب ندم على ما فرط منه وقال: والله لقد
خَرَقْتُ^(٢) في قلبي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي، وليتني
لم أخبر الكراكي بهذه الحال، ولم أعلمها بهذا الأمر. ولعلَّ أكثرَ الطير قد رأى
أكثر مما رأيتُ، وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت إتياء
ما لم أتق، والنظر فيما لم أنظر فيه من جذارِ العواقب، ولا سيما إذا كان الكلام
أفزع كلام يلقي منه سامعه وقائله للمكروه ممَّا يورث الحقد والضغينة. فلا
ينبغي أن تُسمَّى أشباه هذا الكلام كلاماً ولكن سهاماً. وإنَّ الكلام الرديء هو
الذي يرمي صاحبه في الحقد والعداوة، والعاقل إنَّ كان واثقاً بقوَّته وفضله لا

(١) الخَبَّ (بالكسر): الخداع والخبث والسعي بالفساد .

(٢) الخَرَق: الجهل والحمق .

ينبغي أن يحمله ذلك على أن يجلب العداوة على نفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة، كما أنه وإن كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده. وصاحب العمل وإن قصّر به القول في مستقبل الأمر كان فضله. بينا واضحا في العاقبة والاختيار، وصاحب حسن القول وإن أعجب الناس منه حسن صفته للأمر لم تحمد مغبة أمره، وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمود، أوليس من سفهي اجترائي على التكلم في أمر لم أستشر فيه أحدا ولم أعمل فيه رأيا؟ ومن لم يستشر النصحاء والأولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه. فما كان أغناني عما كسبت يومي. هذا وما وقعت فيه من الهم. وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب.

هذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم، وأما القتال فقد علمت رأيي فيه وكراحتي له، ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إن شاء الله تعالى. فإنه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا. . . وأرجو أن نصيب من حاجتنا بالرفق والحيلة، وإنني أريد من الملك أن ينقري على رؤوس الأشهاد، ويتنف ريشي وذنبي ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك وجنوده إلى مكان كذا، فإنني أرجو أني أصبر وأطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتي إليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى. قال الملك: أتطيب نفسك لذلك؟ قال: نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه أعظم الراحة للملك وجنوده؟ ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم إرتحل عنه.

فلما جن الليل أقبل ملك البوم وجنده ليوقع بالغربان فلم يجدهن، وهم بالإنصراف. فجعل الغراب يئن ويهمس حتى سمعته البوم ورأينه يئن فأخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان، فلما دنا منه أمر بوما أن يسأله فقال له: من أنت وأين الغربان؟ فقال: أما أسمي ففلان، وأما ما سألتني عنه فإنني أحسبك ترى أن حالي حال من لا يعلم الأسرار.

فقليل لملك البوم : هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأيّ ذنب صنع به ما صنع ، فسُئِلَ الغراب عن أمره فقال : إنّ ملكنا استشار جماعتنا فيكُنْ وكنت يومئذٍ بمحضر من الأمر فقال : أيُّها الغربان ما ترون في ذلك ؟ فقلت : أيُّها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لأنهنَّ أشدُّ بطشاً وأحدُّ قلباً منا . ولكن أرى أن نلتمسّ الصلح ثم نبذل الفدية في ذلك ، فإنّ قبلت البوم ذلك منا فبها ، وإلاّ هربنا في البلاد ، وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيراً لهنَّ وشرّاً لنا . فالصلح أفضل من الخصومة . وأمرتَهن بالرجوع عن الحرب ، وضربت لهنّ الأمثال في ذلك وقلت لهن : إنّ العدوَّ الشديد لا يرد بأسه مثلُ الخضوع له ، ألا ترين الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت ، والشجر العاتي يكسر بها ويحطّم ، فعصينني في ذلك وزعمن أنهنَّ يردن القتال وأتّهمني فيما قلتُ وقلن : إنّك قد مالأت البوم علينا ، ورددن قولي ونصيحتي وعذّبني بهذا العذاب ، وتركني الملك وجنوده وارتحل ، ولا علم لي بهنّ بعد ذلك .

فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه : ما تقول في الغراب ، وما ترى فيه ؟ قال : ما أرى إلّا المعاجلة له بالقتل فإنّ هذا أفضلُ عُدِّ الغربان ، وفي قتله لنا راحة من مكروه وفقدُهُ على الغربان شديد . فإذا قتل ثلُّ مُلكهم وتقوّض ، وما أراه إلّا فتحاً قد أرسله الله إليك . ويقال : من طلب الأمر الجسيم فأغفله فاتّه الأمر ، وهو خليف ألاّ تعود الفرصة ثانية ، ومن وجد عدوّه ضعيفاً ولم يُنجز قتله ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه .

قال الملك لوزير آخر : ما ترى أنت في هذا الغراب ؟ قال : أرى أن لا تقتله ، لأنّه قد لقي من أصحابه ما تراه ، فهو خليف أن يكون دليلاً على عوراتهم ، ومعيناً لك على ما فيه هلاكهم ، وإن العدوَّ الذليل الذي لا ناصر له أهلٌ لأن يؤمّن سيّما المستجر الخائف ، والعدو إذا صدرت منه المنفعة ولو كان غير متعمّد لها أهل لأن يُصفح عنه بسببها . . .

قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه : ما تقول في أمر الغراب؟ قال : أرى أن تستبقه وتحسن إليه فإنه خليك أن ينصحك ، والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضاً ظفراً حسناً ، ويرى اشتغال بعض أعدائه ببعضٍ خلاصاً لنفسه منهم ونجاة . . .

فقال الوزير الأول الذي أشار بقتل الغراب : أظن أن الغراب قد خدعكن ووقع كلامه في نفس الغبي منكن موقعه فتدُن أن تضعن الرأي غير موضعه . فمهلاً مهلاً أيها الملك عن هذا الرأي ، ولا تكونن لما تسمع أشدَّ تصديقاً منك لما ترى . . . فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يُحمل إلى منازل البوم ويكرم ويستوصي به خيراً . ثم إنَّ الغراب قال للملك يوماً وعنده جماعة من البوم وفيهنَّ الوزير الذي أشار بقتله : أيها الملك قد علمت ما جرى عليَّ من الغربان ، وإنَّه لا يستريح قلبي دون الأخذ بثأري منهن . وأنِّي قد نظرت في ذلك فإذا بي لا أقدر على ما رمْتُ لأتِّي غراب ، وقد روي عن العلماء أنهم قالوا : من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قَرَّبَ لله أعظم القربان ، ولا يدعو عند ذلك بدعوة إلا استجيب له . فإن رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي وأدعوربي أن يحولني يوماً فأكون أشدَّ عداوة للغربان ، وأقوى بأساً عليهن ، ولعلي أنتقم منهن . فقال الوزير الذي أشار بقتله : ما أشبهك في خير ما تُظهر وشر ما تُصير بالخمرة الطيبة الطعم فيها السم . رأيت لو أحرقنا جسمك بالنار ، أن جوهرك وطبعك متغير؟ أو ليست أخلاقك تدور معك حيث دُرَّت ، وتصير بعد ذلك إلى أصلك وطينتك . . . أيها المخادع .

فلم يلتفت ملك البوم إلى ذلك القول ، ورفق بالغراب ولم يزد له إلا إكراماً ، حتَّى إذا طاب عيشه ونبت ريشه وأطلع على ما أراد أن يُطلع عليه راغ روعة فأتى أصحابه بما رأى وسمع ، فقال للملك : إنِّي قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق إلا أن تسمع وتطيع . قال له : أنا والجند تحت أمرك فأحتكم كيف شئت . قال الغراب : ان البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب ، وفي ذلك

الموضع قطع من الغنم مع رجل راعٍ ، ونحن مصيرون هناك ناراً نلقى فيها في أثقاب البوم^(١) ونقذف عليها من يابس الحطب ونترّوح عليها ضرباً بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب ، فمن خرج منهم احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه . ففعل الغربان ذلك فأهلكن اليوم قاطبة ورجعن إلى منازلهنّ سالمات آمّنات .

ثم إنّ ملك الغربان قال لذلك الغراب : كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبته الأشرار؟ قال الغراب : إنّ ما قلته أيّها الملك لكذلك ، فإنّه يقال : لدع النار أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم ، ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفضيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمّله الجائحة^(٢) على نفسه وقومه لم يعجزع من شدّة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير ، فلم يجد لذلك ألماً ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتّى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره ، وعاقبة صبره .

قال الملك : أخبرني عن عقول البوم . قال الغراب : لم أجد فيهن عاقلاً إلاّ الذي كان يحثهنّ على قتلي ، وكان حرّضهن على ذلك مراراً فكنّ أضعف شيء رأياً فلم ينظرن في أمري ويذكرن أنّي قد كنت ذا منزلة في الغربان ، وأنّي أعدّ من ذوي الرأي ولم يتخوفن مكري وحيلتي ، ولا قبلن من الناصح الشفيق ، ولا أخفينّ دوني أسرارهنّ .

مما ورد في الشعر :

قال مجنون ليلي (قيس بن الملوّح)^(٣) :

فَلَوْ تَلْتَقَى أَرْوَاحُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ مَنْكِبُ

(١) أثقاب جمع ثقب وهو من جموع القلّة كأكلب وأفحل .

(٢) الجائحة : الشدة والنازلة العظيمة .

(٣) ديوانه ٤٦ / .

لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمْةً لَصَوْتُ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرُبُ
وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا طَاوَعْتَنِي لَمْ تَزَلْ تَرَقُّقُ دَمْعًا أَوْ دَمًا حِينَ تَسْكُبُ

وقال امرؤ القيس: (١)

يَا هِنْدُ لَا تَنْكِحِي بُوْهَةً عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ إِحْسَبَا (٢)
مُرْسَعَةً بَيْنَ أَرْسَاغِهِ بِهِ عَسَمُ يُنَبِّغِي أَرْنبَا (٣)
لِيَجْعَلَ فِي كَفِّهِ كَعْبَهَا حِذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطَبَا

وقال توبة بن الحمير الخفاجي صاحب ليلى الأخيلية: (٤)

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدُلٌ وَصَفَائِحُ (٥)
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ (٦)
وقال مُغَلِّسُ الْفَقْعَسِيِّ: (٧).

وَإِنْ أَحَاكُمُ قَدْ عَلِمْتُ مَكَانَهُ بَسَفَحُ قُبَا تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ (٨)
لَهُ هَامَةٌ تَدْعُو إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهَا بَنِي عَامِرٍ هَلْ لِلْهَلَالِيِّ ثَائِرُ (٩)

(١) ديوانه / ١٢٨.

(٢) البوهة: البومة. الأحسب الأصهب الذي يضرب لون شعره الى الحمرة.

(٣) المرسعة، والمرسعة: سير تعقد عليه عوذة تحمي حاملها في زعمهم من البلاء. العسم (محركة): يبس في الرسغ واعوجاج.

(٤) ديوانه / ٤٨.

(٥) الصفائح: الحجارة العراض تكون على القبور.

(٦) الصدى: البوم. زقا: صاح.

(٧) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٣١٢/٢.

(٨) قُبا (بالضم): قرية على ميلين من المدينة المنورة على يسار القاصد الى مكة المكرمة فيها مسجد التقوى.

(٩) الهامة: البومة.

وقال سُويد بن أبي كاهل: (١)

بِئْسَ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي مَطْعَمٌ وَخَمٌ وَدَاءٌ يُدْرَعُ (٢)
لَمْ يَضِرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهَوَ يَزُقُّوا مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعَ (٣)

وقال الدميري (٤): رأيت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء
الأكابر، أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً ويده فحمة وهو
يكتب بها على حائط قصره فقال المأمون البعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل
وانظر ما يكتب وأتني به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً وقبض عليه وتأمل ما
كتبه فإذا هو:

يَا قَصْرُ جُمِّعْ فِيهِ الشُّومُ وَاللُّومُ مَتَى يُعَشِّشُ فِي أَرْكَانِكَ الْبُومُ
يَوْمٌ يُعَشِّشُ فِيكَ الْبُومُ مِنْ فَرَحِي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعِيكَ مَرْغُومٌ

فقال الخادم: أجب أمير المؤمنين، فلما مثل بين يدي المأمون أعلمه
الخادم، بما كتب، فقال له المأمون: ويحك ما حملك على هذا؟ قال: مررت
على هذا القصر العامر وأنا جائع فقلت في نفسي: لو كان خراباً لم أعدم منه
رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمنه. فأمر له المأمون بألف دينار وقال
له: هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله.

وقال ذو الأصبع العدواني من قصيدة طويلة مطلعها (٥):

يَا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدٍ الْهَمُّ مَحْزُونٍ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا أُمَّ هَارُونٍ

(١) المفضليات ١٦٣/.

(٢) يُدْرَعُ: يُكْتَسَى.

(٣) يزقو: يصيح. الضوع: من أسماء البوم.

(٤) حياة الحيوان الكبرى ١٦٠/١.

(٥) المفضليات ١٥٩/ - ١٦٣.

يقول فيها :

ولي ابن عمّ لو أنّ الناس في كبدٍ لظلّ مُحْتَجِزاً بالنَّبلِ يَرمِيني
يا عمُّ إلاّ تدعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أضربك حيثُ تقولُ الهامةُ اسقوني^(١)

(١) الهامة : الرأس، والبومة، ومن معتقدات بعض الجاهليين أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح اسقوني، اسقوني حتى يقتل قاتله.

التَّمْسَاحُ (١)

التَّمْسَحُ والتَّمْسَاح (بكسر التاء): حيوان مائي مفترس على صورة الضب، وقد يبلغ طوله أكثر من سبعين قدماً. جمعه تماسيح.

والتَّمْسَح والتَّمْسَاح في اللغة: المارد الخبيث والكذاب من الرجال، والتَّمْسَاح (بفتح التاء): الكذب، وأنشد ابن الأعرابي:

قد غلبَ الناسَ بنو الطَّمَّاحِ بِالإِفْكِ والتَّكْذَابِ والتَّمْسَاحِ

وجاء في الأمثال:

(أظلم من تماسيح) (٢)

(جازاه مجازاة التماسيح) (٣)، ويحكى في سببه أن التَّمْسَاح يأكل اللحم فيدخل في خلال أسنانه، فيفتح فاه، فيجيء طائر فيسقط عليها فيخللها ويأكل

(١) لسان العرب، وتاج العروس مادة (م س ح) ونهاية الأرب ٣١٤/١٠ وحياة الحيوان ١٦٣/١.

(٢) حياة الحيوان ١٦٤/١.

(٣) جمهرة الأمثال ٣٠٦/١.

اللحم، فيكون طعاماً للطائر، وراحة للتمساح. وربما ضمَّ التمساح فاهُ على الطائر فيقتله.

مما قيل فيه شعراً:

قال أثير الدين أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي) يصف التمساح: (١)

وَحَلَقٍ غَرِيبِ الشَّكْلِ فِي مِصْرَ نَاشِيءٍ
وَمَا هُوَ فِي أَرْضٍ سِوَى مِصْرَ يُوجَدُ
هُوَ السَّبْعُ الْعَادِي بِنِيلٍ صَعِيدِهَا
يُقَافِصُ مَنْ لِمَاءِ فِي النَّيْلِ يَقْصِدُ (٢)
وَيَخْطِفُهُ خَطَفَ الْعُقَابِ لِصَيْدِهَا
وَيَفْصِلُهُ عَضُوءاً فَعُضُوءاً وَيَزْرُدُ
وَمَا مِنْ شُخُوصِ النَّيْلِ خَلَقَ لَهُ يَدُ
وَرَجُلٌ سِوَاهُ وَهُوَ فِي الْبَرِّ يَضَعُدُ
وَرَبُّمَا يَلْقَى لَدَى الْبَرِّ كَاسِراً وَيَجْرِي كَمِثْلِ الطُّرْفِ أَوْ هُوَ أَزِيدُ
لَهُ ذَنْبٌ مُرَخًى طَوِيلٌ يُقِيمُهُ
وَأَسْنَانُهُ أَتْنَى عَلَى ذِكْرِ أَتَتْ
وَيَحْفَرُ فِي رَمْلٍ وَيَدْفُنُ بَيْضَهُ
وَلَا تَعْمَلُ الْأَسِيفَاتُ فِيهِ كَأَنَّمَا
وَلَكِنْ تَحْتَ الْإِبْطِ لَيِّنَ جِلْدَةٍ
وَلَيْسَ لَهُ دُبُرٌ فَيُخْرِجُ نَجْوَهُ
يُلْفُ بِهِ مَنْ كَانَ فِي النَّاسِ يَفْقَدُ
لَكَسْرِ الْعِظَامِ الصُّلْبِ مِنْهَا تَفْقَدُ (كَذَا)
يُعَاهِدُهَا غَيْباً إِلَى حِينَ تُوَلِّدُ
عَلَى جِلْدِهِ مِنْهُ صَفِيحٌ مُسَرَّدُ
فَمِنْهَا الْمَنَايَا دُونَهُ تَتَصَعَّدُ
وَلَكِنْ إِلَى حُلُقُومِهِ يَتَرَدَّدُ

(١) ديوان ١٥٠/.

(٢) يقافص: يواثب.

فَيَنْتَحُ فَاهُ ثُمَّ يَدْخُلُ طَائِرٌ
فَإِنْ رَامَ إِطْبَاقاً عَلَيْهِ فَانَّهُ
وَيَقْتُلُهُ الْجَامُوسُ فَهُوَ إِذَا دَرَى
وَيَخْدَعُهُ الْإِنْسَانُ حَتَّى يَصِيدَهُ
رَأَيْنَاهُ مَحْمُولاً عَلَى جَمَلٍ وَقَدْ
وَلِلْعَقْلِ فِي صَيْدِ التَّمَايِخِ صَنْعَةٌ
وَذُو الْعَقْلِ مَقْدُورٌ عَلَيْهِ وَقَادِرٌ
فَلَا الطَّيْرُ فِي جَوْ وَلَا الْوَحْشُ فِي الْفَلَا
فَيَقْهَرُهُ قَتْلًا وَذَبْحًا وَخِدْمَةً

فَيَلْفُظُ مَا قَدْ كَانَ فِيهِ تَدَوُّدٌ
يَكُونُ لِسَقْفِ الْحَلْقِ بِالرِّيشِ يَفْصُدُ
بِهِ فَرٌّ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّبْحِ يُجْهَدُ
وَيَرْبُطُهُ كَالْعَنْزِ بِالْحَبْلِ تُصَفَّدُ
أَتَتْ طَرْفَاهُ الْأَرْضَ فِيهَا يُخَدَّدُ
يُرْتَبِّهَا الْفِكْرُ الْمُصِيبُ فَتُحْمَرُ
عَلَى كُلِّ ذِي رُوحٍ رَقِيبٌ مُؤَيَّدُ
وَلَا سَابِغٌ إِلَّا لَهُ مُتَرَدَّدُ
وَفِي آخِرِ ذُو الْعَقْلِ فِي الرُّمَسِ يُلْحَدُ

ووصفه غيره فقال: (١)

وَذِي هَامَةٍ كَالْتُرْسِ يَفْغَرُ عَنْ فَمٍ
يُضْمُّ عَلَى مِثْلِ الْحُسَامِ الْمُثَلَّمِ
وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الْمَنَاشِيرِ رُكِّبَتْ
عَلَى مِشْفَرٍ مِيلِ الْقَلْبِ الْمُهْدَمِ
مَشَى فِي شَوَاةٍ مِنْ فَقَارَةِ غَيْلِمٍ وَسَقَفَ لَحْيًا مِنْ مَنَاقِبِ شَيْهَمٍ (٢)

(١) نهاية الأرب للنويري ٣١٥/١٠.

(٢) الشوأة، واحدة الشوى، وهي اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس، والشوأة: جلدة الرأس؛
كانها هي من الشوى، الغيلم: السلحفاة الذكر. سَقَفَ: طَوَّلَ. الشيهم: ذكر القنافذ، أو ما عظم
شوكه من ذكورها.

الثَّعْلَبُ (١)

الذكر، ثعلب وثعلبان، والجمع ثعالب وأثعل. ومن أسمائه الصَّيْدَن،
وحَبْر، والدَّرَّان، والعَسَلَق، وتثفل (٢)

والأنثى ثعلبة، وثعالة، وثعال، وتسمى ثرمله.

ويقال لولد الثعلب الهَجْرَس، والكُتْع .

وللثعلب كنى عديدة منها : أبو الحَنْبَص، وأبو النَّجم، وأبو نَوْفَل وأبو
الوَّثاب، وأشهرها أبو الحُصَيْن. وتكنى الثعلبة بأُمَّ عَوِيل.

يقال : أرض مُثْعَلَبَة، ومُثْعَلَة ، أي كثيرة الثعالب وثعلب الرجل وثثعلب،
أي جبن وراغ. والثعلب: طرف الرمح الداخل في جُبة السنان، و: الجحر
الذي يسيل منه ماء المطر، و: مخرج الماء من الحوض ، و: أصل الراكوب في
جذع النخلة، أو هو الفسيل إذا قطع من أمه. والثعلبة: العصص، والأسْت.
وداء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر.

(١) المخصص ٧٥/٨/٢، ولسان العرب، وتاج العروس مادة (ث ع ل ب) وحياة الحيوان ١/١٧٤.

(٢) تثفل كقنفذ، ودرهم وجعفر، وزبرج، وجندب.

ويقال: ضَبَحَ الثعلب ضُبَاحاً، وضَغَا ضُغَاءً: إذا صاح، والثعلبية،
والسُمسِمَة: ضربات من ضروب العدو للثعلب.

من الأمثال الواردة في الثعلب:

- (أُخْتَل من تُعَالَة)^(١).
- (أَرْوَغ من ثعلب)^(٢).
- (بالت بينهم الثعالب)^(٣) يضرب مثلاً للقوم يقع بينهم الفساد.
- (ذُلٌّ من بالت عليه الثعالب)^(٤) يضرب مثلاً للرجل المهين.
- (ومتى كانت الثعالبُ أسدًا ومتى كانت النساءُ رجالاً)^(٥)

مما جاء عنه في القصص:

- ١ - (الثعلب والكركي)^(٦).
يُحكى أن ثعلباً ابتلع عظماً فبقي في حلقه فطلب من يعالجه ويخرجه
فجاء إلى كركي فجعل له أجراً على أن يخرج العظم من حلقه؛ فادخل رأسه في
فم الثعلب، وأخرج العظم بمنقاره ثم قال للثعلب: هات الأجر، فقال الثعلب:
أنت أدخلت رأسك في فمي وأخرجته صحيحاً. ألا ترضي بذلك حتى تطلب
أجراً زيادة؟.

٢ - (كراء وافي ومهمّة خطيرة)^(٧)

قيل لثعلب: أتحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة؟ قال: أمّا الكراء فوافٍ

(١) و (٢) جمهرة الأمثال ١٦٧/١ و ٤٣٩.

(٣) جمهرة الامثال ٢٢١/١.

(٤) جمهرة الامثال ٤٦٥/١.

(٥) التمثيل والمحاضرة للثعالبي ٣٥٨/.

(٦) البصائر والذخائر ٧٠٤/٢.

(٧) المصدر السابق ٧٠٥/٢.

ولكنَّ الخطر عظيم.

٣ - (اللقاء عند الوَبَّار) (١).

وقع ثعلبان في شرك صيَّاد، فقال أحدهما : يا أخي أين نلتقي؟ فقال:
في دكان الوبار (٢).

٤ - (جور السلطان) (٣).

نظر ثعلب إلى جمل يعدو فقال: ما وراءك؟ قال: جعلت فداك، سُخِّرَت
الحمير والبغال، فقال: وما أنت والحمير والبغال؟ فقال: أخاف جور السلطان.

٥ - (الأسد والثعلب) (٤).

اشتكى الأسد علةً شديدة فعاده جميع السباع إلَّا الثعلب، فدخل عليه
الذئب فقال: أصلح الله الملك إنَّ السباع كلُّها قد زارتك وعادتكَ ما خلا الثعلب
فإنه مستخفُّ بك، وبلغ الثعلب ذلك فاغتمَّ لذلك. فلَمَّا جاءه قال الأسد: مالي
لم أُرَك يا أبا الحُصَيْن؟ فقال: أصلح الله الملك، بلغني وجعك فلم أزل أطوف
في البلدان أطلب دواءً لك حتَّى وجدته، فقال: أيّ شيء هو؟ قال: مرارة
الذئب. فأرسل إليه والثعلب عنده فلما دخل وثب الأسد عليه فهرب الذئب،
وناشه الأسد فسلخ جلد آسته. فتبعه الثعلب وهو يصيح به: يا صاحب السروال
الأحمر إذا جلست عند الملوك فانظر ما يخرج منك فإن المجالس بالأمانات.

٦ - (قاض يغضب من صلح الخصمين) (٥).

لقي ثعلبٌ عراقيُّ ثعلباً شامياً فقال له: عرّفني ما عندك من جيلٍ ثعالب

(١) المصدر السابق ٧٠٥/٢.

(٢) الوَبَّار: الذي يستخلص الوبر من جلد الحيوان.

(٣) البصائر والذخائر ٧١٩/٢.

(٤) البصائر والذخائر ٧٢٧/٢، وحياة الحيوان ١٧٨/١، والمستطرف ١٠٤/٢.

(٥) البصائر والذخائر ٧٢٧/٢.

الشام، فقال: عندي مائة حيلة. فقال العراقي: والله لأصحبته حتى أستفيد منه. فلزمه. فبينما هما كذلك إذ طلع الأسد عليهما، فقال العراقي للشامي: خذ في الحيلة، قال: والله كما عندي حيلة في هذا الوقت، قال: ولم خاطرت بنفسك، وغررت بأخيك؟.

فلما دنا الأسد قال لهما من أين أقبلتما؟ قال العراقي: إياك أردنا، وإليك قصدنا. قال: فبماذا؟ قال: إن أخي هذا بالشام، وأنا بالعراق، وإن أبانا مات وورثنا شويهات. فجاء أخي هذا يريد أن يذهب بها، فقلت له: هلم إلى سيد السباع ليحكم بيننا فمهما قال التزمناه. قال: أين الشاء؟ قالا: في هذا البستان - وأشارا إلى بستان حصين - وقال العراقي: أنا أرسل أخي حتى يخرج الغنم فيقسمها الملك، فقال: نعم ثم قال للشامي: ادخل وأخرج الغنم وعجل.

فدخل الشامي وأقبل يأكل من الثمار، فلما أبطأ قال العراقي: قد قلت للملك: إنه ظالم، فأذن لي حتى أدخل خلفه وأخرجه إليك مع الشاة قميئاً ذليلاً. قال ادخل وعجل، فدخل الثعلب البستان وأقبل يأكل من الثمار حتى شبع، ثم أشرف من الحائط على الأسد وقال له: يا أبا الحارث، أعلم إنا قد اصطلحنا فامض في دعة الله، فجعل الأسد يضرب بذنيه الأرض ويستشيط غضباً، فقال له الثعلب: أنما أنت قاضٍ، وما رأيت قاضياً يغضب من الصلح غيرك.

٧ - (الثعلب والطبل)^(١)

زعموا أن ثعلباً أتى أجمة فيها طبلٌ معلق على شجرة، وكلما هبت الرياح على قضبان تلك الشجرة حثتها فضربت الطبل فسُمِعَ له صوت عظيم باهر، فتوجّه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته؛ فلما أتاه وجده ضحماً،

(١) كليلة ودمنة / ١٣٢.

فايقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم، فعالجه حتى شقّه، قلّما رآه أجوف لا شيء فيه قال: لا أدري لعلّ أفشل^(١) الأشياء أجهرها^(٢) صوتاً، وأعظمها جثّة.

٨ - (الحق بنظر القوي)^(٣)

زعموا أنّ أسداً وثعلباً وذئباً أصطحبوا فخرجوا يتصيدون فصادوا حمار وحشاً، وظبياً، وأرنباً. فقال الأسد للذئب اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب للثعلب، والظبي لي. فخبطه الأسد فأطاح برأسه ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجعله بالقسمة، هات أنت يا أبا الحُصَيْن، فقال الثعلب: يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك. فالحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك. فقال له الأسد: قاتلك الله ما أقضاك. من علّمك هذه الأقضية؟ قال رأس الذئب الطائح عن جثّته.

٩ - (الثعلب يدعو الديك للصلاة)^(٤)

وحكي أنّ الثعلب مرّ في السّحر بشجرة فأرى فوقها ديكاً، فقال له: أما تنزل نصلي جماعة؟ فقال: إنّ الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه. فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولّى هارباً. فناداه الديك: أما تأتي لنصلي؟ فقال: قد انتقض وضوئي فاضبر حتى أجدد الوضوء وأرجع.

مما قيل في وصف الثعلب نثراً^(٥)

قال الوزير ابن شهيد الأندلسي (احمد بن عبد الملك) يصف الثعلب:

(١) أفشل الأشياء: أضعفها.

(٢) أجهر الأصوات: أعلاها.

(٣) حياة الحيوان ١/١٧٦، المستطرف ٢/١٠٤.

(٤) المستطرف ٢/١٠٤.

(٥) التوابع والزوابع ١٢٦/، وبتيمة الدهر ٤٧/٢.

أَدَّهَى مِنْ عَمْرُو (١)، وَأَفْتَكْ مِنْ قَاتِلِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ (٢)، كَثِيرُ الْوَقَائِعِ فِي الْمُسْلِمِينَ، مُغْرَى بِإِرَاقَةِ دِمَاءِ الْمُؤَذِّنِينَ (٣)، إِذَا رَأَى الْفُرْصَةَ انْتَهَظَهَا، وَإِذَا طَلَبَتْهُ الْكِمَاةُ أَعْجَزَهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ بُقْرَاطُ فِي إِدَامِهِ (٤) وَجَالِينُوسُ (٥) فِي اعْتِدَالِ طَعَامِهِ. غَدَاؤُهُ حَمَامٌ أَوْ دَجَاجٌ، وَعِشَاؤُهُ تَدْرُجٌ أَوْ دُرَّاجٌ (٦).

مِمَّا قِيلَ فِيهِ شِعْرًا

قَالَتْ أُمُّ سَالِمٍ لِابْنِهَا مَعْمَرٍ (٧):
 أَرَى مَعْمَرًا لَا زَيْنَ اللَّهِ مَعْمَرًا وَلَا زَانَهُ مِنْ زَائِرٍ يَتَقَرَّبُ
 أَعَادَيْتُنَا عَادَاكَ عِزٌّ وَذِلَّةٌ كَأَنَّكَ فِي السَّرْبَالِ إِذْ جِئْتَ تُعَلِّبُ (٨)
 فَلَمْ تَرَعْنِي زَائِرًا مِثْلَ مَعْمَرٍ أَحَقُّ بِأَنْ يُجَنَى عَلَيْهِ وَيُضْرَبُ

وَقَالَ آخَرُ (٩):

خَيْرُ الصَّدِيقِ هُوَ الصَّدُوقُ مَقَالَةً وَكَذَاكَ شَرُّهُمْ الْمَيُّونُ الْأَكْذَبُ (١٠)
 فَإِذَا غَدَوْتَ لَهُ تُرِيدُ نَجَاةً بِالْوَعْدِ رَاغٌ كَمَا يَرُوغُ الثُّغْلَبُ

(١) يريد عمرو بن العاص.

(٢) حذيفة بن بدر من سادات فزارة قتله ربيبه قرواش بن هني في حرب داحس والغبراء (أيام العرب في الجاهلية / ٢٦٤).

(٣) يريد بالمؤذنين هنا: الديكة لأنها تصيح عند طلوع الفجر.

(٤) بقراط: من أشهر أطباء اليونان في القديم.

(٥) جالينوس: طبيب يوناني قديم اشتهر بالتشريح.

(٦) التدرج: طائر جميل يغرد بالبساتين شبيه بالدراج إلا أنه أفضل منه لحماً.

(٧) الحيوان للجاحظ ٣٠٨/٦.

(٨) الظاهر أنها تدعو عليه بالموت فلا يكون له عز ولا ذلة.

(٩) الحيوان للجاحظ ٣١٠/٦.

(١٠) الميون، فعول من المين وهو الكذب.

وقال راشد بن عبد الله ^(١) يخاطب صنماً بال عليه الثعلب:
لَقَدْ خَابَ يَوْمٌ أَمْلُوكَ لِشِدَّةٍ أَرَادُوا نِزَالاً أَنْ تَكُونَ تُحَارِبُ
فَلَا أَنْتَ تُغْنِي عَنْ أُمُورٍ تَوَاتَرَتْ وَلَا أَنْتَ دَفَاعٌ إِذَا حَلَّ نَائِبُ
أَرْبٍ يَيُولُ الثُّعْلَبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ ^(٢)

وقال عمرو بن الأهتم ^(٣) :
أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ عَامِرٍ مِنْ الْوُدِّ قَدْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ
وَأُصْبَحَ بَاقِي الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَالذَّهْرُ فِيهِ الْعَجَائِبُ

وقال ذريرد بن الصِّمَّة ^(٤) :
تَمَنِّيْتُ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ سَفَاهَةً وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَحْتَوِيكَ الْمَقَانِبُ ^(٥)
وَأَنْتَ أَمْرٌ جَعَدَا الْقَفَا مُتَعَكِّسٌ مِنَ الْأَقْطِ الْحَوْلِيِّ شَبْعَانُ كَانِبُ ^(٦)
إِذَا انْتَسَبُوا لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ ثُعَلْبٍ إِلَيْهِمْ وَمِنْ شَرِّ السَّبَاعِ الثُّعَالِبُ

(١) كان راشد هذا سادناً لأحد الأصنام، فجاء ذات يوم ثعلب يعدو فلما صار قرب الصنم رفع رجله وبال عليه، فقام راشد إلى الصنم فكسره، وقال الأبيات الآتية، ثم جاء إلى النبي ﷺ وأسلم، فقال له النبي: ما اسمك؟ قال: غاوي بن ظالم، قال: لا بل أنت راشد بن عبد الله، وفي رواية (ابن عبد ربه). انظر حياة الحيوان ١٧٤/١ و١٧٥.

(٢) الثعلبان (بضم الثاء واللام): الثعلب، ويروى بصيغة التثنية (بفتح الثاء واللام)، والبيت في لسان العرب منسوب إلى غاوي بن ظالم، أو لأبي ذر الغفاري، أو العباس بن مرداس السلمي.
(٣) جمهرة الأمثال ٤٦٦/١ وعزاهما الدميري في حياة الحيوان ١٧٩/١ إلى حميد بن ثور، ولم أجدتهما في ديوانه.

(٤) الحيوان للجاحظ ٣٠٤/٦.

(٥) المقانِب، جمع مقنَب (بالكسر) وهو جماعة الخيل والفرسان.

(٦) الجعد: القصير. المتعكس: المتثنى غُضُونُ الْقَفَا. الأقط: لبن مجفف يابس متحجر. الحولي: الذي مضى عليه الحول. الكانِب: الغليظ.

وقال مزرد بن ضرار^(١) :

وإن كَنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهَرُّ عَلَيْهَا أُمُكُمُ وَتُكَالِبُ
وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاؤُكَ رَحْلَهُ لِتَقْرِئَهُ بِأَلْتِ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

وقال حسان بن ثابت^(٢) :

أَبُوكَ أَبُوكَ وَأَنْتَ ابْنُهُ فَيَسَّسَ الْبُنَى وَيُسَّسَ الْأَبُ
وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ مَوْدُونَةُ كَأَنَّ أَنْامِلَهَا الْحُنْظُبُ^(٣)
يَبِيتُ أَبُوكَ بِهَا مُعْرَساً كَمَا سَاوَرَ الْهَرَّةَ الثَّعْلُبُ^(٤)

وقال زهير بن أبي سُلمى^(٥) :

وَبِلْدَةٍ لَا تُرَامُ خَائِفَةٌ زُورَاءَ مُغْبَرَّةٍ جَوَائِبُهَا
تَسْمَعُ لِلْجِنَّ عَازِفِينَ بِهَا تَضْبَحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثَعَالِبُهَا

وقال آخر^(٦) :

مَا أَعْجَبَ الدَّهْرَ فِي تَصَرُّفِهِ وَالْدَّهْرُ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ
يَبْسُطُ آمَالَنَا فَنَبْسُطُهَا وَدُونَ آمَالِنَا نَسَائِبُهُ
وَكَمْ رَأَيْنَا فِي الدَّهْرِ مِنْ أَسَدٍ بِأَلْتِ عَلَى رَأْسِهِ ثَعَالِبُهُ

(١) الحيوان للجاحظ ٣٥٣/١.

(٢) ديوانه ٣٦.

(٣) المودونة: القصيرة العنق، الصغيرة الجثة. الخنطب: ذكر الجراد، وذكر الخنافس.

(٤) في الديوان (الهوة) مكان (الهرة) و التصويب من الحيوان للجاحظ ١٤٥/١.

(٥) ديوانه ٢٦٥.

(٦) الحيوان للجاحظ ٣٠٤/٦.

وقال طرفة بن العبد (١) :

أَسْلَمَنِي قَوْمِي وَلَمْ يَغْضَبُوا لِسَوْءَةٍ حَلَّتْ بِهِمْ فَادِحَهُ
كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَئُهُ لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَهُ (٢)
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشَبَهُ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال الناشيء الأكبر (عبد الله بن محمد الأنباري المعروف بابن شرشير) (٣)

يصف الثعلب واعتصامه بوجاره، ثم يصف طريقة صيدا بن عرس له :

لو أَنَّ حَيًّا وَاثِقًا لِعُمْرِهِ
بِمَقْصِلٍ يُحْصِنُهُ مِنْ غَدْرِهِ
أَبُو الْحُصَيْنِ كَامِنًا فِي جُحْرِهِ
أَنَّ الْوَجَارَ ضَامِنٌ لِنُضْرِهِ
عَنْ حِيلَةٍ يُعْمَلُهَا بِفِكْرِهِ
وَلَيْسَ يَجْرِي فِي بَنَاتِ صَدْرِهِ
وَهَاجِمٌ عَلَيْهِ فِي مَقَرِّهِ
وَحَيْطُهُ مُعَلَّقٌ فِي نَحْرِهِ
جُرُوهُ فَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ قَعْرِهِ
وَقَدَّهْ أَوْ قَطَعَهُ مِنْ خَضْرِهِ
لَكِنَّهُ بِعَضْرِهِ وَقَسْرِهِ
أَوْ عَائِذَا مِنْ نَكَبَاتِ دَهْرِهِ
أَفْلَتَ مِنْ خَتْلِ الرَّدَى وَخَتَرِهِ (٤)
مُبَقَّدَرًا فِي ظَنِّهِ وَفِكْرِهِ
وَحَفْظُهُ مِنْ قَانِصٍ وَسْتَرِهِ (٥)
إِذَا غَدَا بِكَلْبِهِ وَصَقْرِهِ
أَنَّ ابْنَ عَرَسٍ قَاصِمٌ لِظَهْرِهِ
أَعْجَبَ بِهِ مُقْتَجِمًا فِي وَكْرِهِ
حَتَّى إِذَا أَمَرْتُهُمْ بِجَرِّهِ
لِلَّهِ مَا أَعْظَمُهُ بِهِضْرِهِ
وَذَبَّجَهُ بِنَابِهِ أَوْ ظَفْرِهِ
أَحْسَنُ فِي اسْتِحْيَائِهِ وَأُسْرِهِ (٦)

(١) ديوانه / ١٥ .

(٢) يريد بالواضحة: الاسنان التي تظهر عند الضحك .

(٣) المصائد والمطارد / ٢٢٧ .

(٤) المقصل: السيف القاطع . الختر: الغدر .

(٥) الوجار (بالكسر): جحر الثعلب وغيره من الوحش .

(٦) استحيائه: استبقائه حياً .

ولبعضهم في عجز الثعلب عن تناول العنقود (١):

أَيُّهَا الْعَائِبُ سَلِمَى أَنْتَ عِنْدِي كُثْعَالَةٌ
رَامَ عُنُقُودًا فَلَمَّا أَبْصَرَ الْعُنُقُودَ طَالَه
وَقَالَ هَذَا حَاوِضٌ لَمَّا رَأَى أَلَّا يَنَالَهُ

وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن سهم (٢) .

فَأَبْلَغَ إِيَّاسًا إِنَّ عِرْضَ ابْنِ أَخْتِكُمْ
فَإِنْ تَكُ ذَا طَوْلٍ فَانِّي ابْنُ أَخْتِكُمْ
فَكُنْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ شَيْبَهَهُ
فَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا ابْنُ أَخْتِ ثُعَالَةٍ
وَلَنْ تَجِدَ الْأَسَادَ أَخْوَالَ ثَعْلَبٍ
رَدَاؤُكَ فَاصْطَنَ حُسْنَهُ أَوْ تَبَدَّلَ (٣)
وَكُلُّ ابْنِ أَخْتٍ مِنْ نَدَى الْخَالِ مُعْتَلِي (٤)
فَهُمَا تَكُنْ أَنْسَبُ إِلَيْكَ وَأَشْكَلُ (٥)
وَإِنَّ ابْنَ أَخْتِ اللَّيْثِ رَثْبَالُ أَشْبَلِ
إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَا تَلَوْدُ بِمَدْخَلِ

وقال الطغرائي (الحسين بن علي) (٦) .

إِذَا كُنْتَ لِلْإِسْلَامِ خِذْنًا فَلَا تُشِرْ
فَقَدْ جَاءَ فِي أَمْثَالِهِمْ أَنَّ ثَعْلَبًا
أَضَرَّ بِهِ جُوعٌ طَوِيلٌ فَشَقَّهُ
فَفَارَ لَدَيْهِ الذِّئْبُ يَوْمًا بِخَلْوَةٍ
فَكُلَّهُ وَأَطْعَمَهُ فَمَا هُوَ شَكُلْنَا
عَلَيْهِ بِمَا يُؤْذِي بِهِ الدَّهْرَ مُسْلِمًا
وَذِئْبًا أَصَابَا عِنْدَ لَيْثٍ تَقْدُمًا
وَأَبْقَى لَهُ جِلْدًا رَقِيقًا وَأَعْظَمًا
فَقَالَ كَفَاكَ الثَّعْلَبُ الْيَوْمَ مَطْعَمًا
وَلَسْتُ أَرَى فِي أَكْلِهِ لَكَ، مَاثِمًا

(١) جمهرة الأمثال ٧٦/٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٣٥٣/١ .

(٣) إصطن، فعل أمر من اصطن وهو الافتعال من صان الشيء: حفظه. تبدل: امتهن.

(٤) معتلي، وقيل (معتلي بالغين المعجمة) وكلاهما بمعنى مرتفع.

(٥) أشكل، من الشكل والشاكلة أي الشبه.

(٦) ديوانه ٣٥٥/ .

فَلَمَّا أَحَسَّ الثُّعْلَبَانُ بِكَيْدِهِ وَقَالَ أَرَى بِالْمَلِكِ دَاءً مُمَاطِلًا
 وَفِي كَيْدِ الذُّبِّ الشِّفَاءُ لِدَائِهِ فَصَادَفَ ذَا مِنْهُ قَبُولًا فَعِنْدَهَا
 فَأَقْلَتَ مَمْسُوحَ الْإِهَابِ مُرْمَلًا وَصَاحَ بِهِ يَا لَا يَسَّ الثُّوبُ قَانِيًا
 تَطَبَّبَ عِنْدَ اللَّيْثِ وَاحْتَالَ مُقَدِّمًا تَهَدَّمَ مِنْهُ جِسْمُهُ وَتَحَطَّمَا
 فَإِنْ نَالَ مِنْهَا يَنْجُ مِنْهُ مُسَلِّمًا أَحَالَ عَلَى الذُّبِّ الْخَيْثَ فَصَمَّمَا
 فَلَمَّا رَأَى الثُّعْلَبَانُ تَبَسُّمًا^(١) مَتَى تَخْلُ بِالسُّلْطَانِ فَاسْكُتْ لَتَسَلِّمَا
 وقال أبو الفرج الببغاء يصف الثعلب: (٢).

وَأَعْفَرَ الْمَسْكَ تَلْقَاهُ فَتَحَسَّبَهُ كَأَنَّ أَذْنِيهِ فِي حُسْنِ انْتِصَابِهِمَا
 يَسْرِي وَيَتَّبِعُهُ مِنْ خَلْفِهِ ذَنْبٌ فَلَا يَشْكُ الَّذِي بِالْبُعْدِ يُبْصِرُهُ
 مِنْ أَدَكَنِ الْخَزِّ مَخْبُوءٍ بِخَيْفَانِ^(٣) إِذَا هُمَا انْتَصَبَا لِلْحَسِّ زُجَّانِ^(٤)
 كَأَنَّهُ حِينَ يَبْدُو ثَعْلَبٌ ثَانِي فَرَدًّا بَأْنَهُمَا فِي الْخِلْقَةِ اثْنَانِ

(١) المرمّل: الملطخ بالدم.

(٢) نهاية الأرب ٢٨١/٩.

(٣) الأعفر: ما يعلو بياضه حمرة. المسك (بفتح الميم واسكان السين): الجلد، وسمي بذلك لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظم. خيفان: نوع من الحشيش الجبلي يبلغ ارتفاعه أكثر من ذراع.

(٤) الحس: الصوت الخفي. الزجّان، ثنية زجّ وهو الحديد المدببة التي في أسفل الرمح.

الجراد^١ (١)

الجراد (بالفتح) معروف. الواحدة جرادة، الذكر والأنثى فيه سواء. يقال: هذا جرادة ذكر، وهذه جرادة أنثى. قال الجوهري (وليس الجراد بذكر للجرادة، وإنما سمي للجنس كالبقرة والبقرة، والتمر والتمر، والحمام والحمامة وما أشبه ذلك، فحقّ مذكّره أن لا يكون مؤنّثه من لفظه لثلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع). وكنية الجرادة أم عوف.

مراتب نشأته
الجراد أوّل ما يكون

(سِرْوَة)

وهي دودة - وأصلها الهمز - فإذا تحرّك فهو
(دَبَا)

الواحدة دبابة، وهو يخرج أصهب إلى البياض، وقيل: أوّل ما يخرج

(١) الحيوان للجاحظ ٥/٥٥١، والمخصّص ٢/٨/١٧٢، ونهاية الأرب ١٠/٢٩٢، والصحاح للجوهري، ولسان العرب (مادة ج رد) ومعجم لغوية أخرى.

(قَمَص)

الواحدة قَمَصَةٌ، وذلك حين يكون كالْعُثِّ صِغَرًا، فإذا نظرت إليه الشمسُ صار كالنمل سواداً فيسمَّى عند ذلك :
(الحُبْشَان)

الواحدة حُبْشِيَّةٌ، ثم تسليخ فتصير فيها طريقة سوداء، وطريقة صفراء فتسمَّى :

(بُرْقَانًا)

الواحدة بُرْقَانَةٌ، وتسمَّى أيضاً :
(المُسِيح)

ومعنى المسيح : المُخَطَّطُ بألوان شتَّى . وذلك حين يزحف ، ويسليخ
البُرْقَانُ :

(كُتْفَانًا)

وَأَمَّا سَمِّيَ بذلك لأنه خرجت أوائل أجنحته فَكَتَفَتُهُ، وقيل : لأنه يكتف المشي ، أي إذا مشى حرك كتفيه . الواحدة كُتْفَانَةٌ، وكَاتِفٌ، وكَاتِفَةٌ . فإذا ظهرت أجنحته فاستقلَّ فهو .

(الغَوَّاءُ)

الواحدة غَوَّاءَةٌ، وذلك حين يستقلَّ فيموج بعضه في بعض ولا يتوجَّه إلى جهة، ولذلك قيل لرعاع الناس : غوغاء . فإذا بدت في لونه الحمرة والصفرة، وبقي بعض الحمرة واختلف في ألوانه فهو،

(الخَيْفَان)

الواحدة خيفانة، وتلك أسرع الجراد طيراناً، ومن ثمَّ قيل للفرس: خيفانة وهي الفرس الخفيفة المتوثبة. فإذا اصفرَّت الذكور واسودَّت الإناث سقطت عنه تلك الأسماء وسمِّي جراداً.

إستطراد لغوي

- أرض مَجْرُودة، وجَرْدَة: أصابها الجراد. وجَرَدَها الجراد: لم يُبقَ فيها شيئاً.

- الجَرْدُ: أن يَشْرَى جِلْد الإنسان من أكل الجراد.

- رجل جَرِد: إذا مرض من أكل الجراد.

- جراد سَرَوْ: إذا امتلأ، وإذا ألقى بيضه قيل: سراً بيضه، وسرأت، وأسرات الجراد: أَلْقَتْ بيضها.

- أنقف الجراد بيضه: ألقاه.

- غرَّز الجراد: إذا أثبت أذنا به في الأرض لبيض.

- أمكنت الجراد جمعت البيض في جوفها، وهي مَكُون ما دام ذلك في جوفها.

- أخنى الجراد: كثر بيضه.

- السُّلْفَة: الجراد التي أَلْقَتْ بيضها.

- العِظال: ركوب الجراد بعضه على بعض، والجراد عند ذلك العِظالِي.

- وقد اعتَظَلَ الجراد وتعاضل.

- المرادفة ركوب الذكر والأنثى.

- إِرْتَهَس الجراد، وآرْتَهَس (في المهملة والمعجمة): ركب بعضه بعضاً

حتى لا يُرى معه تراب.

- سَامَ الجراد سَوْماً: دخل بعضه في بعض.
- هَمَشَ الجراد: تحرَّك ليثور.
- الأثْناء: عقدة في رأس الذنب كالمخليين، ويقال لهما: الأَشْرَتان، وبهما تَرَزُّ.
- المَشْشاران: المخلبان اللذان تحت الساقين.
- الظُّهران: الجناحان الغليظان من أجنحة الجراد الأربعة .
- القِشْران: الجناحان الرقيقان.
- الجَوْشَن: صدر الجراد وفيه ستُّ أيدٍ.
- البُصاق: لُعاب الجراد كما يقال للإنسان.
- الثَّوالة من الجراد: القطعة الكثيرة.
- الرَّجْل، والرَّجْلَة: الطائفة الكبيرة من الجراد، وقيل: إنها قطعة من جراد
بمكان قدر ميل، والجمع أَرْجال، وإذا كان أكثر من ذلك فهو زَحَف.
- السَّدُّ من الجراد: ما سدَّ الأفق.
- العُنْظُب، والعُنْظاب، والعُنْظُوب: الذكر من الجراد والجمع العُنْظُباء
- العُصْفُور: الذكر من الجراد.
- الجُنْدُب، والجُنْدَب، والجُنْدَب: الصغير من الجراد، وقيل الذكر
- العُنْظُوانة: الأنثى من الجراد.
- الحَرَشَف: صغار الجراد.
- المُعَيِّن: الذي يسلخ فيكون أبيض، أو أحمر.
- المَرَجَّل: الذي تُرى آثار أجنحته .
- القُمَّل: صغار الجراد، أو صغار الدُّبّا الذي لا أجنحة له.

ذكره في القرآن الكريم

قال الله تعالى في سورة الأعراف / ١٣٣ في معرض ما أصاب فرعون

وقومه من العذاب ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ .

وقال عز من قال في سورة القمر/٧ واصفاً حشر الناس يوم القيامة ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ .
ذكره في الأمثال:

(أَجْرَدَ من جراد) (١)

يضرب مثلاً للرجل المشؤوم الذي يقتلع الأصول بشؤمه، لأنّ الجراد إذا وقع في زرع جرده حتى لا يُبقي منه شيئاً .

(أَحْطَمَ من جراد) (٢)

وأصل الحطم: الكسر .

(أَسْرَى من الجراد) (٣)

قيل هو من السرى، أي سير الليل، وقيل من السّرو وهو بيض الجراد، ومن ثمّ قيل: أكثر بيضاً من الجراد .

(أَصْرَدَ من جراد) (٤)

الصرّد: البرد، وذلك لأن الجراد لا تُرى في الشتاء أبداً لقلة الصبر على البرد .

(١) جمهرة الأمثال ٣٣٥/١ .

(٢) المصدر السابق ٤٠٢/١ .

(٣) المصدر السابق ٥٣٥/١ .

(٤) مجمع الأمثال للميداني ٤١٣/١ .

(أطير من جرادة)^(١)

(أفسد من الجراد)^(٢)

لأنه يجرد الشجر والنبات، وبهذا سمي جراداً .

(أنزى من جراد)^(٣)

من النّزوان، وهو الوثوب .

(علقت معالقها وصرت الجندب)^(٤)

يضرب مثلاً للشيء يثبت ويتأكد أمره .

(كالجراد لا يبقى ولا بذر)^(٥)

(لا تكن كالجراد يأكل ما وجده)^(٦)

(أيرجى بالجراد صلاح أمرٍ وقد جبل الجراد على الفساد)^(٧)

مما قيل في وصف الجرادة نشرأ^(٨) :

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن وصف النملة :

(وإن شئت قلت في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها

(١) جمهرة الأمثال ١٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ١٠٤/٢ .

(٣) المصدر السابق ٣٢٣/٢ .

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١٥/٢ .

(٥) النمائل والمحاضرة ٣٧٤/٢ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق أيضاً .

(٨) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ٦٥/١٣ .

حدقتين قَمَراوين^(١)، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحسّ القوي، ونايين بهما تقرض، ومنجلين^(٢) بهما تقبض. يرهبها الزرع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبّها ولو أجلبوا بجمعهم حتى تردّ الحرث في نزواتها^(٣)، وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة .

فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفّر له خدّاً ووجهاً، ويلقي بالطاعة إليه سلماً وضعفاً، ويعطي له القياد رهبةً وخوفاً .
مما قيل فيها شعراً :

قال أبو زيد الطائي^(٤) :

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجَوَازُ^(٥)
وَاسْتَكَنَّ الْعُصْفُورُ كَرَّهَا مَعَ الضَّبِّ — وَأَوْفَى فِي عُدِّهِ الْحَرْبَاءُ
وَنَفَى الْجَنْدُبُ الْحَصَى بِكُرَاعَيْهِ — وَادَّكَتْ نِيرَانُهَا الْمَعْزَاءُ^(٦)
وقال آخر^(٧) :

جَرَادَةٌ حَنَّتِ الْقُلُوبَ لَهَا حِينَ أَشَارَتْ بِنَاطِرِي رَبِّرَبِّ
صَفْرَاءُ جِسْمٍ يَشُوبُهَا رَقْطٌ فِي نَقْطٍ مِنْ عَيْرِهَا الْأَشْهَبِ
كَأَنَّهَا وَالْجَنَاجُ حُلَّتْهَا رَاقِصَةٌ فِي مُمَسِّكِ مُذْهَبِ

(١) أسرج لها حدقتين، أي جعلهما مضيئتين كالسراج، ويقال: حدقة قمرء، أي منيرة .
(٢) المنجل (كمنب) آلة معروفة يحصد بها الزرع وأراد بالمنجلين رجلي الجرادة لاعوجاجهما وخشونتهما .

(٣) النزوات: الوثبات .

(٤) ديوانه ٢٤/، والحيوان للجاحظ ٢٣١/٥ .

(٥) الشرب (بالكسر) : النصيب من الماء . الصابح، من صَبَحَ الابل أي سقاها أول النهار .
الجوزاء: أحد بروج السماء .

(٦) الجندب: الذكر من الجراد كراعا الجندب: رجلاه . المعزاء (بالفتح) : الأرض الخزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٧) نهاية الارب للنويري ٢٩٥/١٠ .

وقال أبو هلال العسكري^(١) :

أَجْنَحَةٌ كَأَنَّهَا أَرْدِيَةٌ مِنْ قَصَبٍ
لَكِنَّهَا مَنْقُوطَةٌ مِثْلُ صُدُورِ الْكُتُبِ
وَأَرْجُلٌ كَأَنَّهَا مَنَاشِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ

وقال قيس بن الخطيم^(٢) :

فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ لَبِسْتُ مَعَ الْبُرْدَيْنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ
مُضَاعَفَةً يَغْشَى الْأَنَامِلَ فَضْلُهَا كَأَنَّ قَتِيرِيهَا عُيُونُ الْجَنَادِ^(٣)

وقال أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شيث بن ربعي^(٤) :

لَمَّا سَمِعْتُ الدِّيكَ صَاخَ بِسُحْرَةٍ وَتَوَسَّطَ النَّسْرَانِ بَطْنَ الْعَقْرِ
وَبَدَا سُهَيْلٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ وَعَارِضُهُ هِجَانُ الرَّبْرِ^(٥)
نَبَّهْتُ نَذْمَانِي وَقُلْتُ لَهُ اصْطَبِخْ يَا ابْنَ الْكِرَامِ مِنَ الشَّرَابِ الطَّيِّبِ
صَفْرَاءَ تَبْدُو فِي الرَّجَاجِ كَأَنَّهَا حَذَقُ الْجَرَادَةِ أَوْ لُعَابُ الْجُنْدِ

وقال أعرابيٌّ أَكَلَ الْجَرَادُ زَرْعَهُ^(٦) :

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ إِلْزِمْ طَرِيقَكَ لَا تُوَلِّعْ بَافْسَادِ
فَقَالَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ
إِنَّا جُنُودٌ لِرَبِّ الْعَرْشِ مُرْسَلَةٌ مِمَّا حَصِيدٌ وَمِمَّا غَيْرُ حَصَادِ

(١) ديوان المعاني ١٥١/٢ .

(٢) ديوانه ٣٢/ .

(٣) المضاعفة: درع تنسج حلقتين حلقتين. فضلها: زيادتها. القتير: رؤوس المسامير في الدرع .

(٤) الأغاني ٢٩٢/٢٠ . والحيوان للجاحظ ٥٦٩/٥ .

(٥) الهجان: البيض. الربرب: القطيع من بقر الوحش .

(٦) التمثيل والمحاضرة/٣٧٤ .

وقال أبو هلال العسكري^(١) :

وأُغْرَابِيَّةٌ تَرْتَادُ زَادًا فَتَمَرُّقُ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
غَدَّتْ تَمْشِي بِمِنْشَارٍ كَلِيلٍ تَبُوعٌ بِهِ قَرَارَةٌ كُلِّ وَادٍ^(٢)
وَتَنْشُرُ فِي الْهَوَاءِ رِدَاءَ شَرْبٍ عَلَى أَرْجَائِهِ نُقْطُ الْمِدَادِ
وَتَلْبَسُ تَحْتَ ذَاكَ عِطَافٌ لَازٍ عَلَى أَكْنَافِهِ رَدْعُ الْجِسَادِ^(٣)

وقال عمرو بن معد يكرب^(٤) :

تَمَنُّانِي لِيَلْقَانِي أَبِي وَدِدْتُ وَأَيْنَ مَا مِنِّي وَدَادِي^(٥)
تَمَنُّانِي وَسَابِغَتِي دِلَاصٌ خَرُوسُ الْجِسِّ مُحْكَمَةُ السَّرَادِ^(٦)
مُضَاعَفَةٌ تَخَيَّرَهَا سُلَيْمٌ كَأَنَّ سِكَائَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ^(٧)

وقال المثلِّمُ (جرير بن عبد العزَّى) وقيل : ابن عبد المسيح^(٨) :

كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا وَحَثَّ بِهِمْ وَرَاءَ الْبَيْدِ حَادِي^(٩)
عُقَارًا عُتِقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ

(١) ديوان المعاني ١٥١/٢ .

(٢) تبوع، من باعت الشيء: امتدَّت فيه. وأدركت غايته.

(٣) العطاف (بالكسر): الرداء اللأذ: ضرب من الحرير صيني، واحده لاذة، الردع: أثر الطيب.
الجساد (بالكسر): الزعفران .

(٤) الحيوان للجاحظ ٥٦٠/٥ .

(٥) يريد (وددت وأين مني ما أودُّه) .

(٦) السابغة: الدرع الفضفاضة. الدلاص: الملساء اللينة .

(٧) يريد بقوله سليم: أبا سليمان، وهو نبيُّ الله داود عليه السلام الذي تنسب إليه الدروع الداوية،
فاضطَّره وزن الشعر الى هذا التغيير، وهو شائع عند شعراء العرب الأوائل كقول النابغة الذبياني :

وَكُلَّ صَمَوْتٍ نَشَلَةٌ تُبْعِيَّةٍ وَنَسَجَ سُلَيْمٌ كُلَّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ

(٨) الحيوان للجاحظ ٥٦١/٥ .

(٩) استبدُّوا: انفردوا بالسفر دوني، ولعلَّ الأصل (استقلُّوا) أي ذهبوا وارتحلوا .

وقال بشر بن أبي حازم^(١) مشبهاً فرسه بالجرادة :

بُكِّلَ قِيَادِ مُسْنِفَةٍ عُنُودٍ أَضَرَّ بِهَا الْمَسَالِحُ وَالْعِوَارُ^(٢)
مُهَارِشَةَ الْعِنَانِ كَأَنَّ فِيهَا جَرَادَةً هَبْوَةً فِيهَا أَصْفِرَارُ^(٣)
وقال السري الرفاء^(٤) :

وَجُنْدُبَةٍ تَمْشِي بِسَاقٍ كَأَنَّهُ عَلَى فَيْخٍ كَالْعُودِ مِنْشَارُ عَرَعَرٍ^(٥)
مُكْتَبَةٌ تَجْلُو الْجَنَاحَ كَأَنَّهَا عُرُوسٌ تَجَلَّتْ فِي عِطَافٍ مُعْتَبِرٍ^(٦)
وقال يعلى بن إبراهيم الأندلسي^(*) :

وَحَيْفَانَةٍ صَفْرَاءَ مَسْوَدَّةِ الْقَرَا أَتَتْكَ بَلَوْنِ أَسْوَدٍ فَوْقَ أَصْفَرٍ^(٧)
وَأَجْنِحَةٍ قَدْ أَلْحَفْتُهَا كِرْدِيَّةٍ تَقَاصَّرُ عَنْ أَثْنَاءِ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ^(٨)
وقال جمال الإسلام عمر بن الحسن بن أحمد الباسيسي من أهل

-
- (١) الحيوان للجاحظ ٥/٥٥٩ ، والمفضليات/٣٤٣ .
(٢) المسنفه (بكسر النون) : المتقدمة ، ويفتحها : التي شُدَّ عليها السناف وهو لبيب يُشَدُّ من وراء السرج الى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . العنود : التي تعاند الطريق من مرحها ونشاطها .
المسالح : المراقب والثغور . العوار (بالكسر) مصدر عاور ، والمعاورة : المداولة ، ويريد معاورة الضرب والطعن . وفي رواية (الغوار) بالغين المعجمة وهو مصدر (غاور) كالمغاورة .
(٣) المهارشة : المقاتلة ، أي تجاذب العنان من شدة المرح . الهبوة : الغبار ، وخصَّ جرادة الهبوة لأنها أشدَّ طيراناً .
(٤) ديوانه ٢/٢٩٥ .
(٥) الجندبة : الجرادة . العرعر : شجر السرو .
(٦) المكتبة : المحزومة ، وفي نهاية الأرب للنويري ١٥٤/١٠ (ممسكة) مكان (مكتبة) أي المطيية بالمسك وليس بشيء . العطاف (بالكسر) : الرداء .
(*) نهاية الأرب ١٠/٢٩٥ .
(٧) الخيفانة : الجرادة . القرا : الظهر .
(٨) ألحفتها : ألبيتها اللحاف . الردية (بكسر الراء) اسم من الارتداء .

الغراف^(١) ملغزاً في الجراد :

وطائرة من الشجر تُرى في البدو والحضر
لها ذكر وتفضله وليس البنت كالذكر
إذا ما رجلها انقطعت أتت رجل على الأثر^(٢)
وإن وردت الى بلد فما لئورد من صدر^(٣)

وقال الأفوه^(٤) :

بمناقب بيض كأن وجوههم زهر فليل ترجل الشمس^(٥)
دبوا كمنتشير الجراد هوت بالبطن في درع وفي ترس^(٦)

وقال أبو الهندي غالب بن عبد القدوس^(٧) :

فإن هذا الوطب لي ضائر في ظاهر الأمر وفي الغامض^(٨)
إن كنت تسقينني فمن قهوة صفراء مثل المهرة الناهض
تنزو الفقايغ إذا شعشت نزو جراد البلد الرامض^(٩)

وقال آخر مشبهاً الفرس بالجرادة^(١٠) :

فاذا أتيت أباك فاشتر مثلها إن الرداف عن الأحبة يشغل

(١) خريدة القصر - شعراء العراق - القسم الثاني من الجزء الرابع/ ٥٩٥ .

(٢) الرجل (بكسر الراء) : الطائفة العظيمة من الجراد .

(٣) الصدر (بالتحريك) : الاسم من صدر، أي رجع .

(٤) الحيوان للجاحظ ٥/ ٥٦٩ .

(٥) المناقب : الأفعال الكريمة . ترجلت الشمس : ارتفعت .

(٦) البطن : بطن الوادي .

(٧) الحيوان للجاحظ ٥/ ٥٦٩ .

(٨) الوطب : سقاء اللبن .

(٩) شعشت الخمرة : مزجت بالماء . الرامض : الشديد الحر .

(١٠) الحيوان للجاحظ ٥/ ٥٥٩ .

فَإِذَا رَفَعْتَ عِنَانَهَا فَجَرَادَةٌ وَإِذَا وَضَعْتَ عِنَانَهَا لَا تَفْشَلُ
وقال القاضي محبي الدين الشهرزوري (١) معدداً ما في الجراد من شبه
بالحيوانات الأخرى:

لَهَا فَخْذَا بَكْرٌ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَقَادِمَتَا نَسْرٍ وَجُؤُجُؤُ ضَيْغَمٍ
حَبَبَتُهَا أَفَاعِي الْأَرْضِ بَطْنًا وَأُنْعَمَتْ عَلَيْهَا جِيَادُ الْخَيْلِ بِالرَّأْسِ وَالْقَمِ
كانت في أبي العطاء السندي (اسمه أفلح بن يسار) الشاعر المعروف
لكنة أعجمية شديدة، ولثغة شنيعة، فنظم له حماد الرواية أسالة تكثر فيها
الحروف التي لا يحسن التلفظ بها ليجيب عنها فيضحك منه. ومع أن الذي
يهمنا منها بيت واحد عن الجراد فلا بأس من ايرادها جميعاً لطرافتها، قال
حماد (٢):

أَبِنْ لِي إِنْ سُئِلْتَ أَبَا عَطَاءٍ يَقِينًا كَيْفَ عِلْمُكَ بِالْمَعَانِي
فقال أبو عطاء:

خَبِيرٌ عَالِمٌ فَاسْأَلْ تَجِدْنِي بِهَا طَبًّا، وَآيَاتِ الْمَثَانِي
قال حماد:

فَمَا اسْمُ حَدِيدَةٍ فِي رَأْسِ رُمَحٍ دُوَيْنَ الْكَعْبِ لَيْسَتْ بِالسِّنَانِ
فقال أبو عطاء:

هُوَ الزُّرُّ الَّذِي إِنْ بَاتَ ضَيْفًا لِيَصْدِرَكَ لَمْ تَزَلْ لَكَ عَوَلَتَانِ (٣)

(١) حياة الحيوان ١/ ١٨٨ .

(٢) الأغاني لأبي الفرج ٢٤٩/ ١٧

(٣) يريد بالزُّرُّ: الزُّجُّ.

قال حمّاد:

فَمَا صَفْرَاءُ تُدْعَى أُمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ رُجَيْلَتَيْهَا مِنْجَلَانِ
فَأَجَابَ أَبُو عَطَاءٍ :

أَرَدْتَ زَرَادَةً وَأَزُنُّ زَنّاً بِأَنَّكَ مَا أَرَدْتَ سِوَى لِسَانِي^(١)

وقال عوف بن ذروة يصف الجراد^(٢) :

قَدْ خِيفْتُ أَنْ يَحْدُرَنَا لِلْمُصْرَيْنِ وَنَتْرُكَ الدِّينَ عَلَيْنَا وَالدِّينَ^(٣)
زَحْفٌ مِنَ الْخَيْفَانِ بَعْدَ الرَّحْفَيْنِ مِنْ كُلِّ سَفْعَاءِ الْقَفَا وَالْخَدَيْنِ^(٤)
مَلْعُونَةٍ تَسْلُخُ لَوْنًا عَنْ لَوْنٍ كَأَنَّهَا مُلْتَفَّةٌ فِي بُرْدَيْنِ
تُنْحِي عَلَى الشُّمْرَاخِ مِثْلَ الْفَاسَيْنِ أَوْ مِثْلَ مِنْشَارِ حَدِيدِ الْحَرْفَيْنِ^(٥)
أَنْصَبَهُ مُنْصَبُهُ فِي قِحْفَيْنِ

(١) يريد (أردت جرادة وأظنُّ ظناً) .

(٢) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري/٤٨ .

(٣) أراد بقوله (الدين والدين) : الديون الكثيرة .

(٤) الخيفان: الجراد. السفعاء من السُّفْعَة، وهي من اللُّون: سواد أشرب حمرة .

(٥) الشُّمْرَاخ، أحد شُماريخ العذق، وهو ما عليه البسر أو العنب من عيدان الكباشَة، ولعل الشاعر توسّع فجعل السنبلة شُمراخاً أيضاً .

الحُبَارَى^(١)

الحُبَارَى (بالضم) طائر بَرِّي أكبر من الدجاجة، طويل العنق رمادي اللون على شكل الإوزة، وفي منقاره طول .

يقع الاسم على الذكر والأنثى، والواحد والجمع. قال الجوهري في الصحاح (وإن شئت قلت في الجمع : حباريات، وألفه ليست للتأنيث، ولا للإلحاق، وإنما بُني الاسم لها فصارت كأنها من نفس الكلمة، لا تنصرف في معرفة ولا نكرة، أي لا تنون) .

وقال الفيروز آبادي في القاموس (وألفه للتأنيث، وغلط الجوهري، إذ لو لم تكن للتأنيث لانصرفت. جمعها حباريات) .

وعقّب الزبيدي في تاج العروس بقوله (هذا غريب - يعني قول الجوهري - قال شيخنا: ودعواه أنها صارت [الألف] كأنها من الكلمة من غرائب التعبير، والجواب عنه عسير) .

(١) الصحاح للجوهري، والقاموس، ولسان العرب، وتاج العروس، ومعجم أخرى (مادتي (ح ب ر) و (خ ر ب) و حياة الحيوان ٢٢٥/١ و ٢٩٠ .

وقال ابن منظور في لسان العرب (تجمع الحبارى على حباريات، وقيل تجمع على حباير أيضاً) .

ومن أسماء الحبارى:

- الخَرْب (بفتح الخاء والراء) وهو ذكر الحبارى، والجمع أخراب وخِراب وخِربان .

- الحَبَارِج، والجَبْرِج، واليَحْبُور: من أسماء الذكر أيضاً .
ويسمى فرخ الحُبارى :

الحارِض، والحَبْرَبَر، والحَبْرَبُور، والحَبْرُور، والحَبْرِير، والنَّهار، واليَحْبُور .

مما ورد في الأمثال

- (أذَرَقُ من حبارى)، و (أَسْلَحَ من حبارى)^(١) .
لأنَّها ترمي الصقر بسلاحها إذا أراغها ليصيدها فتلوث ريشه بلثق سلاحها .

- (أطيَر من حبارى)^(٢)

قال الجاحظ: والحبارى من أشدَّ الطير طيراناً، وأبعدها مسقطاً، وأطولها شوطاً، وأقلها عُرجة^(٣) وذلك أنَّها تصطاد بظهر البصرة عندنا فيُشَقُّ عن حواصلها فيوجد فيها الحبة الخضراء غضة لم تتغيَّر ولم تفسد . وأشجار الحبة الخضراء بعيدة المنابت منَّا وهي علوية أو ثغرية أو جبلية .

(١) لسان العرب مادة (ح ب ر) .

(٢) ثمار القلوب/ ٤٨٤، والحيوان للجاحظ ٤٥٢/٥ .

(٣) العرجة (بالضم والفتح) : أن تعرَّج على المنزل

- أكمَد من حبارى) ، وفلان ميّت كمد الحبارى (١) .
لأنّها تُلقِي في التحسير عشرين ريشة دفعة واحدة فتقعد عن الطيران ثم
تبطيء ، فإذا رأت الطير تطير كَمَدَتْ ، وربّما ماتت كمدّاً .

- (أمّوق (٢) من الحبارى) (٣)

ذلك أنّ الحبارى تأخذ فرخها قبل نبات جناحه فتطير معارضة له ليتعلم
منها الطيران . فتعرّضه لخطر السقوط .

- (إنّ الحبارى لتموت هزلاً بذنب بني آدم) (٤)

جاء ذلك في حديث أنس ، ويعني أنّ الله يحبس عنها المطر بشؤم
ذنوبهم ، وإنّما خصّها بالذكر لأنّها أبعد الطير نجعة .

- (سلاح الحبارى) (٥)

يضرب مثلاً للضعيف يستعين بالآلة اللّثيمة على مقاومة من أقوى منه ،
وذلك أن الحبارى سلاّمها سلاّحها ، فإذا أراد الصقر أن يصيدها ترميه بذرقها
فيدبق جناحه . ويعطّل طيرانه حتى تجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقة
طاقة فيموت .

- (كلّ شيء يحبُّ ولده حتّى الحبارى ويدفُّ عنده) (٦) .

مثل سائر عند العرب ، وورد في حديث لعثمان رضي الله عنه . ومعنى

(١) ثمار القلوب/ ٤٨٤ وجمهرة الأمثال ١٧٦/٢ ، ولسان العرب .

(٢) الموق (بالضم) : الحقيق في غباوة .

(٣) لسان العرب .

(٤) النهاية لابن الأثير ٣٣٨/١ ولسان العرب .

(٥) ثمار القلوب / ٤٨٣

(٦) النهاية لابن الأثير ٣٢٨/١ ، ولسان العرب .

قولهم: يذفّ عنده، أي تعارضه بالطيران ولا طيران له لضعف خوافيه وقوادمه .
وقال ابن الأثير: خص الحبارى، بالذكر في قوله: حتى الحبارى، لأنها يضرب
بها المثل في الحمق، فهي على حمقها تحب ولذاها فتطعمه وتعلّمه الطيران
كغيرها من الحيوان .

- (وعيد الحبارى) (١)

يضرب مثلاً للضعيف يتوعّد القويّ . ومن أمثال العرب تقول: وعيد
الحبارى الصقر، قال الشاعر:

أقلّ عناءً عنك إيعاد بارقٍ وعيدُ الحُبارى الصَّقْرُ من شدّة الرُّعبِ
مما ورد في الشعر

قال الراعي النميري (عبيد بن حصين) (٢):
حَلَفْتُ لَهُمْ لَا تَحْسُبُونَ شَيْئِمَتِي بَعَيْتِي حُبَارَى فِي حَبَالَةِ مُعْزِبٍ (٣)
رَأَتْ رَجُلًا يَسْعَى إِلَيْهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ بِمَاقِي عَيْنِهَا الْمُتَقَلِّبِ

وقال المتنبي (٤):

فَلَا تَنْلِكَ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسْرَنَ النَّبْعِ بِالْغَرْبِ (٥)
وَلَا يُعَنَّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ فَانْهَنِّ يَصِدُنَ الصَّقْرُ بِالْخَرْبِ (٦)

(١) ثمار القلوب / ٤٨٣ .

(٢) ديوانه / ٢٥ .

(٣) المعزب: البعيد عن أهله ويريد الصائد .

(٤) ديوانه (شرح اليازجي / ٤٦٥ .

(٥) النبع: شجر صلب. الغرب: شجر ضعيف .

(٦) الغرب (بفتحتين): ذكر الحبارى .

وقال أبو نواس (١) :

يا رَبِّ غَيْثِ آمِنِ السُّرُوبِ حُبَارِيَاتِ جَلَّهَتِي مَلْحُوبِ (٢)
فَالْقَطَبِيَّاتِ إِلَى الذَّنُوبِ يَرْفُلْنَ فِي بَرَانِسِ قُشُوبِ (٣)
مَنْ جَبَرَ عُولِينَ بِالْتَهْذِيبِ فَهِنَّ أَمْثَالُ النَّصَارَى الشَّيْبِ (٤)
فِي يَوْمٍ عِيدٍ مُبَرَّرِ الصَّلِيبِ دَعَرْتُهَا بِمُلْهَبِ الشُّؤُوبِ (٥)

وقال قيس بن زهير (٦) صاحب داحس:

مَتَى تَتَحَزَّمُ بِالْمَنَاطِقِ ظَالِمًا لَتَجْرِي إِلَى شَأٍ بَعِيدٍ وَتَسْبَحَ (٧)
تَكُنْ كَالْحُبَارَى إِنْ أَصِيبَتْ فَمِثْلُهَا أَصِيبَ وَإِنْ تَقَلَّتْ مِنَ الصَّقْرِ تَسْلَحَ

جمع هارون الرشيد بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا بين يديه، فسأل اليزيدي الكسائي عن إعراب قول الشاعر (٨).

مَا رَأَيْنَا خَرَبًا نَقْدَ رَ عَنهُ الْبَيْضَ صَقْرُ (٩)
لَا يَكُونُ الْعَيْرُ مُهْرًا لَا يَكُونُ الْمَهْرُ مُهْرُ (١٠)

(١) ديوانه / ٦٦٦.

(٢) يريد بالغيث: العشب على سبيل المجاز لأن الغيث ينتبه.

السروب جمع سرب: الجماعة من الطير وغيرها. الحباريات جمع حبارى. الجلهة: ناحية الوادي. ملحوب: واد لبني أسد.

(٣) القَطَبِيَّاتِ، والذَّنُوبِ: من ديار بني أسد. قشوب: بيضاء نقيّة.

(٤) الحبر جمع حبرة: ضرب من برود اليمن.

(٥) يريد بملهب الشؤبوب: الصقر.

(٦) الحيوان ٤٤٨/٥.

(٧) تسبح: تجري بسرعة.

(٨) وفیات الأعيان ٢٣٤/٥، وحياة الحيوان ٢٩٠/١.

(٩) الخرب: ذكر الحبارى.

(١٠) العير: الذكر من حمر الوحش.

فقال الكسائي : يجب أن يكون (مهر) منصوباً على أنه خبر كان . ففي البيت على هذا التقدير إقواء ، فقال اليزيدي : الشعر صواب ، لأن الكلام قد تم عند قوله (لا يكون) الثانية وهي مؤكدة للأولى ، ثم استأنف الكلام فقال (المهرُ مهرٌ) وضرب بقنلسوته الأرض وقال : أنا أبو محمد ، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟ والله إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك ، فقال اليزيدي : إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ .

وقال ابن أبي فنن (احمد بن صالح) يصف ناساً من الكتاب في قصيدة له ذكر فيها خيانتهم فقال (١) :

رَأَوْا مَالَ الْإِمَامِ لَهُمْ حَلَالًا وَقَالُوا الدِّينُ دِينُ بَنِي صَهَارَى
وَلَوْ كَانُوا يُحَاسِبُهُمْ أَمِينٌ لَقَدْ سَلَحُوا كَمَا سَلَحَ الْحُبَارَى
وقال ديك الجن (أبو محمد عبد السلام بن رغبان) (٢) :

وَسِرْبُ حُبَارِيَّاتٍ فَوْقَ طَرْدٍ أَشْبَهَهَا بِمَشْيَخَةٍ جُلُوسٍ

وقال متمم بن نويرة من قصيدة يرثي بها أخاه مالكا (٣) :

وَلِلشَّرْبِ فَابِكِي مَالِكًا وَلِبُهِمَةِ شَدِيدٍ نَوَاجِيهِ عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا (٤)
وَضَيْفٍ إِذَا أَرغَى طُرُوقًا بَعِيرُهُ وَعَانِ ثَوَى فِي الْقِدِّ حَتَّى تَكْنَعَا (٥)
وَأَرْمَلَةٍ تَمْشِي بِأَشْعَثِ مُحْتَلٍ كَفَرَّخِ الْحُبَارَى رَأْسُهُ قَدْ تَضَوَّعَا (٦)

(١) الحيوان للجاحظ ٤٤٩/٥ .

(٢) ديوانه ١٧٤/ .

(٣) المفضليات ٢٦٦/ .

(٤) البهمة : الشجاع .

(٥) أرغى بعيره : حمله على الرغاء لتجبيه الابل برغائها ، أو تنبج لرغائه الكلاب فيقصد الحي .
تكنع : تقبض ، يعني حتى ييس القد - وهو سير من الجلد - على جسمه .

(٦) المحتل : الذي أسيء غذاؤه . تضوَّع : تفرَّق ، والمراد شعر رأسه .

وقال زهير بن أبي سلمى من قصيدة (١):
 تَرَاحَى بِهِ حُبُّ الضُّحَاءِ وَقَدْ رَأَى سَمَاوَةَ قَشْرَاءِ الْوُظَيْفِينَ عَوْهَقِ (٢)
 تَحَنُّ إِلَى مِثْلِ الْحَبَابِيرِ جُثْمٍ لَدَى سَكَنِ مِنْ قَيْضِهَا الْمُتَفَلَّقِ (٣)

وقال أبو الأسود الدؤلي (٤):
 وَزَيْدٌ مَائْتُ كَمَدِ الْحُبَارَى إِذَا ظَعَنْتَ لَطِيفَةً أَوْ مُلِمٌ
 تَبَيَّنَتْهُ فَقَالَ وَأَنْتِ أُمِّي فَأَنْى بَعْدَهَا لَكَ زَيْدٌ أَمْ
 تَرُمُ مَتَاعَهُ وَتَزِيدُ فِيهِ وَصَاحِبُهَا لَمَّا يَحْوِي مِضْمٌ
 سَتَلْقَى بَعْدَهَا شَرًّا وَضَرًّا وَتُقْصَى إِنْ قَرُبْتَ فَلَا تُضْمُ
 وَتَلْقَاكَ الْمَلَامَةُ كُلَّ وَجْهِ سَلَكْتَ وَيَتَّحِي حَالِيكَ دَمٌ

وقال أوس بن غلفاء الهجيمي (٥) من قصيدة يرد بها على يزيد بن عمرو بن خويلد ما هجا به قومه:

وَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ كَمُزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ (٦)
 هُمْ مَنُوا عَلَيْكَ فَلَمْ تُثْبِتْهُمْ فَيَلًا غَيْرَ شَتْمٍ أَوْ خِصَامٍ
 وَهُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى
 رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ

(١) ديوانه / ٢٤٩.

(٢) تراخى: تطاول، وتباعد. الضحاء للابل: مثل الغداء للناس. سماوة الشيء: أعلى شخصه.

قشراء: نعامة منقشرة الساق لا ريش عليها. الوظيف: عظم الساق. عوهق: طويلة العنق.

(٣) تحن، أي النعامة. الحبابير جمع حبارى، وقد شبه فراخ النعامة بها. القيض: قشرة البيض.

(٤) ديوانه ٨١/ والأغاني ٣٣٥/١٢ وفيهما أن لأبي الأسود مولاة اسمها لطيفة، وكان لها عبد تاجر

يقال له مُلِمٌ، فابتاعت له أمة وأنكحته إياها فجاءت بغلام فسَمَّته زيدا، وكانت تؤثره على كل

أحد، وتجد فيه وجد الأم بولدها، وجعلته على ضيعتها، فقال فيه أبو الأسود هذه الأبيات عندما

مرضت لطيفة.

(٥) المفضليات / ٣٨٨.

(٦) العزام (هنا): الشر الدائم.

الحَجَلُ (١)

الحَجَلَة (بالتحريك) واحدة الحجل : طائر بريٌّ على قدر الحمام .
جمعها حِجْلان ، وحِجَلَى ، ولم يجىء الجمع على وزن فِعلى (بكسر الفاء) إلا
(حِجَلَى وظُرْبَى) .

والحجل صنفان : نجدي وتهامي . فالنجديُّ أخضر أحمر الرجلين ،
والتهاميُّ فيه بياض وخضرة . ومن أسمائه :

- (القبج) فارسي معرَّب (كيج أو كبك) لأنَّ القاف والجيم لا يجتمعان
في كلمة واحدة من كلام العرب . وقد شاع استعماله بحيث أنَّ بعض الأئمة نقله
كأنَّه عربي ، واستعمله القدماء في أشعارهم . والقبجة تقع على الذكر والأنثى
حتى تقول :

- (يعقوب) فيختص بالذكر ، لأنَّ الهاء إنَّما دخلته على أنه للواحد من

(١) الصحاح للجوهري ، والمعرَّب للجواليقي ، ولسان العرب ، وتاج العروس ، وأقرب الموارد في
حدود المواد التي مرَّ ذكرها . المصايد والمطارِد / ٢٦٨ . نهاية الأرب للنويري ٢٣٣/١٠ . حياة
الحيوان ٢٢٧/١ و ٢٣٩/٢ . صبح الأعشى ٧٤/٢ .

الجنس، واليعقوب: ذكر القبيح مصروف لأنه عربيٌّ صحيح، أما اسم يعقوب نبيَّ الله فهو أعجميٌّ لا ينصرف. وقال الأزهري: الحجل إناث اليعاقب، واليعاقب ذكورها، وخالفه ابن منظور فقال: الحجل الذكور من القبيح. انتهى. ويقال لفرخ الحجل:

﴿السَّلَك﴾ بضمَّ ففتح، والأنثى السَّلَكَة، ويقال أيضاً - (السُّلَف) والسُّلْفَة، والجمع سلكان وسلفان.

مما ورد في الحديث الشريف

(اللَّهُمَّ إِنَّ أَدْعُو قَرِيشاً وَقَدْ جَعَلُوا طَعَامِي كَطَعَامِ الْحَجَلِ). يريد أن الحجل يأكل الحَبَّة بعد الحَبَّة لا يجدُّ في الأكل. وقال الأزهري: أراد أنَّهم غير جادِّين في إجابتي ولا يدخل منهم في دين الله إِلَّا النادر القليل (١).
(حاذوا المناكب في الصلاة فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَخَلَّلُ الصَّفُوفَ كَمَا يَتَخَلَّلُ الْحَجَلُ) (٢).

مما ورد في القصص

- زعموا أنَّ غراباً رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلَّمها، فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامها وأيس منها، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها، فإذا هو قد اختلط مشيه وتخلَّع فيه وصار أقبح (الطير مشياً (٣) ومن هذه القصة أخذ الشاعر قوله (٤):

(١) النهاية لابن الأثير ٣٤٦/١.

(٢) حياة الحيوان ٢٢٨/١.

(٣) كلیلة ودمنة/٣٨٧.

(٤) ثمار القلوب / ٤٨٩.

وكم عَقَعَيَّ قَد رَامَ مِشْيَةَ قَبَجَةٍ فَأَنَسِيَ مَمْشَاهُ وَلَمْ يَمْشِ كَالْحَجَلِ

- قال الأزهري: سمعت بعض العرب يقول:

قالت القطا للحجل: حجل حجل، تفرُّ في الجبل، من خشية الوجَل،
فقالت الحجل للقطا: قطاقتا، بيضك ثنتا، وبيضي مائتا (١)

مما ورد في الشعر

قال ابن طَبَّاطْبا في وصف قبيج في مجلس (٢):
وَمُسَجِّنٌ يَهْوَى الْقِتَالَ مُنْعٍ عَنْ قِرْنِهِ ذِي صَرْخَةٍ وَدُعَاءِ
بَادِي التَّمْلُمْلِ خَلْفَ حَائِطِ سَجْنِهِ حُبُّ الْبِرَازِ مُجِيبُ كُلِّ نِدَاءِ
فِي مَجْلَسٍ ضَيْكُ يَوْذُ لَوْ أَنَّهُ لَأَقَى مُبَارِزَهُ بِجَنْبِ فُضَاءِ
فَقَدْ السَّلَاحُ فَجَالَ أَغْزَلَ جَوْلَةً وَمَضَى إِلَى الْهَيْجَاءِ ذَا خُيَلَاءِ
فِي حُلَّةٍ دَكْنَاءٍ قَدْ رُفِعَتْ لَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ بِيَمْنَةِ السَّيْرَاءِ (٣)
مُتَشَمِّرًا مُتَبَخِّرًا مُتَكَبِّرًا مُتَطَوِّقًا بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءِ

وقال آخر متمثلاً بشدة عدو اليعقوب (٤):

أَوْدَى الشَّبَابُ حَمِيداً ذُو التَّعَاجِيبِ
أَوْدَى وَذَلِكَ شَأْوَ غَيْرِ مَطْلُوبِ
وَلَى حَثِيئاً وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِبِ

(١) لسان العرب ١٤٣/١١ مادة (حجل).

(٢) محاضرات الأدباء ٦٧٥/٢ وقد مرَّ أن القبيج هو الحجل.

(٣) السيرة: نوع من البرود فيه خطوط.

(٤) حياة الحيوان ٤٠٩/٢، وقد مرَّ أن اليعقوب ذكر القبيج أي الحجل.

وقال أبو إسحاق الصابي في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج البغاء (١)

أَنْعَتْ طَارُونِيَّةَ الثِّيَابِ	لَابَسَةً خَزّاً عَلَى الْإِهَابِ (٢)
تَصَبَّغَتْ تَصْبُغَ التَّصَابِي	وَأَبْرَزَتْ وَجْهًا بِلا نِقَابِ
رِيَّانَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّبَابِ	مَكْحُولَةَ الْعَيْنَيْنِ كَالْكَعَابِ
مَغْمُوسَةً الْحَاجِبِ بِالْخِضَابِ	مِنْقَارُهَا أَحْمَرُ كَالْعُنَابِ
كَأَنَّمَا تُسْقَى دَمَ الرَّقَابِ	مَحْدُورَةً مَحْمِيَّةَ الْجَنَابِ
لَهَا عَلَى الْأَرْجُلِ وَالْأَعْقَابِ	حَمَلَاتُ لَيْثٍ مِنْ لُيُوثِ الْغَابِ
أَقْفَاصُهَا كَمُخْبَسِ الْحُجَابِ	مُدَوَّرَاتُ الشَّكْلِ كَالْقِيَابِ
تُسْمِعُنَا مِنْهَا وَرَاءَ الْبَابِ	تَمْتَمَةُ بِالْقَافِ فِي الْخِطَابِ
كَأَنَّمَا تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ	مَكْرُورَةً زَادَتْ عَلَى الْحِسَابِ
قَهْقَهَةَ الْأَبْرِيقِ بِالشُّرَابِ	مَلَانٌ مُنْكَبًّا عَلَى الْأَكْوَابِ
أَهْلًا بِصَيَادٍ لَهَا جَلَابِ	جَاءَ بِهَا كَرِيمَةَ النَّصَابِ
رَبِيبَةَ الْجِبَالِ وَالْهَضَابِ	كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ وَالْأَنْسَابِ
لَمْ تَذِرْ مَا بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ	غَرِيبَةً صَارَتْ مِنَ الْأَحْبَابِ
دُونِكَ يَازَا الْمَفْخَرِ اللَّبَابِ	أَرْجُوزَةً مِنْ صَنْعَةِ الْكِتَابِ
بَاكُورَةً مِنْ ثَمَرِ الْأَلْبَابِ	وَتُحَفَّةً مِنْ تُحَفِ الْآدَابِ
هَدِيَّةَ الْأَتْرَابِ لِلْأَتْرَابِ	قُلْ مَا تَرَى فِيهَا وَلَا تُحَابِي
هَلْ خَلَصَتْ مِنْ هُجْنَةٍ وَعَابِ	وَسَلِمَتْ مِنْ عَيْبَةِ الْعِيَابِ
أَمْ خِلَتْهَا أَشْبَهُ بِالصُّوَابِ	فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ مِنْ جَوَابِ

وقال آخر مشبهاً مشية محبوبه بمشية القبج (٣):

لِقَاؤُكَ يَحْكِي قَضَاءَ الْحَوَائِجِ وَوَجْهُكَ لِلْغَمِّ وَالْهَمِّ فَارِجُ

(١) يتمة الدهر ٢/ ٢٦٧.

(٢) الطارونية نسبة إلى الطاروني وهو ضرب من الخز. الإهاب: الجلد.

(٣) ثمار القلوب / ٤٩٠.

وَفَيْكَ لَنَا فِتْنٌ أَرْبَعٌ تَسْلُ عَلَيْنَا سُيُوفَ الْخَوَارِجِ
لِحَاظِ الظُّبَاءِ وَمَشْيِ الْقَبَاجِ وَطُوقِ الْحَمَامِ وَزِيِّ التَّدَارِجِ^(١)

وقال أبو عليّ البصير في وصفه (٢) :

وَلَا يَسَةِ ثَوْباً مِنْ الْخَزِّ أَدَكْنَا وَمِنْ أَخْضَرِ الدِّيَابِجِ رَاناً وَمِعْجَراً^(٣)
مُقْلَدَةً فِي النَّحْرِ سُبْحَةً غَنَبِرٍ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَلْتَمِسْ أَنْ تُعْطَرَ
لَهَا مُقْلَتَا جَزَعٍ يَمَانٍ تَحَمَّلَتْ جُفُونُهُمَا مِنْ مَوْضِعِ الْكُحْلِ عُصْفُراً
مَطْرَزَةَ الْكُمَيْنِ طُرْزاً تَخَالُهَا بِتَقْوِيمِهَا مِنْ حُلَكَةِ اللَّيْلِ أَسْطُراً

وقال أبو هلال العسكري (٤) يصف قبجة أهديت إليه :

أَهْدَيْتُهَا كَالْهَدْيِ آنِسَةٍ وَهِيَ سَلِيلُ النَّوَاشِرِ الثُّفْرِ^(٥)
تَلْبَسُ سُمُورَةً مُشَمَّرَةً تَصُونُ أَطْرَافَهَا مِنَ الْعَفْرِ^(٦)
وَقَدْ جَرَى الْمِسْكُ مِنْ مَحَاجِرِهَا فَضَمَّ لِبَاطِئَهَا مَعَ الثَّغْرِ^(٧)
تَخْطُرُ فِي حُلَّةٍ مُصَدَّرَةٍ كَأَنَّ أَكْمَامَهَا مِنَ الْحَبَرِ
وَاحْمَرَّ مِنْقَارُهَا وَمِنْخَرُهَا تَفْتَحُ الْوَرْدَ فِي نَدَى السَّحَرِ
كَأَنَّهَا حِينَ [لَقَطَ] قِرْطَمَهَا تَضْرِبُ يَاقُوتَةً عَلَى دُرِّ^(٨)

(١) التدارج جمع التدرج: طائر غرد جميل المنظر يكثر في بلاد فارس.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٦٧٥/٢.

(٣) الران: حذاء كالخف إلا أنه أطول ولا قدم له. المعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها، وعمامة يعتجر بها الرجل.

(٤) ديوان المعاني ١٣٨/٢.

(٥) الهدْيُ: الأسير.

(٦) السُمُورَةُ: لباس يتخذ من جلد السمور وهو حيوان بري يشبه السنور. العفر (محرّكة): وجه الأرض، ويطلق على التراب.

(٧) اللَّبَاط جمع اللَّبَّة: المنحر، وموضع القلادة من الصدر، وهزيمات التراقي وهي النقر التي في الصدر.

(٨) القرطم: حبّ العصفور.

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي من قصيدة خاطب بها عبد الملك بن مروان
معتذراً إليه عن مبايعة عبد الله بن الزبير (١)
فَارْحَمْ أَصْبَيْتِي الَّذِينَ كَانَهُمْ حِجْلَى تَدْرَجُ بِالشَّرْبَةِ وَقُعْ (٢)
أَذْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَقْبَلَ تَوْبَتِي وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ
وقال أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني يصف الحجل (٣):

مَا أَغْرَبَتْ فِي زِيَّهَا	إِلَّا يَعاقِبُ الحَجَلُ
وَتَخَالُهَا قَدْ وُكِّلَتْ	بِالقُوتِ والصَّوتِ الزَّجَلُ (٤)
صُغْرَى أَنَايِبٍ مِنْ أَلْ	مَرْجَانٍ مُحْكَمَةُ الْعَمَلُ
جَاءَتْكَ مُثْقَلَةً التَّرَائِبُ	بِالحَلِيِّ وبِالحُلُلُ
صُفْرُ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا	بَاتَتْ بِتَبَرٍ تَكْتَحِلُ
مَشْقُوقَةٌ شَقُّ الزُّجَا	جَ لَمَنْ تَأْمَلُ أَوْ عَقْلُ
وَصَلَتْ مَذَابِحُهَا الرُّوْ	سَ بِحُمْرَةٍ فِيهَا شُعْلُ
لَوْلا اخْتِلَافُ الْجِنْسِ وَالتَّر	كِيبِ جَاءَتْ فِي الْمَثَلُ
كَلَحَى الثَّمَانِينَ الَّتِي	خُضِبَتْ وَمِنْهَا مَا نَصَلُ
أَوْ كَالثَّمَامِ أَزَالُهُ	فَرَطُ التَّلَفُّتِ وَالْعَجَلُ
وَتَخَالُهَا جَوَارِيَا	لَا يُزْدَرَيْنِ مِنَ الْعَطَلُ
رَمَتْ الثِّيَابَ إِلَى وَرَا	ءَ عَنِ الْمَنَاكِبِ تَنْجِدِلُ
وَبَدَتْ سَرَاوِيلُهَا	يَسْحَبْنَ وَشَيْئاً مِنْ قُبُلُ

(١) لسان العرب ١٤٣/١١ مادة (ح ج ل) والقصيدة بتمامها مع الخبر المتعلق به في الأغاني
١٦٣/١٣ - ١٦٣.

(٢) حجل (بالكسر) جمع الحجل. الشربة (كجربة) ولا ثالث لهما: الأرض المعشبة لا شجر
فيها، وموضع بنجد بديار بني عبس.

(٣) ديوانه ١٥٨/، ونهاية الأرب ٢٣٣/١٠.

(٤) ورد هذا البيت والذي بعده في حاشية نهاية الأرب ولا وجود لهما في الديوان

حُمُرٌ مِنَ الرُّكَبَاتِ فِي عَقْدَنَهَا فَوْقَ الصُّدُورِ
وَشَدَدَنَ بِالْأَعْضَاءِ مَنْ وَكَأَنَّمَا بَاتَتْ أَصَا
مَنْ يَسْتَحِلُّ لَصِيدِهَا لَوْنِ الشَّقَائِقِ أَوْ أَجَلِ
مُخَالِسَاتِ لِقُبَلِ حَذِرِ عَلَيْهَا أَنْ تُحَلَّ
بِعُهَا بِحِنَاءٍ تُعَلَّ فَأَنَا أَمْرُؤُ لَا أَسْتَحِلُّ

الحِرْبَاءُ (١)

الحرباء (بكسر الحاء) دويبة من الزحافات أكبر من العظاءة، أغبر ما دام فرخاً ثم يصفر. حياته الحرُّ، فإذا بدت الشمس لجأ بظهره إلى ساق شجرة وقابل الشمس يدور معها حيث دارت، شابحاً بيديه كهيئة المصلوب، وكلما حميت الشمس اخضرَّ جلده، فإذا غربت الشمس غادر محله ساعياً وراء قوته. يقال عنه إنه قادر على أن يتلّون بلون ما يحيط به من شجر أو مدر فلا يميّزه الرائي. ومن أقدم العصور ضرب الناس به المثل في التلّون والتقلّب. كنيته: أبو حذر. وأبو جخادب، وأبو الزنديق، وأبو الشقيق، وأبو قادم. الحرباء: الذكر، وقيل هو ذكر أم حُبين، والأنثى حرباءة، والجمع حرابي. ومن أسمائه:

السّرمان (بالكسر)، والشَّقْد (بفتحتين) جمعه شَقْدَان (بالكسر)، ومنه: الْمُضَهَّب، وهو الذي يخضرُّ بعضه ويحمرُّ بعضه.

(١) الحيوان للجاحظ ٣٦٣/٦، وحياة الحيوان للدميري ٢٣١/١، والمخصّص لابن سيده ١٠٢/٨/٢، ولسان العرب، وتاج العروس مادة (ح ر ب).

يقال: حرباء تنضب، كما يقال: ذئب غصبي، والتنضب: شجر يتخذ منه السهام، ويقال: أرض مُحَرَّبَةٌ، أي كثيرة الحرباء.

مما جاء في الأمثال

- (أحزم من الحرباء)^(١) لأنها لا تخلّي ساق شجرة حتى تمسك بأخرى .
- (أصرد من عين الحرباء)^(٢) لأن الحرباء تستقبل الشمس بعينيها دائماً لتستجلب الدفء إليها .
- (يتلون تلون الحرباء)^(٣) يضرب مثلاً لمن لا يثبت على حالة .

كلمة لبعض الفضلاء في وصف الحرباء^(٤)

أَعَجَزَتْ فِي الْإِبَاءِ عَنْ خُلُقِ الْحِرْبَاءِ، أَدْلَى لِسَاناً كَالرُّشَاءِ^(٥) يَبْلُغُ بِهِ مَا يَشَاءُ، وَنَاطَ هَمَّتَهُ بِالشَّمْسِ مَعَ بَعْدِهَا عَنِ اللَّمَسِ، وَأَنْفَ مِنْ ضَيْقِ الْوَجَارِ^(٦) فَفَرَّخَ فِي الْأَشْجَارِ، وَسَمَّ الْعَيْشَ الْمَسْخُوطَ فَاسْتَبَدَلَ خُوطاً بِخُوطِ^(٧) فَهُوَ كَالْخَطِيبِ عَلَى الْغُصْنِ الرَّطِيبِ.

مما ورد في الشعر

قال أبو زيد الطائي (حرملة بن المنذر)^(٨):

-
- (١) جمهرة الأمثال ٤٠٨/١ .
 - (٢) أقرب الموارد مادة (ح ر ب) .
 - (٣) حياة الحيوان ٢٣٢/١ .
 - (٤) نهاية الأرب للنويري ١٦٠/١٠ .
 - (٥) الرشاء: الحبل، وقيل حبل الدلو، يقال إن للحرباء لساناً بطول ثلاثة أشبار يصطاد به على هذه المسافة، فهو يخرج به الذباب وغيره بأسرع من لمح البصر ويعود إلى حاله .
 - (٦) الوجار: جحر الضبع وغيره .
 - (٧) الخوط (بالضم): الغصن الناعم، وقيل: كل قضيب .
 - (٨) ديوانه ٢٤/ .

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شَرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجُوزَاءُ^(١)
وَاسْتَظَلَ الْعُصْفُورُ كَرْهًا مَعَ الضَّبِّ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْحِرْبَاءُ

وقال ابن الرومي (علي بن العباس)^(٢) في قينة ورقبيها:

مَا بِأَلْهَا قَدْ حُسِّنَتْ وَرَقِيْبُهَا أَبَدًا قَبِيحٌ قُبْحُ الرُّقْبَاءِ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا شَمْسُ الضَّحَى أَبَدًا تَكُونُ رَقِيْبُهَا الْحِرْبَاءُ

وقال ذو الرُّمَّة (غيلان بن عقبة)^(٣):

وَقَدْ جَعَلَ الْحِرْبَاءُ يَبْيِضُ لَوْنُهُ وَيَخْضَرُ مِنْ لَفْحِ الْهَجِيرِ عَبَاغِبُهُ^(٤)
وَيَشْبَحُ بِالْكَفَيْنِ شَبْحًا كَأَنَّهُ أَخُو فَجْرَةٍ عَالَى بِهِ الْجَدْعُ صَالِبُهُ
عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ طَوَالٍ وَكَاهِلٍ أَنْفَتْ أَعَالِيَهُ وَمَارَتْ مَنَاكِبُهُ^(٥)

وقال أيضاً: ^(٦)

وَدَاوِيَّةٌ جَرْدَاءُ جَدَاءُ جَثَّمَتْ سَبَارِيْتُ يَخْلُو سَمْعٌ مُجْتَازٍ خَرْقِهَا
كَأَنَّ يَدَيَّ حِرْبَائِهَا مُتَشَمِّسًا يَهَا هَبَوَاتُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٧)
مِنَ الصَّوْتِ إِلَّا مِنْ صُبْحِ الثُّعَالِبِ^(٨) يَدَا مُذْنِبٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَائِبٍ

(١) الصَّابِح: من سقى إبله في أوَّل النهار.

(٢) ديوانه ٦٣/١.

(٣) ديوانه ٤٧/.

(٤) الغباغب جمع غبغب: اللحم المتدلِّي تحت حنك بعض الحيوانات كالديك والثور .

(٥) مارت: تحركت واضطربت.

(٦) ديوانه ٥٨/ و ٥٩.

(٧) داوِيَّة: فلاة جرداء. جداء: لا ماء فيها.

(٨) سباريت: لا نبت بها. ضبح الثعلب: صلاح.

وقال آخر^(١)

قَدْ لَاحَهَا يَوْمَ شَمُوسٍ مِلْهَابٍ أَبْلَجَ مَا لِشَمْسِهِ مِنْ جِلْبَابٍ

شَالَ الْحَرَابِيُّ لَهُ بِالْأَذْنَابِ^(٢)

وقال ذو الرمة: ^(٣)

وَهَاجِرَةٌ مِنْ دُونِ مَيَّةٍ لَمْ تَقِلْ قَلُوصِي بِهَا وَالْجُنْدُبُ الْجَوْنُ يَرْمَحُ^(٤)
وَبَيْدَاءٌ مِقْفَارٌ يَكَادُ ارْتِكَاضُهَا بَالَ الضُّحَى وَالْهَجْرُ بِالطَّرْفِ يَمْصَحُ^(٥)
إِذَا جَعَلَ الْحَرَبَاءُ مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْحَرِّ يَلْوِي رَأْسَهُ وَيُرْنَحُ

وله أيضاً: ^(٦)

يَظَلُّ بِهَا الْحَرَبَاءُ لِلشَّمْسِ مِثْلًا عَلَى الْجَذَلِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبِّرُ^(٧)
إِذَا حَوَّلَ الظِّلُّ الْعَشِيَّ رَأْيَتَهُ حَنِيفًا وَفِي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ^(٨)
غَدَا أَكْهَبَ الْأَعْلَى وَرَاحَ كَأَنَّهُ مِنَ الضُّحَى وَاسْتَقْبَالَهُ الشَّمْسُ أَخْضَرُ^(٩)

(١) الحيوان ٣٦٦/٦.

(٢) الحرابي جمع الحرباء .

(٣) ديوانه ٨٦/ و ٨٧.

(٤) لم تقل: من القيلولة. القلوص: الناقة الفتية. الجندب: صغار الجراد. الجون هنا: . الأبيض وهو من الأضداد. يرمح: يضرب برجله الأرض من شدة الحر.

(٥) الهجر- هنا- الهاجرة وهي شدة الحر. مصحح بالشئء: ذهب به .

(٦) ديوانه ٢٢٩/ .

(٧) الجذل (بكسر الجيم): أصل الشجرة بعد ذهاب الفروع، والجذل أيضاً : عود ينصب للابل الجربى لتحتك به. وفي نهاية الارب للنويري ١٦١/١٠ (يصلِّي بها الحرباء) وهو أجود بدليل قوله (لا يكبر).

(٨) يقول: إذا تحوّلَت الشمس إلى الزوال استقبل الحرباء القبلة كانه حنيف مسلم، وفي أوّل النهار يستقبل المشرق كانه نصراني.

(٩) الأكهب: الأغبر يميل إلى السواد.

وقال ابن المعتز: (١)

بِمَهْمِهِ فِيهِ بَيَضَاتُ الْقَطَا كِسْرًا
كَأَنَّ حِرْبَاءَهَا وَالشَّمْسُ تَصْهَرُهُ
كَأَنَّهَا فِي الْأَفَاحِيصِ الْقَوَارِيرُ (٢)
صَالٍ دَنَا مِنْ لَهَيْبِ النَّارِ مَقْرُورُ

وقال ذو الرمة: (٣)

وَحَوْمَانَةٍ وَرَقَاءٍ يَجْرِي شَرَابُهَا
تُطِيلُ الْوَحَافُ الصَّدَا فِيهَا كَأَنَّهَا
تُجَاوِزْنَ وَالْعُصْفُورُ فِي الْجُحْرِ لَا جِيءُ
وقال العباس بن مرداس: (٧)

عَلَى قُلُوصٍ يَعْلُو بِهَا كُلُّ سَبَسَبٍ
تَخَالُ بِهَا الْحِرْبَاءُ أَنْشَطَ جَالِسًا
وقال أبو دواد الإيادي: (٨)

زُمُوا بَلِيلَ جِمَالِ الْحَيِّ فَاَنْجَذُبُوا
يَحْتُكُّهُمْ نَطْسُ ذُو نَجْدَةٍ شَرِسٍ
أَنَّى أُتِيحَ لَهُ حِرْبَاءُ تَنْضُبَةٌ
لَمْ يَنْظُرُوا بِاحْتِمَالِ الْحَيِّ إِشْرَاقًا
أَوْصَى لِيُزْعَجَهُمْ بِالظَّلْعِ سَوَاقًا
لَا يَرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُسِكَأً سَاقًا (٩)

(١) ديوانه ٢/ ٢٢٥.

(٢) الأفاحيص جمع الأفصوص: مجثم القطاء وهو الموضع الذي تفحص التراب عنه لتبيض فيه. القوارير: الزجاج.

(٣) ديوانه ٣٠٨/.

(٤) الحومانة: القطعة الغليظة من الأرض. ورقاء: غبراء تضرب إلى سواد.

(٥) الوحاف: ما وصل بين الأرضين. القراقير: السفن، يريد: الإبل في السراب كالسفن في الماء.

(٦) الشقذان جمع الشقذ: الحرباء.

(٧) الحيوان للجاحظ ٦/ ٣٦٦.

(٨) جمهرة الأمثال ٢/ ٣٨٨، والشريشي ٣/ ٢١٥.

(٩) يعجب الشاعر كيف أتيج للظعن هذا السائق المجذ الحازم كأنه الحرباء الذي لا يترك ساق شجرة تعلق بها حتى يمسك بساق أخرى. تنضبة: شجرة تصنع منها السهام، وقد مر أن الحرباء تنسب إليها فيقال (حرباء تنضبة) كما يقال (ذئب غصبي).

الحُسُون (١)

الحُسُون طائر صغير كالعصفور حسن الصوت ذو ألوان جميلة بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة. جمعه حساسين.

يسمّيه أهل الأندلس (أبا الحسن، وأمّ الحسن) والمصريُّون (الزَّقَاية، والسَّقَاية، وأبا زَقَّاق) وأهل الشام وحلب ونواحيها والجزيرة (الحُسُون، والشُّوبكي، والزَّقِيقِيَّة).

وهو ذو فطنة قابل للتعليم. قال النويري في نهاية الأرب في سبب التسمية: لأنّه إذا كان في القفص استقى الماء من إناء بآلة لطيفة يوضع له فيها خيط، فتراه يرفع الخيط باحدى رجليه ويضعه تحت رجله الأخرى حتى يصل إليه ذلك الإناء فشرب منه.

(١) حياة الحيوان ١/٢٣٤، وصبح الأعشى ٢/٧٨، ونهاية الأرب ١٠/٢٥١، ومعجم متن اللغة مادة (ح س ن).

مِمَّا قِيلَ فِيهِ شِعْرًا

قال يوسف بن هارون^(١)

وَحَرَسَاءَ إِلَّا فِي الرَّبِيعِ فَإِنَّهَا نَضِيرَةٌ قُسٌّ فِي الْعَصُورِ الذَوَاهِبِ
أَنْتِ تَمْدَحُ النُّوَارَ فَوْقَ غُصُونِهَا كَمَا يَمْدَحُ الْعُشَّاقُ حَسَنَ الْجَبَائِبِ
تَبْدُلُ الْحَانَا إِذَا قِيلَ بَدَلِي كَمَا بَدَّلَتْ ضَرْبًا أَكْفُ الضُّوَارِبِ
تُغْنِي عَلَيْنَا فِي عَرُوضَيْنِ شِعْرَهَا وَلَكِنَّ شِعْرًا فِي قَوَافٍ غَرَائِبِ

إِذَا ابْتَدَأْتَ تُنَشِّدُكَ رَجْزًا وَإِنْ تَقُلْ
لَهَا بَدَلِي تُنَشِّدُكَ فِي الْمُتَقَارِبِ
وَلَيْسَ لَهَا يَتِيَةُ الطَّرَاءِ بِصَوْتِهَا وَلَكِنْ تُغْنِي كُلَّ صَاحٍ وَشَارِبِ^(٢)

وقال أبو هلال العسكري^(٣):

وَمُقْتَنَّةٌ الْأَلْوَانِ بِيضٌ وَجُوهُهَا وَنَمْرٌ تَرَاقِيهَا وَصَفْرٌ جُنُوبُهَا
كَأَنَّ دَرَارِيْعًا عَلَيْهَا قَصِيرَةً مَرْقَعَةٌ أَعْطَافُهَا وَجُيُوبُهَا
تَعْدُلُ أَلْوَانَ الْأَغَانِي كَأَنَّمَا تَعْدُلُ أَوْزَانَ الْأَغَانِي غُرَيْبُهَا^(٤)
تَسَامُ اسْتِيقَاءٌ فِي الْعِشَاءِ إِذَا عَرَى وَعُطِّلَ أَيَّامَ الْمَصِيفِ ذُنُوبُهَا^(٥)

وقال يوسف بن هارون^(٦)

مُسْمِعَةٌ مِنْ غَيْرِ أَوْتَارٍ إِلَّا ارْتَجَالًا فَوْقَ أَشْجَارٍ

(١) التشبيهات / ٥٥.

(٢) الطَّرَاءُ: الطارئون، والغُرباء.

(٣) ديوان المعاني ١٤١/٢.

(٤) غُرَيْبُ اسْمِ امْرَأَةٍ كَانَتْ مِنْ أَشْهُرِ الْمَغْنِيَّاتِ فِي عَصْرِ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ.

(٥) الذنوب (بالفتح): الدلو.

(٦) التشبيهات / ٥٥.

يَقْتَرِحُ النَّاسُ عَلَيْهَا وَمَا
تُبْدِلُ إِنْ قِيلَ لَهَا بَدَلِي
كَأَنَّهَا فِي حِينِ تَبْدِيلِهَا
عَاشِقَةُ النُّوَارِ مَا أَقْبَلْتُ
يَقْتَرِحُ النَّاسُ عَلَى الطَّارِي
طَائِعَةً مِنْ غَيْرِ إِصْغَارِ
تَأْخِذٍ فِي أَهْزَاجِ أَشْعَارِ
إِلَّا بِهَا آثَارُ نُوَارِ

وقال ابن خاتمة الأنصاري: (١)

وَحَرَسَاءَ إِلَّا زَمَانَ الرَّبِيعِ
أَتَتْ تَمْدُحُ النُّورِ فَوْقَ الْغُصُونِ
تُقِيمُ لَهُ عُرْسًا فِي الرِّبَا
تُغْنِي مَدِيدًا وَمَهْمَا يُقْلُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ تَسْجِيعَهَا
فَفِي سَجْعِهَا طَرْبٌ لِلْخَلِيعِ
كَمَا يَشْكُرُ الْحُرُّ حُسْنَ الصَّنِيعِ
ضَرَّ عِنْدَ الْغُرُوبِ وَعِنْدَ الطُّلُوعِ
لَهَا بَدَلِي وَقَعْتُ فِي السَّرِيعِ
بَدِيعٍ وَلَمْ تَذِرْ سَجْعَ الْبَدِيعِ (٢)

وقال أيضاً: (٣)

أَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ أُمَّ الْحَسَنِ
مُحِيًّا عَجِيبٌ وَشَخْصٌ طَرُوبٌ
أَلَا بَدٌّ لِي يَا ابْنَةَ الْحُسَيْنِ
وَهَاكَ فَوَادِي خَلْعًا وَمَا
فَدَيْتُكَ مِنْ بُلْبُلٍ هَاجٍ مِنْ
لَقَدْ جِئْتُ بِالْحُسْنِ فِي كُلِّ فَنٍ
وَسَجْعُ أَدِيبٍ وَصَوْتُ حَسَنٍ
فَصَلِّ الرَّبِيعِ وَوَجْهَ الزَّمَنِ
أَرَاهُ يُؤَفِّي بَبْعُضِ الثَّمَنِ
بَلَابِلِ وَجَدِي مَا قَدْ سَكَنَ

(١) ديوانه / ٩٨.

(٢) في عجز البيت تورية بسجع بديع الزمان الهمداني.

(٣) ديوانه / ٩٩.

الحِمَارُ (١)

الحمار (بالكسر): النِّهاق، من ذوات الأربع ، أهلياً كان أو وحشياً، جمعه أحْمِرَة ، وَحْمَر (بضمّتين) وَحْمَر (بضمّ فسكون) وَحْمِير على وزن (أمير) وَحُمُور (بالضم) وَحُمَرَات (بضمّتين) جمع الجميع (كطُرُقَات) وتصغيره حُمَيْر (بضم ففتح وكسر الياء والمشددة).

كنيته : أبو صابر؛ وأبو زياد، قال الشاعر:

زِيَادُ لَسْتُ أَدْرِي مَنْ أَبُوهُ وَلَكِنَّ الْحِمَارَ أَبُو زِيَادٍ

واسم الأنثى : أتان، والجمع أْتَن (بضمّتين)، وربما قالوا : حَمَارَة، وكنيتها: أُمُّ مَحْمُود، وَأُمُّ تَوَلْب، وَأُمُّ جَحْش، وَأُمُّ نَافِع، وَأُمُّ وَهَب، وَأُمُّ الْهَنْبَر.

والحُمَار: راكب الحمار، ومن يبيع الحُمُر، أو يعمل عليها.

وتسمّى جماعة الحمير: النُّخَّة، والسُّجَّة، والكُسَّة، والعانة.

(١) حياة الحيوان ٢٣٨/١، و٢٥٣، والمختصص ٢٠٥/٦/٢ و٤٣/٨/٢ - ٥٠، ولسان العرب، وتاج العروس، وأقرب الموارد.

حَمْلُ الحُمُر:

وسَقَّت الأتان: حملت ، فإذا مكثت سبعة أيام بعد حَمْلها فهي فَرِيش والجمع فرائش .

ويقال لها عند أول حملها: جامع ، فإذا استبان الحمل وصار في ضرعها لُمع من سواد فهي مُلمع .

من أسماء الحُمُر ونعوتها:

الجحش: ولد الأتان من حين تضعه أمه إلى أن يفصل من الرضاع والجمع جِحاَش، وجِحْشان، وجِحْشة، وجِحاَش، والأنثى جَحْشة .

التَّلُو: الجحش الذي يتلو أمه ، والجمع أتلاء .

التَّوَلَب: الجحش الذي استكمل الحَوْل، والجمع توالب .

الدَّوْبِل: الحمار الصغير، والجمع دوابل .

العَفُو: الجحش، والأنثى عَفْوة، والجمع أعفاء وعِفاء .

اللُّكع: الجحش، والأنثى لُكعة .

الهَنَبَر: الجحش، ومنه قيل للأتان: أمُّ الهنبر .

العَيْر: الحمار وحشيًّا كان أو أهليًّا .

الفَرا ، والفَراء (مقصور ومهموز): حمار الوحش، جمعه فِراء، ومن

أسمائه: العَضْرَس، والنَّوَص، و البِصْكُ، والمِسْحَل .

الأخدرى: من حمر العراق من نسل حمار يقال له الأخضر .

الأَعْرُ: السمين الصدر والعُنق .

البُهْضَل: الحمار الغليظ .

الجَّاب: الحمار الغليظ .

الجَلْعَد: الحمار الشديد .

الذُّفْر : الحمار الصلب الشديد .
 الزامل : الحمار الذي كأنه يضلع من نشاطه .
 الزُّهْلِق : السمين المستوي الظهر من الشحم .
 السَّحَّاج : الحمار العَضَّاض .
 الصَّنَادِل : الحمار الصلب .
 العَكْسُوم : اسم الحمار (جَمِيرِيَّة) .
 القِلْو : الحمار الفتِي الخفيف والشديد السوق لأتته والأنثى قِلْوَة .
 القَلْخ : الحمار المسنُّ .
 القِنَادِل : الحمار الصُّلب .
 الكَسْعُوم : اسم الحمار (جَمِيرِيَّة) وقد تقدَّم (العَكْسُوم) .
 الكَعْسَم : الحمار الوحشي (يمانيَّة) .
 الكُنْدَر والكُنَادِر : الحمار العظيم والصُّلب الشديد . وفي أقرب الموارد :
 الكِنْدِير .

المُهْضَل : الحمار الغليظ .
 الجَلَنْفُق : الأتان السميكة .
 الحَذُوف : الأتان السريعة ، والسمينة .
 السَّمَحَج : الأتان الطويلة الظهر ، وتسمى الصَّعْدَة أيضاً .
 الضَّمْعَج : الأتان الضخمة .
 العُلْجُوم : الأتان الكثيرة اللحم .
 القُنْفُج : الأتان القصيرة العريضة .
 القَهْبَسَة : الأتان الغليظة .
 المَرَاغَة : الأتان التي لا تمتنع عن الفحولة .
 النَّجُود : الأتان التي لا تحمل ، وهي أيضاً الطويلة العنق .
 النُّحُوص : الأتان الوحشيَّة الحائل .

ألوان الحمير :

الأُحْقَب : الأبيض ، والأُتَان حَقَباء .
الأُخْطَب : الذي في لونه خُضْرَة ، والذي له خُطُّ أسود على متنه ، والأُتَان
خطباء ، والإِسْم : الخُطْب .
الأُدْخَن : الذي في لونه غُبْرَة ، والأُتَان دَخْناء .
الأَقْمَر : الذي يضرب . لونه إلى الحُمْرَة أو الكُدْرَة ، والأُتَان قَمْرَاء ،
والإِسْم : القُمْرَة .

أصوات الحمير :

حَشْرَج الحمار : نهق .
شَخَر الحمار : صَوْت ، وحمار شَخِير .
شَهَق الحمار شَهيقاً وشُهاقاً : نهق .
صَحَل الحمار : بُحَّ وتشقق صوته .
حمار صَخِب الشَّوَارِب : يردّد نهاقه في شواربه ، والشَّوَارِب - هنا - :
مجري الماء في الحلق .
صَدَح الحمار : اشتدَّ صوته .
حمار صَبِق : شديد الصوت .
صَلَّص الحمار : صَوْت ، وحمار صَلَّصِل : شديد النُّهاق .
عَرَّش الحمار بعانته : حمل عليها فاتحاً فمه رافعاً صوته .
عَشَّر الحمار : نهق عَشْراً في طَلْق واحد .
نَهَق الحمار ، ينهق نهيقاً ونُهاقاً : صَوْت ، والاسم التَّنْهاق .
هَمَّهَم الحمار : رَدَّد التَّنْهيق في صدره .
وَهَوَّ الحمار : صَوْت حول أتفه شَفَقَة ، وهو وَهَوَاه .

ذكره في القرآن الكريم :

- ﴿وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس﴾ (البقرة / ٢٥٩).
- ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ (النحل / ٨).
- ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (لقمان / ١٩).
- ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ (الجمعة / ٥).
- ﴿كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾ (المدثر / ٥٠).

مما ورد في الحديث الشريف :

- كل الصيد في جوف الفراء^(١).
- إذا أراد الله بعبد شراً أمسك عليه بذنوبه حتى يوافيه . يوم القيامة كأنه عَيْر^(٢).
- أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو قال: أن يجعل الله صورته صورة حمار^(٣).
- وأُتِيَتْ بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار - البراق^(٤).
- يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه^(٥).
- إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً^(٦).

(١) النهاية لابن الأثير ٤٢٢/٣ . والفراء (مقصود ومهموز): حمار الوحش

(٢) المصدر السابق ٣٢٨/٣ . العير (بالفتح): الحمار أهلياً كان أو ورسلاً

(٣) صحيح البخاري ١٧٧/١ .

(٤) المصدر السابق ١٢٣/٤ .

(٥) المصدر السابق ١٤٧/٤ . الاقتاب جمع القتب (بالكسر): البعير

(٦) المصدر السابق ١٥٥/٤ .

مما ورد في الأمثال:

- (أجهل من حمار) (١). مأخوذ من قول الناس للجاهل يا حمار، ومن بديع ما جاء في هذا الباب قول ابن المعتز (هذا الحمار من الحمير حماراً).
- (أخلى من جوف حمار) (٢). لأنه إذا صيد حمار الوحش لم ينتفع بما في جوفه ، ولكن يرمى به .
- (أدنى حماريك أزجري) (٣). أي عليك بأدنى أمرك ثم تناولي الأبعد .
- (إذا عجز الحمار عن حمل برذعته كان عن وقره أعجز) (٤).
- (أصبر من حمار) (٥). لأنه يحمل الحمل الثقيل على الدبر. قيل لبزجمهر: (٦) بم أدركت ما أدركت؟ قال: ببكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار.
- (أوحش من حمار أعمى على معلق خال) (٧).
- (بال حمار فاستبال أحمرة) (٨) يضرب للوضع يأتي أمراً وضعياً فيقتدي به أقرانه، أو في تعاون القوم على عمل غير محمود.
- (الجحش لما بذك الاعيار) (٩). المعنى : خذ القليل إذا فاتك الكثير .

-
- (١) جمهرة الأمثال ٣٣٤/١.
 - (٢) جمهرة الأمثال ٤٣٥/١.
 - (٣) المصدر السابق ١٩٨/١.
 - (٤) التمثيل والمحاضرة / ٣٤٤. البرذعة (بالذال المعجمة، والمهملة لغة فيها): الجلس يلقى تحت الرجل. الوقر: الحمل الثقيل.
 - (٥) جمهرة الأمثال ٥٨٨/١.
 - (٦) ثمار القلوب / ٣٧١.
 - (٧) التمثيل والمحاضرة / ٣٤٤.
 - (٨) المصدر السابق ٣٤٥ ومجمع الأمثال للميداني ٩٨/١.
 - (٩) جمهرة الأمثال ٣٠٥/١. نصب الجحش بفعل مضمر تقديره (اطلب) الجحش.

- (حمار أبي سيّارة)^(١). يضرب مثلاً للرجل الصحيح في بدنه. وأبو سيّارة رجل من عدوان اسمه عميلة بن خالد. وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة.

- (حمار أبي الهذيل)^(٢). يضرب مثلاً في الأمر الصغير يتكلم فيه الرجل الخطير، ومن قصّته أنّ أبي الهذيل دخل على المأمون فاحتبسه ليأكل معه. فلما وضعت المائدة وأخذوا في الأكل قال أبو العذيل: يا أمير المؤمنين إنّ الله لا يستحي من الحقّ. غلامي وحماري بالباب، فقال: صدقت يا أبا الهذيل، وقال لحاجبه: أخرج إلى غلام أبي الهذيل وحماره فتقدم بما يصلحهما.

- (حمار الحوائج)^(٣). يضرب مثلاً لمن يمتهن.

- (حمار طيّاب)^(٤). يضرب مثلاً في الضعف وكثرة العيب، وطيّاب سقاء طالت صحبته لحماره الضعيف الهزيل، يسقي عليه ويرتزق منه مدة مديدة من الدهر، ولمّا مات الحمار مات طيّاب على أثره بأسبوع، وكان هذا الحمار عرضة لشعر أبي غلالة المخزومي فنظم في وصفه نيّفاً وعشرين مقطوعة، ومن عجيب الإتيافات موت أبي غلالة على أثر موت حمار أبي طيّاب أيضاً.

- (كحماري العبادي)^(٥) يضرب مثلاً للشعبيين المتساويين في الرداءة، وقد سئل العبادي: أيّ حماريك شرّ؟ فقال: ذا ثمّ ذا.

- (حمار العزيز)^(٦). يضرب لمن ينتهي أمره ويخمل ذكره ثم يعود

(١) ثمار القلوب / ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق / ٣٦٥.

(٣ و ٤ و ٥) ثمار القلوب / ٣٦٦.

(٦) المصدر السابق / ٥٩.

فيتنعثش، لأنَّ الله تعالى أحياه بعد مائة عام من موته. قال الصاحب بن عباد في أبي محمد عبد الله بن محمد بن عزيز لما استوزر بعد النكبة (حمار عزيز ذاك لا ابن عزيز).

- (دون ذا وَيَنْفُقُ الحمارُ)^(١) يضرب مثلاً للرجل يبالغ في مدح الشيء فيقال له: اقتصد فبدون هذا المديح تبلغ حاجتك.

- (ذَكَّرَنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي)^(٢). يضرب مثلاً للرجل يبصر الشيء فيذكر به حاجة كان قد نسيها. وأصله أنَّ رجلاً خرج يطلب حمارين لأهله أضلَّهُما، فمرَّ على امرأة جميلة المنتقبة فقعد يحادثها ونسي حماريه لشغل قلبه بها، ثم أسفرت فإذا لها أسنان منكورة، فتذكَّرَ بها أسنان الحمار فانصرف عنها وهو يقول: ذَكَّرَنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي.

- (قد يضطر العَيْرُ والمكواة في النَّارِ)^(٣). يضرب مثلاً للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه.

- (قَبَّ الحمار على الردهة ولا تقل له سَأً)^(٤). معناه إذا أريت الرجل رُشدَه فلا تكرهه عليه فقد فعلت ما وجب عليك، كالحمار إذا وقفته على الردهة.

- وهي نقرة يجتمع فيها ماء المطر - فإنه يشرب إن كانت به حاجة إلى الشرب من غير زجر، وسأً زجر معروف للحمار.

- (كان حماراً فاستأْتَنَ)^(٥). يضرب للعزيز يذلُّ.

(١) و (٢) جمهرة الأمثال، ١٠/٤٥٠ و ٤٦٣.

(٣) مجمع الأمثال للسيداني ٩٥/٢.

(٤) جمهرة الأمثال ١٢٥/٢.

(٥) التمثيل والمحاضرة ٣٩٣/.

- (كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا)^(١) . الْفَرَا: الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ ، يُضْرَبُ مِثْلًا
لِمَنْ يُفْضَلُ عَلَى أَقْرَانِهِ ، وَالْمِثْلُ قَدِيمٌ وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ .

- (لَا يَأْتِي الْكَرَامَةَ إِلَّا حِمَارٌ)^(٢) . يُضْرَبُ لِمَنْ يُكْرَمُ فِيأَبَى الْكَرَامَةِ . .
- (مَا بِالْعَيْرِ مِنْ قِمَاصٍ)^(٣) . يُضْرَبُ لِمَنْ ذَلَّ بَعْدَ الْامْتِنَاعِ . وَالْقِمَاصُ
(بِالْكَسْرِ وَيُضْمُ): الْوُثُوبُ .
- وَهَذِهِ بَعْضُ الْأَمْثَالِ الْمَنْظُومَةِ^(٤) :

رُبُّ عَيْرٍ يَرْعَى وَيَعْلَفُ مَاشَا ۚ وَلَيْثٌ يَجُوعُ فِي الصَّخْرَاءِ

* * *

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأَمٍّ عَمِرُوا فَلَا رَجَعَتْ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ

* * *

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ أَفْرَسٌ تَحْتَكَ أُمُّ حِمَارٍ

* * *

أَتَرَكْنِي وَدَارُكَ عِنْدَ دَارِي وَتَطْلُبُنِي بِمَصْرٍ عَلَى حِمَارٍ
كَمْ مِنْ حِمَارٍ عَلَى جَوَادٍ وَمِنْ جَوَادٍ عَلَى حِمَارٍ

* * *

وَلَوْ لَبَسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ

* * *

(١) جمهرة الأمثال ١٦٢/٢ .

(٢) الفاخر / ٢٩٠ .

(٣) و (٤) التمثيل والمحاضرة / ٢٤٣ و ٢٤٥ .

كحمارِ السُّوءِ إِنَّ أَشْبَعَتْهُ رَمَحَ النَّاسِ وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ

* * *

ما المرأُ إِلَّا كَعَيْرِ السُّوءِ يَضْرِبُهُ سَوَطُ الزَّمَانِ وَلَا يَجْرِي عَلَى السَّنَنِ

مِمَّا جَاءَ عَنْهُ فِي الْقِصَصِ (١)

قِيلَ إِنَّ جَمَلًا وَحِمَارًا تَوَحَّشَا فَوَجَدَا مَرْعَى خَالِيًا يَرْتَعَانِ فِيهِ ، فَقَالَ الْحِمَارُ
يَوْمًا وَقَدْ بَطَرَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَغْنِي ، فَقَالَ الْجَمَلُ : أَتَقَى اللَّهَ فِينَا فَأَنِّي أَخْشَى أَنْ
يَنْذِرَ رَبَّنَا فَنُؤْخَذَ . قَالَ : لَا بَدَّ مِنَ الْغَنَاءِ ثُمَّ نَهَقَ ، فَسَمِعَتْهُ قَافِلَةٌ مَارَّةٌ فَاخْذَوْهُمَا ،
فَأَبَى الْحِمَارُ أَنْ يَمْشِيَ فَحُمِلَ عَلَى الْجَمَلِ فَمَرُّوا بِهِ فِي عَقْبَةٍ ، فَقَالَ الْجَمَلُ :
إِنِّي طَرَبْتُ لَغَنَائِكَ الْمَتَقَدِّمَ وَأُرِيدُ أَنْ أَرْقِصَ رَقِصَةً . فَقَالَ الْحِمَارُ : اتَّقِ اللَّهَ إِنِّي
أَسْقُطُ فَلَا تَفْعَلْ . فَرَقِصَ فَاسْقَطَ الْحِمَارُ فَوْقَ صَه (٢) .

مِمَّا جَاءَ عَنْهُ فِي الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ :

١ - دَخَلَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ بْنِ أَبِي حَزِيفَةَ (٣) وَالْيَ
بَصْرَةَ ، فَأَلْفَاهُ يَرِيدُ الرُّكُوبَ ، فَقَرَّبَ إِلَيْهِ حِمَارًا لِيَرْكَبَهُ فَقَالَ خَالِدٌ :

أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْعَيْرَ عَارٌ ، وَالْحِمَارَ شَنَارٌ ، مَنَكِرُ الصَّوْتِ ، قَبِيحُ الْفَوْتِ ،
مَتَزَلِّجٌ فِي الضُّحْلِ ، مَرْتَطِمٌ فِي الْوَحْلِ ، لَيْسَ بِرُكُوبَةٍ فَحْلٌ ، وَلَا بِمَطِيَّةٍ رَجُلٌ ،
رَاكِبُهُ مُقْرِفٌ ، وَمَسَايِرُهُ مُشْرِفٌ .

فَاسْتَوْحَشَ ابْنُ أَبِي حَزِيفَةَ مِنْ رُكُوبِ الْحِمَارِ وَنَزَلَ عَنْهُ وَرَكِبَ فَرَسًا وَدَفَعَ
الْحِمَارَ إِلَى خَالِدٍ فَرَكَبَهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَيَحَاكَ يَا خَالِدُ أَتَنْتَهِي عَنْ شَيْءٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ ؟
فَقَالَ :

(١) محاضرات الأدباء ٧٠٨/٢ .

(٢) سبق أن أوردت في فصل (ابن آوى) قصة الأسد وابن آوى والحمار .

(٣) كذا في زهر الآداب ٩١٣/٢ ، وفي محاضرات الأدباء ٦٣٤/٢ أبو الجهم والي البصرة .

أصلحك الله، عَير من بنات الكربال^(١)، واضح السربال، مختلح القوائم
يحمل الرجل، ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جبَّاراً عنيداً، ان لم أعترف
بمكاني فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين.

٢ - وقال أبو الفرج البغاء من رسالة وصف فيها أتاناً مَعْمدة بيباض وسواد
كانت قد أهديت لعز الدين بن بختيار بن بويه من جهة صاحب اليمن، قال^(٢).

كأنما وسمها الكمال بنهايته، أو لَحَظَها الفلكُ بعنايته، فصاغها من ليله
ونهاره، وحلَّها بنجومه وأقماره، ونقشها ببدايع آثاره، ورَمَقَها بنواظر سعوذه،
وجعلها أحدَ جدوده^(٣) ذات إهاب مُسِيرٍ، وقُرْبٍ مُحَبَّرٍ^(٤)، وذَنَبٍ مُشَجَّرٍ،
وشَوَى^(٥) مُسَوَّرٍ^(٦) ووجه فُزَحَّجٍ، ورأس متَوَّجٍ، تكتنفه أذنان كأنهما زُجَّان^(٧)،
سُبُجِيَّة^(٨) الأنصاف، بلُورِيَّة الأطراف، جامعة شَيْتَها^(٩) بالترتيب بين زماني
الشبيبة والمشيب. فهي قيد الأبصار، وأمد الأفكار، ونهاية الإعتبار، غني عن
الحلي عَطَلُها، مُزرية بالزهر حلَّلُها، واحدة جنسها، وعالم نفسها، صنعة
الحكيم، وتقدير العزيز العليم.

٣ - ومن رسالة لأبي الحسن بن نصر الكاتب أرسلها الى صديق له اشترى

(١) كذا ورد في زهر الآداب، وقال محققه: الكوبال كورة بفارس، ولم أقف عليها في كتب البلدان
المتيسرة لدي.

(٢) نهاية الأرب. ٣٢٧/٩.

(٣) جدوده : حظوظه.

(٤) إهاب مسير: جلد مخطط. القرب (بضم، وبضمتين): الخاصرة.

(٥) الشوى: اليدان والرجلان.

(٦) مسور: يريد محاط بنقش مثل السوار.

(٧) الزجَّان ثنية زج: الحديدية التي تركب في أسفل الرمح.

(٨) سُبُجِيَّة: نسبة الى السبجة وهو كساء أسود.

(٩) الشَّيَّة، هي في ألوان البهائم بيباض في سواد، أو سواد في بيباض.

حماراً يداعبه بها، قال: (١).

... أتننا الأنباء تنعى رأيك الفائل (٢) وتفل عزمك الآفل، بوقوع اختيارك على فاضح صاحبه، ومُسْلِم راكمه، الجامد في حَلْبَةِ الجياد، والحادق بالحران والكياد. السَّوْم (٣) دِينُهُ ودَّابُهُ، والبلاد طبيعته وشأنه، لا يصلحه التأديب ولا تفرع له الظنايب (٤)، إن لحظَ غَيْراً نهق. أو لمح أتاناً شبق، أو وجد روثاً شَمَّ وانتشق، فكم هشم سنّاً لصاحبه، وكم سعط أنفَ راكمه، وكم استردّه خائفاً فلم يَرُدُّدُهُ، وكم رامه خاطباً فلم يُسْعِدْهُ، يعجل إن أحبَّ الأناة والإبطاء، ويرسخ إن حاول الحثَّ والنَّجاء، مطبوع على الكيد والخلاف، موضوع للضَّعة والاستخفاف، عزيز حتى تهينه السَّياط، كسولٌ ولو أبْطَرَهُ النَّشاط، ما عرف في النجاة أبا، ولا أفاد من الوَعْي أدبا، الطالب به محصور، والهارب عليه مأسور، والممتطي له راجل، والمستعلي بذروته نازل، له من الأخلاق أسوؤها، ومن الأسماء اشنؤها، ومن الأذهاب أصدؤها، ومن القدود أحقرها، تجحده المراكب، وتجهله المواكب، وتعرفه ظهور السوابك (كذا)، وتألّفه سباطات (٥) المبارك والله الموفق.

مما جاء عنه في الشعر

قال مسعود بن كبير الجرمي (٦) في حمار اشتراه فوجده على خلاف ما وصفه به النخاس:

(١) نهاية الأرب ١٠/١٠٠.

(٢) الفائل: الخاطيء الضعيف.

(٣) السوم: الرعي.

(٤) الظنايب، جمع الظنوب: حرف الساق من قُدَم. يقال: قرع ظنايب الأمر، أي ذلله وسهّله.

(٥) السبّاطة: الكناسة تطرح حيث ترمى الأوساخ.

(٦) الحيوان للجاحظ ٦/٣٨١.

يا أَجْنَحَ الْأُذُنِ أَلَا تَحُبُّ أَهَانَكَ اللَّهُ فِئْسَ النَّجَبُ
 ما كَانَ لي إِذْ أَشْتَرِكَ قَلْبُ بَلَى وَلَكِنْ ضَاعَ ثُمَّ اللَّبُّ
 إِنَّ الَّذِي بَاعَكَ خَبُّ ضَبُّ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَيْرٌ نَدْبُ
 وَشَرُّ مَا قَالَ الرَّجَالُ الْكَذْبُ صَبُّ عَلَيْهِ ضَبْعٌ وَذَنْبُ
 سِرْحَانَةٌ وَجِيَالٌ قِرْشَبُ ذِيخٌ عَدْتُهُ رَمْلَةٌ وَهَضْبُ^(١)
 كَأَنَّهُ تَحْتَ الظُّلَامِ سَقْبُ يَأْخُذُ مِنْهُ مَنْ رَأَى الرَّعْبُ^(٢)
 أَبُو جَرَاءٍ مَسْهُنٌ السَّغْبُ وَصَبَّحَ الرَّاعِي مُجْرًا وَغُبُ^(٣)
 وقال أبو غلاله في حمار طَيَّاب^(٤) :

لَمْ أَبْكِ شَجَوًّا لَفَقْدِ حَبِّ وَلَا ابْتِلَانِي بِذَاكَ رَبِّي
 لَكُنَّيْ قَدْ بَكَيْتُ حُزْنًا عَلَى حِمَارٍ لَجَارٍ جَنْبِ
 لَوْ شِمْ رِيحَ الشُّمَيْرِ شَمًّا مِنْ غَيْرِ أَكْلٍ لَقَالَ حَسْبِي
 أَوْ عَايَنَ الْقَتْلَ مِنْ بَعِيدٍ يَوْمًا لَغْنَى بِصَوْتِ صَبِّ
 لَيْسَ يَزُولُ الَّذِي بِقَلْبِي يَا مَنْ جَفَانِي بِغَيْرِ ذَنْبِ
 وقال آخر على لسان حمار^(٥) :

قَالَ حِمَارُ الْحَكِيمِ تُوْمَا لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ^(٦)
 لِأَنَّنِي جَاهِلٌ بَسِيطُ وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرْكَبُ

(١) السرحانة: انثى الذئب. جيال: الضبع. القرشب: الأكل. الذيخ (بالكسر): الكثير الشعر من الضباع.

(٢) السقب: ولد الناقة.

(٣) معجرا، تسهيل معجرا وهو الجريء الوغب: اللثيم الوغد، ويعني الذئب.

(٤) ثمار القلوب/ ٣٦٨.

(٥) نهاية الأرب ١٠/ ١٠٠.

(٦) توما: طيب يوصف بكونه أجهل من حماره.

وقال آخر يداعب أديباً مات حماره (١) :

مات حمارُ الأديبِ قلتُ قَضَى وفاتٌ مِنْ أَمْرِه الَّذِي فاتا
ماتَ وقد خَلَفَ الأديبَ وَمَنْ خَلَفَ مِثْلُ الأديبِ ما ماتا
وقال آخر مشبهاً المقيم بدار الهوان بالحمارُ المقيّد (٢) :

إنَّ الهوانَ حمارُ الأهلِ يَعْرِفُهُ والحرُّ يُنْكِرُهُ والجَسْرَةُ الأَجْدُ (٣)
ولا يُقِيمُ بدارِ الذِّلِّ يَعْرِفُهَا إِلَّا الأَذْلانِ عَيْرُ الأهلِ والوَتِدُ
هذا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَيْتِهِ وذا يُشَجُّ فلا يَأوي له أَحَدُ
وقال خالد بن يزيد الكاتب يهجو حماره (٤) :

وقائل إنَّ جِمَارِي غَدَا يَمْشِي إِذَا صَوَّبَ أَوْ أَصْعَدَا
فقلتُ لَكِنَّ جِمَارِي إِذَا أَحْشَتْهُ لَا يَلْحَقُ الْمُقْعَدَا
يَسْتَعِذُّ الضَّرْبَ فَإِنْ زِدْتُهُ كَادَ مِنْ اللَّذَّةِ أَنْ يَرْقُدَا
وقال أحمد فارس الشدياق يرثي حماراً له وهو يرمز إلى غرضٍ آخر (٥) :

راحَ الحمارُ وَخَلَّى القَيْدَ والوَتِدَ وما رَأَى أثرَهُ فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدٍ
فهلْ أَنَا رَاكِبٌ مِنْ بَعْدِهِ وَتَدَا أَمْ مُجْزِي قَيْدُهُ لو كَانَ مِنْ مَسَدٍ
أَمْ كَيْفَ أَذْخُلُ داراً كَانَ لي سَكْنًا فِيها وَأَنْزِلَ عِنْدِي مُنْزَلَ الوَلَدِ
سَرَهْدَتُهُ بِيدِي كالطُّفْلِ مِنْ شَفَقِي كالطُّفْلِ مِنْ شَفَقٍ سَرَهْدَتُهُ بِيدِي (٦)

(١) نهاية الأرب ١٠/١٠٠ .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ١/٢٨٣ .

(٣) الجسرة : الناقة العظيمة المقدمة على سلوك الأوعار الأجد (بضميتين) : القوة الموثقة الخلق .

(٤) نهاية الأرب ١٠/٩٩ .

(٥) الساق على الساق ٣٥٤/ .

(٦) سرهدته : غديته وسميته . الشفق (محركة) : بمعنى الشفقة .

وَجِئْتُهُ بِشَعِيرٍ لَا يُخَالِطُهُ مَأْسٌ وَلَا عَسَجَدُ خَوْفًا مِنَ الدَّرْدِ
وَكَانَ يُوقِظُنِي مِنْهُ النَّهَاقُ إِذَا اسْتَقَلْتُ نَوْمًا بِصَوْتِ مُطَرِبٍ غَرِدِ
كَمْ حَادَ بِي عَنْ مَضِيْقٍ حِينَ أَبْصَرَ مَنْ حَوْلَ الْجَمَالِ تَبَلُّ الْأَرْضِ بِالزَّبْدِ
وَسَارَ بِي فِي طَرِيقٍ بَلَّ جَانِبُهَا أَهْلُ الْجَمَالِ بِمَاءِ الْوَرْدِ وَهُوَ نَدِي
وَكَمْ جَرَى فَارِهًا إِذْ لَاحَ عَنْ بُعْدِ زِفَافٍ خَوْدٍ إِلَيْهَا بِإِلْغِ الْأَمْدِ
وَإِذْ تَبَيَّنَ نَعْشًا لِلْجَنَازَةِ لَمْ يَمُرُّ بِهِ مَعَ أَلِيمِ النَّخْسِ فِي الْكَتَدِ^(١)
مَا ضَلُّ يَوْمًا عَنْ اسْتِقْرَاءِ مِغْلَفِهِ أَكَانَ فِي رَوْضَةٍ غَنَاءٍ أَمْ جَرَدِ
قَدْ رَأَيْتُ حَذَقَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ بِهِ مِسْخِيَّةً مِثْلَ بَعْضِ الْخَلْقِ عَنْ أَحَدِ
وَمَا شَكَأَ قَطُّ مِنْ وَخْزٍ وَلَا ضَعْفَتِ رِجْلَاهُ عَنْ جَوْبٍ وَعَثَّ طَالٌ أَوْ جَدَدِ^(٢)
شُلَّتْ يَدَا مِنْ بِهِ وَلَّى وَغَادَرَنِي أَمْشِي وَأَنْشَبُ فِي أَوْحَالِ ذَا الْبَلَدِ
أَعَالِمُ أَنَّنِي مِنْ بَعْدِهِ جَزِعٌ وَأَنْ فُرْقَتَهُ نَارٌ عَلَى كَيْدِي
وَأَنْ صَوْتَ الْمُنَادِي الْيَوْمَ يَزْعُقُ أَنْ إِبْسَ إِكَافَكَ فِي جُنْحِ الدُّجَى وَعْدِ^(٣)
لَا يَغْرُرُنَّكَ رَغْدُ أَنْتَ وَاجِدُهُ عِنْدَ الْحَرَامِيِّ خَصْمِي فَيْكَ مِنْ حَسَدِ
فَإِنَّمَا ذَا لِحِينٍ أَنْتَ تَعْلَمُهُ مَا دَامَ شَهْرًا عَلَى طَرَفٍ وَلَا عَتَدِ^(٤)
يَقْدِيكَ كُلُّ حِمَارٍ نَدَّ مِنْ بَطْرِ أَوْ ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ أَوْ خَارٍ مِنْ جَهْدِ^(٥)
مَصْنُوعِ الرَّأْسِ مَمْشُوقِ الْقَوَائِمِ لَمْ يَحْرُنْ إِذَا سُمَّتْهُ خَسْفًا وَلَمْ يَجِدِ
أَلِيَّةً أَنَّهُ بِالطَّرِيقِ أَعْرَفُ مِنْ مَوْلَاهُ إِنْ لَمْ يُعَقِّهِ الْقَيْدُ ذُو الْعَقْدِ
يَا لَيْتَ لِي خُصْلَةً مِنْ ذَيْلِهِ أَثَرًا أَرْنُو إِلَيْهَا كَمَا يُرْنَى إِلَى الْخُرْدِ

(١) الكتد: مجتمع الكتفين .

(٢) الوعث: الطريق الخشن الغليظ . الجدد (بفتحيتين) : الأرض المستوية، وفي المثل (من سلك الجدد أمن العثار) .

(٣) الإكاف (بالكسر): البردعة التي تطرح تحت الرجل .

(٤) الطرف (بالكسر) : الكريم من الخيل . العتد (بفتحيتين، وبفتح فكسر) : الفرس المعد للجرى وللمهمات .

(٥) ندد الحمار: نفر وذهب على وجهه شاردًا . اللغب : التعب، والإعياء .

وقال أبو سيّارة (عُميلة بن خالد العدواني) وكان له حمار أسود أجاز
الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة، وكان يُخاف عليه من الحسد
فيعوّذه بقوله (١) :

لا هُمّ مالي في الحِمَارِ الأسودُ أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ
هَلَّا يَكَادُ ذُو الْحِمَارِ الْجَلْعُدُ يَرْقَى أَبَا سَيَّارَةَ الْمُحْسَدُ (٢)
من شرِّ كلِّ حاسِدٍ إِذَا حَسَدُ وَمِنْ أَذَاةِ النَّافِثَاتِ بِالْعَقْدُ
وقال ابن المعتز يذم حماراً (٣) :

هذا الحمارُ من الحَمِيرِ حمارُ نَاحَتْ عَلَيْهِ جِلْيَةٌ وَعِذَارُ
وكأنما الحركاتُ منه سَوَاكِنُ وكأنما إقْبَالُهُ إِدْبَارُ
وقال أبو غلاله في وصف حمار طيّاب السقاء (٤) :

وحمارٌ بَكَتْ عَلَيْهِ الْحَمِيرُ دَقَّ حَتَّى بِهِ الدُّبَابُ يَطِيرُ
كَانَ فِيمَا مَضَى يَسِيرُ بَضْعُفٍ وَهُوَ الْيَوْمَ وَاقِفٌ لَا يَسِيرُ
كَيْفَ يَمْشِي وَلَيْسَ يُعْلَفُ شَيْئاً وَهُوَ شَيْخٌ مِنَ الْحَمِيرِ كَبِيرُ
يَأْكُلُ التُّبْنَ فِي الزَّمَانِ وَلَكِنْ أَبْعَدَ الْأَبْعَدِينَ عَنْهُ الشَّعِيرُ
عَايَنَ الْفَتَّ مَرَّةً مِنْ بَعِيدٍ فَتَغْنَى فِي الْفُؤَادِ سَعِيرُ
(لَيْسَ لِي مِنْكَ يَا ظَلُومُ نَصِيرُ أَنَا عَبْدُ الْهَوَى وَأَنْتَ أَمِيرُ)

وقال أبو الحسين الجزّار (يحيى بن عبد العظيم المصري) يذم
حماره (٥) :

(١) حياة الحيوان للدميري ٢٥٤/١ .

(٢) الجلعّد (بفتح فسكون: الصلب الشديد .

(٣) ديوانه ٥٨٣/٢ .

(٤) ثمار القلوب/ ٣٦٧ ونهاية الأرب ٩٩/١٠ .

(٥) نهاية الأرب ٩٩/١٠ .

هذا حِمَارِي فِي الْحَمِيرِ حِمَارُ فِي كُلِّ خَطْوٍ كَبُوءٌ وَعِثَارُ
قِنْطَارُ تَبْنٍ فِي حَشَاهُ شَعِيرَةٌ وَشَعِيرَةٌ فِي ظَهْرِهِ قِنْطَارُ
وقال أبو الفتح كشاجم (محمود بن الحسين) في صيده الحُمَر الوحشية
بالرمي (١) :

لَمَّا بَدَا الصُّبْحُ فَقِيلَ أَسْفَرَا	وَقَوَّضَ اللَّيْلُ فَقِيلَ شَمَّرَا
وَأَذَكَّتِ الرِّيحُ نَسِيمًا عَطَرَا	كَأَنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَنَبَرَا
غَدَّتْ بِنَا جُرْدٌ طَوِينٌ ضُمَّرَا	مَكْسُوءَةٌ مِنَ الشَّيَاتِ جَبَّرَا (٢)
أَبْلَقُهَا وَحَزْنُهَا وَالْأَشْقَرَا	حَتَّى إِذَا الْعَانَةُ عَنَّتْ سَطَّرَا (٣)
وظَهَرَتْ أَوْ كَرَبَتْ أَنْ تَظْهَرَا	وَقَالَ مَنْ كَانَ أَحَدٌ بَصَّرَا (٤)
لِمَنْ يَلِيهِ جَذِلًا مُسْتَبْشِرَا	أَمَّا تَرَى أَمَّا تَرَى أَمَّا تَرَى
فَمُنْبِضٌ أَوْ مُسْتَجِدٌّ وَتَرَا	وَمُطْلِقٌ بِسَهْمِهِ فَقَصَّرَا
وَمُمْسِكٌ أَجْدِرُ بِهِ أَنْ يَظْفُرَا	وَكُنْتُ مِنْ أَشَدِّهِمْ تَنْظُرَا
لَا أَنْفِدُ الْعَزْمَةَ أَوْ اسْتَظْهَرَا	حَتَّى إِذَا أَمَكَّنِي أَنْ أَقْدِرَا
بَهْرَتُهُمْ سَبْعًا وَمِثْلِي بَهْرَا	فَقَدَّمَ الْمِقْدَارُ مَنْ تَأَخَّرَا
مَنْ أَحْسَنَ الْوَرْدَ أَجَادَ الصَّدْرَا	فَكَمْ رَأَيْتُ مِسْحَلًا مُعَفَّرَا (٥)
مُكْتَسِيًّا مِنْ دَمِهِ مُعْصَفَرَا	مَا خَصَّنِي بَلْ كَانَ لِلْقَوْمِ فِرَا (٦)

(١) ديوانه/١٩٤.

(٢) الشيات جمع الشية: كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره، وقيل: هي في ألوان البهائم:

بياض في سواد، أو سواد في بياض.

(٣) الحزن، قال الزمخشري في الأساس (ومن المجاز قولهم للدابة إذا لم يكن وطيشاً: أنه لحزن

المشي، وفيه حزنونة). العانة: القطيع من الحمر الوحشية. السطر (بفتح فسكون،

وبفتحتين): الصف من الشيء.

(٤) كربت: كادت.

(٥) المسحل (بالكسر): الحمار الوحشي.

(٦) الفيرا (بالكسر) جمع الفرا (بالفتح) وهو الحمار الوحشي أيضاً.

وكان فيه غرض أن أشكرا لله ما أعمه فأكثرنا
لصدق النبي فيما أخبرنا إذ قال: كل الصيد في جوف الفرا^(١)

وقال ابن المعتز في الحمير والأتن^(٢) :

رعى شهرين بالدي رين قبا كالطوامير^(٣)
يقلبن إلى الذعر عيونا كالقوارير
وآذانا سميعات كأصاف الكوافير^(٤)
وقد الأرض منها أسد وقصم الحوافير
كان الأرض تلقاها بأذناب الزناير

وقال آخر يمدح حماره الهزيل^(٥) :

لا تنظرن إلى هزال حماري وأنظر إلى مجراه في الأخطار
متوقد جعل الذكاء إمامه فكأنما هو شعله من نار
عادت عليه الريح عند هبوبها فكأنه ريح الدبور يباري

وقال أبو الفتح كشاجم في صيده الحمر الوحشية بالأهلة^(٦) :

لما نصت أثوابها الحنادس ورثق الكوكب فهو ناعس^(٧)
عدت بنا ضوامر عوابس جرد غيوث شأوها رواجس^(٨)

(١) انظر (كل الصيد في جوف الفرا) في فصلي الأحاديث النبوية، والأمثال من هذا الموضوع .

(٢) ديوانه ٥٨٢/٢ .

(٣) القب (بضم القاف وتشديد الباء) جمع الأقب: الدقيق الخصر الضامر البطن . الطوامير، جمع الطامور: الصحيفة المطوية .

(٤) الكوافير، جمع الكافور وهو هنا وعاء الطلعة في النخلة الذي ينشق عنها .

(٥) نهاية الأرب للنويري ٩٨/١٠ .

(٦) ديوانه ٢٨٤ . الأهلة، جمع الهلال، وهو هنا سنان له شعبتان يصاد به الوحش .

(٧) رثق النوم عينيه: خالطهما الشأو: الأمد، والغاية .

(٨) رواجس: لها سهيل كقصف الرعد .

كَأَنَّهَا عَوَاصِفُ رَوَامِسْ أَطْلَالُ مَا يَطَّانُهُ دَوَارِسُ^(١)
يَرْعَنُ حُمْرًا وَرَدَّهَا خَوَامِسُ بِمِثْلِ شُهْبٍ شِبْهُهُنَّ قَابِسُ^(٢)
آكَلَةٌ لَكِنَّهَا مَنَاحِسُ تَدْمَى بِهَا الْأَعْقَابُ لَا الْمَعَاطِسُ^(٣)
حَتَّى تَرَى التَّائِمَ وَهُوَ جَالِسُ مَا الصَّيْدُ إِلَّا مَا أَرَاغَ الْفَارِسُ

ورقط حمار للسراج الوراق في بثر فمات، فكتب إليه محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري يداعبه^(٤) :

يَفْدِيكَ جَحْشُكَ إِذْ مَضَى مُتَرَدِّيًا وَبِتَالِدٍ يُفْدَى الْأَدِيبُ وَطَارِفٍ
عَدِمَ الشَّعِيرَ فَلَمْ يَجِدْهُ وَلَا رَأَى تَبْنًا وَرَاحَ مِنَ الظَّمَا كَالْتَّالِفِ
وَرَأَى الْبُؤَيْرَ غَيْرَ خَافٍ مَأْوَها فَرَمَى حُشَاشَةً نَفْسِهِ لِمَخَاوِفِ
فَهُوَ الشَّهِيدُ لَكُمْ بِوَافِرِ فَضْلِكُمْ هَذِي الْمَكَارِمُ لَا حَمَامَةَ خَاطِفِ^(٥)
قَوْمٌ يَمُوتُ جِمَارُهُمْ عَطَشًا لَقَدْ أَزْرَوْا بِحَاتِمٍ فِي الزَّمَانِ السَّالِفِ

فأجابه الوراق بقصيدة أولها^(٦) :

أَدْنَتْ قُطُوفَ ثِمَارِهِ لِلْقَاطِفِ وَثَنَتْ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ مَعَاطِفِي
منها ما يتعلّق بذكر الحمار :

وَلَكُمْ بَكِيْتُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَرَابِعِ وَمَرَاتِعِ رُشَّتْ بِدَمْعِي الذَّارِفِ

(١) الروامس: الرياح الدوافن للآثار.

(٢) الخوامس: التي ترعى ثلاثة أيام وترذ الماء في اليوم الرابع.

(٣) مناحس، من النحس وهو الشؤم.

(٤) الوافي بالوفيات ٢١٩/١.

(٥) قوله (لا حمامة خاطف) إشارة إلى أبيات ابن عنين التي مدح بها الامام فخر الدين الرازي،

وسياتي ذكرها في باب (الحمام) وأولها :

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا في كُلِّ مَخْمَصَةٍ وَثَلَجَ خَاشِفِ

(٦) الوافي بالوفيات ٢١٩/١.

يُمسِي عَلَى عُسْرِي وَيُسْرِي صَابِرًا بِمَعَارِفِ تُلْهِيهِ دُونَ مَعَالِفِ
 وَقَدْ اسْتَمَرَّ عَلَى الْقَنَاعَةِ يَقْتَدِي بِي وَهِيَ فِي ذَا الْوَقْتِ جُلٌّ وَظَائِفِي
 وَدَعَاهُ لِلْبُشْرِ الصَّدَى فَأَجَابَهُ وَاعْتَاقَهُ صُورُفُ الْجِمَامِ الْأَزِفِ
 وَهُوَ الْمُدِلُّ بِالْفَقَةِ طَالَتْ وَمَا أَنْسَى حُقُوقَ مَرَابِعِي وَمَآلِفِي
 وَمُوَافِقِي فِي كُلِّ مَا حَاوَلْتُهُ فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مُوَافِقِي وَمُخَالَفِي
 دَوْرَانُ سَاقِيهِ لِطَاحُونٍ لِنَقْدِ لِمِ الْمَاءِ فِي شَاتٍ وَيَوْمٍ صَائِفِ
 لَكِنْ بِمَاءِ الْبُشْرِ رَاحَ بِنَقْلَةٍ قَتَلْتُهُ شَامَاتٍ بِمَوْتِ جَارِفِ (كذا)

وقال اللبّادي الشاعر: خرجت من بعض مدن أذربيجان وتحتي مهر رائع وكانت السنة مجلبة، فضمنني الطريق وغلماً حدثاً على حمار، فحادثته فرأيت أديباً راوية للشعر، فسرنا بقية يومنا وأمسينا إلى خان على ظهر الطريق، فطلبت من صاحبه أن يشتري لنا طعاماً نأكله، وعلفاً للمهر فاعتذر، وبعد أن جعلت له جعيلة جاعني برغيفين ومكوك^(١) من الشعير، فأخذت رغيفاً ودفعت الآخر إلى الغلام، ثم علقت الشعير على دابتي وجعلت أحادث الفتى وحماره واقف بغير علف، فأطرق ملياً ثم قال: أسمع - أيّذك الله - أبياتاً حضرت الساعة ؟ قلت: هايتها، فأنشدني^(٢):

يَا سَيِّدِي شِعْرِي نَفَايَةُ شِعْرِهَا فَلَذَاكَ نَظْمِي لَا يَقُومُ بِشَرِكَا
 وَقَدْ انْبَسَطْتُ إِلَيْكَ فِي إِنْشَادِ مَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِكَا
 أَنْسَتَنِي وَسَرَرْتَنِي وَبَرَرْتَنِي وَجَعَلْتَ أَمْرِي مِنْ مُقَدَّمِ أَمْرِكَا
 وَأَرِيدُ أَذْكَرُ حَاجَةً إِنْ تَقْضِيهَا أَكُ عَبْدٌ مَذْحُكٌ مَا حَيَّيْتُ وَشُكْرِكَا
 أَنَا فِي ضِيَاغَتِكَ الْعَشِيَّةَ هَا هُنَا فَاجْعَلْ جِمَارِي فِي ضِيَاغَةِ مُهْرِكَا

(١) المكوك: مكيل عراقي يسع بحساب الأوزان العشرية حوالي ثلاثة أكيال و(٤٨٠) غراماً .
 (٢) التحف والهدايا/ ٩٤ - ٩٦ .

فضحكتُ، واعتذرت إليه من إغفالي أمر حماره، وابتعت المكوك الآخر
ودفعته إليه .

وقال أبو غلالة في حمار طيّاب السقاء (١) :

جِمارُ أتاحَ بهِ ضِرُّهُ ودارَ عليهِ بذاكَ الفَلَكُ
يَميلُ من الضُّعْفِ في مَشْيِهِ وَيَسْقُطُ في كُلِّ دَرْبٍ سَلَكُ
فأَما الشَّعيرُ فما ذاقَهُ كما لا يَذوقُ الطَّعامَ المَلَكُ
يُغنيَ على القَتِّ لَمَّا يَراه وقد هَزَّهُ الجوعُ حتَّى هَلَكُ
أَخَذَتِ فُؤادي فَعَذَّبَتُهُ وأسَهَرَتِ عَيني فما حَلَّ لَكَ

ومن مُلح ابن عنين (شرف الدين محمد بن نصر) قوله يرثي حماراً له
مات في الموصِل (٢) :

لَيْلُ باؤِلِ يومِ الحَشْرِ مُتَّصِلُ ومقلَّةُ أبدأَ إنسانُها خَصيلُ
وهَلْ ألامُ وقد لاقِيتُ داهِيَةً يَنهَدُ لو حَمَلَتها بَعْضُها الجُبُلُ (٣)
ثَوَى المِصْكُ الذي قَدْ كُنْتُ آمِلُهُ عَوناً وَخَيْبَ فيه ذلِكَ الأَمَلُ (٤)
لا تَبْعُدَنَّ تُرْبَةً ضَمَّتْ شَمائِلَه ولا عَدا جانيبَها العارضُ الهَطلُ
لقد حَوَتْ غيرَ مِكسالٍ ولا رَعرِشٍ إن قَيَدَ القُودِ مِن دُونَ السُّرى الكَسَلُ (٥)
قد كانَ إن سَابَقَتَهُ الرِّيحُ غادرها كأنَّ أحمُصَها بالشَّوكِ يَتَّعِلُ (٦)

(١) ثمار القلوب/ ٣٦٨ .

(٢) ديوانه / ١٤٠ .

(٣) الجبل (بضمّتين ، وبضم فكسر) : الجماعة من الناس .

(٤) المصك : القوي .

(٥) القود جمع الأقود : الدلول المنقاد من الابل والخيول .

(٦) في الوافي بالوفيات ١٢٥/٥ (متعل) .

لا عاجزاً عند حَمَلِ الْمُثْقَلَاتِ ولا
مُكَمَّلُ الخَلْقِ رَحْبُ الصَّدْرِ مُنْتَفِخُ الدِّ
يَطْوِي عَلَى ظَمَأٍ خَمْساً أَضَالِعُهُ
وَيَقْطَعُ الْمُقْفِرَاتِ الْمُوحِشَاتِ إِذَا
فَفِي الْأَبَاطِيحِ هَيْئُ رَاعِهِ قَنْصُ
يُرجِعُ النَّهَقَ مَقْرُوناً وَيُطْرِبُنِي
لو كَانَ يُفْدِي بِمَالٍ مَا ضَنْنْتُ بِهِ
وإنَّ لِي بِنِظَامِ الدِّينِ تَعَزِيَّةً

(يمشي الهويناً كما يمشي الوجي الوجل^(١))
سَجْنَيْنِ لا ضَامِرٌ طَاوٍ ولا سَغِلُ^(٢)
فِي بَيْضَةِ الصَّيْفِ والرَّمْضَاءُ تَشْتَعِلُ^(٣)
عَنْ قَطْعِهَا كَلَّتِ الْمَهْرِيَّةُ الْبُزْلُ^(٤)
وَفِي الْجِبَالِ الْمُئِيفَاتِ الذَّرَى وَعَلُ^(٥)
لِحْناً كَمَا يُطْرِبُ الْمَزْمُومُ وَالرَّمْلُ^(٦)
وَلَمْ تُصْنِ دُونَهُ خَيْلٌ وَلَا خَوْلُ
عَنْهُ وَفِي النُّجَبِ مِنْ أَبْنَائِهِ بَدَلُ

وقال محمد بن يحيى اليزيدي في رثاء حمارة^(٧) :

ألا يا حِمَارِي كُنْتَ زَيْنِي وَجَلِيَّتِي
أَرْجَلَنِي مِنْكَ الزَّمَانُ وَجِرْفَتِي
وَكُنْتَ سِرَاجاً فِي الْفِنَاءِ الْمُعْطَلِ^(٨)
وَمَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُرْجَلِي

وقال الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) يصف حمار الوحش من قصيدة
في المديح^(٩) :

عَنْتَرِيْسُ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ طُ كَعْدُو الْمُصْلَصِلِ الْجَوَالِ^(١٠)

(١) الوجي: الذي حفي حافره. عجز البيت للأعشى الكبير، وصدرة (غراء فرعاء مصقول عوارضها - تمشي).

(٢) السغل (بفتح فكسر): المهزول.

(٣) بيضة الصيف: صميمه، وهي بين طلوع سهيل والدبران (أساس البلاغة).

(٤) الابل المهرية: من النجائب، قيل إنها تسبق الخيل وفي نسبتها أقوال.

(٥) الهيق: الظليم وهو ذكر النعام.

(٦) المزموم والرمل: لحنان من الحان الغناء.

(٧) شعر اليزيديين/ ١١١.

(٨) المعطل: الموات من الأرض.

(٩) ديوانه/ ٧.

(١٠) العنتريس: الناقة الصلبة. المصلصل: حمار الوحش المصوت.

لَا حَهُ الصَّيْفُ وَالصَّيَالُ وَإِشْفَا قُ عَلَى صَعْدَةِ كَقَوْسِ الضَّالِ (١)
 مُلْمِعٍ لَاعَةِ الْفُؤَادِ إِلَى جَحْ شِ فَلَاهُ عَنْهَا فَيْشَ الْفَالِي (٢)
 ذُو أَذَاةٍ عَلَى الْخَلِيطِ خَبِيثُ الْ نَفْسِ يَرْمِي مَرَاغَهُ بِالنُّسَالِ (٣)
 غَادَرَ الْجَحْشَ فِي الْعُبَارِ وَعَدًّا هَا حَثِيثًا لَصُوءِ الْأَدْحَالِ (٤)
 ذَلِكَ شَبَّهَتْ نَاقَتِي عَنْ يَمِينِ الْ رَعْنِ بَعْدَ الْكَلَالِ وَالْأَعْمَالِ (٥)

استعار ناظر الشرقية بمصر حمارة الشاعر البوصيري (محمد بن سعيد) ،
 فأعجبته ، فأخذها وجهاز له مائتي درهم ، فكتب البوصيري على لسان حمارته
 الأبيات الآتية ، فلما قرأها الناظر ردَّ الحمارة ولم يأخذ الدراهم منه (٦) :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتَ أَلْفَاظُهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ
 حَاشَاكَ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدٍ وَأَنْتَ بِالرُّزْقِ فِيهِ لِي كَافِلٌ
 أَلَمْ تَكُنْ قَدْ أَخَذْتَ عَارِيَةً مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تَرُدَّ فِي الْعَاجِلِ
 وَكَانَ عَزَمِي عِنْدَ الْوُصُولِ بِكُمْ أَجْمَلُ مِنْ أَنْ أَسَاقَ لِلْحَاصِلِ
 مَا كَانَ مِثْلِي يُعِيرُهُ أَحَدٌ قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ
 لَوْ جَرَّسُوهُ عَلَيَّ مِنْ سَفَهٍ لَقُلْتُ غَيْظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ (٧)

(١) لاحه الصيف: غيره. الصيال: مصاولة الفحول من حمر الوحش. الصعدة: الأتان الطويلة
 الظهر الضال: شجر تتخذ منه القسي .

(٢) المُلْمِع: الأتان التي استبان حملها. لاعة، من اللوعة: الحزن الشديد الافتلاء: الفطام،
 يقول: ظهر حمل الأتان فحزنت على صغير لها أضناه الفطام .

(٣) المِراغ: المكان الذي تتمرغ فيه الدابة. النسال (بالضم): ما سقط عن الدابة من الشعر .

(٤) عداها: صرفها. الصُوءة: ما غلظ وارتفع من الأرض. الأدحال جمع دحل: بقع كالنفق ضيق
 الأعلى واسع الأسفل .

(٥) رعن الجبل: أنفه الشاخص منه. الأعمال: من أعمل الناقة: كلفها العمل والسير .

(٦) ديوانه/ ١٨٩ .

(٧) جرَّسوه: ندَّدوا بفعله .

طالَ بي شَوْقٌ إلى وَطَنِي والشَّوْقُ داءٌ لا دُقَّتَه قاتِلُ
وُبُغْيَتِي أنْ أَكونَ سائِبَةً من بَلَدِي في جَوَانِبِ السَّاحِلِ
لا تَطْمَعُوا أنْ أَكونَ عِنْدَكُمْ فذاك ما لا يَرُومُهُ العاقِلُ
وَبَعْدَ هذا فَمَا يَحِلُّ لَكُمْ مِلْكي فَإِنِّي من سَيِّدي حَامِلُ

وقال خاشع محسن الراوي القصيدة الرمزية الآتية (١) :

إِنَّ الحِمَارَ ابنَ حَنْتَمَ	هو العَزِيزُ المُكْرَمُ (٢)
له المَعَالِفُ تُبْنَى	له العَلِيقُ يُقَدَّمُ
من أَعْدَبِ المَاءِ يُسْقَى	وأَطْيَبِ التَّنِّبِ يُطْعَمُ
وكم يُسَاسُ بِلُطْفٍ	كَي لا يَضِيقَ وَيَسَامُ
فهو الأَثِيرُ المَرْجَى	وهو الصَّفِيُّ المُقَدَّمُ
وهو الحَرِيزُ المُوقَى	إِذَا الزَّمَانُ تَأَزَّمُ
يَخْتَالُ دَلًّا وَتِيهَا	إِذَا على الرُّبْعِ أَقْدَمُ
تَرى عَلَيْهِ جِلَالًا	من هَيَّيَةِ السَّرْجِ أَعْظَمُ (٣)
وَرَشْمَةً من حَرِيرٍ	بها على العَزِيرِ شَمُ (٤)
أُزْرَى بِكُلِّ جَوَادٍ	يُسَابِقُ الرِّيحَ مُلْجَمُ

إِنَّ الحِمَارَ ابنَ حَنْتَمَ فاقَ الجَوَادَ المُطَهَّمُ

(١) ديوانه/ ٣٩ .

(٢) حنتم : من أسماء النساء .

(٣) الجلال ، عامية مستعملة في العراق ، فصيحها : الجَلَّ (بالضم) وهو للدابة كالثوب للإنسان ، جمعه جلال (بالكسر) وأجلال .

(٤) الرشمة ، عامية مستعملة في العراق ، فصيحها : الرسن (بالفتح) وهو ما كان على الأنف من الأزمّة ، والحبل الذي تقاد به الدابة .

فِيَا لَهُ حَنْتَمِيًّا عَلَى الْعَلِيقَةِ حَمَحَمَ
يَهْزُ رَأْسًا وَذِيلاً إِلَيْكَ إِنَّ هُوَ سَلَّمَ
تَرَاهُ وَهُوَ مُدِلُّ بِالْحُسْنِ يَزْهُو وَيَنْعَمُ
مُتَعَنِّفِصاً مِنْ حُبُورٍ وَالذَّهْرُ بِالسُّوءِ مُفْعَمُ (١)
قَدْ أَحْجَلَ الظَّيِّ حُسْنًا لِمَ لَا يُضْمُ وَيُلْتَمُ
فَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَبْهَى عَلَى الزَّمَانِ وَأَوْسَمُ ؟
وَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَصْفَى عَلَى الْحَيَاةِ وَأَنْعَمُ ؟
وَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَدْهَى وَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَفْهَمُ ؟
غَنِيَّتُهُ وَهُوَ لَا حَتَّى غَدَا الرِّيقُ عَلَقَمُ

إِنَّ الْحَمِيرَ لِأَوْلَى بِأَنْ تُعَزَّزَ وَتُكْرَمَ
فَلَيْتَنِي كُنْتُ مِنْهَا كَيْمَا أَفُوزَ وَأُغْنَمَ
وَلَيْتَنِي لَسْتُ أَحْجُو وَلَيْتَنِي لَسْتُ أَعْلَمُ (٢)
وَلَيْتَ عَقْلِي يَفْنَى وَلَيْتَ جِسِّي يُعْذَمُ
وَلَيْتَ أَنِّي أَصَمُّ وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَبْكَمُ
عَسَايَ أَحْيَا سَعِيداً مِثْلَ الْحِمَارِ ابْنِ حَتَمَ
فَلَا أَحْسُ فَأَشْكُو وَلَا أَغَارُ فَأُظْلَمَ
وَلَا أَذَادُ وَأُقْصَى عَنْ النِّعَمِ فَأُحْرَمَ
وَقَالَ أَبُو غَلَالَةَ فِي هَذَا حِمَارٍ طَيَّابِ السَّقَاءِ (٣) ؛

أَقْسَمْتُ بِالكَّاسِ وَالْمُدَامِ وَصُحْبَةِ الْفِتْيَةِ الْكِرَامِ

(١) عنفص الرجل: ادّعى بما ليس فيه ، وكان ذا خفة وصلف وخيلاء . وعنفص الحمار ، عامية مستعملة في العراق ، تعني قفز قفزات متتابة من صحة ونشاط .

(٢) الحجو: الفطنة .

(٣) ثمار القلوب/٣٦٧ .

أَنْ لَسْتُ أَبْكِي عَلَى رُسُومٍ
 لَكِنْ بُكَائِي عَلَى جِمَارٍ
 قَدْ ذَابَ ضُرّاً أَوْ مَاتَ هَزْلاً
 وَمَرَّ يَوْماً بِهِ شَعِيرٌ
 وَحَمْلٌ قَتَّ لَشَاةٍ قَوْمٍ
 فَظَلُّ مِنْ فَرْحَةٍ يَغْنِي
 يَا زَائِرِينَ مِنَ الْخِيَامِ
 لَمْ تَطْرُقَانِي وَبِي حَرَاكُ
 وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرٍ يَصِفُ حِمَاراً (١) :

شَيْئُهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ فِيهَا أَشْرَقَتْ
 وَكَأَنَّهُ مِنْ تَحْتِ رَاكِبِهِ إِذَا
 ظَهَرَ كَجَرِي الْمَاءِ لَيْنٌ رُكُوبِهِ
 سَفِهَتْ يَدَاهُ عَلَى الثَّرَى فَتَلَاغَبَتْ
 عَنْ حَافِرٍ كَالصَّخْرِ إِلَّا أَنَّهُ
 مَا الْخَيْزُرَانُ إِذَا انْثَنَتْ أَعْطَافُهُ
 عُنُقٌ يَطُولُ بِهَا فُضُولُ عِنَانِهِ
 وَكَأَنَّهُ بِالرَّيْحِ مُتَتَعِلٌّ وَمَا
 أَخَذَ الْمُحَاسِنَ آمِناً مِنْ عَيْهِ

وَقَالَ صَخْرُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ لَمَّا أَضْنَاهُ جَرْحَهُ، وَعَلِمَ أَنَّ امْرَأَتَهُ قَدْ
 بَرِمَتْ بِهِ، وَرَأَى تَحْرِقَ أُمَّهُ عَلَيْهِ (٢) :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي

(١) نهاية الأرب ٩٧/١٠ .

(٢) الكامل للمبرد ٦٠/٤ .

وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً عليكِ ومن يَغترُّ بالحدَثانِ
أهمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أُسْتَطِيعَ وقد حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنِّزوانِ
لَعَمْرِي لقد أنبَهتِ مَنْ كانَ نائماً وأسمعتِ مَنْ كانتَ لَهُ أذنانِ
فأيُّ امرئٍ ساوَى بأُمِّ حَلِيلَةٍ فلا عاشَ إلَّا في شَقَى وهوانِ
وقال أبو غلالَةَ في حمارٍ طَيَّابٍ السَّقَاءُ^(١) :

حِمَارُ طَيَّابٍ لَا تُحْصَى مَعَايِبُهُ ما فِيهِ أَكْثَرُ ممَّا قُلْتُهُ فِيهِ
قَدْ دَقَّ حَتَّى رَأَيْتُ الْخَيْطَ يَشْبَهُهُ مِنَ الْهَزَالِ وَعَيْنُ الضَّرِّ تَبْكِيهِ
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَوْلَا التَّبَنُّ يَأْكُلُهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَكَانَ الْجُوعُ يُقْنِيهِ
مَا زَالَ يَطْلُبُ وَضَلَّ الْفَتَّ مُجْتَهِداً وَالْقَتُّ يَقْتُلُهُ بِالْصَّدِّ وَالْتِيهِ
حَتَّى تَغْنَى لَهُ مِنْ طُولِ جَفَوْتِهِ صَوْتاً يَبُوحُ بِمَا قَدْ كَانَ يُخْفِيهِ
النَّجْمُ يَرْحَمُنِي ممَّا أَكَابِدُهُ وَأَنْتِ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا أَقَاسِيهِ
وقال ابنُ الهَبَّارِيَّةِ في قِصَّةِ الحِمَارِ والضَّرْغَامِ^(٢) :

وقال أبو أيُّوب ما هذا المثلُّ قال: حِمَارٌ كَانَ فِي بَعْضِ الْحَلَلِ^(٣)
فَقَصَدَ الْمَرْعَى فَخَاضَ طِينَا فَظَلَّ فِيهِ مُوثِقاً رَهِينَا
وَكَلَّمَا رَامَ الْخُرُوجَ غَاصَا مِثْلَ خَنِيْقٍ يَطْلُبُ الْخَلَاصَا
إِذَا تَلَكَّا فِي الْخِنَاقِ وَاضْطَرَبَ زَادَ خِنَاقاً بِالْمِرَاسِ وَعَطَبَ^(٤)
كَذَاكَ مَنْ يَحْتَالُ لِلرَّخَاءِ قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّةِ الْبَلَاءِ
تَزِيدُهُ حِيلَتُهُ بَلَاءَ لِأَنَّهُ يُرَاغِمُ الْقَضَاءَ

(١) ثمار القلوب/ ٣٦٨ .

(٢) ديوانه (الصادح والباغم) / ٤٦ .

(٣) أبو أيُّوب: كنية الجمل، ولعله هو المقصود بالبيت. الحلل: جمع حلة (بالكسر): المحلّة، والقوم النزول فيهم كثرة، وقيل: مائة بيت.

(٤) تَلَكَّا: تَلَكَّا، أي أَبْطَأَ وَتَوَقَّفَ.

فلم يَزَلْ في الْوَحْلِ شَهْرًا كَامِلًا
 حَتَّى غَدَا مِثْلَ الْفَنِيْقِ الْمُصْعَبِ
 فَصَارَ مِمَّا نَالَهُ مِنْ أَكْلِ
 فَجَازَ لِلْحَيْنِ هُنَاكَ أَسَدُ
 فَسَمِعَ الصَّوْتَ فَقَالَ : فَرَجُ
 وَاتَّبَعَ الصَّوْتُ فَأَلْفَى الطِّينَا
 فَقَالَ : إِنَّ خُضْتُ نَشَبْتُ فِيهِ
 أَمُوتُ فِي يَوْمٍ وَلَا أَعِيشُ
 فَلَيْسَ إِلَّا الْكَيْدُ وَالتَّذْيِيرُ
 قَالَ سَلَامٌ يَا أَبَا زِيَادٍ
 إِنِّي أَرَاكَ مِنْذُ حِينٍ مَا كَثُرَا
 قَالَ : أَبَا الْحَارِثِ عِمُّ صَبَاحَا
 وَاللَّهِ مَا آخَرْتُ الْمَقَامَ هَاهُنَا
 لَكِنِّي مُقَيَّدٌ بِالْوَحْلِ
 وَإِنِّي أَرْجُوكَ أَنْ تُنْقِذَنِي
 فَإِنْ يَكُنْ فِي طَبْعِكَ الْقَسَاوَةُ
 فَآمَنْتُ فَأَنْتَ مَلِكٌ كَبِيرُ
 وَإِنَّ مِنْ خِصَائِلِ الْكِرَامِ
 وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ
 كِفَاكَ مِنْهَا أَيُّهَا الْكَبِيرُ
 قَالَ لَهُ اللَّيْثُ دَعَوْتُ رَاحِمَا

يَرَعَى بِذَاكَ الْمَرْجَ رَوْضًا بِاقِلَا (١)
 وَعَادَ فِي الشَّحْمِ بَزِيٍّ مُعْجِبِ (٢)
 يَنْهَقُ وَهُوَ غَائِصٌ فِي الْوَحْلِ
 لِلصَّيْدِ مِنْذُ مَدَّةٍ يَجْتَهِدُ
 لِكُلِّ ضَيْقٍ سَعَةً وَمَخْرَجُ
 دُونَ الْحِمَارِ لَثَقًا ثَخِينَا (٣)
 وَلَيْسَ فِي قُوَّةٍ تَكْفِيهِ
 إِذْ لَسْتُ مِمَّنْ أَكَلَهُ الْحَشِيشُ
 وَالْحَزْمُ لَا الْإِقْدَامُ وَالتَّغْرِيرُ
 وَبِالْيُودَادِ تُخْدَعُ الْأَعَادِي
 بِذَا الْمَكَانِ مُطْمَئِنًّا لَا يَشَا
 فَقَدْ غَدَوْتَ مَلِكًا جَحْجَاحَا
 مَقَالَ غُرٍّ لَمْ يَكُنْ مُدَاهِنَا
 فِي مِحْنَةٍ شَدِيدَةٍ وَذُلٍّ
 مِنْ وَرَطَتِي هَذِي وَأَنْ تُسْعِدَنِي
 وَبَيْنَنَا الْبَغْضَاءُ وَالْعَدَاوَةُ
 وَهِيَ أَنَا مُضْطَهَّدٌ أَسِيرُ
 رَحِمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالسَّقَامِ
 الْعَطْفُ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
 أَنِّي مِنْهَا بِكَ مُسْتَجِيرُ
 إِنَّ الْعَظِيمَ يَدْفَعُ الْعَظَائِمَا

(١) الباقل: المخضّر .

(٢) الفنيق: فحل الإبل المكرّم. المصعب: الذي ترك فلم يركب فصار صعباً .

(٣) اللثق: الندي، واللّزج .

أبشر فإني كاشِفُ عَنْكَ الْكُرْبَ
فإنَّ مثلي يَدْفَعُ الْأَهْوَالَا
لا سِيَمَا عَنْ مُسْتَجِيرِ بَائِسٍ
قد قَضَتِ الْعُقُولُ أَنَّ الشَّفَقَةَ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا
وَمَرٌّ لِّلْمَكْرِ وَلِلدَّهَاءِ
فَانْقَطَعَ الْمَاءُ وَجَفَّ الطِّينُ
وَنُشِفَ الْمَاءُ وَخُلِيَ قَدَرُ مَا
وَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو لَهُ الْجَمَارُ
حَتَّى إِذَا جَفَّ عَلَيْهِ الطِّينُ
وَاخْتَبَسَ الضَّرْعَامُ عَنْهُ عَمْدَا
وَجَاءَهُ اللَّيْثُ وَقَالَ أَجْبَذُكَ
قَالَ نَعَمْ فَأَفْعَلُ فَأَنْتَ عَالِمُ
فَعَلِقْتُ مِنْ وَقْتِهِ مَخَالِبُهُ
فَدَقُّهُ مِنْ وَقْتِهِ وَافْتَرَسَهُ

وَنَازِعُ دُونَكَ أُنْيَابَ النُّوبِ
عَنِ الْعِدَى وَيَحْمِلُ الْأَثْقَالَا
وَقَانِطٍ مِنَ الْحَيَاةِ يَائِسٍ
عَنِ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ صَدَقَهُ
أَعَانَهُ اللَّهُ إِذَا أُخِيفَا
فَسَدَّ مِنْ فَوْقَ مَسِيلِ الْمَاءِ
فِي مَدَّةٍ وَفَرَحَ الْمُسْكِينُ
يُرْوِي بِهِ غَلَّتَهُ مِنَ الظَّمَا
وَلَيْسَ يَذْهَبُ أَنَّهُ مَكَّارُ
وَجِسْمُهُ فِي جَوْفِهِ دَفِينُ
وَقَطَعَ الْعُشْبَ فَلَاقَى جَهْدَا
يَقْوَتِي مِنْهُ لَعَلِّي أَنْقَذُكَ^(١)
وَنَاصِحُ كَمَا تَقُولُ رَاحِمُ
فِيهِ وَعَادَ اللَّيْثُ وَهُوَ رَاكِبُهُ
وَيَحُ أَيْبُهُ صَائِدًا مَا أَكَيْسُهُ

(١) جبذ : لغة في جذب، وليست قلباً لاستقلال كل حرف بتصرفه .

الحَمَام (١)

أجناسه :

الحمام : وحشيٌ وأهليٌ ، وبيوتيٌ وطوراني^(٢) . وكلُّ طائر يعرف الزَّواج ، ويحسن الصوت والهديل ، والدعاء والترجيع فهو حمام وإنْ خالف بعضه بعضاً في بعض الصوت واللَّون ولحن الهديل . ويمتاز صنف الحمام عن غيره من الطيور أنَّه عندما يشرب الماء لا يرفع رأسه ، بل يُغمّر منقاره حتَّى المنخرين فينسحب الماء إلى الفم .

الحمام جمع ، ويجمع أيضاً على حمامات وحمامم ، واحده حمامة للذكر والأنثى ، لأنَّ الهاء إنَّما دخلته على أنَّه واحد من جنس لا للتأنيث ، وربَّما قالوا : حمام للواحد .

ويشمل هذا الإسم عند العرب أسماء كثيرة ، ومن أهمِّ تلك الأسماء ما

(١) الحيوان للحافظ ١٤٤/٣ . المحقَّص ١٦٧/٨/٢ . حياة الحيوان ٢٥٦/١ و ١١/٢ و ١٩٦ و ٢٥٨ ، ٣٩٤٠ و ٤١٠ ، والمعجم الزوولوجي ٥٤٢/٢ ، والصحاح للجوهري ، ولسان العرب ، وأدب الموارد - في حدود المواد التي سيرد ذكرها - .

(٢) الطوراني . نسبة إلى طور سيباء ، وقيل : (طراني) نسبة إلى جبل يقال له (طرآن)

تردّد ذكرها في أشعارهم وهي :

- الفاخّنة (بكسر الخاء) جمعها فواخت وهي ضرب من الحمام المطوّق ويقال لها: الصُّلُصُل (بضم الصادين) . قيل إنّ اسم الفاخّنة مشتق من الفخت وهو ظل القمر. وفختت الفاخّنة: صوّتت، وتفخّخت المرأة: مشت مشي الفاخّنة .

- القُمري (بالضم) والجمع قماري، وقُمُر (بضم فسكون) والأنثى قمرية، ويسمّى الذكر (ساق حرّ) و (ورّشان) جمعه وراشين وكنيته: أبو زكري، وأبو طلحة، وأبو الأخضر، وأبو عمران، وأبو النائحة .

- اليمامة، وقد اختلفوا في التعريف بها فمن قائل إنّها الحمامة البرية، وقائل إنّها الحمامة الأهلية .

والإسم يقع على الذكر والأنثى، والهاء للجنس لا للتأنيث، والجمع يمامات، ويمام .

- الورقاء: الحمامة التي يضرب لونها إلى السواد في غبرة .

واعتبر بعضهم (القطا) من الحمام، ولكنني أفردتها لأسباب سأذكرها عندما تأتي نوبتها .

مما ورد في الأمثال

- (آلف من حمام مكّة) ويقال أيضاً (آمن من حمام الحرم)^(١) وذلك أنها لا تثار، ولا تصاد، فهي تآلف وتآمن ويطول عهدها هناك .

- (أحقق من حمامة)^(٢) لأنّهم يزعمون أنّها لا تصلح عشها، فربّما سقط

(١) جمهرة الأمثال ١/١٩٩ ، وحياة الحيوان ١/٢٦٣ .

(٢) جمهرة الأمثال ١/٣٩٣ .

بيضا فانكسر .

- (أشجى من حمامة)^(١) .

- (أكذب من فاختة)^(٢) رموها بالكذب زوراً لأنهم توهموا أنها تقول في هديلها - وهي فوق النخلة ، والنخلة لم يخرج طلعتها بعد - (هذا أوان الرطب) فقال شاعرهم :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
الطلع لم يبد لها هذا أوان الرطب

- (أهدى من حمامة)^(٣) يريدون الحمام الزاجل الذي يستعمل لنقل الرسائل إلى مختلف الأقطار .

- (تقلدها طوق الحمامة)^(٤) يقال ذلك للرديلة يأتيها الإنسان فيلزمه عارها ، وهو مأخوذ من قول الشاعر عبيد بن الأبرص .

إذهب بها إذهب بها طوقتها طوق الحمامة

ومنه قولهم (طوق الحمامة لا يبلى على القدم)^(٥) وقولهم (كأطواق الحمام في الرقاب)^(٦) .

- (زقه زق الحمامة فرخها)^(٧) يضرب مثلاً لمن تولّى تربية قريب له فلم يقصّر في رعايته والشفقة عليه .

(١) المصدر السابق ٥٣٨/١ .

(٢) المصدر السابق ١٧٣/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٣٥٣/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٢٧٥/١ .

(٥) و (٦) - التمثيل والمحاضرة/ ٣٧٢ .

(٧) المعجم الزوولوجي ٥٤٩/٢ .

- (الفاختة عنده أبو ذر)^(١) لقد مرّ في الأمثال قبل قليل (أكذب من فاختة) أمّا أبو ذرّ فهو الغفاري جندب بن جنادة الصحابي الجليل الذي يقول فيه رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر)^(٢) .

- (كن مع الناس يمامة)^(٣) يعني كن وديعاً مع الناس وعاملهم بالرفق .

مما ورد في القصص

الحمامتان^(٤) :

زعموا أنّ حمامتين ذكرًا وأنثى ملآ عشهما من الحنطة والشعير فقال الذكر للأنثى : إنا إذا وجدنا في الصّحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما هنا شيئاً ، فإذا جاء الشتاء ولم يكن في الصّحارى شيء رجعنا إلى ما في عُشنا فأكلناه . فرضيت الأنثى بذلك وقالت له نعماً رأيت ، وكان ذلك الحب ندياً حين وضعاه في عشهما . فانطلق الذكر فغاب ، فلما جاء الصيف يبس الحب وتضمّر ، فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصاً فقال لها : أليس كنّا جمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئاً فلم أكلته ؟ فجعلت تحلف أنّها ما أكلت منه شيئاً ، وجعلت تتنصّل إليه فلم يصدّقها وجعل ينقرها حتى ماتت .

فلما جاءت الأمطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلاً العش كما كان ، فلما رأى الذكر ذلك ندم ثم اضطجع إلى جانب حمامته وقال : ما ينفعني الحب والعيش بعدك إذا طلبتك فلم أجدك ، ولم أقدر عليك ، وإذا فكّرت في أمرك

(١) المعجم الزوولوجي ٤/٥ .

(٢) الاستيعاب ٢٥٥/١ .

(٣) حياة الحيوان ٤١١/٢ .

(٤) كلیلة ودمنة/٣٧٨ .

وعلمت أنني قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات . ثم استمرّ على حزنه فلم يطعم طعاماً ولا شراباً حتّى مات إلى جانبها .

الحمامة المطوّقة والغراب والجُرذ^(١) :

زعموا أنه كان بأرض سكاوَنَدَجِين عند مدينة دَاهَر مكان كثير الصيد ينتابه الصيَّادون ، وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان ملتفّة الورق فيها وكر غراب . فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بَصُر بصيَّاد قبيح المنظر سيّء الخلق ، وقبح منظره يدلُّ على سوء مخبره ، على عاتقه شبكة وفي يده عصا مقبلاً نحو الشجرة ، فذعر الغراب منه وقال : لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حَيِّنِي ، وإما حَيِّنْ غَيْرِي ، فَلأُثَبِّتَنَّ في مكاني حتّى أنظر ماذا يصنع ؟ ثم إنَّ الصيَّاد نصب شبكته ونثر عليها الحبَّ وكمن قريباً منها . فلم يلبث إلا قليلاً حتّى مرّت به حمامة يقال لها المطوّقة ، وكانت سيّدة الحمام ، ومعها حمام كثير ، فعميت هي وصاحباتها عن الشرك فوقعن على الحبَّ يلتقطنه فعلقن في الشبكة كلُّهنَّ وأقبل الصيَّاد فرحاً مسروراً . فجعلت كلُّ حمامة تتلجلج^(٢) في حبالها ، وتلتمس الخلاص لنفسها . قالت المطوّقة : لا تخاذلن^(٣) في المعالجة ، ولا تكن نفس إحداكن أهمَّ إليها من نفس صاحبتها ، ولكن نتعاون جميعنا ونطير كطائر واحد فينجو بعضنا ببعض .

فجمعن أنفسهنَّ ووثن وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهنَّ بتعاونهنَّ وعلون بها في الجوّ . ولم يقطع الصياد رجاءه منهنَّ وظنَّ أنهنَّ لا يجاوزن إلاّ قريباً حتّى يقعن .

(١) المصدر السابق/ ٢٣٥ .

(٢) تتلجلج : تردّد مرتبكة .

(٣) لا تخاذلن : لا تتركن التعاون .

فقال الغراب : لأتبعهن وأنظر ما يكون منهن ، فالتفت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام : هذا الصياد جادٌ في طلبكن ، فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا ، وإن توجهنا إلى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف . وبمكان كذا جردٌ هولي أخٌ فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشرك . ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف . وتبعهن الغراب لينظر إليهن لعله يتعلم منهن حيلة تكون له عُدّة عند الحاجة ، فلما انتهت الحمامة المطوقة إلى الجرد أمرت الحمام أن يقعن فوقعن .

وكان للجرد مائة جحر أعدها للمخاوف . فنادته المطوقة بأسمه - وكان اسمه زَيْرَك ، فأجابها الجرد من جحره : من أنت ؟ قالت : أنا خليلتك المطوقة . فأقبل إليها الجرد يسعى فقال لها : ما أوقعك في هذه الورطة ؟ قالت له : ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدّر على من تصيبه المقادير ، وهي التي أوقعني في هذه الورطة . فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمراً . وقد تنكسف الشمس وينخسف القمر إذا قضى ذلك عليهما ، ثم إن الجرد أخذ في قرض العقد^(١) الذي فيه المطوقة .

فقالت له المطوقة : إبدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي ، فأعادت عليه ذلك مراراً وهو لا يلتفت إلى قولها . فلما أكثرت عليه القول وكرّرت قال لها : لقد كرّرت القول عليّ كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعّين لها حقاً . قالت : إنني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تملّ وتكسل عن قطع ما بقي ، وعرفت أنك إن بدأت بهنّ قبلي وكنت أنا الأخيرة لم ترض وإن أدركك الفتور أن أبقى في الشرك . قال الجرد : هذا ممّا يزيد الرغبة فيك والمودة لك . ثم إن الجرد أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة وحمامها معها . . . (٢) .

(١) العقد (بكسر العين) : القلادة . ، والمراد هنا : حبل الشرك .

(٢) للقصة بقية لا علاقة لها بالحمام تركناها توخياً للاختصار .

مما ورد في الكلام المنشور

١ - قال أبو حاتم السجستاني^(١) :

جميع الفراسة التي لا تخطيء في حمام الأمصار أربعة أوجه . فالوجه الأول التقطيع ، والثاني المجسمة ، والثالث الشمائل ، والرابع الحركة . فالمحمود من التقطيع عند العلماء ذوي التجارب : انتصاب الخلقة واستدارة الرأس في غير عظم ولا صغر ، وعظم القرطمتين^(٢) ونقاؤهما ، واتساع المنخرين وأنهرات الشدقين ، وسعة الجوف وحسن خلقة العينين ، وقصر المنقار في غير دقة ، واتساع الصدر وامتلاء الجؤجؤ^(٣) ، وطول العنق وإشراف المنكبين وانكماش الجناحين ، وطول القوادم في غير إفراط ، ولحاق بعض الخوافي ببعض في غير تفنين^(٤) ، وصلابة العصب من غير انتفاخ ولا ييس ، واجتماع الخلق في غير تكزيم^(٥) ، وعظم الفخذين والساقين ، واقتدار الأصابع وقصر الذنب وخففته من غير تفريق من الريش ولا تفنين ، وتوقد الحذقتين وصفاء اللون . فهذه أعلام الفراسة في التقطيع .

وأما أعلام المجسمة فوثاقة الخلق وشدة اللحم ومتانة العصب وصلابة القصب ، ولين الريش في غير رقة ، وصلابة المنقار في غير دقة .

وأما أعلام الشمائل فصفاء البصر وثبات النظر وشدة الحذر وحسن التلفت ، وقلة التخيل وذكاء الفؤاد ، وظهور الشهومة وقلة الرعدة عند الذعر ،

(١) المخصص لابن سيده ١٧٠/٨/٢ .

(٢) القرطمتان من الحمام : نقطتان على أصل منقاره .

(٣) الجؤجؤ : الصدر أو عظام الصدر ، أو مواصل عظامه ، أو مجتمع رؤوس عظامه .

(٤) من غير تفنين : من غير اختلاط .

(٥) التكزيم : القصر ، والانقباض .

(٦) الشهومة : الذكاء ، التوقد ، النشاط .

وخفة النهوض إذا نهض، والمبادرة إذا لقط.

وأما أعلام الحركة فالطيران في علو ومدّ العنق في سمو، وقلة الإضطراب في جو السماء، وضم الجناحين في الهواء، وتدافع الركض في غير اختلاط وحسن الأم في غير دوران، وشدة المر في الطيران، فإذا أصبته جامعاً لهذه الصفات فهو الطائر الكامل، وإلا فبقدر ما فيه من هذه المحاسن تكون هدايته وفراسته.

٢ - وقال النويري^(١) : وصف الجاحظ الحمام في كتاب الحيوان^(٢) وبسط فيه القول ووسّع المجال، ونحن الآن نورد ملخص ما قاله فيه. قال: ومن مناقب الحمام حبه للناس وأنس الناس به، وهو من الطير الميامين، وهو إذا عَلِم الذكر منه أنه قد أودع رحم الأنثى ما يكون منه الولد، تقدّم في إعداد العش ونقل القصب وشقق الخوص، وأشبه ذلك من العيدان الخوّارة^(٣) الدّقاق حتى يعملأفحوصة^(٤) وينسجها نسجاً متداخلاً في الموضع الذي اتخذاه واصطنعاه عشّاً بقدر جثمان الحمامة، ثم أشخصاً لتلك الأفحوصة حروفاً غير مرتفعة لتحفظ البيض وتمنعه من التدحرج، ولتلتزم كتفي الجوّجؤ، ولتكون رفاً لصاحب الحَصْن وسنداً للبيض، ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان تلك الأفحوصة يسخّنانها ويدفئانها ويطيّبانها وينفيان عنها طباعها الأول، ويحدثان لها طبيعة أخرى مشتقة من طباعهما ومستخرجة من رائحة أبدانهما وقواهما لكي تقع البيضة إذا وقعت في موضع يكون أشبه المواضع طباعاً بأرحام الحمام مع الحضانة والوثارة كي لا تنكسر البيضة ببس الموضع، ولئلا تنكر طباعها طباع

(١) نهاية الأرب ٢٧١/١٠.

(٢) الحيوان للجاحظ ١٤٧/٣ - ١٥٨.

(٣) الخوّارة: الضعيفة.

(٤) الأفحوصة: الموضع الذي تفحص التراب عنه أي تكشفه لتبيض فيه.

المكان، ويكون على مقدار من البرد والسخونة والرخاوة والصلابة .

ثم إن ضربها المخاض وطرقتا^(١) ببيضها بدرت إلى الموضع الذي قد أعدته وتحاملت إليه، إلا أن يقرعها رعد قاصف أو ريح عاصف فإنها ربما رمت بها دون الأفحوصة . والرعد ربما أفسد البيض . فإذا وضعت البيض في ذلك المكان الذي أعداه لا يزالان يتعاقبان الحُصْن ويتعاورانه حتى تنتهي أيامه ويتم ميقاته، فعند ذلك ينصدع البيض عن الفرخ فيخرج عاري الجلد صغير الجناح مستد الحلقوم^(٢) فيعلم أن لا يتسع حلقه وحوصلته للغذاء، فلا يكون لهما هم إلا أن ينفخا في حلق الفرخ الرّيح لتتسع الحوصلة بعد التحامها . ثم يعلم أن أنه وإن اتسعت الحوصلة لا يحتمل في أول اغتذائه أن يزق بالطعم، فيزق باللُعاب المختلط بقواهما وقوى الطعم . ثم يعلم أن الحوصلة تضعف عن استمرار الغذاء وهضم الطعم فيأكلان من شروج أصول الحيطان - وهو شيء من الملح المحض والتراب الخالص، وهذا هو السَّبَخ - فيزقانه به . حتى إذا علما أنه قد اندبغ واشتد زقاه بالحب الذي قد غب في حواصلهما، ثم يزقانه بعد ذلك بالحب والماء . حتى إذا علما أنه قد أطاق اللُّقْط منعه بعض المنع ليحتاج إلى اللُّقْط فيتعوّد . فإذا علما أن إرادته قد تمت وأنه قد قوي على اللُّقْط وبلغ بنفسه منتهى حاجته، ضرباه إذا سألهما الكفاية، ونفياه متى رجع إليهما، وتنتزع تلك الرحمة العجيبة منهما وينسيان ذلك التعطف ثم يبتدئان العمل ثانياً على ذلك النظام وتلك المقدمات . فسبحان الهادي الملهم . قال: ثم يبتدىء الذكر بالدُّعاء والطُّراد، وتبتدىء الأنثى بالتأني والإستدعاء، ثم تزيف وتشكل^(٣)

(١) طرقت الحمامة: حان وقت خروج بيضها .

(٢) في الحيوان ١٥٢/٣ (منسد الحلقوم) يقال: انسد واستد انسداداً واستداداً: أغلق، ولا فرق بينهما .

(٣) زافت الحمامة تزيف: إذا مشت بين يدي الذكر مدلة متبخترة . شكلت المرأة: كانت ذات شكل أي غنج ودلال .

وَتَمَكَّنْ وَتَمْنَعْ ، وَتُجِيبْ وَتَصُدِّفْ بِوَجْهِهَا ثُمَّ يَتَعَاشِقَانِ وَيَتَطَاوَعَانِ وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا قَبْلُ وَآرْتِشَافٍ وَإِدْخَالَ فَمِهَا فِي فَمِهِ وَذَلِكَ هُوَ التَّطَاعِمُ وَالْمَطَاعِمَةُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَمْ أُعْطِهَا بِيَدِي إِذْ بَتُّ أَرْشُفُهَا إِلَّا تَطَاوُلَ غُصْنِ الْجِدِيدِ بِالْجِدِيدِ^(١)
كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضِرَاءَ نَاعِمَةٍ مُطَوَّقَانِ أَصَاحَا بَعْدَ تَغْرِيدِ

مِمَّا جَاءَ فِي الشَّعْرِ

قال جهم بن خلف في قمرية^(٢) :

طَرُوبِ الْعَيْشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى عَسِيبَ أَشَاءِ بِذَاتِ الْغَضَا^(٣) يُهَيِّجُ لِلصَّبِّ مَا قَدْ مَضَى بِدَعْوَةِ نُوحٍ لَهَا إِذْ دَعَا^(٤) تُبْكِي وَدَمْعُهَا لَا تُرَى وَقَدْ عَلِقَتْهُ جِبَالُ الرَّدَى عَلَيْهِ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبُكََا خَفُوقُ الْجَنَاحِ حَيْثُ النَّجَا^(٥)	وَقَدْ شَاقَنِي نُوحٌ قُمْرِيَّةٍ مِنَ الْوُزْقِ نَوَاحِيَةً بَاكَرَتْ تَغْنَّتْ عَلَيْهِ بِلَحْنٍ لَهَا مُطَوَّقَةٌ كُسَيْتٌ زِينَةٌ فَلَمْ أَرِ بَاكِئَةً مِثْلَهَا أَضَلَّتْ فُرَيْخًا فَطَافَتْ لَهُ فَلَمَّا بَدَا الْيَأْسُ مِنْهُ بَكَتْ وَقَدْ صَادَهُ ضَرِمٌ مُلْحِمٌ
--	---

(١) عطا فلان الشيء يعطوه: أخذه بيده .

(٢) الحيوان للجاحظ ١٩٩/٣ .

(٣) العسيب من سعف النخل: الذي لم ينبت عليه الخوص . الأشاء: صغار النخل أو عامته .

(٤) في الحيوان للجاحظ ١٩٥/٣ أن العرب والشعراء مطبقون على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح عليه السلام ورائده، وحين رجعت إليه ومعها الكرم وفي رجليها الطين دعا لها فعوضها الله من ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق .

(٥) الضرم (ككتف) : الجائع . الملحم (بكسر الحاء) : الذي يطعم صاحبه اللحم . الحثيث النجا: السريع الطيران، ويريد به الصقر .

وقال أبو هلال العسكري في قماري (١) :

وَمُغْنِيَاتٍ مِنْ وَرَاءِ سَتَائِرٍ مَشْقُوقَةٍ الْأَوْسَاطِ وَالْأَحْنَاءِ
غَنَّتْ فَلَمْ تُحَوِّجْ إِلَى مَشْهُورَةٍ وَشَدَّتْ فَلَمْ تُفَقِّرْ إِلَى الْمَيْلَاءِ
تَبْدُو عَلَى أَعْنَاقِهِنَّ أَهْلَةٌ سُودٌ تَبْدُلُ ظُلْمَةً بِضِيَاءِ

وقال جميل صدقي الزهاوي (٢) في الحمام القلاب :

تَقَلَّبُ بِانْتِظَامٍ فِي الْهَوَاءِ حَمَائِمُ هُنَّ زِينَةُ كُلِّ رَاءٍ
مُلَوَّنَةٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ صِبْغٌ بِالْوَانِ حَوَتْ كُلُّ الْبَهَاءِ
حَمَائِمُ كُلَّمَا رُمِنَ اقْتِرَاباً مِنَ الْأَرْضِ ارْتَفَعْنَ إِلَى السَّمَاءِ
وَعُذْنَ صَوَاعِدًا مُتَقَلِّبَاتٍ وَلَيْسَ صُعُودُهُنَّ بِلَا عَنَاءٍ
هَجَرْنَ وَكُونَهُنَّ بِهَا اضْطِرَاراً فَطَرْنَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ (٣)
إِذَا رُمِنَ الْوُقُوعُ عَلَى بُيُوتٍ رَيَيْنَ بِهَا انْقِلَابِنَ إِلَى السَّوَاءِ
بِتَضْفِيفِي يَلْدُ لِسَامِعِيهِ وَتَضْعِيدِ وَرَقْصِ فِي الْهَلَوَاءِ

وقال أمية بن أبي الصلت في طوق الحمامة (٤) :

وَأُرْسِلَتْ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلْمَسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَغَايَتُهُ مِنَ الْمَاءِ الْعُبَابُ
فَجَاءَتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقُطْفٍ عَلَيْهِ الثَّائِطُ وَالطَّيْنُ الْكُثَابُ (٥)

(١) ديوان المعاني/ ١٤٣ .

(٢) ديوانه/ ١٥٨ .

(٣) الوكون جمع الوكن (بفتح فسكون) : عش الطائر في جبل أو جدار، وقيل : الوكن مأوى الطير في غير عش، والوكر (بالراء) ما كان في عش .

(٤) ديوانه/ ١٨ ، ويلاحظ التعليق على البيت الرابع من المقطعة الأولى حول طوق الحمامة الذي نالته بدعوة من نوح عليه السلام أثناء الطوفان .

(٥) الركض - هنا - بمعنى الطيران . الثائط : الطين الأسود الممتن . الكُثَاب (بالضم) : الكثير . في الحيوان للجاحظ ٣٢١/٢ ، ونهاية الأرب ٢٧٧/١٠ (الكُباب) وهو الطين اللازم .

فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ (١)
إِذَا مَاتَتْ تَوَرَّثَهُ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلُ فَلَيْسَ لَهُ اسْتِلابُ

وقال أبو نواس من قصيدة خمزية (٢) :

قُطِرَ بُلٌّ مَرْبَعِي وَلِي بِقُرَى الْ كَرَّخَ مَصِيفٌ وَأُمِّي الْعِنَبُ (٣)
تُرْضِعُنِي دَرَّهَا وَتَلَحُّفُنِي بِظِلِّهَا وَالْهَجِيرُ يَلْتَهَبُ
إِذَا ثَنَّتْهُ الْعُصُونُ جَلَّلَنِي فَيَنَانُ مَا فِي أَدِيمِهِ جُوبُ (٤)
تَبَيَّتْ فِي مَاتَمٍ حَمَائِمُهُ كَمَا تُرْتِي الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ
يَهَبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعًا كَأَنَّمَا يَسْتَخِفُّنَا طَرَبُ

وقال محمد بن حازم الباهلي (٥) :

نَهَانِي أَنْ أُطِيلَ الشُّعْرَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ
وَأَبْعَثُهُنَّ أَرْبَعَةً وَخَمْسًا بِالْفَافِ مَثْقَفَةٍ عِذَابِ
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُ بِهِنَّ قَوْمًا كَأَطَوَاقِ الْحَمَامَةِ فِي الرِّقَابِ

وقال يحيى بن هذيل (٦) في حمامة :

وَقَفَّتْ عَلَى الْغُصْنِ الْجَدِيدِ كَأَنَّمَا تَلْهُو بِهِ فِي الْغَيْمِ أَوْ يَلْهُو بِهَا
وَتَسْتَرَّتْ فِي سَرُوقٍ مُلْتَفَّةٍ حَجَبَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ شَخْصَ رَقِيبِهَا

(١) فرسوا : ثبثوا. في الديوان (فرشوا) وما أثبتته عن المصدرين المذكورين . السخاب (بالكسر) : القلادة .

(٢) ديوانه / ٤ .

(٣) قطرب : قرية شمالي بغداد ينسب إليها الخمر وقد اندثرت منذ زمن بعيد .

(٤) الجوب (بضم ففتح) جمع الجوبة وهي الفجوة ، يريدان الشجر الفينان كثيف ليس فيه فجوات تنفذ منها الشمس .

(٥) ثمار القلوب / ٤٦٦ .

(٦) التشبيهات / ٥٩ .

فكأنما رِيحُ الجُنُوبِ تَغَايَرَتْ أَلَّا تُرَى إِلَّا لِوَقْتِ هُبُوبِهَا
بَاتَتْ تُغَارِزُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَرَزَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ قَبْلَ غُرُوبِهَا

وقال شاعر يهجو ويصف المهجو بأنه أكذب من الفواخت^(١) :

وَقَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ كُلُّهُ كَقَوْلِ الْفَوَاحِيتِ جَاءَ الرُّطْبَا^(٢)
وَهُنَّ وَإِنْ كُنَّ أَشْبَهَنَّهُ فَلَسَنَ يُدَانِيَنَّهُ فِي الْكَذِبِ

وقال آخر^(٣) :

وَقَدْ كُنْتُ تَصَدِّقُ صِدْقَ الْقَطَا فَأَصْبَحْتُ أَكْذَبَ مِنْ فَاخِتَةٍ

وقال عوف بن محلم وقد سمع نوح حمامة^(٤) :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مِيَادُ فَيْمٍ تَنُوحُ^(٥)
أَفِقْ لَا تَنُحْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَانِّي بَكَيْتُ زَمَاناً وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ
وَلَوْعاً فَشَطَطَتْ غَرْبَةً دَارُ زَيْنٍ فَهَا أَنَا أَبْكِي وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ

وقال صفي الدين الحلي (عبد العزيز بن سرايا) ^(٦) :

نَمَّ بِسَرِّ الرُّوضِ خَفَقَ الرِّيحُ وَاقْتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادَ الصَّبَاحِ
وَأَحْجَلَ الْوَرْدُ شُعَاعَ الضُّحَى فَابْتَسَمَتْ مِنْهُ ثَغُورُ الْأَقَاحِ
وَقَامَ فِي الدُّوْحِ لِنَعْيِ الدُّجَى حَمَائِمُ تُطْرِبُنَا بِالصَّيَاحِ
مُذْ وَلِدَ الصُّبْحِ وَمَاتَ الدُّجَى صَاخَتْ فَلَمْ نَذِرْ غِنَاءً أَمْ نَوَاحِ

(١) ثمار القلوب/٤٩٠ .

(٢) يراجع المثل (أكذب من فاخنة) في باب (مما ورد في الأمثال) عن الحمام .

(٣) ثمار القلوب/٤٩٠ .

(٤) الكامل للمبرد ١٢٤/٣ .

(٥) قال المرصفي في رغبة الأمل (٢٦/٧) : الشعر لأبي كبير الهذلي وليس لعوف بن محلم ، ولم

أجده في ديوان الهذليين .

(٦) ديوانه /١٦٥ .

وقال العرجي (عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان) مشبهاً (الرماد الذي بين الأثافي بالحمامة)^(١):

أَلَمْ يُنْسِرْ لَيْلَى عَهْدَكَ الْمُتَبَاعِدُ وَدَهْرُ أَتَى بَعْدَ الَّذِي زَلَّ فَاسِدُ^(٢)
فَوَإِذَاكَ أَنْ يَهْتَاجَ لَمَّا بَدَتْ لَهُ رُسُومُ الْمَغَانِي وَالْأَثَافِي الرَّوَائِدُ
وَمَرْبُطُ أَفْرَاسٍ وَخَيْمٍ مُصَرَّعٍ وَهَابٍ كَجُثْمَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدُ^(٣)

وقال ابن ماء السماء (عبادة بن عبد الله) في قمرِي^(٤) :
مُطَوَّقٌ جَوْدٌ فِي شَدْوِهِ كَأَنَّمَا طُوقٌ إِذْ جَوْدَا
مَالٌ عَلَى الْخُوطِ فَشَبَّهَتْهُ بِشَارِبٍ لَمَّا انْتَشَى عَرَبْدَا
كَأَنَّمَا الطَّلُّ عَلَى طَوْقِهِ دَمَعٌ عَلَى عِقْدٍ فَتَاةٌ بَدَا

وقال يحيى بن هذيل في الحمام^(٥) :
عَنَى وَفَوْقَ جَنَاحَيْهِ سَقِيطُ نَدَى وَالْغَيْمُ يُنْجِزُ لِلْحَوَازِ مَا وَعَدَا^(٦)
يَهْفُو بِهِ خُوطُ رِيحَانٍ تُغَايِلُهُ فِي الْجَوِّ رِيحٌ فَتَلْوِي مَتْنَهُ أَوْدَا
إِذَا اسْتَقَلَّ وَمَسَّ الْأَرْضَ تَحْسَبُهُ مُصَلِّياً [إِذْ] تَلْقَى سَجْدَةً سَجَدَا^(٧)
لَهُ ثَلَاثَةُ أَلْوَانٍ تَخَالُ بِهَا زُمُرُداً وَ عَقِيقاً جَاوَرَا بَرْدَا
وقال عبد الله بن المعتز^(٨) :

وَصَوْتِ حَمَامَةٍ سَجَعَتْ بَلِيلٍ وَقَدْ حَنَّتْ إِلَى إِلْفٍ بَعِيدٍ

(١) ديوانه / ١١٦ .

(٢) زلّ: ذهب .

(٣) الخيم (بالفتح) أحد جموع الخيمة ، وقال الجوهري (الخيم مثل الخيمة) .

(٤) و(٥) التشبيهات / ٥٧ .

(٦) الحوزان: نوع من الزهر .

(٧) استقل الطائر: ارتفع . في الأصل (إن تلقى) وهو تصحيف . في البيت إشارة الى حكم شرعي

(٨) يلزم قاريء القرآن بالسجود لله كلما التقى بآية تضمنت سجدة واجبة .

(٩) ديوانه ٥٦٦/٢ .

فما زلنا نقولُ لها أعيدي وللسّاقِي ألا هل من مَزِيدٍ
وقال النابغة الذبياني في معلقته (١):
أَحْكُمْ كَحَكْمِ فِتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ (٢)
يُحْفُهُ جَانِبَا نَيْقٍ وَتَتْبَعُهُ مِثْلَ الرُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ (٣)
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنُصْفُهُ فَقَدِ (٤)
فَحَسْبُوهُ فَالْفَوْهَ كَمَا حَسَبْتُ تِسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
فَأَكْمَلْتُ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا وَأَسْرَعْتُ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ
وقال عبد الله بن الدمينه (٥)، وقيل مجنون ليلي (٦):
أَلَا يَا صَبَا نَجِدِ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدٍ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدًّا عَلَى وَجْدِ
إِنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي زَوْنِي الضَّجِي عَلَى فَنَنْ غَضُّ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ
بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ تُبْدِي (٧)
وقال صخر الغي (٨) من قصيدة في رثاء ولده:
وَمَا إِنْ صَوْتُ نَائِحَةٍ بَلِيلٍ بِسَبَلٍّ لَا تَنَامُ مَعَ الْهَجُودِ (٩)
تَجْهِنَا غَادِيَيْنِ فَسَأَلْتَنِي بِوَاحِدِهَا وَأَسْأَلُ عَنْ تَلِيدِ (١٠)

(١) ديوانه / ٣٤ .

(٢) فتاة الحي: يقال إنها زرقاء اليمامة، وهي التي يضرب بحدة بصرها المثل. شراع: مجمعة. الثمد: الماء القليل.

(٣) النيق: الحبل. مثل الرجاجة، أي عيناً صافية لم يصبها رمد، يقول: إن الفتاة حذرت عدد الحمام وهو بين حافتي الجبل.

(٤) فقد: بحسب.

(٥) ديوانه / ٨٥ .

(٦) ديوانه / ١١٢، وفي القصيدة أبيات منسوبة إلى غير الشاعرين المذكورين.

(٧) هذه رواية ديوان ابن الدمينه، وفي رواية ديوان المجنون بعض الاختلاف.

(٨) ديوان الهذليين ٦٧/٢ .

(٩) النائحة الحمامة. سبلل: موضع.

(١٠) تجهنا: أي تواجهننا وتقابلنا. تليد: ابن الشاعر المتوفى.

فقلتُ لها فأما ساقُ حُرٍّ فَبَانَ مع الأوائِلِ مِن ثُمودِ (١)
وقالتُ لَنْ تَرى أَبداً تَلِيداً بِعَيْنِكَ آخِرَ العُمَرِ الجَدِيدِ (٢)
كلانا رَدَّ صاحِبُهُ بِئاسٍ وتَأْنِيْبٍ ووَجْدانٍ بَعِيدِ
وقال الصنوبري (أحمد بن محمد) (٣) :

لي وَرْشانُ تَبْهَى به الدَّارُ وَيَسْعُدُ الزائِرُونَ والجَارُ (٤)
أَقْلُ ما فِيهِ أَنْ مَنَظَرُهُ تَقْدَحُ مِن فَرطِ حُسْنِهِ النَّارُ
مُفْتَرِقُ النِّعْمَتَيْنِ تَحْسَبُهُ تُضْرِبُ فِي الحَلْقِ مِنْهُ أَوْتارُ
أَغْنُ لَدُنْ الغِناءِ سَجَسَجُهُ مَنقارُهُ فِي الغِناءِ مِزْمَارُ (٥)
وطائرٌ واحدٌ إِذا كُثِرَتْ آدابُهُ كانَ فِيهِ أَطيارُ
قال أبو بكر ابن دريد الأزدي : خرجنا نريد عمان في سفر لنا فنزلنا بقرية

تحت نخل ، فإذا بفاختتين تتزاقان فسنح'لي أن قلت (٦) :

أقولُ لَوْرَقاوينِ فِي فَرْعِ نَخْلَةٍ وَقَدْ طَفَّلَ الإِمْساءُ أو جَنَحَ العَصْرُ
وقد بَسَطَتْ هاتا لَتلكَ جَناحَها ومالَ على هاتيكَ مِنْ هَذِهِ النُّحْرُ
لِيَهْنِكُما أَنْ لَمْ تُراعا بِفُرْقَةٍ وما دَبَّ فِي تَشْتِيْتِ شَمْلِكُما الدَّهْرُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلِي قَطَعَ الشَّوْقُ قَلْبَهُ على أَنَّهُ يَحْكِي قِساوَتَهُ الصَّخْرُ
وقال محمود سامي البارودي باشا من قصيدة (٧) :

وَكَمْ لَيْلَةٍ أَفْنَيْتُ عُمَرَ ظَلامِها إِلى أَنْ بَدَأَ لِلصُّبْحِ فِيهِ قَتِيرُ (٨)

(١) ساق حر: الذكر من الحمام، ويقال هو الفرخ الذي تبكيه الحمام في الهديل.

(٢) العمر الجديد، يعني كل يوم جاء فهو جديد.

(٣) ديوانه / ٣٧.

(٤) الورشان: الذكر من القماري، ويسمى ساق حر أيضاً.

(٥) اللدن: اللين من كل شيء. السجسج من الغناء: الذي يجمع بين الرقة والصلابة.

(٦) ديوانه / ٦٦.

(٧) ديوانه ٢ / ٢٧.

(٨) القتير في الأصل رؤوس المسامير في الدرع، ويطلق على الشيب في أول ظهوره، والمراد هنا ضوء الصبح في أول طلوعه.

شغلتُ بها قلبي ومتعتُ ناظري
صنعتُ بها صنعَ الكريمِ بأهله
فما راعنا إلا حفيفَ حمائمٍ
تُجاوبُ أتراباً لها في خمائلٍ
نواعمُ لا يعرفنَ بُوسَ معيشةٍ
توسدُ هاماتٍ لهنَّ وسائدُ
كانَ على أعطافها من حبيكها
خوارجُ من أليكِ دواخلُ غيره
إذا غارلتها الشمسُ رقتُ كأنما
فلما رأيتُ الصُّبحَ قد رفَّ جيدهُ
خرجتُ أجرُ الذَّيلِ تيهاً وإنما
وفال بحمى بن هذيل في الحمام (٣) :

ترى قفلاتِ الطَّلِّ كالذُّرِّ فوقها
إذا فترقته ألف الغيمِ غيره
تُزاحمُ أخرى مثلها بعقودها
إذا انتفضتُ في الأليكِ تنثرهُ نثراً
عليها فقد شَبَّهْتُها قَيْنَةً سَكَرَى
ولم تَرْضَ باسترجاعِ مَنثورِها كِبَراً

وشبهَ الحسين بن الحجاج غناء قينة بقهقهة القمرى، فقال الثعالبي: لم
أسمع من ضرب بها المثل إلا أبا عبد الله بن الحجاج فإنه ظرف وملح حيث قال
(٤٤) :

وقَيْنَةُ تَنْغِيْمُهَا فِي الْفَنَاءِ أَمْلَحُ مِنْ قَهْقَهَةِ الْقُمْرِي

(١) مونه (السان مهور): كتابة عن عفته وامتناعه عما يشين ويقبح.

(٢) الشجر من الشعر والريش: صغاره بين كباره.

(٣) المشبهات ٥٨/.

(٤) نمار العلوب/٤٨٨.

غَنَاؤُهَا الْمَمْدُودُ بِي فَاعِلٌ فَعَلَ الْغِنَى الْمَقْصُورِ بِالْعُسْرِ
وقال أبو نواس يصف حماماً لرجل بصريٍّ اسمه يعفور (١):
يا أَيُّهَا الْمُطَنِّبُ ذَا الْغُرُورِ فِي صِفَةِ السُّودِ مِنَ الطُّيُورِ
ي الْحَسَنِ الْهَدَاءِ وَالتَّخْيِيرِ رَبِّ شَهَادَاتٍ لَدَعْوَى زُورٍ
إِسْمَعْ فَمَا تَبَاكَ كَالْخَيْرِ مِنْ ذِي صِفَاتٍ حَازِقٍ نَحْرِيرِ
صِفَاتُهُ مُحْكَمَةُ التَّخْيِيرِ مَا جَعَلَ الْأَسْوَدَ كَالْيَعْفُورِ (٢)
أَطْيَارُ يَعْفُورٍ ذَوَاتُ الْخَيْرِ أَوَّلَى بِذَاتٍ فَضْلِهَا الْمَذْكُورِ (٣)
هَذَا ثَنَاءٌ حُسْنُهَا الْمَشْهُورِ يَا حُسْنَهَا فَوْقَ أَعَالِي الدُّورِ
فِي حُجْرٍ شَامِخَةٍ التَّحْجِيرِ إِذَا تَهَادَيْنَ مِنَ الْوُكُورِ
بِعَرْصَةِ الْإِنَاثِ وَالذَّكُورِ وَطَرْدِ الْغَيُورِ كَالْغَيُورِ
تَكْرِيرِ تَهْدِيلٍ عَلَى تَكْرِيرِ كَأَنَّ فِي هَدِيلِهَا الْجَهِيرِ
تَرْنَمَ لِعِيدَانِ وَالزَّمِيرِ أَوْكَدَوِي النَّحْلَ فِي الْقَفِيرِ (٤)
مِنْ مُجْتَنَى الذُّوبِ أَخِي التَّغْيِيرِ ذَوَاتِ هَامٍ جَهْمَةِ التَّذْوِيرِ (٥)
وَأَعْيُنِ أَصْفَى مِنَ الْبُلُورِ فِي لَامِعٍ مِنْ حَمْرَةٍ مُنِيرِ
لَمَعَ الْيَوَاقِيتِ مَعَ الشُّدُورِ إِلَى قَرَاظِيمٍ نِبَالٍ حُورِ (٦)
كَتَوَامَاتِ اللَّوْلُؤِ الْمَذْخُورِ فَصَّلَ مَقْرُوناً مِنَ الْمَنْشُورِ (٧)
فَوْقَ مَنَاقِيرَ قِصَا صُورِ كَرْنَةَ الْبَمِّ وَرَجَعَ الزَّرِيرِ (٨)

(١) ديوانه/٦٥٥.

(٢) اليعفور - هنا - لون كلون التراب.

(٣) يعفور: اسم الرجل البصري المذكور في مقدمة الأرجوزة الخير (بالكسر): الشرف والأصل.

(٤) الزمير: الغناء الحسن. القفير: خلية النحل.

(٥) الذوب: العسل. التغير: رفع الطير اجنحتها للطيران.

(٦) القراظيم جمع قرطمة. نقطة على أصل منقار الحمامة. نبال، جمع نبيل، وهو الذكي النجيب.

(٧) التوائم من اللالي كالفرائد، لا يكون هذه إلا فردة، ولا تكون تلك إلا مع مثلها.

(٨) البم (بفتح الباء وتشديد الميم) والزير (بالكسر): وتران من أوتار العود (معربان).

ذوات ريش كمدارى الحور
جُرِد كظهر الأدم المبشور
من بين ما سبط وذي تنمير
حزور ذي ذنب قصير
فشق هول الحور والغمر
يقطع كالمستطرد المذعور
يفوت وثباً حذق النسر
كالحالق الكاسر للتغوير
أو لفت نار بيد المثير
فضتزع الحجرة بالنعير
نرب ساع عندها بثير

وأزجل في حُمرة الحبر (١)
بين البطون المُلس والظهور (٢)
كم طائر منهن ذي تشمير (٣)
من مزجل أرسل في البُحور (٤)
كفعله بالحزن والوعور (٥)
في اليوم أياً من الميسر
وخاطف العقبان والصقور
أو سهم رام قاصد طير (٦)
حتى هوى للوكر كالمطور (٧)
وكبروا فأيما تكبير
أبر منه قسم النذير

وقال كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين) يرثى قمريراً (٨):
غدر الزمان وجار في أحكامه والذهر عَيْن الخائن الغدار
ورزئت أغلاقاً عليّ كريمة من قبل أن تُقضي بها أو طاري (٩)

(١) المدارى جمع مدارة: المشط.

(٢) جرد (بالهم): ليس عليها ريش. الأدم: الجلد: المبشور: المقشور.

(٣) السط: المسترسل ضد الجعد، و (ما) زائدة. التنمير: التنقيط من أي لون كان، يوصف به الطير والبراديين. التشمير: الاختيال، والجد في الأمر.

(٤) الحور: العس القوي. المزجل: الحمام الزجل الذي يرسل على بعد ويقوم مقام البريد.

(٥) الحور (بفتح فسكون) القمر والعمق. الغمر: المياه الكثيرة. الحزن (بالفتح): الأرض الصلبة.

(٦) الحالق: المرتفع. التغوير: الهبوط إلى الغور وهو ما انحدر من الأرض. الطير: المحلّد.

(٧) اللفت (بكسر اللام): شق الشيء وجانبه.

(٨) ديوانه ٢٢٧.

(٩) الأغلاق جمع الغلق (بالكسر): النفيس من كل شيء.

وَفُجِعْتُ بِالْقُمْرِيِّ فَجَعَةً ثَاكِلٍ
لَوْنُ الْغَمَامَةِ وَالْغَمَامَةُ لَوْنُهُ
وَمُطَوَّقٍ مِنْ صِبْغٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ
وَلَطَالَمَا اسْتَغْنَيْتُ فِي غَلَسِ الدُّجَى
هَزَجُ الْأَصَائِلِ يَسْتَحِثُّ كَوْوَسَنَا
لَهْفِي عَلَى الْقُمْرِيِّ لَهْفًا دَائِمًا
وَلَقَدْ هَجَرْتُ الصَّبْرَ بَعْدَ فِرَاقِهِ
مَا كُنْتُ فِي الْأَطْيَارِ إِلَّا وَاحِدًا

وقال جهم بن خلف في حمامة (١):

وَقَدْ هَاجَ شَوْقِي أَنْ تَغْنَّتْ حَمَامَةٌ
هَتُوفُ تُبْكِي سَاقِحُورٌ وَلَنْ تَرَى
تَغْنَّتْ بَلَحْنٍ فَاسْتَجَابَتْ لِصَوْتِهَا
إِذَا فَتَرَتْ كُرَّتْ بَلَحْنٍ شَجَّ لَهَا
دَعَتْهُنَّ مِطْرَابُ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
فَلَمْ أَرَا وَجِدٍ يَزِيدُ صَبَابَةً
فَاسْعَدْنَهَا بِالنُّوحِ حَتَّى كَأَنَّمَا
تَجَاوَيْنَ لَحْنًا فِي الْغُصُونِ كَأَنَّهَا
بُسْرَةٌ وَادٍ مِنْ تَبَالَةٍ مُونِقٍ
وَقَالَ دِيكَ الْجَنِّ (عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ رَغْبَانَ) فِي نَوَاحِ الْحَمَامِ (٢):
لَهَا مُقْلٌ تُجْرِي الدُّمُوعَ وَلَا تُجْرِي
حَمَائِمُ وَرَقٍ فِي حِمَى وَرَقٍ خُضِرِ

(١) الحيوان للجاحظ ٢٤٢/٣.

(٢) يلتدمن، من الالتدام وهو ضرب المرأة صدرها في النياحة.

(٣) تبالة: موضع ببلاد اليمن. الطلح: شجر عظام.

(٤) ديوانه ١٦٧.

تَكَلَّفَنَ إِسْعَادَ الْغَرِيْبَةِ إِنْ بَكَتْ وَإِنْ كُنَّ لَا يَدْرِيْنَ كَيْفَ جَوَى الصَّدْرِ
لَهَا حُرْقٌ لَوْ أَنَّ خَنْسَاءَ أَغْوَلْتُ بِهِنَّ لَأَدَّتْ حَقَّ صَخْرٍ إِلَى صَخْرٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي هُنَا طَلَبُ الْأَيْسَى وَمَعْدْنُهُ إِنْ فَاتَنِي طَلَبُ الصَّبْرِ
ظَلَّلْنَا وَلَوْ أَنَّ الْمُنَى لَصَحِبَتْهَا حَمَامًا وَلَوْ تُعْطَى الْمُنَى لَرَوْتُ شِعْرِي

وقال مدح الحسين في غناء الحمام (١):

تَغَنَّتْ عَلَى الْأَغْصَانِ يَوْمًا حَمَائِمٌ كَمَا يَتَغَنَّيْنَ الْقِيَانُ الْأَوَانِسُ
يَظُنُّ الَّذِي يُضْغِي إِلَيْهِنَّ مَعْبَدًا أَوْ ابْنَ سُرَيْجٍ فِي دُرَى الْأَيْكِ جَالِسٌ (٢)

وقال الأعشى الكبير (قيس بن ميمون) في الحمام (٣):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَرَضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا نَخِيلاً وَزَرْعًا نَابِتًا وَفَصَافِصَا (٤)
وَذَا شُرَفَاتٍ يُقْصِرُ الطَّيْرُ دُونَهُ تَرَى لِلْحَمَامِ الْوُرْقَ فِيهِ قَرَامِصَا (٥)

وقال معجون ليلي (قيس بن الملوّح) (٦):

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتِ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ
فَلَوْ لَمْ يَهْجُنِي الظَّاعِنُونَ لَهَا جَنِي حَمَائِمٌ وَرُقٌ فِي الدِّيَارِ وَقُوعُ
تَدَاعَيْنِ فَاسْتَبْكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى نَوَائِحُ لَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ

وقال أعرابي يصف الحمام (٧):

مُزَبَّرَجَةٌ الْأَعْنَاقِ نُمُرٌ ظَهْرُهَا مُخَطَّمَةٌ بِالْدَّرِّ خُضْرٌ رَوَائِعُ (٨)

(١) التشبيهات / ٦١.

(٢) معبد وابن سريج: مغنيان مشهوران.

(٣) ديوانه / ١٥١.

(٤) العرض: واد باليمامة موطن الشاعر. الفصافص: نبات مرتفع جداً تعلفه الدواب.

(٥) القرامص، جمع القرموص: العش يبيض فيه الحمام.

(٦) ديوانه / ١٩١.

(٧) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٧٢.

(٨) مزبرجة: مزينة، ومذهبة. النمر (بضم فسكون): المنقطة بأي لون كان.

تَرَى طُرّاً بَيْنَ الْخَوَافِي كَأَنَّهَا حَوَاشِي بُرُودٍ أَحْكَمَتْهَا الْوَشَائِعُ (١)
وَمِنْ قِطْعِ الْيَاقُوتِ صِيغَتْ عُيُونُهَا خَوَاصِبٌ بِالْحَنَاءِ مِنْهَا أَصَابِعُ
وقال الوزير أبو بكر ابن اللبّانة الأندلسي (٢)

وَعَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ شَادٍ يَحْتَوِي طَرْفِي لِأَخَرٍ تَحْتَوِيهِ الْأَضْلَعُ
يَنْدَى لَهُ رَطْبُ الْهَوَاءِ فَيَغْتَدِي وَيُظِلُّهُ وَرَقُ الْغُصُونِ فَيَهْجَعُ
تَخِذُ الْأَرَاكِ أَرِيكَةً لِمَنَامِهِ فَلَهُ إِلَى الْأَسْحَارِ فِيهَا مَوْضِعُ
حَتَّى إِذَا مَا هَزَّهَ نَفْسُ الصَّبَا وَالصُّبْحُ هَزَّكَ مِنْهُ شَدُوْ مُبْدِعُ
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْأَرَاكَةُ مِنْبَرٌ وَكَأَنَّهُ فِيهَا خَطِيبٌ مِصْقَعُ
وقال أبو هلال العسكري في حمام أبلق (٣)

وَمُتَّفَقَاتِ الشُّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ
لَيْسَنَ ظَلاماً بِالصَّبَاحِ مُرْقِعاً
أَخَذَنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفَاءً وَمَنْسِيراً
وَحَضْبَنَ بِالْحَنَاءِ كَفّاً وَإِضْبِعاً
وَتَرْتُونُ بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَنَهَا
جَلَوْنَ عَقِيقاً لِلْعُيُونِ مُرْصِعاً
تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجِلَامِ كَأَنَّهَا
جَنَادِلُ تَذُوحِهَا ثَلَاثاً وَأَرْبَعاً (٤)

تَبُوعٌ بِهَا فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ كَأَنَّ مَجَادِيفاً تَبُوعٌ بِهَا مَعاً (٥)

(١) الخوافي: ريشات إذا ضمَّ الطائر جناحيه خفيت تحت القوادم.

(٢) نهاية الأرب ١٠/٢٦٦.

(٣) ديوان المعاني ٢/١٣٦.

(٤) الجلام، جمع الجلم (بفتحيتين): المقرّاض.

(٥) تبوع بها: تبسطها في الجو.

إذا هي عَبَّتْ في الغدير حَسْبَتْهَا تَزْفُ فِرَاخاً في المغاورِ جُوعاً
وقال أبو الأسود الدؤلي (١)

وساجع في فُرُوعِ الأيِّك هَيَّجَنِي لم أَدْرِ لِمَ نَاحَ مِمَّا بِي وَلِمَ سَجَعَا
أَبَاكِأَ إِلْفُهُ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ أَمْ جَاذِعاً لِلنَّوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْعَا
يَدْعُو حَمَامَتَهُ وَالطَّيْرُ هَاجِعَةٌ فَمَا هَجَعْتُ لَهُ لَيْلًا وَلَا هَجَعَا
مُوشِخٌ سُنْدُساً خُضِرُ مَنْابِئِهِ تَرَى مِنَ الْمِسْكِ فِي أَذْيَالِهِ لُمْعَا
لَهُ مِنَ الْآسِ طَوْقٌ فَوْقَ لَبَّتِهِ مِنَ الْبَنْفَسِجِ وَالْخَيْرِيِّ قَدْ جُمِعَا (٢)
كَأَنَّمَا عَبَّ فِي مُسَوِّدٍ غَالِيَةٍ وَحَلَّ مِنْ تَحْتِهِ الْكَافُورُ فَانْتَقَعَا (٣)
كَأَنَّ رِجْلَيْهِ مِنْ حُسْنِ أَصْفَرَارِهِمَا فَصَّانٍ مِنْ حَجَرِ الْيَاقُوتِ قَدْ قُطِعَا
كَأَنَّ رِجْلَيْهِ مِنْ حُسْنِ أَحْمَرَارِهِمَا مَارِقٌ مِنْ شُعْبِ الْمَرْجَانِ فَاتَّسَعَا

شَكَا النَّوَى فَبَكَى خَوْفَ الْأَسَى فَرَمَى

بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَعَا يَبْنَ الرِّيحُ تَخْفِضُهُ طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ
كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ طَوْرًا فَمِنْخَفِضًا يَدْعُو وَمُرتَفِعَا
يَتْلُو الزُّبُورَ وَنَجْمُ الصُّبْحِ قَدْ طَلَعَا وقال السيد محمد سعيد الحبوبي (٤):

أَحْمَامَةُ الْوَادِي عَدَاكَ جَوَى لَوْ حَلَّ فَرْعَكَ أَحْرَقَ الْفَرْعَا
إِنِّي اتَّخَذْتُكَ لِي مُنَادِمَةً وَلَقَدْ شَرِبْتُ فِغْرْدِي سَجَعَا
وقال الرئيس ابن سينا (الحسين بن عبد الله) في النفس وقد تمثلها حمامة ورقاء (٥)

(١) ديوانه ١١٦/ ونهاية الأرب ٢٦٥/١٠.

(٢) الخيري: الخزامي، ويسمى: المنشور الأصفر.

(٣) انتقع الرجل، وامتنع (بصيغة المبني المجهول): تغير.

(٤) ديوانه ٣٣٦/.

(٥) وفيات الأعيان ٤٢٢/١.

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّرٍ وَتَمْنَعِ
 مُحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقَلَّةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرَّقِ
 وَصَلْتُ عَلَى كُرْهِهِ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفْجَعِ
 أَنْفَتُ وَمَا أَلْفَتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ أَلِفْتُ مُجَاوِرَةَ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ
 وَأَظْنُهَا نَسِيَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى

وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ

حَتَّى إِذَا اتَّصَلْتُ بِهَاءِ هَبُوطِهَا مِنْ مِيمِ مَرَكِزِهَا بِذَاتِ الْأَجْرَعِ
 عَلِقْتُ بِهَا ثَاءُ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحْتُ بَيْنَ الْمَعَالِمِ وَالطُّلُولِ الْخُضْعِ
 تَبْكِي وَقَدْ نَسِيَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى بِمَدَامِمْ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلِعِ
 حَتَّى إِذَا قَرُبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحِمَى وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ
 وَغَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَاهِقٍ وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلُّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ
 وَتَعُودُ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ فِي الْعَالَمِينَ فَخَرَقُهَا لَمْ يُرْقِعِ
 فَهَبُوطُهَا إِذْ كَانَ ضَرْبَةً لِازِبٍ لِتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ تَسْمَعِ
 فَلَايَ شَيْءٍ أَهْبَطْتُ مِنْ شَاهِقٍ سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ
 إِنْ كَانَ أَهْبَطُهَا الْإِلَهِ لِحَكْمَةٍ طُوِيَتْ عَنِ الْفِطَنِ اللَّيِّبِ الْأَرْوَعِ
 إِذْ عَاقَهَا الشَّرْكُ الْكَثِيفُ فَصَدَّهَا قَفْصٌ عَنِ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْأَرْفَعِ
 فَكَأَنَّهَا بَرَقَ تَأَلَّقَ بِالْحِمَى ثُمَّ انْطَوَى فَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَعَ

وقال محبوب الخوري الشرتوني اللبناني (من شعراء المهجر) في حمامة
 كان يراها أثناء مرضه تنتقل أمام عينيه على المرتفعات والسطوح، فلما شفي
 افتقدها ولم يقف لها على أثر فقال^(١) :

أَنَابَكَ خَطْبٌ فَلَمْ تَرْجِعِي أَمِ الطَّيْرُ تَبُّوْا عَنِ الْمَرْتَعِ؟

(١) الشعر العربي في المهجر/٢٣٥.

أَسَىٰ يَا حَمَامَةٌ فِي جَانِحِي وَحُزْنٌ تَغْلَغَلٌ فِي الْأَضْلَعِ
وَلَوْ لَمْ يُعَذِّبْ جَفُونِي السَّقَا مُ لَجَلَّتْ ذَكَرِكَ بِالْأَذْمَعِ
غَدَاةً تَرَكْتُ فِرَاشَ الضَّنَى طَلَبْتُكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ
وَسَاءَلْتُ عَنْكَ جِهَاتَ الْفَضَا ۚ فَضَاعَ السُّؤَالُ وَلَمْ يَنْفَعِ
هُوَ الْفَجْرُ عَوَّدَنِي أَنْ أَرَا لِكَ هُنَاكَ عَلَى الْحَائِطِ الْأَرْفَعِ
فَكَمْ طَلَعَ الْفَجْرُ ثُمَّ انْقَضَى وَعَادَ وَعُدْتُ فَلَمْ تَطْلُعْ
لَقَدْ كُنْتُ ذَاكَ الْأَنَيْسَ الْأَحْسَبَ إِذَا مَا طَفَرْتُ مِنَ الْمِخْدَعِ
أَمْتَعَ طَرْفِي بِنُورِ الضُّحَى وَبِالْوَرْدِ وَالْحَبَقِ الْأَضْوَعِ (١)
أَجَلٌ كُنْتُ أَبْدَعُ رَسْمٍ يَلُوحُ حُ لَعَيْنِي فِي الْمَشْهَدِ الْأَبْدَعِ
فَكُنْتُ أَرَىٰ فِيكَ رَمَزَ الْوَفَا ۚ وَرَمَزَ الطَّهَارَةِ فِي الْمَنْزَعِ
وَأُبْصِرُ فِيكَ رَسُولَ السَّمَاءِ ۚ يُحَدِّثُ عَنْ قُدْرَةِ الْمُبْدِعِ
وَقُوفُكَ فِي شُرُفَاتِ السُّطُوحِ ح ۚ وَقُوفُ يَشُوقُكَ أَنْ تَسْجَعِي
كَأَنَّكَ فِي أَوْجِهَا شَاعِرٌ أَطْلُ عَلَى الْعَالَمِ الْأَوْسَعِ
وَكُنْتُ إِذَا مَا شَقَّقْتُ الْفَضَا ۚ بِحَانِحِكَ الْخَافِقِ الطَّيِّعِ
تَصَوَّرْتُ أَنَّكَ طَيْرُ الْخِيَا ل ۚ يَطِيرُ بَعِيداً عَنِ الْمَجْمَعِ

* * *

إِذَا كُنْتُ فِي قَيْدِ هَذِي الْحَيَا ۚ تَعَالَىٰ إِلَيَّ وَعِيشِي مَعِي
فَأَنْتِ هُنَالِكَ رَهْنُ الْخَرِيدِ ۚ إِذَا نَقَصَ الْحَبُّ لَمْ تَشْبَعِي
وَلَيْسَ هُنَالِكَ أَمْنٌ فَإِنْ رَمَتْكَ يَدَا صَائِدٍ تُضْرَعِي

وقال ابن عُنَيْنٍ (محمد بن نصر) ملغزاً في الوراشرين (٢):

يَا أَدْبَاءَ الزَّمَانِ إِنِّي أَعْجَزَنِي لِلْعَوِيصِ كَشْفُ

(١) الحبق (بفتح الحاء): نبات طيب الرائحة .

(٢) ديوانه / ١٥١ . الوراشرين جمع الورشان وهو ذكر القماري .

فخبروني: عن اسم جمع النصف ظرف والنصف حرف

وقال محمد بن سنان الخفاجي في الحمام^(١) :

عجبت لها تشكو الغرام جهالة وقد جاوبت من كل ناحية ألفا
ويشجي قلوب العاشقين حينها وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لست طوقا ولا خضبت كفا

حضر ابن عنين درس فخر الدين الرازي بخوارزم في يوم شات وقد سقط
ثلج كثير، فإذا حمامة يطردها صقر، فألقت نفسها في حجر الفخر الرازي فرجع
عنها الجارح، ورق لها الشيخ وأخذها بيده، فقال ابن عنين في الحال^(٢) :

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا في كل مخمصة وثلج خاشف^(٣)
العاصمين إذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج الراعف
من نبا الورقاء أن محللكم حرم وأنتك ملجأ للخائف
وقدت عليك وقد تدانى حثفها فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو أنها تحبى بمال لا تثنت من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها والموت يلمع من جناحي خاطف
قرم لواه القوت حتى ظلله بإزائه يجري بقلب واجف^(٤)

وقال بكر بن النطاح^(٥) :

إذا شئت غنتني ببغداد قينة وإن شئت غناني الحمام المطوق

(١) مطلع الفوائد ومجمع الفرائد/٢٦٧.

(٢) ديوانه/٩٤.

(٣) خشف الثلج: سُمع له خشفة عند المشي فهو خاشف.

(٤) القرم (بكسر الراء): من اشتدت شهوته الى اللحم.

(٥) الحيوان للجاحظ ١٩٧/٣.

لباسي الحُسامُ أو إزارُ مُعَصِّفٍ ودرعُ حَدِيدٍ أو قَمِيصٌ مُخَلَّقٌ (١)

وقال محمد بن الحسين الطَّبَّي (٢) :

قُمْرِيَّةٌ دَعَتْ الهَوَى فكَأَنَّمَا نَطَقَتْ وَلَيْسَ لَهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ
غَنَّتْ فَحَبَّبَتِ الْأَرَاكَ كَأَنَّمَا فَوْقَ الْغُصُونِ حَبَابَةٌ وَمُخَارِقٌ (٣)

وقال أيضاً (٤) :

لَعَمْرِي إِنِّي لِلْحَمَائِمِ فِي الضُّحَى إِذَا غَرَّدَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ لَوَائِقُ
وَأَسْعَدَنِي مِنْهَا صَدِيقَةٌ أَيْكَةٌ كَمَا يُسْعِدُ الْإِلْفَ الصَّدِيقُ الصَّادِقُ

وقال عبد الواحد بن فتوح الأندلسي يصف حماماً بسرعة الطيران

والسَّبق (٥) :

يَجْتَابُ أَوْدِيَةَ السَّحَابِ بِخَافِقٍ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي السَّحَابِ فَأَبْرَقَا
لَوْ سَابَقَ الرِّيحَ الْجَنُوبَ لِنَايَةِ يَوْمًا لَجَاءَكَ مِثْلُهَا أَوْ أَسْبَقَا
يَسْتَقْرِبُ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ مَذْهَبًا وَالْأَفْقَ ذَا السُّقْفِ الرَّفِيعَةِ مُرْتَقَى
وَيَظِلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَاءَ بِخَافِقٍ فِي الْجَوِّ تَحْسِبُهُ الشَّهَابِ الْمُحْرِقَا
يَبْدُو فَيُعْجَبُ مَنْ رَأَاهُ لِحُسْنِهِ وَتَكَادُ آيَةٌ عَنْقَهُ أَنْ تَنْطَلِقَا
مُتَرَقِّقًا مِنْ حَيْثُ دَرَّتْ كَأَنَّمَا لَيْسَ الرُّجَاجَةُ أَوْ تَجَلَبَّبَ زَيْتَانَا

وقال يحيى بن هذيل في القمري (٦) :

قَدْ اخْتَفَى بَيْنَ أَغْصَانٍ وَأُورَاقٍ وَحَنَّ حَنَّةً مَشْغُوفٍ وَمُشْتَاقٍ

(١) مخلَّق: مطَّيَّب بالخلوق (بفتح الخاء) وهو ضرب من الطيب .

(٢) التشبيهات/ ٦٠ .

(٣) حَبَابَةٌ وَمُخَارِقٌ: مغنيان مشهوران .

(٤) التشبيهات/ ٦١ .

(٥) نهاية الأرب للنويري ٢٧٩/١٠ .

(٦) التشبيهات/ ٥٩ .

كَأَنَّمَا خَافَ عَذْلًا فَهُوَ مُسْتَتِرٌ أَوْ خَافَ وَاشِيَةً أَوَدَّتْ بِمِثَاقِ
وقال أيضاً^(١) :

مَطْوَقَةٌ يَغْدُو النَّدى فِي جَنَاحِهَا لَأَلَىءَ لَيْسَتْ مِنْ نِظَامٍ وَلَا سِيلِكِ
إِذَا انْتَقَلَتْ عَنْ أَيْكِهَا فَكَأَنَّمَا قَوَادِمُهَا أَجْفَانُ وَالْهَيْةُ تَبْكِي
وقال أبو هلال العسكري في فاختة^(٢) :

مَرَرْتُ بِمِطْرَابِ الْغَدَاةِ كَأَنَّهَا تَعْلُ مَعَ الْإِشْرَاقِ رَاحًا مُفْلَفَلًا^(٣)
مُنْمَرَةً كِذْرَاءَ تَحْسَبُ أَنَّهَا تُجَلِّلُ مِنْ جِلْدِ السَّحَابِ مُفَصَّلًا^(٤)
بَدَتْ تَجْتَلِي لِلْعَيْنِ طَوْقًا مُمَسَّكًا وَطَرْفًا كَمَا تَرْنُو الْغَزَالَةَ أَكْحَلًا
لَهَا ذَنْبٌ وَافِي الْجَوَانِبِ مِثْلَمَا تُقَشِّرُ طَلْعًا أَوْ تُجَرِّدُ مُنْصَلًا
إِذَا حَلَقَتْ فِي الْجَوِّ نَحَلَتْ جَنَاحَهَا يَرُدُّ صَفِيرًا أَوْ يَحْرُكُ جُلْجُلًا^(٥)

وسمع أبو فراس الحمداني حمامة وهو في أسره تنوح على شجرة فقال
يخاطبها^(٦) :

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟
مَعَاذَ الْهَوَى مَا ذُقْتُ طَارِقَةَ النَّوَى
وَلَا خَطَرْتُ مِنْكَ الْهَمُومُ بِبَالٍ
أَتَحْمِلُ مُحْزُونِ الْفُؤَادِ قَوَادِمَ عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالٍ

(١) المصدر السابق/ ٥٨ .

(٢) ديوان المعاني ١٣٨/٢ ، ونهاية الأرب ٢٦٠/١٠ .

(٣) يريد بمطراب الغداة: الفاختة. شراب مففل: يلذع لدع الفلفل .

(٤) منمرة: منقطة بأي لون كان .

(٥) الجلسل: الجرس الصغير، جمعه جلاجل .

(٦) ديوانه ٢٣٨ .

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أقاسمك الهوم تعالى
تعالى ترى روحاً لدي ضعيفة تردد في جسم يعدب بال
أضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالر؟
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة ولكن دمي في الحوادث غال

وقال نصيب (الأكبر) بن رباح^(١) :

لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فنن وهنأ وإني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمائم
وقال أبو قطيفة (عمرو بن الوليد)^(٢) :

وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الأطم^(٣)
كل قصر مشيد ذي أواس يتغنى على ذراه الحمام^(٤)
إقر مني السلام إن جئت قومي وقليل لهم لدي السلام

وقال حميد بن ثور الهلالي من قصيدة طويلة^(٥) :

وما حاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حر ترحة وترنما
من الورق حماء العلاطين باكرت عسيب أشاء مطلع الشمس أسحما^(٦)
إذا هزته الريح أو لعبت به أرنت عليه مائلاً ومقوما^(٧)

(١) ديوانه ١٢٤ وديوان الحماسة لأبي تمام ١٢٨٩/٣ .

(٢) الأغاني ٣٩/١ .

(٣) الأطم: الحصون واحدا أطم (بضمتين) .

(٤) أواسي جمع أسي وهو الأصل، يقال فلان في أسيه أي في أصله، والأسى والأساس واحد . وفي رواية أخرى (ذي أواس) بالشين المعجمة، يريد أن هذه القصور موشية أي منقوشة .

(٥) ديوانه ٢٤ .

(٦) العلاطان: الرقمتان في أعناق الطير. العسيب: صغار السعف الذي لم ينبت عليه الخوص .
الأشياء: صغار النخل .

(٧) أرنت: صاحت. المائل: اللأطىء بالأرض وهو من الأضداد .

تُبَارِي حَمَامَ الْجَلْهَتَيْنِ وَتَرْعَوِي
تَطَوَّقَ طَوْقًا لَمْ يَكُنْ عَنْ تَمِيمَةٍ
بَنَتْ بَيْتَهُ الْخُرْقَاءُ وَهِيَ رَفِيقَةٌ
تُرْشِحُ أَحْوَى مُزْلَعِبًا تَرَى لَهُ
كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنُوءَةٍ
فَلَمَّا اكْتَسَى رِيشًا سُخَامًا وَلَمْ يَجِدْ
أُتِيحَ لَهُ صَقْرٌ مُسِفٌّ فَلَمْ يَدْعُ
فَأَوْفَتْ عَلَى غُضَنِ ضُحَيًّا فَلَمْ تَدْعُ
مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَصْدَحُ كُلُّهَا
إِذَا شِثْتُ غَتَّتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ
عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غِنَاؤُهَا
فَلَمْ أَرْ مَحْزُونًا لَهُ مِثْلُ صَوْتِهَا
كِمِثْلِي إِذَا غَتَّتْ وَلَكِنْ صَوْتُهَا

إِلَى آبِنِ ثَلَاثٍ بَيْنَ عُودَيْنِ أَعْجَمَا (١)
وَلَا ضَرْبِ صَوَاغٍ بِكَفِّهِ دِرْهَمَا
بِهِ بَيْنَ أَعْوَادٍ بَعْلِيَاءَ مُعْلَمَا
أَنَايِبَ مِنْ مُسْتَعَجِلِ الرِّيشِ حَمَحَمَا (٢)
إِذَا هُوَ مَدُّ الْحَيْدِ مِنْهُ لِيَطْعَمَا (٣)
لَهُ مَعَهَا فِي بَاحَةِ الْعُشِّ مَجْثَمَا (٤)
لَهَا وَلَدًا إِلَّا رَمِيمًا وَأَعْظَمَا (٥)
لِبَاكِيةٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوَّمَا (٦)
دَنَا الصَّيْفُ وَأَنْجَابَ الرَّبِيعِ فَأَنْجَمَا (٧)
أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَبْنِمَا (٨)
فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا
لَهُ عَوْلَةٌ لَوْ يَفْهَمُ الْعَوْدُ أَرْزَمَا (٩)

وقال عبيد بن الأبرص (١٠) في خرق الحمامة وعدم إتقانها عمل العش:

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَةُ

-
- (١) الجلهتان: جانبا الوادي. ابن ثلاث: الفرخ ابن ثلاث ليال. بين عودين: يريد أنه في عشه.
(٢) ازلغب الفرخ: طلع ريشه. جمحم: اسود، وفي رواية (جمما) أي كثر.
(٣) الحنوة: نبات سهلي طيب الريح.
(٤) السخام: اللين. المجثم: موضع جثوم الطائر.
(٥) المسف: الذي يدنو من الأرض في طيرانه.
(٦) ضحياً: ضحى. متلوماً: ملامة.
(٧) انجاب، وأنجم: كلاهما بمعنى أفلح.
(٨) بيشة: واد تثليث: موضع قرب مكة. يبنما: واد قبل تثليث.
(٩) العود: المسن من الابل.
(١٠) عيون الأخبار ٧٢/٢.

جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثُمَامَةٍ (١)
 وقال أحمد شوقي في قصة الحمامة مع نبي الله سليمان بن داود عليهما
 السلام (٢) :

كَانَ ابْنُ دَاوُدَ يُقْرِبُ فِي مَجَالِسِهِ حَمَامَةً
 خَدَمَتْهُ عُمُرًا مِثْلَمَا قَدْ شَاءَ صِدْقًا وَاسْتِقَامَةً
 فَمَضَتْ إِلَى عُمَالِهِ يَوْمًا تَبَلَّغَهُمْ سَلَامَةً
 وَالْكَتَبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكَرَامَةُ
 فَأَرَادَتْ الْحَمَقَاءُ تَعْرِفَ مِنْ رَسَائِلِهِ مَرَامَةً
 عَمِدَتْ لِأَوَّلِهَا وَكَانَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَةً (٣)
 فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ فِيهِ عَا مِلَّةً بِتَاجٍ لِلْحَمَامَةِ
 وَيَقُولُ وَفُوهَا الرُّعَا يَّةً فِي الرُّحِيلِ وَفِي الْإِقَامَةِ
 وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بِأَنْ تُعْطَى رِيَاضًا فِي تِهَامَةٍ (٣)
 وَأَتَتْ لِثَالِثِهَا وَلَمْ تَسْتَجِبْ أَنْ فَضَّتْ خِتَامَةً
 فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ أَنْ تَكُو نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الرُّعَامَةَ
 فَبَكَتْ لِذَاكَ تَنْدُمًا هِيَهَاتَ لَا تُجْدِي النَّدَامَةَ
 وَأَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ وَهِيَ تَقُولُ يَا رَبِّ السَّلَامَةَ
 قَالَتْ: فَقَدْتُ الْكَتَبَ يَا مَوْلَايَ فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ (١)
 لَتَسْرُعِي لِمَا أَتَا نِي الْبَارُ يَدْفَعُنِي أَمَامَةً
 فَأَجَابَ بَلْ جِئْتُ الَّذِي كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَةُ
 لَكِنْ كَفَاكِ عُقُوبَةٌ مَنْ خَانَ خَانَتَهُ الْكَرَامَةَ

(١) يقول: قرنت عودة النشم القوية بالنمام الضعيف فتكسر ووقع البيض .

(٢) الشوقيات ١٦٨/٤ .

(٣) رامه، وتهامة، واليمامة: أسماء أمكنة .

وقال عبد الله بن جحش في أبي سفيان بن حرب لما عدا على داره بمكة فباعها^(١) :

أَبْلَغَ أَبَا سُفْيَانَ عَنْ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ نَدَامَةٌ
دَارَ ابْنِ عَمِّكَ بَعَثَهَا تَقْضِي بِهَا عَنْكَ الْغَرَامَةَ
وَحَلِيفُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ مُجْتَهِدُ الْقِسَامَةِ
إِذْهَبْ بِهَا إِذْهَبْ بِهَا طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الْحَمَامَةِ

وقال أبو حية النميري (الهيثم بن الربيع) مشبهاً الأثافي بالحمام^(٢) :

مِنَ الْعَرَصَاتِ غَيْرَ مَخَدٍّ نُؤْيٍ كَبَاقِي الْوَحْيِ خُطٌّ عَلَى إِمَامٍ^(٣)
وَعَبْرَ خَوَالِدٍ لَوْحَنَ حَتَّى بِهِنَّ عَلَامَةٌ مِنْ غَيْرِ شَامٍ^(٤)
كَأَنَّ بِهَا حَمَامَاتٍ ثَلَاثًا مَثَلْنَ وَلَمْ يَطْرُنْ مَعَ الْحَمَامِ
وقال الفرزدق^(٥) :

وَمَنْ يَكُ خَائِفًا لِأَذَاةِ شِعْرِي فَقَدْ أَمِنَ الْهَجَاءَ بَنُو حَرَامِ
هُمْ مَنَعُوا سَفِيهِهْمُ وَخَافُوا قَلَائِدَ مِثْلَ أَطَوَاقِ الْحَمَامِ
وقال ابن هرمة (إبراهيم بن علي)^(٦) :

إِنِّي أَمْرٌ أَوْعُ الْحَلِيَّ تَعْمَلُهُ كَفَّايَ لَكُنْ لِسَانِي صَائِعُ الْكَلِمِ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٥٠٠/١ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٢٤٠/٣ .

(٣) المخد: موضع الخد وهو الشق. الوحي: الكتابة. الإمام: الكتاب .

(٤) الخوالد: يعني الأثافي لأنهن يبقين بعد الرحيل عن الدار. لوحن: غيرتهن النار. الشام جمع شامة وهي الأثر الأسود في البدن أو الأرض .

(٥) ثمار القلوب/٤٦٦ . ولم أجدهما في ديوانه .

(٦) المصدر السابق/٤٦٦ ، وديوانه / ٢١٠ و ٢١١ .

إِنِّي إِذَا مَا أَمْرُو خَفَّتْ نَعَامَتُهُ فِي الْجَهْلِ وَاسْتَحْصَدَتْ مِنْهُ قُوَى الْأَدَمِ
عَقَدْتُ فِي مُلْتَوَى أَوْدَاجِ لَبَّتِهِ طَوَّقَ الْحَمَامَةِ لَا يَبْلَى عَلَى الْقَدَمِ
وقال كثير عزة أو غيره من بني سهم^(١) :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةٍ وَإِمَامِ
أَيْسَبُ الْمُطِيبُونَ جُدُودًا وَالْكَرَامُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
يَأْمَنُ الظُّبِّي وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْ مَنْ آلَ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامِ
وقال عدي بن الرِّقَاع العاملي، وقيل لنصيب بن رباح^(٢) :

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي كُنْتُ نَائِمًا أَعْلَلُ مِنْ بَرْدِ الْكَرَى بِالتَّنَسُّمِ
إِلَى أَنْ بَكَتْ وَرَقَاءُ فِي غُصْنِ أَيْكَةٍ تُرَدِّدُ مَبْكَاهَا بِحُسْنِ التَّرْنَمِ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بِلَيْلِي شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدَمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
وقال أعرابي في الحمام^(٣) :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُذْنُ عَوْدَةٍ فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ
فَعُذْنٌ فَلَمَّا عُذْنٌ كِذْنٌ يُمِتَّنِي وَكِدْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بِأَصْوَاتِ الْهَدِيدِ كَأَنَّمَا شَرِبْنَ حُمِيًّا أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا بِكَيْنٍ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ شُؤُونُ
وقال ابن القاشاني في غناء الحمامة^(٤) :

يَا لَيْلَةً جَمَعْتَنِي وَالْمَدَامَ وَمَنْ أَهْوَاهُ فِي رَوْضَةٍ تَحْكِي الْجَنَانَ لَنَا

(١) الحيوان للجاحظ ١٩٤/٣ .

(٢) الكامل للمبرِّد ١٢٥/٣ والبيتان الثالث والرابع في شعر نصيب بن رباح/١٦٠ مع أبيات أخرى .

(٣) الأعرابيَّات ٢٥٩/ .

(٤) ثمار القلوب/٤٦٧ .

لَأَشْكُرَنَّكَ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الْغُصُونِ كَمَا طَوَّقْتَنِي مِنَّا

وقال شاعر يصف لون الحمام^(١) :

كَأَنَّ بَنَحْرَهَا وَالْجِدِيدِ مِنْهَا إِذَا مَا أُمَكَّنْتَ لِلنَّاطِرِينَ
مَخْطَأً كَانَ مِنْ قَلَمٍ دَقِيقٍ فَخْطَ بِجِيدِهَا وَالنَّحْرَ نُونًا

وقال أبو الحسين النوري^(٢) :

رُبَّ وَرَقَاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذَاكَ شَجْوٍ هَتَفَتْ فِي فَنِّ
ذَكَرْتَ إلفاً وَخِذْنًا صَالِحاً فَبَكَتْ حُزْناً فَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَنِي
وَلَقَدْ تَشَكُّو فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضاً بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي

وقال القاسم بن يوسف بن صبيح يرثي القمري^(٣) :

هَلْ لَأَمْرٍ مِنْ أَمَانٍ	مِنْ رَيْبٍ هَذَا الزَّمَانِ
أَمْ هَلْ تَرَى نَاجِياً مِنْ	طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ
مَا اثْنَانِ يَجْتَمِعَانِ	إِلَّا سَيَفْتَرِقَانِ
قَرِينُ كُلِّ قَرِينٍ	يَبِينُ بَعْدَ اقْتِرَانِ
وَالْمَازِمَانِ وَنَسْرُ الدِّ	سَّمَاءِ وَالْفَرَقْدَانِ ^(٤)
يُبْلِي الْجَدِيدَ الْجَدِيدِ	دَانِ ثُمَّ مَا يَبْلِيَانِ
كَانَ الْمُطَوَّقُ خِذْنًا	مِنْ أَكْرَمِ الْأَخْدَانِ

(١) محاضرات الأدباء ٢/٦٧٤ .

(٢) حياة الحيوان للدميري ٢/٣٩٥ .

(٣) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق/ ١٩٣ .

(٤) المآزمان: موضع بين المشعر وعرفة .

وصاحباً وخليلاً
سنين سبعاً وعشراً
فغاله حادث من
أمسى المطوق رماً
مستوطناً دار قفر
داني الجوار وإن كا
فالقلب فيه كلوم
وفي الحشا لاذعات
والمقلتان سجوم
كان المطوق أنساً
وكان طلقاً ضحوكاً
إذا أشرت إليه
مغرداً في دجى اللي
منادياً ساق حر
وكان أعجم في نط
وطالما غناني
لمعبد والسريج
كان المطوق جاز ال
تنميه آباء صدق
في مغرس طاب أضلاً
كأن عينيه ياقو
كأن رجليه مضبو

من خالص الخلال
مخفورة بثمان
حوادث الأزمان
دريجة الأكفان
من عامر الأوطان
ن نازحاً غير دان
من لاجع الأحران
كمشعل النيران
دعماً هما تكفان
للأهل والجيران
يحيب كل أوان
باللحظ أو بالبنان
ل مؤذناً بالأذان
أو حرة ببيان
فه فصيح اللسان
من مطرب الألحان
ي والغريض اليماني
رسول والفرقان
لمحصنات هجان
من طيب الأغصان
تتان حمراوان
غان من أرجوان^(١)

(١) الأرجوان: صبغ أحمر (معرب) .

كَأَنَّ هَامَتَهُ رُكِّبَتْ عَلَى غُصْنٍ بَانٍ
 وَأَخْضَرَ اللَّوْنِ يَحْكِي لِبَاسَ أَهْلِ الْجَنَانِ
 وَذِي سَفَاهٍ لِحَانِي لَمْ يُعْنِهِ مَا عَنَانِي
 رَدَّدَتْهُ بِصَغَارٍ وَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ
 يَلُومُنِي وَهُوَ خَلُوَ لَمْ يَشْجِهْ مَا شَجَانِي
 هَيْهَاتَ مَا لَكَ ثَانٍ مُقَارِبُ أَوْ مُدَانِي
 وَمَا بَنَى مِثْلَ مَا قَدْ بَنَيْتَ فِي اللَّهِو بَانِي
 فَادْهَبْ حَمِيداً فَقِيداً فَمَا خَلَا اللَّهُ فَانِي

وقال بعض الكتاب في وصفه (١) :

سَجَعَتْ هَاتِفَةُ الْوَرَقِ عَنَاهَا شَحْطُ بَيْنِ
 ذَاتُ طَوِّقٍ مِثْلَ خَطِّ النُّونِ أَقْنَى الطَّرْفَيْنِ
 وَتَرَى نَاطِرَهَا يَلْدُ مَعُ فِي يَاقُوتَتَيْنِ
 تُخْرِجُ الْأَنْفَاسَ مِنْ ثَقْدٍ بَيْنِ كَاللُّؤْلُؤَتَيْنِ

وقال عبد الله بن المعتز يصف حمامة (٢) :

هَيَّجَتْ حُزْنَهُ حَمَامَةٌ غُصْنٍ فَهُوَ بِأَكْ يَنْوَحُ وَهِيَ تُغْنِي
 زُيْنَتْ بِأَكْتِسَاءٍ وَشَيْءٍ مِنَ الرِّيبِ شَرِّ وَطَوِّقٍ فِي جِيدِهَا مُطْمَئِنِّ
 وَاسْتَعَادَ الْهَدِيرَ مِنْهَا ارْتِيَا حَجَّ حَتَّى حَسِبْتُهُ مَسَّ جَنِّ
 ثُمَّ طَارَتْ وَسَافَرَتْ بِجَنَاحٍ خَلْفَ الْأَفْهَامِ كَتَبَرَقَةٍ مُزْنِ

وقال أبو بكر الصنوبري (أحمد بن محمد) في الورشان (٣) :

أَنَا فِي نُزْهَتَيْنِ مِنْ بُسْتَانِي حِينَ أَخْلُو بِهِ وَمِنْ وَرْشَانِي

(١) محاضرات الأدباء ٦٧٥/٢ .

(٢) ديوانه ٦٤٨/٢ .

(٣) ديوانه ٤٩٨/ ونهاية الأرب ٢٥٩/١٠ .

طَائِرٌ قَلْبٌ مِنْ يُغْنِيهِ أَوْلَى
مُسْمِعٌ يُودِعُ الْمَسَامِعَ مَا شَا
فِي رِداءٍ مِنْ سَوَسَنِ وَقَمِيصٍ
قَدْ تَغَشَّى لَوْنَ السَّمَاءِ قَرَاهُ
مِنْهُ عِنْدَ الْغِنَاءِ بِالطَّيْرَانِ
عَتَّ وَمَا لَمْ تَشَأْ مِنَ الْأَلْحَانِ
زَرَّرَتْهُ عَلَيْهِ تَشْرِينَانِ
وَتَرَاءَى فِي جِيدِهِ الْفَرْقَدَانِ^(١)
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ هَذَا^(٢) :

قُلْ لِهَذَا الْحَمَامِ إِنَّ جَهْلَ الْحَدِّ
لَمْ تُصِبهُ النَّوَى بِفَقْدَانِ خِلٍّ
فَشَدَا فِي قَضِيبٍ أَيْكَ يُعَلِّ
بَبْ أَنَا وَقِفْتُ عَلَى عِرْفَانِهِ
فَيَرَى بَاكِئاً عَلَى فَقْدَانِهِ
هُ وَيُدْنِيهِ أَرْضَهُ مِنْ لِيَانِهِ

(١) القرا (بالفتح) : الظهر .

(٢) التشبيهات/ ٥٨ .

الحَيَّة (١)

الحَيَّةُ إسم يطلق على الذكر والأنثى ، وإنَّما دخلته الهاء لأنَّه واحد من جنس ، فإن أردت التمييز قلت : هذا حَيَّةٌ ذكر ، وهذه حَيَّةٌ أنثى ، على أنَّه قد روي عن بعض العرب : رأيت حَيًّا على حَيَّة ، أي ذكرًا على أنثى ، وتجمع على حَيَّات وحيوات .

ويقال : أرض مَحَيَّات ومَحَوَّات ، أي كثيرة الحَيَّات . والحاوي : صاحب الحَيَّات ، والحَيُّوت : ذكر الحَيَّات .

من أسماء الحيات ونعوتها :

الأبتر	: أبتر الذنب مقطوعه ، خبيث أزرق .
الأخزم	: الحَيَّةُ الذكر ، والخبيث الغضوب .
الأرقم	: مرقم بحمرة وسواد وكُدرة . خبيث عارٍ . والأرقم

(١) المخصص ١٠٦/٨/٢ - ١١٥ . حياة الحيوان ٢٥/١ - ٢٧ و ١٧١ و ١٨٣ و ٢٣٣ و ٥٠/٢ و ٦٩ و ١١٥ . المعجم الزوولوجي ٦/٦ ، والصحاح ولسان العرب وأقرب الموارد ومعجم متن اللغة ضمن حدود المواد التي سيرد ذكرها .

- اسم للذكر، ولا يقال للأنثى رقماء ولكنها رقشاء
 : غير مُنَوَّن، وأَسود سالخ، وصالخ: إذا ألقى
 أسود
 سلخه، وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يضاف، وجمع
 الأسود أساود، والأنثى أسودة، وجمع المركب
 أساود سُلخ وسوالخ وسالخة .
- الأصلَة : حمراء ليست بشديدة الحمرة. قصيرة عريضة
 تخطُّ بذنبها، وهي من دواهي الحيات، ويقال:
 إنها تثب على الفارس. والجمع أصل .
- الأصمُّ : ما لا يقبل الرقية، كأنه قد صمَّ عن سماعها .
 الأصيلع : دقيق العنق صغير الرأس كأنَّ رأسه بُندقة ..
 الأعيرج : حية صمَّاء لا تقبل الرقية، وربما تثب حتى تصير مع
 الفارس، جمعتها الأعيرجات .
- الأفعى : عريضة على الأرض. إذا مشت مشت مثنية
 بشنين، أو بثلاثة أثناء. رأسها عريض. ثقيلة
 لا تطلب أحداً، وإن طلبت لم تدرك، وإنما تعضُّ
 إذا وطىء عليها. الجمع أفاعي .
- الأفعوان . : ذكر الأفاعي .
 أفنون : الحية العجوز .
 الأقزل : ضرب من الحيات .
- الأيِّم : كلُّ حية (أيِّم) الذكر والأنثى في ذلك سواء،
 وأهل الحجاز يسمون الجان من الحيات (الأيِّم) وهذيل
 يقولون (الأيِّم) بكسر الياء المشددة، وبنو تميم
 يقولون (الأيِّن)، وقال ابن بري كما في اللسان: (اليِّم)

الثَّعْبَانُ	: حَيَّةٌ ضَخْمَةٌ، زَعَمُوا أَنَّ نَفْخَهُ يَقْتُلُ، وَقِيلَ: كُلُّ حَيَّةٍ ثَعْبَانٌ .
الْجَبَانُ	: حَيَّةٌ دَقِيقٌ أَمْلَسٌ لَا يَضُرُّ أَحَدًا. يَضْرِبُ لَوْنُهُ إِلَى الْصَفْرَةِ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَسْمُونَ الْأَيْمَ مِنَ الْحَيَّاتِ الْجَبَانَ
الْجَارِنُ	: وَلَدُ الْحَيَّةِ .
الْحُبَابُ	: حَيَّةٌ بَعِينُهَا لَيْسَتْ مِنَ الْعَوَارِمِ، وَعَمَّ بَعْضُهُمْ جَمِيعَ الْحَيَّاتِ .
الْحُرُّ	: حَيَّةٌ دَقِيقَةٌ شَبِيهَةٌ بِالْجَبَانِ مِنَ الْحَيَّاتِ .
الْحُرْفُ	: مَظْلَمُ اللَّوْنِ، قِيلَ: إِذَا أَخَذَ إِنْسَانًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ دَمٌ إِلَّا خَرَجَ .
الْحِصْفُ	: إِسْمُ الْحَيَّةِ (طَائِيَّةٌ) .
الْحِضْبُ	: الذَّكَرُ الضَّخْمُ مِنَ الْحَيَّاتِ .
الْحُقْفَاتُ	: مِنْ أَضْعَفِ الْحَيَّاتِ. أَرْقَشُ وَهُوَ أَكْثَرُ رَقَطًا مِنَ الْأَرْقَمِ مَنْتَفَخُ الْوَرِيدِ. ضَعِيفُ السَّمِّ، وَقِيلَ: لَا سَمَّ لَهُ .
الْحِقْفُ	: عَلَى خَلْقَةِ الْأَفْعَى إِلَّا أَنَّهُ أَعْظَمُ .
الْخَمَطِيطُ	: الْحَيَّةُ جَمَعَهَا حِمَاطِيطٌ .
الْحَنْشُ	: الْأَسْوَدُ مِنَ الْحَيَّاتِ. وَقِيلَ: حَيَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ أَعْظَمُ مِنَ الثَّعْبَانِ، وَقِيلَ: يُقَالُ لِلْحَيَّةِ وَجَمِيعِ دَوَابِّ الْأَرْضِ: الْأَحْنَاشُ، ثُمَّ خُصَّتْ بِهِ الْحَيَّةُ فَقِيلَ لَهَا: حَنْشٌ .
الْخَنْفِيشُ	: حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ ضَخْمَةٌ الرَّأْسِ رَقَشَاءُ كَدْرَاءُ إِذَا حَرَّبَتْهَا انْتَفَخَ وَرِيدُهَا جَمَعَهَا حَنْفِيشٌ .
الْخَشَاشُ	: حَيَّةٌ أَسْمَرُ أَصْغَرُ مِنَ الْأَرْقَمِ، صَغِيرُ الرَّأْسِ قَلَمًا يُوْذِي أَحَدًا .
الدَّسَّاسُ	: حَيَّةٌ أَحْمَرُ كَالدَّمِ مُحَدَّدُ الطَّرْفَيْنِ، لَا يُدْرَى أَيُّهُمَا

الدَّوْدَمَسُ	رأسه، غليظ الجلد، ويسمى النِّكَاز أيضاً. : ضرب من الحَيَّات محرنفش الغلاصم، يقال: إنَّه ينفخ نفخاً فيحرق ما أصاب، والجمع الدَّواميس
ذات الزُّبَيْتَيْنِ ذو الطُّفَيْتَيْنِ	: الحَيَّة التي لها نقطتان سوداوان فوق عينيها : حَيَّة خبيث ذو جَدَدٍ في ظهره بيضٍ وسود، والطُّفَى: خوص المقل ^(١) . أراد أن في جنبيه خطَّين كخوصتين من خوص المقل، وفي الصحاح رُبَّما قيل لهذه الحَيَّة، طُفَيَّة على معنى ذات الطفية .
الرَّقِيبُ السَّفُّ	: ضرب من الحَيَّات خبيث. الجمع الرَّقِيَّات والرُّقَب : ضرب من الحَيَّات، قال بعضهم: إنَّها تطير في الهواء، وقال آخرون: ربَّما خُصَّ بالسف الأرقم الشجاع : من أعرم الحَيَّات طويل أفرع مُرَقَّش الظهر بسواد وصُفرة. الجمع شجعان وأشجعة .
الصِّلُّ	: الحَيَّة الدقيقة الصفراء، قيل إنَّها تكون في الرمل لا تنفع منها الرقية .
العِرْبِدُ	: قيل: إنَّه أسود سالخ، وجاء في المخصص عن ثعلب أنَّها حَيَّة خفيفة، وعن ابن قتيبة: أنَّها تنفخ ولا تؤذي، وبها سَمِّي المعربد من السكاري لأنَّه ينفخ ولا يؤذي ولا يضر شيئاً .
الغَضُوبُ الغُولُ	: حَيَّة خبيثة . : الحَيَّة جمعها أغوال .

(١) المقل (بضم فسكون) : ثمر الدَّوم (يؤكل) والدَّوم: شجرة تشبه النخلة في حالاتها .

ابن قِترَة	: حَيَّةٌ أَغْبِرَ اللَّوْنُ صَغِيرَ أَرْقَطٍ يَتَطَوَّى ثُمَّ يَنْقُزُ .
القُدَّار	: الثَّعْبَانُ الْعَظِيمُ .
القُرْنَاء	: حَيَّةٌ لَهَا كَاللِّحْمَتَيْنِ فِي رَأْسِهَا .
القُرْزَة	: حَيَّةٌ عَرَجَاءُ تَنْزُو .
القُصَيْرَى	: ضَرْبٌ مِنَ الْأَفَاعِي الْخَبِيثَةِ صَغِيرَةِ الْجِسْمِ حَيَّةٌ قَصُوقَصُوقٌ ، أَيْ خَبِيثَةٌ .
المِخْرَاط	: الْحَيَّةُ الْمَنْسَلَخَةُ أَوْ الْمَعْتَادَةُ الْإِنْسِلَاحَ فِي كُلِّ عَامٍ .
النُّضْنَانُض	: الَّتِي تَحْرُكُ لِسَانَهَا حَرَكَةً خَفِيفَةً ، وَقِيلَ : هِيَ الَّتِي لَا تَقْرُ فِي مَكَانٍ وَإِذَا نَهَشَتْ قَتَلَتْ مِنْ سَاعَتِهَا .
الهلال	: ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ إِذَا سَلَخَتْ فِيهِ هَلَالٌ ، وَقِيلَ : فَرْخُ الْحَيَّةِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْحَيَّةُ مَا كَانَ .
كنية الذكر	: أَبُو الْبَحْتَرِيِّ ، أَبُو عَثْمَانَ . أَبُو الرَّبِيعِ . أَبُو الْعَاصِ أَبُو مَذْعُورٍ ، أَبُو وَثَّابٍ ، أَبُو يَقْظَانَ .
كنية الأنثى	: أُمُّ طَبَقٍ . أُمُّ عَافِيَةٍ . أُمُّ عَثْمَانَ أُمُّ الْفَتْحِ . أُمُّ مَحْبُوبٍ .

ذَكَرَهَا فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ

﴿فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ عَظِيمٌ﴾ (الأعراف/ ١٠٧) ومثلها في (سورة الشعراء/ ٣٢) .

﴿قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه/ ٢٠) .
﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾
(النحل/ ١٠) ومثلها في (سورة القصص/ ٣٠) .

مِمَّا جَاءَ عَنْهَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ

(إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرَزَ ^(١) إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى حُجْرِهَا) ^(٢) .
(اقْتُلُوا ذَا الطَّفِيتَيْنِ ^(٣) فَإِنَّهُ يَلْتَمَسُ - أَوْ قَالَ : يَطْمَسُ - الْبَصَرَ وَيَذْهَبُ
الْحَبْلَ) ^(٤) .

(اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ واقْتُلُوا ذَا الطَّفِيتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ ^(٥) فَإِنَّهُمَا يَطْمَسَانِ الْبَصَرَ
وَيَسْقِطَانِ الْحَبْلَ) ^(٦) .

مِمَّا وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ

(أَبْصَرَ مِنْ حَيَّةٍ) . ضَرْبٌ بِهَا الْمَثَلُ لِحَدَّةِ بَصَرِهَا ^(٧) .
(أَدْخَلَ مِنْ حَيَّةٍ) . قِيلَ ذَلِكَ لِقُدْرَتِهَا عَلَى الدَّخُولِ فِي كُلِّ ثَقْبٍ
وَشَقٍّ ^(٨) .

(أَرَوَى مِنْ حَيَّةٍ) ، لِأَنَّهَا تَكُونُ فِي الْقَفْرِ لَا تَرَى الْمَاءَ وَلَا تَشْرَبُهُ ^(٩) .
(أَطُولُ مِنْ دَمَاءٍ ^(١٠) مِنَ الْحَيَّةِ) ، لِأَنَّهَا تُذْبِحُ ، وَرَبَّمَا قَطَعَ الثَّلَثَ مِنْهَا
فَتَبْقَى أَيَّامًا تَتَحَرَّكُ وَقَدْ تَعِيشُ إِنَّ سَلَمْتَ مِنَ الذَّرِّ ^(١١) .

(١) يَأْرَزُ: يَنْظُمُ وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ .

(٢) صحيح البخاري ٢٧/٣ .

(٣) ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ تَقْدُمُ ذَكَرَهُ .

(٤) صحيح البخاري ١٥٦/٤ .

(٥) الْأَبْتَرُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ مَرَّ ذَكَرَهُ فِي أَسْمَاءِ الْحَيَّاتِ .

(٦) صحيح البخاري ١٥٤/٤ .

(٧) لِسَانُ الْعَرَبِ (مَادَّةُ حَيَا) .

(٨) التَّمَثِيلُ وَالْمَحَاضِرَةُ ٣٧٧/ .

(٩) جَمْهَرَةُ الْأَمْثَالِ ٤٩٩/١ .

(١٠) الدَّمَاءُ (بِالْفَتْحِ) : بَقِيَّةُ النَّفْسِ .

(١١) جَمْهَرَةُ الْأَمْثَالِ ٢٠/٢ .

(أظلم من حيّة) ، لأنها تأتي جحر الضب فتأكل حسلها وتسكن جحرها (١) .

(أعدى من الحيّة) ، من العدو (٢) لأنها تزحف على بطنها ولا يلحق بها أحد (٣) .

(أعرى من حيّة) ، لأنها تنسلخ من قشرها في كل عام (٤) .
(أعمر من حيّة) ، لأنها - كما زعموا - لا تموت حتى تقتل (٥) .
(حيّة الوادي) ، يضرب مثلاً للرجل الشجاع المنيع الجانب الحامي لحوزته (٦) .

(كالأرقم إن يُقتل ينقم وإن يُترك يلقم) ، يضرب لمن يتوقع شره في كل حال (٧) .

(والفتى من تعرّفته الليالي والفيافي كالحيّة النضاض^(٨))
(وبالضييلة لين في مجسّتها وسمّها نافع يُردي إذا لَسَعَتْ^(٩))
(إذا وجدت بواي حيّة ذكراً فاذهب ودعني أمارس حيّة الوادي^(١٠))

(١) لسان العرب (مادة حيا) .

(٢) ويجوز أن يكون من العدوان وقد مرّ المثل (أظلم من حيّة) .

(٣) ثمار القلوب/٤٢٦ وجمهرة الأمثال ٦٦/٢ .

(٤) المصدر السابق ٣٤/٢ .

(٥) المصدر المذكور ٧٤/٢ .

(٦) لسان العرب (مادة حيا) .

(٧) جمهرة الأمثال ١٦٧/٢ .

(٨) ديوان أبي تمام الطائي ٣١٠/٢ .

(٩) التمثيل والمحاضرة/٣٧٨ .

(١٠) ثمار القلوب/٤٢٢ .

(لا تَغْرُنْكَ هذه الأوجه الغرُّ فإِ رَبِّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضٍ ^(١))

مِمَّا جَاءَ فِي الْقِصَصِ

(الحَيَّةُ وَالْقَرْدُ وَالْبَبْرُ ^(٢))

زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً ^(٣) فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقَرْدٌ وَبَبْرٌ .
وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى الرَكِيَّةِ فُبَصِرَ بِالرَّجُلِ وَالْحَيَّةِ وَالْقَرْدِ وَالْبَبْرِ . فَفَكَّرَ
فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : لَسْتُ أَعْمَلُ لِأَخْرَاجِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أَخْلُصَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ
بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ . . . فَأَخَذَ حَبْلًا وَأَدْلَاهُ فِي الْبَثْرِ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقَرْدُ لَخَفَّتِهِ فَخَرَجَ
ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً فَالْتَفَتَ بِهِ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ ، ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ الْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ
فَشَكَرُوا لَهُ صَنِيعَهُ وَقَلْنُ لَهُ : لَا تُخْرِجْ هَذَا الرَّجُلَ مِنَ الرَكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقْلَّ
مِنْ شُكْرِ الْإِنْسَانِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقَرْدُ : إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةِ
نَوَادِرْخَتْ .

فَقَالَ لَهُ الْبَبْرُ : أَنَا أَيْضًا فِي أَجْمَةٍ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ قَالَتْ الْحَيَّةُ : وَأَنَا
فِي سَوْرِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ وَاحْتَجَجْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ
عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيكَ فَنَجْزِيكَ بِمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ السَّائِحُ
إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قَلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ وَأَدْلَى الْحَبْلِ فَأَخْرَجَ الصَّائِغَ فَسَجَدَ لَهُ .
وَقَالَ : لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا ، فَإِنْ مَرَرْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نَوَادِرْخَتْ فَاسْأَلْ عَنِ
مَنْزِلِي فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَاسْمِي فَلَانٌ لَعَلِّي أَكَاثُكَ ، بِمَا صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ .
فَانْطَلَقَ الصَّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ ، وَانْطَلَقَ السَّائِحُ إِلَى وَجْهَتِهِ . فَعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ
السَّائِحَ اتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ فَانْطَلَقَ فَاسْتَقْبَلَهُ الْقَرْدُ فَسَجَدَ لَهُ ، وَقَبَّلَ

(١) التمثيل والمحاضرة / ٣٧٨ .

(٢) البَبْرُ: سبع هندي يعادل الأسد في عظم الجئة إلا أن الببر أشد بطشاً. أبيض البطن والجانبين مع صفرة، ومخطط بخطوط اسود، والكلمة فارسية معربة .

(٣) الرَكِيَّةُ: البثر ذات الماء، ومنه قولهم: ملأ الركوة من الركيَّة .

رجليه، واعتذر إليه وقال: إِنَّ القُرود لا يملكون شيئاً، ولكن اقعد حتى آتيك،
وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته .

ثم إِنَّ السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله البير فخرّ له ساجداً
وقال له: إِنَّكَ قد أوليتني معروفاً فاطمئن ساعة حتى آتيك. فانطلق البير فدخل
ففي بعض الحيطان^(١) إلى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها، فأتاه به من غير أن
يعلم السائح من أين هو. فقال في نفسه: هذه البهائم قد أولتني هذا
الجزء فكيف لو أتيت إلى الصائغ؟ فإنه إن كان معسراً لا يملك شيئاً فسيبيع هذا
الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه. فانطلق
السائح فأتى إلى الصائغ فلما رآه رحّب به وأدخله إلى بيته، فلما بصّر بالحلي
معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك.

فقال الصائغ: إطمئن حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت،
ثم خرج وهو يقول: قد أصبتُ فرصتي، أريد أن أنطلق إلى الملك وأدله على
ذلك فتحسن منزلتي عنده.

فانطلق إلى باب الملك فأرسل إليه أن الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي
فأرسل الملك وأتى بالسائح. فلما نظر الحلي معه لم يُمهله وأمر به أن يُعذّب
وبطاف به في المدينة ويصلب فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول
بأعلى صوته: لو أَنِّي أطعت القرد والحية والبير فيما أمرني به وأخبرني من قلة
شكر الإنسان لم يصبر أمري إلى هذا البلاء، وجعل يكرّر هذا القول، فسمعت
مقاتله تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتدّ عليها أمره فجعلت تحتال
في خلاصه، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك، فدعا الملك أهل العلم فرّقوه
ليشفوه فلم يُغنوا عنه شيئاً .

(١) الحيطان جمع الحائط، وهو هنا: البستان.

ثم مضت الحيّة إلى أختيها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح إليها من المعروف وما وقع فيه ، فرقت له وانطلقت إلى ابن الملك وتراءت له وقالت : إنك لا تبرأ حتى يرقىك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلماً . انطلقت الحيّة إلى السائح فدخلت إليه السجن وقالت له : هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف إلى هذا الانسان ولم تطعني ، وأتته بورق ينفع من سمها وقالت له : إذا جاؤا بك لترقى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فإنه يبرأ ، فإذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فإنك تنجو إن شاء الله تعالى ، وإن ابن الملك أخبر أباه أنه سمع قائلاً يقول : إنك لن تبرأ حتى يرقىك السائح الذي حُبس ظلماً . فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقى ولده فقال : لا أحسن الرقي ، ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ بأذن الله تعالى ، فسقاه فبرىء الغلام . ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فأخبره ، فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة ، وأمر بالصائغ أن يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح^(١).

٢ - (الأخوان والحيّة)

زعموا أن أخوين كانا في إبل لهما ، فأجذبت بلادهما ، وكان بالقرب منهما وادٍ خصيب وفيه حية تحميه من كل أحد ، فقال أحدهما للآخر : لو أنني أتيت هذا الوادي المُكلىء فرعيت فيه إبلي وأصلحتها ، فقال له أخوه : إنني أخاف عليك الحية ألا ترى أن أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته ، قال : فوالله لأفعلن ، فهبط الوادي ورعى به إبله زماناً ، ثم إن الحية نهشته فقتلته ، فقال أخوه : والله ما في الحياة بعد أخي خير ، فلأطلبن الحية ولأقتلنها ، أو لأتبعن أخي ، فهبط ذلك الوادي وطلب الحية ليقتلها ، فقالت الحية له : ألسنت ترى أنني قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت؟ قال : أو فاعلة أنت؟ قالت : نعم ، قال : إنني أفعل ، فحلف لها

(١) كليلة ودمنة / ٣٩١ .

وأعطاه الموائيق لا يضربها، وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً ، فكثرت ماله حتى صار^١ من أحسن الناس حالاً ، ثم إنه تذكر أخاه فقال : كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعمد إلى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ، ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار، فخاف الرجل شرها وندم فقال لها : هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه؟ فقالت (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟)^(١) .

فذهب قولها المحكي عنها مثلاً يضرب لمن لا يفي بالعهد . ونظم النابغة الذبياني هذه القصيدة بقصيدة سيرد ذكرها ضمن الأشعار التي قيلت في الحية ، ولا أستبعد أنها من نسج خياله .

مما جاء في الشعر :

قال خلف الأحمر^(٢) داعياً على شخص اسمه عبيد بأن تنهشه حية من ثلاث حيّات اختارها له : جبليّة مهروثة الشدقين رقشاء قرناء ، أو ذات الطفيتين لو عضت صخرة لتطايرت فلقاً مثل النوى ، أو أسود حالكاً أنياه كالمُدى :

صَبَّ الإِلَهُ عَلَى عُبَيْدٍ حِيَّةً	لَا تَنْفَعُ النَّفْثَاتُ فِيهَا وَالرُّقَى
جَبَلِيَّةٌ تَسْرِي إِذَا مَا جَنَّهَا	لَيْلٌ وَتَكْمُنُ بِالنَّهَارِ فَمَا تُرَى
مَهْرُوتَةٌ الشَّدَقَيْنِ يَنْطَفُ نَابُهَا	سَمّاً تَرَى مَا إِنَّ يُهَابَ وَيُتَقَى
خَضِرَتْ لَهَا عُتُقٌ وَسَائِرُ خَلْقِهَا	بَضْرٌ يَبِينُ كَمَثَلِ مِصْبَاحِ الدُّجَى
وَكَأَنَّهَا لَبَسَتْ بِأَعْلَى لَوْنِهَا	بُرْدًا مِنَ الْأَثْوَابِ أَنْعَجَهُ الْبَلَى ^(٣)
رَقْشَاءٌ تَقْتَصِدُ الطَّرِيقَ إِذَا دَنَا	مِنْهَا الْمَسَاءُ كَأَنَّهَا ثَنِيَا رِشَا
قَرْنَاءُ أَنْسَاهَا الزَّمَانُ فَأَدْرَكَتْ	عَاداً فَلَيْسَ لِنَهْشِهِ مِنْهَا شِفَا

(١) مجمع الامثال للميداني ١٤٥/٢ .

(٢) نور القيس / ٧٨ .

(٣) نعيج اللون: خلص بياضه .

أَوْ حَيَّةٌ ذَا طُفَيْتَيْنِ أَحَلَّهُ
فَنَشَا بَغَارٍ مُظْلِمٍ أَرْجَاؤُهُ
لَمْ تَغْشَهُ شَمْسٌ وَحَالَفَ قَعْرَهُ
لَوْ عَضَّ حَرْفِي صَخْرَةٍ لَتَطَايَرْتُ
أَوْ حَالِكًا أَمَّا النَّهَارَ فَكَامِنٌ
فِي عَيْنِهِ قَبْلُ وَفِي خَيْشُومِهِ
يَلْقَى عُبَيْدًا مَاشِيًا مُتَفَضِّلًا
فِي لَيْلَةٍ نَحْسٍ يَحَارُ هُدَاتُهَا
فِيحَوْضُهُ فِي كَعْبِهِ بِمُذَرَّبٍ
وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ وَاصِفًا قَوَافِي شَعْرِهِ كَأَنِّيَابِ الْأَفَاعِي (٤).

وَقَدْ عَلِمْتَ عَلِيَا رِبْعَةَ أَنَّنِي
تَرَكْتُ ابْنَ نَهْيَا بَعْدَ طَوْلِ هَدِيرِهِ
وَمَا رَاحَ مِثْلِي فِي الْعِقَابِ وَلَا غَدَا

لَمُسْتَكْبِرٍ فِي نَاطِرِيهِ عِدَاءُ
تَزِلُّ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا حُمَاتُ الْأَفَاعِي رِيْقُهُنَّ قَضَاءُ (٦)

وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ يَصِفُ حَيَّةً: (٧).

يَرَوْنَ الْمَوْتَ دُونَكَ إِنْ رَأَوْنِي وَصِلَّ صَفًا لِنَائِيهِ ذُبَابُ

(١) ذو الطفيتين: ضرب من الحيات تقدم ذكره في فصل أسماء الحيات.

(٢) متفضلاً: مدعياً الفضل. متخلقاً: تخلق بغير خلقه.

(٣) حاص الثوب: خاطه بلا رقعة.

(٤) ديوانه / ١٢٨ و ١٢٩.

(٥) ابن نهيا: حماد عجرد.

(٦) حمات، جمع حمة (بضم الحاء وتخفيف الميم المفتوحة: شوكة الزنبور وناب الأفعى).

(٧) نور القبس / ٧٧.

من المَـطَوِّياتِ بِكَهْفِ طَوْدٍ حَرَامٍ لَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(١)
أَبَى الْحَاوُونَ أَنْ يَطْوَا جِمَاهُ وَلَا تَسْرِي بَعْقَوْتُهُ الذِّئَابُ
كَأَنَّ دَمًا أُمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أُمِيرَ بِهِ كُبَابٌ^(٢)
إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ الْأَصْوَاتَ أَبْدَى لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الْعُبَابُ^(٣)
يَظْلُ نَهَارَهُ نَوْمًا سُبَاتًا وَنَزَوْتَهُ طَمُورًا وَأَنْسِيَابُ^(٤)
كَأَنَّ جَرَادَةً نَشَرَتْ عَلَيْهِ جَنَاحًا فَارْتَدَّى مِنْهَا الْحُبَابُ^(٥)
مَتَى مَا يَرْمِ عَنْ عَيْنَيْهِ شَخْصًا فَلَيْسَ إِلَى الْحَيَاةِ لَهُ إِيَابُ
وَقَالَ حَرِيزُ بْنُ نُشْبَةَ الْعَدَوِيِّ لِبَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ، وَضَرَبَ جَوْرَ الْحَيَّةِ فِي
الْحَكَمِ مَثَلًا فَقَالَ: (٦)

كَأَنَّنِي حِينَ أَحْبَبُو جَعْفَرًا مَدَحِي أَسْقِيَهُمْ طَرَقَ مَاءٍ غَيْرَ مَشْرُوبِ
وَلَوْ أَحْصَيْتُمْ أَفْعَى نَابُهَا لَثِقُ أَوْ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ^(٧)
لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِلْبًا وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبِ
وَقَالَ كَثِيرُ عَزَّةَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ: (٨)

وَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيبَايَ^(٩)
وَيَرْقِينِي لَكَ الرُّقُونَ حَتَّى أَجَابَتْ حَيَّةٌ تَحْتَ التُّرَابِ

(١) فِي الْمَصْدَرِ الْمَذْكُورِ (عَرَامٍ) مَكَانَ (حَرَامٍ) وَالتَّصْوِيبُ فِي الْحَيَوَانَ لِلْجَاحِظِ ٢٧٩/٤ .

(٢) أَمَارُ الدَّمِ: أَجْرَاهُ. الْكُبَابُ (بِالضَّمِّ) التُّرَابُ. الْبَيْتُ زِيَادَةٌ مِنَ الْحَيَوَانَ لِلْجَاحِظِ.

(٣) اسْتَجْرَسَ: طَلَبَ الْجَرَسَ (بِفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ) وَهُوَ الصَّوْتُ.

(٤) الطَّمُورُ: الْوُثُوبُ إِلَى اسْفَلٍ.

(٥) الْحُبَابُ: الْحَيَّةُ.

(٦) الْحَيَوَانَ لِلْجَاحِظِ ١٥٢/٤ .

(٧) لَثِقٌ: مَبْتَلٌ بِالسَّمِّ.

(٨) دِيْوَانُهُ ٢٨٠/ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٧٥/ .

(٩) الْقَضِيبُ: الْأَضْغَانُ وَالْعِدَاوَةُ.

وقال الأعشى الكبير لشييان بن شهاب الجحدرى من قصيدة: (١)

أبا مِسْمَعٍ إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ قَبِيلَةٍ بَنَى لِي مَجْدًا مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا
فَلَا تَلْمَسِ الْأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا وَدَعَهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا (٢)
أبا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً مَتَى تَأْتِيكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا
وقال آخر: (٣)

هُمْ أَيقَظُوا رُقْطَ الْأَفَاعِي وَنَبَّهُوا عَقَارِبَ لَيْلٍ نَامَ عَنْهَا حُوانُهَا
وَهُمْ نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفْهَ بِهِ وَمَا آفَةُ الْأَخْبَارِ إِلَّا رُواتُهَا
وقال آخر في وصف الحيات: (٤)

وَكَمْ طَوَتْ مِنْ حَنْشٍ رَاصِدٍ لِلسَّفْرِ فِي أَعْلَى الثَّيَّاتِ (٥)
أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتِ (٦)
مُنْهَرِتِ الشَّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى سَتَرِ طُمُورٍ فِي الدُّجَنَاتِ (٧)
ذِي هَامَةٍ رَقْطَاءَ مَفْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ
صِلْ صَفًّا تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ (٨)
مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَظْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَجِيبَاتِ
قَدَمَنْ عَنِ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى سِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ (٩)

(١) ديوانه / ٨٥.

(٢) السفاة: التراب.

(٣) حياة الحيوان ١/ ٢٧٥.

(٤) الحيوان للجاحظ ٤/ ٢٨٢.

(٥) الثنية: الطريق العالي في الجبل.

(٦) الناب الأعصل: الأعوج.

(٧) منهرة: واسع. الطُمُور: الوثاب إلى أسفل.

(٨) تنطف: تقطر. الذيفان: السم القاتل. مجيرات: كذا ورد، وقال الاستاذ عبد السلام هارون محقق

كتاب الحيوان: لعلها (مبيرات) بمعنى مهلكات.

(٩) اللهوات (بالتحريك) جمع اللّهة: اللّحمة المشرفة على الحلق، وقد سكن الهاء ليستقيم له وزن الشعر، كما أنه جمعها والمراد بها لهة واحدة.

يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْخٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ (١)
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِنْخِبَاتٍ (٢)

وقال الإمام الشافعي: (٣)

عِنْدِي يَوَاقِيتُ الْقَرِيضِ وَدُرُّهُ وَعَلَيَّ إِكْلِيلُ الْكَلَامِ وَتَاجُهُ
تُرْبَى عَلَى رَوْضِ الرُّبَا أَزْهَارُهُ وَيَرِّقُ فِي نَادِي النَّدَى دِيَابِجُهُ
وَالشَّاعِرُ الْمُنْطِقُ أَسْوَدُ سَالِحٍ وَالشَّعْرُ مِنْهُ لُعَابُهُ وَمُجَاجُهُ
وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ دَاءٌ مُعْضِلٌ وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ

وقال أبو هلال العسكري يصف حية: (٤)

وَحَفِيفَةُ الْحَرَكَاتِ تَفْتَرَعُ الرُّبَى كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ فِي الْغَمَامِ الرَّائِحِ
مَنْقُوطَةٌ تَحْكِي بُطُونَ صَحَائِفٍ إِبَّانَ تَبْدُو مِنْ بُطُونِ صَفَائِحِ
نَرَضَى مِنَ الدُّنْيَا بَظْلٌ صُخِيرَةٌ وَمِنَ الْمَعَاشِ بِاشْتِمَامِ رَوَائِحِ

وقال حُسَيْنُ بْنُ عُرْفَةَ (جَاهِلِي): (٥)

مِنْ دُونِ خَيْرِكَ لَوْنٌ لَيْلٍ مُظْلَمٍ وَحَفِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُؤَسَّدٌ (٦)
وَأُخْوَكُ مُحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَعِيفَةٌ وَمُسَيِّفٌ قَوْمِكَ لَا ئِمْ لَا يُحْمَدُ (٧)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ

(١) يسبته: ينيمه.

(٢) الاطراق: السكون وإرخاء العين. الإخبات الخشوع والتواضع.

(٣) ديوانه / ٦٤ و ٦٥.

(٤) ديوان المعاني ١٤٥/٢.

(٥) النوادر لأبي زيد / ٧٥ و ٧٦.

(٦) النافجة: الريح تبدأ بشدة، والسحابة الكثيرة المطر، أوسد الكلب، وأوصده: أغراه بالصيد فهو مؤسد ومؤصد.

(٧) المسيف: الذي أصاب إبله السواف وهي الغدة.

وقال آخر: (١)

وكَيْفَ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنَكَ تَبْتَغِي عِنَاداً لِنَابِي حَيَّةً قَدْ تَرَبَّدَا (٢)
من الصَّمِّ يَكْفِي مَرَّةً مِنْ لُعَابِهِ وما عاد إلا كَانَ فِي الْعَوْدِ أَحْمَدَا

وقال عنترة العبسي (٣) وقيل إنها لحريث بن عَنَاب الطائي: (٤)

أَتَرْجُو حَيَاةً يَا ابْنَ بَشْرِ بْنِ مُسْهِرٍ وقد عَلِقْتُ رِجْلَكَ فِي نَابِ أَسْوَدَا
أَصَمَّ جِبَالِيٍّ إِذَا غَضَّ غَضَّةً تَزَايَلُ عَنْهُ جِلْدُهُ فَتَبَدَّدَا
يَسْلَعُ صَفَاً لَمْ يَبْدُ لِلشَّمْسِ قَبْلَهَا إِذَا مَا رَأَهُ صَاحِبُ الْيَمِّ أُرْعَدَا (٥)
لَهُ رِبْقَةٌ فِي عُنْقِهِ مِنْ قَمِيصِهِ وَسَائِرُهُ عَنْ مَتْنِهِ قَدْ تَقَدَّرَا (٦)
رَقُودِ ضُحَيَّاتٍ كَأَنَّ لِسَانَهُ إِذَا سَمِعَ الْأَجْرَاسَ مَكْجَالُ أُرْمَدَا (٧)
يُفِيْتُ النَّفُوسَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الرُّقَى وَإِنْ أَهْرَقَ الْحَاوِي عَلَيْهِ وَأُرْعَدَا

وقال أبو الأسود الدؤلي: (٨)

لَيْتَكَ آذَنْتَنِي بِوَاحِدَةٍ تَجْعَلُهَا مِنْكَ سَائِرَ الْأَبَدِ
تَحْلِفُ إِلَّا تَبْرُنِّي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَيْدِي

(١) الحيوان للجاحظ ٢٨٥/٤ .

(٢) ضمير ترَبَّدَ عائد الحية والحية تذكر وتؤنث .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٠٨/٤ ولم أجدها في ديوانه .

(٤) ديوان ابن نباتة السعدي ٥٩٣/١ .

(٥) السلع : الشق . اليم . الحية .

(٦) الربقة : الحبل . قميصه : جلده المنسلخ .

(٧) الأجراس : الأصوات . المكحال : المِرْوَد يكتحل به ، وقد يشبه لسان الحية بالمرود في دقته وسواده .

(٨) ديوانه ١٠٤/ .

إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَأَرْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدٍ (١)

وقال أبو تمام من قصيدة في مدح أحمد بن أبي دؤاد: (٢).

حَمَلَ الْعِبَاءَ كَاهِلُ لَكَ أَمْسَى لَخَطُوبِ الزَّمَانِ بِالْمِرْصَادِ
عَاتِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ الْهُونِ إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نِجَادٍ (٣)
مُلِّتُكَ الْأَحْسَابُ أَيُّ حَيَاءٍ وَحَيَا أَرْزَمَةٍ وَحَيَّةٍ وَادٍ (٤)
لَوْ تَرَاحَتْ يَدَاكَ عَنْهَا فُوقاً أَكَلَتْهَا الْأَيَّامُ أَكَلَ الْجَرَادِ (٥)

وقال من قصيدة أخرى في مدح ابن أبي دؤاد: (٦)

خُذْهَا مُثَقَّفَةً الْقَوَافِي زُبَّهَا لِسَوَابِغِ النِّعْمَاءِ غَيْرُ كُنُودٍ (٧)
كَالذَّرِّ كَالْمَرْجَانِ أَلْفَ نَظْمِهِ بِالشَّرِّ فِي عُقَى الْفَتَاةِ الرُّودِ
كَرَفَى الْأَسَاوِدِ وَالْأَرَاقِمِ طَالَمَا نَزَعَتْ حُمَاتٍ بَسَخَائِمٍ وَحُقُودٍ (٨)

وقال الأخطل: (٩)

قَدْ أَنْذَرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَالنَّذْرُ
بَاتُوا نِيَاماً عَلَى الْأَنْمَاطِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلَةٌ سَاهِرٌ فِيهَا وَمَا شَعَرُوا (١٠)

(١) يقال للحية التي ترصد المارة على الطريق لتلسع: رصيدة.

(٢) ديوانه ٣٦٤/١ و ٣٦٥.

(٣) النجاد: حمائل السيف، وهو والمغرم لم يكونا من الهوان ولكن جاوزوا دخول مثلهما في المستثنى الذي ليس من جنسهما الأول.

(٤) يريد أي حياء فيك. الحيا: المطر العام. الأزمة السنة الشديدة. حية الوادي: يشبهون بها السيد الشجاع.

(٥) الفواق: ما بين الحلبتين.

(٦) ديوانه ٢٩٧/١ و ٢٩٩.

(٧) الكنود: الكفور.

(٨) الحُمات جمع الحُمة: السم، وقيل ناب الحية وشوكة الزنبور.

(٩) ديوانه ٢٦٨/١ و ٢٦٩.

(١٠) الأنمط: ضرب من البسط له خمل رقيق.

هناكَ قالُوا أَنامَ الماءَ حَيَّتهُ وما يَكادُ يَنامُ الحَيَّةُ الذَّكَرُ

كان الأَقِيلُ بنُ نَبهانَ القَينِي مع الحَجَّاجِ بنِ يوسُفَ حينَ خَرَجَ إلى ابنِ الزَّبيرِ، فَهَرَبَ مِنَ الحَجَّاجِ لَمَّا رَأى البَيتَ الحَرامَ يَضْرِبُ بِالمِجانيقِ، وَقالَ شِعْراً أَغْضَبَ الحَجَّاجَ فَطَلَبَهُ! فَاحْتَمَى بِقَبْرِ مَروانَ، فَأَمَنَهُ عَبدُ المَلِكِ وَكُتِبَ إلى الحَجَّاجِ أَلَّا يَعرِضَ لَهُ. فَقالَ لَهُ قومه: إِنَّكَ إِنْ أَتَيْتَ الحَجَّاجَ قَتَلَكَ. فَطَرَحَ الكِتابَ وَهَرَبَ وَقالَ: (١)

لَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ القَوْلِ أَنفَعُهُ
لِئِنْ ذَهَبْتُ إلى الحَجَّاجِ يَقْتُلَنِي
أَنْ انْطِلَاقِي إلى الحَجَّاجِ تَغْيِيرُ
إِنِّي لِأَحْمَقُ مَنْ تُحْدِي بِهِ العِيرُ
مُسْتَحَقِّباً صُحُفاً تَذْمَى طَوابعُها
وَفِي الصَّحائِفِ حَيَّاتٌ مَنائِكُيرُ (٢)

وقال رجل من قريش: (٣)

ما زالَ أُمْرُؤُلاءِ السُّوءِ مُنْتَشِيراً
دُو مِرَّةٍ تَفَرَّقُ الحَيَّاتُ صَوْلَتُهُ
حَتَّى أَطَلَّ عَلَیْهِمَ حَيَّةٌ ذَكَرُ
عَفَّ الشَّمايِلَ قَد شُدَّتْ لَهُ المِرَرُ

وقال آخر في الحية: (٤)

لا يَنْبُتُ العُشْبُ في وادٍ تَكُونُ بِهِ
جَرْداءُ شايِكَةُ الأَنْيابِ ذابِلَةٌ
لَوْ شَرَحْتَ بِالمُدَيِّ ما مَسَّها بَلَلٌ
قَد جَاهَدُوهَا فَمَا قامَ الرُّقاةُ لَها
ولا يُجاوِرُها وَحْشٌ ولا شَجَرُ
يَنْبُو مِنَ اليَسْرِ عَن يافوخِها الحَجَرُ
ولو تَكَنَّفَها الحاوُونَ ما قَدَرُوا
وَخاتَلوها فَمَا نالُوا ولا ظَفَرُوا

(١) الحيوان للجاحظ ٢٥٣/٤ والمؤتلف المختلف ٢٥٠.

(٢) استحقب الشيء : حملة في مؤخرة الرجل. الطوابع : الأختام التي تختتم بها الرسائل.

(٣) الحيوان للجاحظ ٢٦١/٤.

(٤) الحيوان للجاحظ ٣٠٩/٤ ونهاية الأرب ١٤٣/١٠، وقد عزيت في الحماسة البصرية ٣٤٣/٢ إلى عمرو بن شاس.

يَكْبُو لَهَا الْوَرَلُ الْعَادِي إِذَا نَفَخَتْ جُبْنًا وَيَهْرُبُ مِنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ^(١)

وقال النابغة الذبياني من قصيدة عاتب بها بني مرة على تحالفهم عليه وعلى قومه، وضرب لهم مثل الحية والأخوين الذي تقدم ذكره في فصل القصص: (٢).

وإني لألقى من ذوي الضغن منهم	وما أصبحت تشكو من الوجد ساهرة
كما لقيت ذات الصفا من حليفها	وما أنفكت الأمثال في الناس سائرة
فقلت له أدعوك للعقل وافيًا	ولا تغشيني منك بالظلم بادرة ^(٣)
فوائقها بالله حين تراضيا	فكانت تديه المال غبًا وظاهرة
فلما توفى العقل إلا أقله	وجارت به نفس عن الحق جائره
تذكر أني يجعل الله جنة	فيصبح ذا مالٍ ويقتل وايرة ^(٤)
فلما رأى أن تمر الله ماله	وأثل موجوداً وسد مفارقة ^(٥)
أكب على فأسٍ يحد غرابها	مذكرة من المعاول بايرة
فقام لها من فوق حجرٍ مشيد	ليقتلها أو تخطي الكف بادرة ^(٦)
فلما وقاها الله ضربة فأسه	وللبر عين لا تغمض ناظرة ^(٧)
فقال تعالي نجعل الله بيننا	على مالنا أو تنجز لي آخرة

(١) الورل: دابة على حلقة الضب إلا أنه أعظم منه يكون في الرمال والصحاري. يريد بالحية الذكر. الرجل الشجاع.

(٢) ديوانه / ٦٨.

(٣) العقل: الدية التي تعطى لأهل القتل.

(٤) الجنة (بالضم): السترة، وكل ما وقاك.

(٥) ثمر ماله وأثله: ثماه وأصله. المفارقة: جمع الفقر.

(٦) البادرة: ما يبدر من الإنسان عند حذته.

(٧) البر (بالفتح وتشديد الراء): من أسماء الله الحسنى.

فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنِّي رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِرَةٌ^(١)
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي وَضَرْبَةُ فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَةٌ
وقال أحمد بن هذيل في وصف الحيات^(٢) والأرجح (يحيى بن هذيل:

هُرْتُ اللَّهَازِمَ لَيْلَهُنَّ رَوَاقِدُ فَإِذَا حَبَّتْ فِي بَاطِنِ أَوْظَاهِرِ^(٣)
يَرْمِينَ نِفْطًا مُحْرِقًا وَكَأَنَّمَا يَحْرِقُنَ بِالْأَنْيَابِ حَدَّ مِيشَرِ^(٤)
يَرْفَعْنَ أَعْنَاقًا كَعِيدَانِ الْقَنَا وَيَدْعُنَ فِي الْمُتَنَابِ رُغَبَ الْخَاطِرِ
وَتَمِيلُ عَمَّا قَابَلَتْهُ بِوَجْهِهَا فَكَأَنَّمَا تَحْكِي صُدُورَ الْهَاجِرِ
وَإِذَا صَنَعْنَ ذَوَائِرًا فَكَأَنَّمَا يُحْكِمْنَ صَوْعَ خَلَخِلٍ وَأَسَاوِرِ
وَكَأَنَّمَا أَحْدَاقُهُنَّ مَعَ الضُّحَى سَبَجٌ يُقَلِّبُ بَيْنَ كَفَى تَاجِرِ^(٥)
وقال محمد بن سعيد: ^(٦)

قَرِيحَةٌ لَمْ تُدَنِّيْهَا السَّيَاطُ وَلَمْ تُورَدَ عِرَاكًا وَلَمْ تُعَصِّرْ عَلَى كَدَرِ^(٧)
كَمَنْطَوَى الْحَيَّةِ النَّضْنَاضِ مَكْمُنُهَا فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُهَيِّجْهَا عَلَى زَوْرِ
الْلَيْثِ لِلْيَيْثِ مَنْسُوبٌ أَظَافِرُهُ وَالْحَيَّةُ الصِّلُ نَجْلُ الْحَيَّةِ الذِّكْرُ
وقال الأخطل^(٨) :

تَخَلَّ ابْنُ صَفَّارٍ فَلَا تَذْكُرِ الْعُلَى وَلَا تَذْكُرْنَ حَيَاتٍ قَوْمَكَ فِي الذِّكْرِ

(١) أفعل (هنا) بمعنى لا أفعل وذلك لورودها بعد القسم ، كقوله تعالى (تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذْكُرُ يَوْسُفَ) سورة يوسف / ٨٥.

(٢) التشبيهات (١٨٩ و ٢٩٩ .

(٣) الهرت: الواسع . اللهازم جمع اللهزمة: العظم الناتئ تحت الأذن.

(٤) المياشر جمع الميشار وهو المنشار.

(٥) السبج: الخرز الأسود (فارسي معرب).

(٦) الحيوان للجاحظ ٢٥٥/٤ .

(٧) يريد بالقريحة: خالصة النسب . (تعصر) كذا ورد ولعل الاصل (تُقَسَّر).

(٨) ديوانه / ١٣٥ .

فَقَدْ نَهَضْتُ لِلتَّغْلِيْبَيْنِ حَيَّةٌ كَحَيَّةِ مُوسَى يَوْمَ أُيْدٍ بِالنَّصْرِ

وقال آخر وقد جمع صفة الحية^(١) :

قد كاد يقتلني أضْمُ مُرْقَشٌ من حُبِّكُمْ وَالْخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ
خُلِقْتُ لِهَازِمِهِ عَزِينَ وَرَأْسُهُ كَالْقُرْصِ فُلْطَحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٢)
وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرٍ^(٣)
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنُوفَةٍ مَلَقَاكَ كِفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورٍ
وَكَانَ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمَضَتْ لِطُهُورٍ

وقال آخر في مליح لسعته حية^(٤) :

قَالُوا خَيْبُكَ مَلْسُوعٌ فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عَقَرَبِ الصُّدْغِ أَوْ مِنْ حَيَّةِ الشَّعْرِ
قَالُوا بَلَى مِنْ أَفَاعِي الْأَرْضِ قُلْتُ لَهُمْ وَكَيْفَ تَسْعَى أَفَاعِي الْأَرْضِ لِلْقَمَرِ

ومن أحسن ما قيل في الحية قول النابغة الذبياني^(٥) :

صَلُّ صَفًّا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ طَوِيلَةُ الْإِطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ خَفَرٍ
دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ كِبَانَمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْرُ
مَهْرُوتُهُ الشَّدَقَيْنِ حَوْلَاءِ النَّظَرِ تَفْتَرُّ عَنْ عُوجِ جِدَادٍ كَالْإِبَرِ

(١) الحيوان للجاحظ ١٨١/٤ ، وفي نسبة الأبيات اختلاف . يراجع الحيوان للجاحظ ٢١٤/٢
والمؤتلف والمختلف ٤٤/ والأصمعيات ١٢٣ .

(٢) الهازم جمع اللهزمة : العظم الناتئ تحت الأذن وهو أصل الحنك . عزين : متفرقات .

(٣) يريد بسمراء : الواحدة من البربر وهو ثمر الأراك إذا اسودَّ وبلغ . النفيض : المنفوس .

(٤) حياة الحيوان ٢٨٠/١ .

(٥) ديوانه ٧٣ .

وقال عمرو بن العاص يوم صفين^(١) :

إِذَا تَخَاذَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ ثُمَّ خَبَأْتُ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَرٍ
الْفَيْتَنِي أَلْوَى بَعْدَ الْمُسْتَمَرِّ ذَا صَوْلَةٍ فِي الْمُصْمِلَاتِ الْكُبَرِ^(٢)
أَحْمِلْ مَا حُمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ كَالْحَيَّةِ الصَّمَاءِ فِي أَصْلِ الضُّخْرِ
وقال أدهم بن أبي الزعرار^(٣) وشبهه نفسه بحية :

وَمَا أَسْوَدَ بِالْبَاسِ تَرْتَاحُ نَفْسُهُ إِذَا حَلَبَةٌ جَاءَتْ وَيُطْرَقُ لِلْحِسِّ
بِهِ نُقْطٌ حُمْرٌ وَسُودٌ كَأَنَّمَا تَنْضَحُ نَضْحًا بِالْكُحَيْلِ وَبِالْوَرَسِ^(٤)
أَصْمٌ قُطَارِيٌّ يَكُونُ خُرُوجُهُ قُبَيْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلَطُ الدَّمَسِ^(٥)
لَهُ مَنْزِلٌ أَنْفُ ابْنِ قِتْرَةَ يَغْتَذِي بِهِ السَّمَّ لَمْ يَظْهَرْ نَهَارًا إِلَى الشَّمْسِ^(٦)
يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ تَزَلُّ الْعُقَابُ عَنْ نَفَائِفِهَا الْمُلسِ^(٧)
بِأَجْرٍ مَنِيَّ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقَدِّمًا إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْ لَبِسَتْ لَهَا لُبْسِي
وقال عامر بن لقيط الأسدي الفقعسي^(٨) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ
فَلَا تَجْعَلَنَّ الْأَرْضَ لِيلاً فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ حَيَّتِي حِينَ تُلَمَسُ

(١) وقعة صفين/ ٣٧٠ .

(٢) الألوى: الشديد الخصومة . المصملات: الدواهي ، واحدها المصملة .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٠٦/٤ .

(٤) الكحيل (بصيغة التصغير): القطران ، ويعرف اليوم بالنفط الأسود . الورس: نبت يُصبغ به فيعطي صفرة إلى حمرة .

(٥) حية قطاري وقطارية تأوي إلى قطر جبل . الدمس: الظلام .

(٦) ابن قتره: حية خبيثة تقدم ذكرها . يغتذي به ، بمعنى يغتذي منه ، وفي الذكر الحكيم (عينا يشرب بها عباد الله) سورة الإنسان/ ٦ .

(٧) قال الرجل يقيل: نام في القائلة وهي نصف النهار . النفاف جمع الننف: صقع الجبل الذي كأنه جدار مستو .

(٨) الحماسة للبحثري/ ٢٤٠ .

فَمَا لَكُمْ طُلْسًا إِلَيَّ كَأَنَّكُمْ ذَنَابُ الْعَصَا وَالذُّبُّ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ^(١)

وقال ذو الاصبع العدواني^(٢) :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^(٣)
عَلَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتْ السَّادَاتُ تِ الْمَوْفُونَ بِالْقَرَضِ
وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وقال جرير من قصيدة في هجاء الفرزدق^(٤) :

إِنَّا لَنَعْرِفُ مِنْ نَجَارٍ مُجَاشِعٍ هَذَا الْحَفِيفِ كَمَا يَحِفُّ الْخِرْوَعُ^(٥)
أَيْفَاشُونَ وَقَدْ رَأَوْ حُقَّائِهِمْ قَدْ عَضُّهُ فَقَضَى عَلَيْهِ الْأَشْجُعُ^(٦)

وقال النابغة الذبياني من قصيدة في مدح النعمان بن المنذر^(٧) :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْيَلَةً مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ^(٨)
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(٩)

(١) الطُّلس جمع الأطلس: الذي في لونه غبرة إلى سواد .

(٢) الشعر والشعراء/ ٥٩٨ .

(٣) العذير: العاذر، والحال التي تحاولها تعذر عليها .

(٤) ديوانه/ ٣٤٤ .

(٥) الحفيف: صوت حركة الأغصان . الخروع: شجرة ضعيفة العود .

(٦) المفايضة: المفاخرة . الحُقَّات: حية لا سم لها . الأشجع (بضم الجيم) جمع الشجاع، وهو من أعزم الحيات .

(٧) ديوانه/ ٨٠ .

(٨) ليلة التَّمَام: أطول ليالي الشتاء . السليم: الملدوغ . حلي النساء: كان العرب يجعلون الحلي في يد الملسوع ويحركونه لئلا ينام فيدب السَّم فيه .

(٩) تناذرها: أنذر بعضهم بعضاً .

وقال الزياتي في يحيى بن أبي حفصة (١):

إِنِّي وَيْحِي وَمَا يَبْغِي كَمُلْتِمَسٍ صَيْدًا وَمَا نَالَ مِنْهُ الرِّيَّ وَالشُّبْعَا
أَهْوَى إِلَى بَابِ جُحْرِ فِي مُقَدِّمِهِ مَثَلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ قَزْعَا (٢)
اللُّونُ أَرْبَدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ عُصْلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرِي بَيْنَهَا قِطْعَا (٣)
لَوْ نَالَ كَفَّكَ آبَتْ مِنْهُ مُخْضَبَةٌ بَيْضَاءُ قَدْ جَلَلَتْ أَنْيَابُهَا قَزْعَا (٤)
فأجابه يحيى فقال (٥):

كَمْ حَيَّةٌ تَرْهَبُ الْحَيَّاتُ صَوْلَتَهُ يَحْمَى لِرَيْدِيهِ قَدْ غَاذَرْتَهُ قِطْعَا (٦)
يَلْقَيْنَ حَيَّةً قُفٌّ ذَا مُسَاوَرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَاسِ الرَّدَى جُرْعَا (٧)
تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَهُ قَزْعَا
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءَ أَيْبَسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَأَنْصَدَعَا

وقال أبو تمام الطائي (٨) من قصيدة في مدح محمد بن الهيثم:

قَدْ كَسَانَا مِنْ كِسْوَةِ الصَّيْفِ خِرْقٌ مُكْتَسٍ مِنْ مَكَارِمِ وَمَسَاعِ
حُلَّةٌ سَابِرِيَّةٌ وَرِدَاءٌ كَسَحَا الْقَيْضِ أَوْرِدَاءِ الشُّجَاعِ (٩)

وقال السيد أحمد الصافي النجفي في مجاورة الأفعى (١٠):

(١) الحيوان للجاحظ ٢٨١/٤ .

(٢) العسيب: جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها. القزع: خفة شعر الرأس.

(٣) شابكة: مشبكة. عُصل: ملتويات .

(٤) قزعا: قطعاً متفرقة .

(٥) الحيوان للجاحظ ٢٨١/٤ .

(٦) الريد (بالفتح) : الحرف الناتئ من الجبل .

(٧) القُفُّ (بالضم) : مرتفع حجري .

(٨) ديوانه ٣٤١/٢ .

(٩) السابرية : الرقيقة. القَيْض: قشرة البيض السمكية العليا ، والسحا: القشرة الرقيقة التي تحت

القَيْض. الشجاع: الحية، ورداؤه: سلخه.

(١٠) ديوانه (شرر) ٥٦ .

جَاوَزْتُ أَفْعَى فِي السَّقْفِ سَاكِنَةً

تُطْرِبُ لِي بِالْفَجِيحِ أَشْمَاعِي
وَإِنْ تَلَوْتُ الْقَرِيضَ تُنْصِتُ لِي
كَأَنَّهَا طَرَبَتْ لِأَشْجَاعِي
خَصْمَانِ سَادَ الْحِيَادُ سَاخَتَنَا
لَمْ تُعْلِنِ الْحَرْبَ غَيْرُ أَطْمَاعِ
قَالُوا تَحَذَّرْ فَالْسَمُ فِي فَمِهَا
فَقُلْتُ سَمِي مِنْكُمْ وَأَوْجَاعِي
لِلْمَكْرِ تَعْزُونَهَا وَلَسْتُ أَرَى
مِنْكُمْ سِوَى مَاكِرٍ وَخَدَّاعِ
أَتَّقِي لَذْعَهَا وَكَمْ بِكُمْ
مِنْ ذِي لِسَانٍ بِالْقَوْلِ لِدَّاعِ
عَامَانِ مَرًّا بِنَا وَمَا هِيَ لِي
سَعَتْ بِشَرٍّ وَلَا أَنَا سَاعِ
وَكَمْ مِنْكُمْ صَبَاحَ مَسَاءٍ
لِلشَّرِّ دَاعٍ لِلْخَيْرِ مَنَاعِ

وقال أبو نصر سهل بن المرزبان^(١) :

قَالَ لَمَّا قُلْتُ لِمَ تَهْجُرُنَا إِنْ أَتَى بَرْدٌ وَإِنْ ثَلَجٌ وَقَعَ
أَنَا كَالْحَيَّةِ أَشْتُو كَامِنًا ثُمَّ أَنْسَابُ إِذَا الصَّيْفُ رَجَعَ

وقال أبو الحسين الظاهر البصري^(٢) :

عَرَفْتُ فِي الْأَسْفَارِ مَا لَمْ أَعْرِفِ
آلِيْتُ لَا أَنْصِفُ مَنْ لَمْ يُنْصَفِ
مِنْ كُلِّ مَوْصُوفٍ وَمَا لَمْ يُوصَفِ
سِرْتُ وَصَحْبِي وَسَطَ قَاعٍ صَفْصَفِ
وَلَا أَفِي دَهْرِي لَخْلٌ لَا يَفِي
رَقَشَاءُ تَرُنُّو مِنْ قَلِيبٍ أَجُوفِ
إِذْ أَشْرَفْتُ مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ مُشْرِفِ
وَذَنْبٍ مُنْدِمِجٍ مُعَقَّفِ
تُومِي بِرَأْسٍ مِثْلَ رَأْسِ الْمَجْدَفِ^(٣)
حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهَا لَا تَنْكُفِي

(١) يتيمة الدهر ٣٩٢/٤ .

(٢) يتيمة الدهر ٣٧٠/٢ .

(٣) المجدف والمجداف (بالذال المهملة والذال المعجمة) : خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين تسير بها القوارب .

عَلَوْتُهَا بِحَدِّ سَيْفٍ مُرْهَفٍ فَظَلَّ يَجْرِي دُمُّهَا كَالْقَرْقَفِ^(١)
أَتَلَفْتُهَا لَمَّا أَرَادَتْ تَلْفِي

وقال ابن المعتز^(٢) :

كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي يَوْمَ بَيْنَهُم رَقْشَاءُ مَجْدُولَةٌ فِي لَوْنِهَا بَلَقُ
كَأَنَّهَا حِينَ تَبْدُو مِنْ مَكَامِنِهَا غُصْنٌ تَفْتَحُ فِيهِ النُّورُ وَالْوَرَقُ
يَنْسَلُ مِنْهَا لِسَانٌ تَسْتَعِيْثُ بِهِ كَمَا تَعُوْذُ بِالسَّبَابَةِ الْغَرِقُ

وقال آخر في حمرة عين الأفعى^(٣) :

لَوْلَا الْهَرَاوَةُ وَالْكِفَاتُ أَوْرَدَنِي حَوْضَ الْمَنِيَّةِ قَتَّالُ لِمَنْ عَلِقَا^(٤)
أَصَمُّ مُنْهَرْتُ الشُّدْقَيْنِ مُلْتَبِدٌ لَمْ يُغْذَ إِلَّا الْمَنِيَا مِنْ لَدُنْ خُلِقَا
كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِسْمَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ جَلَاهُمَا مِدْوَسُ التَّلَاقِ فَاتْتَلَقَا^(٥)

وقال جمال الملك بن أفلح^(٦) :

وَقَالُوا يَصِيرُ الشَّعْرُ فِي الْمَاءِ حَيَّةً إِذَا الشَّمْسُ حَاذَتْهُ فَمَا خِلَتْهُ صِدْقَا
فَلَمَّا التَّوَى صُدْغَاهُ فِي مَاءٍ وَجْهَهُ
وَقَدْ لَسَعَا قَلْبِي تَيَقَّنْتُهُ حَقًّا

وقال ابن نباتة السعدي يصف الحية^(٧) :

(١) القرقف: من أسماء الخمر .

(٢) ديوانه ١٤١/١ ، وديوان المعاني ١٤٥/٢ .

(٣) الحيوان للجاحظ ٢٤٢/٤ .

(٤) الكفات جمع الكفة (بالكسر) من آلات الصيد .

(٥) المدوس (بالكسر) : المصقلة . التلاق (تفعال) : من ألق، أي لمع وبرق .

(٦) حياة الحيوان ٢٨٠/١ .

(٧) ديوانه ٥٩٤/١ .

إِذَا عَرَّسَ السَّارُونَ فِي بَطْنِ زَامِرٍ فِي الْهَضْبَةِ الْحَمْرَاءِ إِنْ كُنْتَ سَارِيًا
فَسِرُّ وَتَعَوَّذٌ مِنْ شِرَارِ الطَّوَارِقِ^(١) يُسَالِمُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ نَهَارَهُ
أَغْيَرُ يَأْوِي فِي صُدُوعِ الشَّوَاهِقِ كَأَنَّ بَقَايَا مَا سَرَى مِنْ قَمِيصِهِ
إِلَى اللَّيْلِ مَخْبُوءٌ لِإِحْدَى الْبَوَائِقِ يَقْصُرُ عَنْ يَأْفُوخِهِ حِينَ يَنْطَوِي
عَلَى مَتْنِهِ أَفْوَافٌ بُرْدٍ شَبَارِقِ^(٢) تَنَادَرَهُ الْحَاوُونَ إِذْ أَبْصَرُوا بِهِ
حَقِيبَةٌ مَمْلُوءَةٌ مِنَ السَّمِّ زَاهِقِ تُسَارِقُ عَيْنَاهُ بَنَانُ الْمُسَارِقِ^(٣)

وقال مهذب الملك في تشبيه لون النار وألسنتها بالأرقام^(٤) :

كَأَنُّونُ أَذْهَبَ بَرْدَهُ كَأَنُّونَا مَا بَيْنَ سَادَاتِ كِرَامٍ حُذِّقِ
بِأَرْاقِمِ حُمْرِ الْبُطُونِ ظُهُورُهَا سُودٌ تَلْعَلُغُ بِاللِّسَانِ الْأَزْرَقِ^(٥)
وقال الأخطل من قصيدة في هجاء جرير^(٦) :

وَمَا عَرَّ كَلْبًا مِنْ كُليبٍ بِحَيَّةٍ أَصَمَّ عَلَى أَنْيَابِهِ السَّمُّ شَابِكِ^(٧)
وَبَيَّتْ صَفَاةً فِي لَهَابٍ لُعَابِهِ سِمَامُ الْمَنَايَا أَسْوَدَ اللَّوْنِ حَالِكِ^(٨)
تَرَى مَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ إِذَا مَشَى
صُدُوعًا نَفَتْ عَنْهَا مُتُونِ الدَّكَادِكِ^(٩)

(١) زامر: قال محقق ديوان ابن نباتة السعدي (زامر: اسم جبل بمدينة الموصل) ولم أقف عليه .

وجاء في تاج العروس (زيمر) بقعة بجبال طيء ، ووادي الزُّمَار: قرب الموصل .

(٢) الأفواف: النقط البيض في البرود الموشاة . الشبارق: المقطع .

(٣) تنادره الحاوون: أنذر بعضهم بعضاً .

(٤) حياة الحيوان ٢٠/١ .

(٥) تلعلع الكلب: دلع لسانه عطشاً .

(٦) ديوانه ٢٨٥ .

(٧) الشابك: الطويل الأنياب، وقد رد الشاعر (من ناحية الاعراب) شابك على الأنياب .

(٨) اللهاب جمع لهب (بالكسر) : الصدع في الجبل .

(٩) الدكادك جمع دكدك: الأرض الغليظة .

وقال ابن المعتز في الحية^(١) :

أُنْعْتُ رَقْطَاءَ لَا تَحْيَا لَدِيغَتَهَا لَوْ قَدْهَا السَّيْفُ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ بَلَلُ
تُلْقِي إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا كَأَنَّهَا كُمْ دِرْعٍ قَدَّهُ بَطَلُ
وقال كثير عزة^(٢) :

وَسَوْدَاءَ مِطْرَاقٍ إِلَيَّ مِنَ الصِّفَا أَنِيَّ إِذَا الْحَاوِي دَنَا فَصَدَّالَهَا^(٣)
كَفَفْتُ يَدًا عَنْهَا وَأَرْضَيْتُ سَمْعَهَا مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى صَدَّقْتُ مَا وَعَى لَهَا
وَأَشَعَرْتُهَا نَفْسًا بَلِيغًا فَلَوْ تَرَى وَقَدْ جَعَلْتُ أَنْ تَرَعَنِي النَّفْثَ بِالْهَا^(٤)
تَسَلَّلْتُهَا مِنْ حَيْثُ أَدْرَكَهَا الرُّقَى إِلَى الْكَفِّ لَمَا سَالَمْتُ وَأَنْسِلَافَهَا
وقال النابغة الذبياني^(٥) :

مَاذَا رُزِنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكْرٍ نَضْنَاضَةٍ بِالرُّذَايَا صِلَ أَصْلَالِ^(٦)
سَهْلِ الْخَلِيقَةِ مَشَاءٍ بِأَقْدَمِهِ إِلَى ذَوَاتِ الذُّرَى حَمَالٍ أَثْقَالِ^(٧)
وقال آخر في وصف حَيَّاتِ الْجَبَلِ^(٨) :

عَلَّ زَيْدًا أَنْ يُلَاقِي مَرَّةً فِي التِّمَاسِ بَعْضَ حَيَّاتِ الْجَبَلِ

(١) ديوانه ٦٣٣/١ .

(٢) ديوانه ٨٥/ والحيوان للجاحظ ١٨٨/٤ و ١٨٩ .

(٣) الصفا: الصخور الملساء الصلبة. أني، من الأناة: البطء. صدالها، من التصدية وهي التصفيق .

(٤) النفث، من نفث الراقي في العقدة: بزق ولا ريق معه، ونفثت الحية: نفخت، ولسعت .

(٥) ديوانه ١٠٠/ .

(٦) النضناضة: الحبة التي تحرك لسانها حركة خفيفة، وقيل: التي لا تفر في مكان وإذا نهشت قتلت من ساعتها .

(٧) يريد بذوات الذرى: المعالي .

(٨) الحيوان للجاحظ ٤٩٧/٣ .

غَايِرُ الْعَيْنَيْنِ مَفْطُوحُ الْقَفَا لَيْسَ مِنْ حَيَّاتٍ جُحْرِ وَالْقُلُلِ ^(١)
يَتَوَارَى فِي صُدُوعِ مَرَّةٍ رَبِذُ الْخَطْفَةِ كَالْقِدْحِ الْمُؤَلِّ ^(٢)
وَتَرَى السَّمَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَاحَتْ فِي طَفْلِ ^(٣)
طَرَدَ الْأَرَوَى فَمَا تَقَرَّبُهُ وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ ^(٤)
وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي مشبهاً درعه بسلخ
حيّة ^(٥) .

نَهْنَهْتُ أَوَّلَهَا بِضَرْبَةٍ صَادِقٍ كَانَتْ كَمَا شُقَّ الرِّدَاءُ الْمُعَلَّمُ
وَعَلَيَّ مَسْبُوعُ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ سِلْخُ كَسَانِيهِ الشُّجَاعِ الْأَرْقَمُ
وقال المتلمس ^(٦) :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعٍ كَفَّهِ بِكَفٍّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا ^(٧)
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَبَيَّنَا فَأُحْجَمًا ^(٨)
يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتَفَ هَذِهِ فَلَمْ تَجِدِ الْأُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدَّمًا
فَاطَّرَقَ إِطْرَاقُ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمًا ^(٩)
وقال آخر مشبهاً صديقَ السوء بالحيّة ^(١٠) :

مَتَى تَحْمَدُ صَدِيقَ السُّوءِ فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ مُحَمَّدَةٍ تَذُمَّهُ

(١) مفطوح : عريض .

(٢) الرِّبْذُ : السريع . القِدْحُ : السهم . المؤل ، أصله المؤلِّل : المحدّد .

(٣) الطفل : قبيّل غروب الشمس .

(٤) قال الجاحظ : إنما ذكر ذلك لأن الأروى تأكل الحيات .

(٥) نمار القلوب/ ٤٢٩ .

(٦) مختارات ابن الشجري ، القسم الأول/ ٢٩ .

(٧) الأجذم : المقطوع اليد .

(٨) الدرك : اللّحاق .

(٩) الإطراق : السكوت . الشجاع : ضرب من الحيات .

(١٠) التمثيل والمحاضرة/ ٣٧٨ .

كَطْفَلٍ رَاقَهُ تَرْقِيشُ صِلٍّ فَلَمَّا مَسَّهُ أُرْدَاهُ سُمُّهُ
وقال أبو نصر العتبي^(١) :

تَعْلَمُ مِنَ الْأَفْعَى أَمَالِي طَبْعُهَا وَأَنْسَ إِذَا أُوحِشَتْ تُغْفَ عَنْ الذَّمِّ
لَئِنْ كَانَ سَمٌّ نَاقِعٌ تَحْتَ نَابِهَا فَفِي لَحْمِهَا تَرِيَاقُ غَائِلَةِ السَّمِّ
وقال خلف الأحمر^(٢) يصف حيّة :

لَهُ عُنُقٌ مُخْضَرَّةٌ مَدُّ ظَهْرِهِ وَشُومٌ كَتَحْبِيرِ الْيَمَانِيِّ الْمُرْقَمِ^(٣)
إِلَى هَامَةٍ مِثْلَ الرَّحَى مُسْتَدِيرَةٌ بِهَا نُقْطُ سُودٍ وَعَيْنَانِ كَالدَّمِ
وقال آخر^(٤) :

لَا هُمْ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانَنِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
فَابْعَثْ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ لَمِيمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمَّ^(٥)
أَسْمَرَ زَحَافًا مِنَ الرُّقْطِ الْعُرْمِ قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِدَمٍ^(٦)
فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمَّ حَتَّى إِذَا أُمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ^(٧)
يَمَسَّ مِنْهُ مَضْضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقُمْ
وَلَمْ يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَنَمٍ وَلَا لِيَخُوفٍ رَاعَهُ وَلَا لِهِمٍّ

(١) التمثيل والمحاضرة .

(٢) نهاية الأرب ١٠ / ١٤٥ .

(٣) التحبير: التزيين والتوشية . اليماني المرقم برد مخطط من صنع اليمن .

(٤) الحيوان للجاحظ ٤ / ٢٨٣ .

(٥) اللمم (بالفتح) : جنون خفيف ، أو طرف من جنون يلُمُّ بالإنسان . اللميمة : الجماعة .

الحنش : ضرب من الحيات .

(٦) العرم (بضم فسكون) جمع أعرم ، وهو ما كان منقَطاً بسواد وبياض . وقد ضم الراء لضرورة الوزن .

(٧) أقصده : أصابه . شم ، أي شم الهواء يطعمه بدل الطعام .

حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمٍّ فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ^(١)
بِمَذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كِمٍّ كَأَنَّ وَخَزْنَا بِهِ إِذَا انْتَضَمَ^(٢)
وَخَزَةً إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍ^(٣)

وقال أحمد بن هذيل يصف حية^(٤)، وإخالة يحيى بن هذيل :

مِنْ الرُّقْشِ فِي ظَهْرِهَا حُلَّةٌ قَدْ اخْتَلَفَتْ فِيهِ أَلْوَانُهَا
وَمُدَّتْ بِأَخْرَى عَلَى جَوْفِهَا مُعْصَفَرَةٌ هَالِيَنِ شَانُهَا
وَتَنْصَبُّ مِثْلَ التَّلَاعِ الْمِلَا ءِ فَاضَتْ عَلَى الْأَرْضِ خُلْجَانُهَا
فَمِنْ قَائِمِ الرُّمَحِ جُثْمَانُهَا وَمِنْ حِدَّةِ الرُّمَحِ أَسْنَانُهَا
أَرَاهَا الْفَتَاتِ اللَّعُوبِ الَّتِي تَفُوحُ مِنَ الْمِسْكِ أَرْدَانُهَا
وَكُنْتُ جَحَدْتُ سِرَاوِيلَهَا فَقَالَتْ أَمَا تِلْكَ هَمِيَانُهَا^(٥)

وقال علي بن أبي الحسين^(٦) :

أَرْقَمٌ كَالدَّرْعِ فِيهِ وَشَمٌّ مُنَمْنَمُ الظُّهْرِ وَاللَّبَانِ^(٧)
يَزْحَفُ كَالسَّيْلِ مِنْ تِلَاعٍ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوَكْبَانِ
مَا بَيْنَ نَبْعٍ وَبَيْنَ ضَالٍ وَبَيْنَ آسٍ وَأَقْحَوَانِ

(١) النضناض : حية ينضنض لسانه، أي يحركه. خاضه بالسيف خوضاً: وضعه في أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق.

(٢) أراد بالمذرب : الناب الحاد . الكم (بالكسر) : وعاء الطلع ، وغطاء النور ، وأراد به فم الحية .

(٣) الإشفي (بالكسر) : المخرز. العطوف : المعطوف. الأدم : الجلد .

(٤) التشبيهات/ ١٨٨ و ٢٩٩ .

(٥) الهميان : تكّة السروال (معرب) .

(٦) التشبيهات/ ١٨٩ .

(٧) اللبان : الظهر .

يَرْتَشِفُ الْمَاءَ مِنْ نِطَافٍ وَيَقْضُمُ الْحَمْضَ مِنْ رِعَانٍ^(١)

وقال الحسين بن الحجاج يمدح مَنْ وهب له دابة^(٢) :

فَدَيْتُ مَنْ صَيَّرَنِي رَاكِباً وَكُنْتُ أَعْدَى قَبْلُ مِنْ حَيَّةٍ^(٣)
فَدَيْتُهُ إِنَّ فِدَائِي لَهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَحْسُدُنِي كَيْه

(١) النطاف (بالكسر) : الماء القليل . الرعان جمع الرعن : أنف يتقدم الجبل .

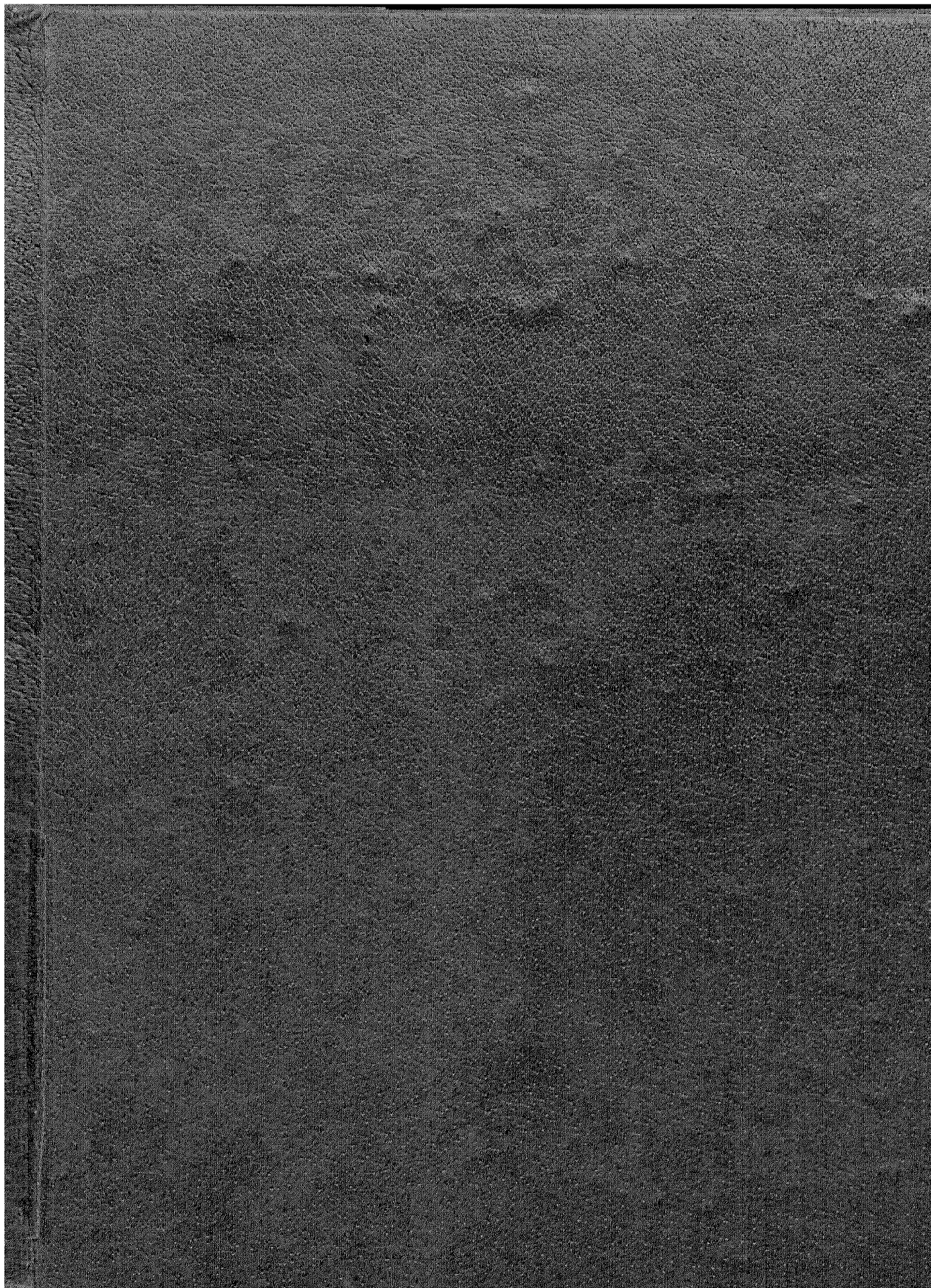
(٢) ثمار القلوب/٤٢٦ .

(٣) يقال (أعدى من الحية) لأنها تمشي على بطنها .

فهرس الجزء الأول

المقدمة	٥	●
الإبل	١٣	●
من أوصاف الإبل	٢٠	
ما ورد في المعاجم في الإبل	٢٢	
ذكر الإبل في القرآن الكريم	٤٣	
ما ورد في الحديث الشريف عن الإبل	٤٥	
ما ورد في الأمثال عن الإبل	٤٦	
ما ورد في المنثور عن الإبل	٥١	
ما قاله الشعراء في الإبل	٥٣	
● الأسد	٧٣	
أسماءه وصفاته	٧٣	
ذكره في القرآن الكريم	٧٨	
ذكره في الحديث النبوي الشريف	٧٨	
ما ورد عنه في الأمثال	٧٨	
ما ورد عنه نثراً	٨٠	
ما ورد عنه شعراً	٨٣	
● ابن آوى	١٠٤	
● الأرنب	١٠٩	
أسماءه وكناه	١٠٤	
ذكره في الشعر	١٠٤	
ما ورد عنه في القصص	١٠٥	
● الأوز	١١٩	
أسماءه وصفاته	١١٩	
ما ورد عنه في اللغة عنها	١٠٩	
ما ورد عنها في الأمثال	١١١	
ما ورد عنها في القصص	١١١	
ما ورد عنها في الشعر	١١٤	
● الأوز	١١٩	
ما ورد عنه في الأمثال	١١٩	
ما ورد عنه في القصص	١٢٠	
ما ورد عنه في الشعر	١٢٢	
● ابن عرس	١٢٥	
ما ورد عنه في القصص	١٢٥	
ما ورد عنه في الشعر	١٢٧	
● الأبل	١٢٩	

٢٠٧	ما قيل فيه شعراً	١٢٩	ما ورد عنه في الشعر
٢٣١	● اليوم	١٣٣	● البيغاء
٢٣٢	ما ورد عنه في القصص	١٣٤	ما ورد عنه في الشعر
٢٤٠	ما ورد في الشعر	١٤١	● البرغوث
٢٤٥	● التمساح	١٤١	ما ورد عنه في الأمثال
٢٤٦	ما قيل فيه شعراً	١٤٢	ما ورد عنه في القصص
٢٤٩	● الثعلب	١٤٢	ما ورد عنه نثراً
٢٥٠	الأمثال الواردة فيه	١٤٣	ما ورد عنه في الشعر
٢٥٠	ما جاء عنه في القصص	١٥١	● البعوض
٢٥٤	ما قيل فيه شعراً	١٥١	ما ورد عنه في القرآن الكريم
٢٦١	● الجراد	١٥١	ما ورد عنه في الحديث
٢٦٤	ذكره في القرآن الكريم	١٥٣	ما ورد عنه في الشعر
٢٦٥	ذكره في الأمثال	١٦١	● البغال
٢٦٧	ما قيل فيه شعراً	١٦١	ما ورد عنها في القرآن الكريم
٢٧٥	● الحبارى	١٦١	ما ورد عنها في الأمثال
٢٧٦	ما ورد في الأمثال	١٦٢	ما ورد عنها في القصص
٢٧٨	ما ورد في الشعر	١٦٦	ما ورد عنها في الشعر
٢٨٣	● الحجل	١٧٩	● البقر الأهلي
٢٨٤	ما ورد في الحديث الشريف	١٨٤	ما ورد عنها في القرآن الكريم
٢٨٤	ما ورد في القصص	١٨٥	ما ورد في الحديث الشريف
٢٨٥	ما ورد في الشعر	١٨٦	ما ورد في الأمثال
٢٩١	● الحرياء	١٨٧	ما ورد في الكلام المنثور
٢٩٢	ما ورد في الشعر	١٩٠	ما ورد في الشعر
٢٩٧	● الحسون	١٩٥	● البلب
		١٩٦	ما ورد عنه في القصص
		٢٠٥	ما جاء في الكلام المنثور



To: www.al-mostafa.com